موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة

الجزء الثاني

لفضيلة الشيخ

أ . د / عبد الرحمن بن صالح المحمود

شبكة نور الإسلام

www.islamlight.net

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المبحث الثاني

الماتريدية وعلاقتهم بالأشعرية

أولاً : الأشعري والماتريدي

بعد الحديث عن الكلابية– شيوخ الأشاعرة – وقبل الحديث عن نشأة المذهب الأشعري لابد من الإشارة إلى نشأة مذهب مشهور نشأ مواكبا لمذهب الأشاعرة، واشتهر كشهرتهم ألا وهو المذهب الماتريدي.

وقد عاصر الأشعري المتوفي سنة 324هـ اثنان من العلماء كان لما كتبوه في العقيدة أثر كبير فيمن جاء بعدهم:

أحدهما: الطحاوي ، في مصر (توفي سنة 321هـ) .

والثاني: أبو منصور الماتريدي. في ما وراء النهر (توفي سنة 333هـ) .

أما الطحاوي: فهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك، الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، ينسب إلى بلدة طحا من أعمال مصر ولد سنة 239هـ وكان في أول أمره شافعيا – لأن خاله المزني، صاحب الشافعي – ثم تحول إلى مذهب أي حنيفة وصار أحد أعلامه في مصر، كما صار أحد أعلام الحديث (1)، وتوفي سنة 321 هـ، له كتب كثيرة من أهمها:

---

1 لابن تيمية رأي في علمه بالحديث فهو يقول عنه: « والطحاوي ليست عادته نقد الحديث كنقد أهل العلم، ولهذا روي في شرح معاني الآثار والأحاديث المختلفة، وإنما يرجح ما يرجحه منها في الغالب من جهة القياس الذي رأه حجة، ويكون أكثرها مجروحا من جهة الإسناد، لا يثبت، ولا يتعرض لذلك، فإنه لم تكن معرفته بالإسناد كمعرفة أهل العلم به، وإن كان كثير الحديث، فقيها، عالما» (منهاج السنة 194/4) وذكر ابن تيمية هذا بمناسبة مناقشته للرافضي عند ذكره لحديث رد الشمس لعلي– رضي الله عنه – الذي أثبته الطحاوي في مشكل الآثار (12–8/2) ، وقد بين شيخ الإسلام أنه حديث موضوع وتكلم على طرقه بكلام طويل .

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

شرح معاني الآثار، ومشكل الآثار، والشروط الصغير، والعقيدة، المسماة عقيدة الطحاوي، وتسمي بيان السنة والجماعة (2) ، وهذه كلها مطبوعة كما أن له مؤلفات أخرى ذكرها مترجموه (3).

وعقيدة الطحاوي تلقاها العلماء بالقبول، حتى قال فيها تاج الدين السبكي – وهو شافعي أشعري جلد: « وهذه المذاهب الأربعة – ولله الحمد – في العقائد واحدة ، إلا من لحق منها بأهل الإعتزال والتجسيم . وإلا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي، التي تلقاها العلماء سلفا وخلفا بالقبول » (4).

وقد اشتهرت هذه العقيدة التي كتبها الطحاوي وشرحها كثيرون (5)، ولكن غالبية هؤلاء كانوا على مذهب الماتريدية، ولذلك فقد أولوا عبارات الطحاوي وشروحها على

انظر: منهاج السنة (4/185-195) – ط بولاق – .

(2)ذكر صاحب كتاب أبو جعفر الطحاوي وأثره في الحديث (ص : 126) أن من كتب الطحاوي في العقيدة: كتابا في النحل وأحكامها وصفاتها وأجناسها وما ورد فيها من خبر. والظاهر أن قراءته النحل أوقعته في هذا الوهم حيث يدل باقي العنوان على ان المقصود النحل – بالنون المشددة المفتوحة، والحاء المهملة الساكنة – أو أن تكون بالخاء المعجمة .

(3)انظر في ترجمة الطحاوي : طبقات الشيرازي (ص: 142) والأنساب (8/218) ، ط لبنان . وتاريخ ابن عساكر (7/317) ط مجمع اللغة العربية بدمشق، والجواهر المضية (1/271) ، والوافي (8/9) ، وغاية النهاية في طبقات القراءة (1/116) ، وسير أعلام النبلاء (15/27) ،وانظر في مؤلفاته ومخطوطاته بروكلمان (3/161/165) – الطبعة العربية ، وسنركين (2/85) ، ط مصر.

(4)معيد النعم (ص: 22-23).

(5)انظر ما عثر عليه من هذه الشروح في بروكلمان وسزكين – فقرة تراجم الطحاوي السابقة – ومن الشروح التي لم يذكروها شرح لعبد الغني الغنيمي الميداني، الحنفي ، الدمشقي، المتوفي سنة 1298 هـ . وهو شرح مطبوع في دار الفكر بدمشق.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

وفق مذهبهم، ونقلوا في هذه الشروح أقوال أئمة الماتريدية، بل ردوا على الأشعرية عند شرحهم للمسائل التي خالفوهم فيها (6).

وقد قيض الله لهذه العقيدة من يشرحها على وفق مذهب السلف– رحمهم الله – وهو الإمام علي بن علي بن أبي المعز الحنفي المتوفي سنة 792 هـ (7).

وقد انتهج فيه مؤلفه نهجا ممتازا حيث ركز على تقرير مذهب السلف، والرد على من سبقه من الشراح ، خاصة في فهمهم وتفسيرهم لبعض عبارات الطحاوي الموهمة، مثل قوله : » وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات ، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات « (8)، حيث فهم بعض الشراح أن الطحاوي يؤول العلو والصفات الخبرية، فبين ابن أبي العز خطأهم في هذا الفهم » ومع ذلك رجح أن

---

(6) مما اطلعت عليه من هذه الشروح التي تنهج هذا المنهج شرح الغنيمي المطبوع. انظر (ص: 57) حول صفة التكوين، و (ص: 7.– 74) حيث رجح في الصفات الخبرية التفويض. و (ص: 99–103) حيث رجح مذهب الماتريدية. ومن هذه الشروح شرح الناصري (بكير التركي الناصري، نجم الدين أبو شجاع، المتوفي سنة 652هـ ، ترجمته في الفوائد البهية ص : 56) وشرحه للطحاوية اسمه : النور اللامع والبرهان الساطع، ولا يزال مخطوطا، وهو شرح مطول يعتمد على كتب الماتريدية ومنها كتب الماتريدي نفسه وكتب أبي المعين النسفي، وأبرز ما في هذا= =الشرح فوق تبنيه للمذهب الماتريدي ؛ ردوده على الأشاعرة، انظر مثلا: لوحة رقم (5– أ) حول إيمان المقلد – ولوحة (47 – ب) وما بعدها حول صفة التكوين، وانظر لوحة (50) وما بعدها حيث ذكر أسبقية الماتريدية وتميزهم عن الأشعرية، ومن الشروح شرح في جامعة الإمام مخطوطة أصلية مجهولة المؤلف.

(7)ترجمته في : الدرر الكامنة (103/4) – ط هندية – وأنباء الغمر (50/3) ، باسم محمد ابن علي.

(8) شرح الطحاوية – ط المكتب الإسلامي – (ص: 238).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأولي الابتعاد عن مثل هذه العبارات الموهمة(9). ومثل قول الطحاوي – حول الإيمان – : » وأهله في أصله سواء» (10)، وقوله عن أهل الكبائر وأنهم لا يخلدون .. » بعد أن لقوا الله عارفين » (11)، وقوله في الاستطاعة وتكليف ملا يطاق : » ولا يطيقون إلا ما كلفهم به (12)، فبين ما في مثل هذه العبارات من إشكال أن إيهام. وقد اعتمد ابن أبي العز في شرحه على كلام ابن تيمية وابن القيم – رحمهم الله – وطبع هذا الشرح عدة طبعات وكتب له القبول والانتشار في أنحاء العالم الإسلامي – والحمد لله –.

أما الماتريدي: فهو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، أبو منصور، و ماتريد محلة بسمرقند فيما وراء النهر(13)، تتلمذ على عدة شيوخ من أشهرهم أبو نصر العياضي(14), وأبو بكر الجوزاني(15)، ومحمد بن مقاتل الرازي (16)،

---

(9)انظر: المصدر السابق (ص : 243).

(10)انظر: المصدر نفسه (ص: 375).

(11)انظر: المصدر نفسه (ص: 416–417).

(12) انظر: المصدر نفسه (ص:505).

(13) انظر: معجم البلدان (32/5)، وسماها ماثترب، وفي اللباب (140/3) ما تريت، قال يقال ما تريد.

(14) هو : أحمد بن العباس بن الحسين، ينتهي نسبه إلى سعد بن عبادة الأنصاري – رضي الله عنه – أسره الكفار فقتل صبرا في ديار الترك، انظر: الجواهر (177/1)، والفوائد البيهة (ص:23)

(15) اسمه محمد بن أحمد بن رجا، توفي سنة 285هـ ، الجواهر (82/3، 29/4).

(16)قاضي الري، توفي سنة 248 هـ، قال فيه الذهبي: تكلم فيه ولم يترك، ميزان الاعتدال (47/4)، وقال ابن حجر في التقريب (210/2) ضعيف، وانظر تهذيب التهذيب (469/9)، والجواهر (372/3).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ونصير بن يحيى(17)وغيرهم،كما تتلمذ عليه عدة أشهرهم الحكيم السمرقندي(18) وأبو الحسن الرستغفني(19)، وأبو محمد البزدوي(20)، وغيرهم.

والماتريدي حنفي المذهب هو وشيوخه وشيوخ شيوخه الذين تتلمذوا على أصحاب أبي حنيفة، ولأبي منصور كتب كثيرة في الفقه وأصوله وفي التفسير وعلم الكلام، وغالب كتبه الكلامية في الرد على معتزلة عصره(21)، والرد على الباطنية والروافض، ولم يصل إلينا من هذه الكتب سوى كتاب التأويلات المسمى تأويلات أهل النسة، وقد وصل كاملا وله عدة نسخ خطية (22)، وكتاب التوحيد الذي طبع بتحقيق

---

(17) توفي سنة 268هـ، وقيل اسمه نصر، انظر: الجواهر (546/3)، والفوائد البهية (221).

(18) هو: أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل، توفي سنة 340هـ، الأنساب (185/4)، والجواهر المضية (371/1).

(19) هو: أبو الحسن علي بن سعيد – لم يحدد تاريخ وفاته – الجواخر المضية (458/2)، وتاج التراجم (ص: 41).

(20) هو: عبد الكريم بن موسى، المتوفى سنة 390هـ، الجواهر (570/2، 212/4).

(21) منها: كتاب بيان وهم المعتزلة، وكتاب رد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي، وكتاب رد أوائل الأدلة للكعبي، وكتاب رد وعيد الفساق للكعبي، وكتاب رد تهذيب الجدل للكعبي، وغيرها= =وانظر مصادر ترجمته. وأكثر ردوده على الكعبي لأنه عند المعتزلة إمام أهل الأرض، كما يقول الماتريدي في التوحيد (ص: 49).

(22) انظر في أماكن وجودها: تاريخ التراث، سزكين (378/2–379) – ط القاهرة – وقد طبع الجزء الأول من تفسير الماتريدي بتحقيق إبراهيم عوضين والسيد عوضين، ضمن منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، سنة 1391هـ، كما طبع الجزء الأول في بغداد.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فتح الله خليف، وقد نسبت إليه كتب أخرى منها: العقيدة – التي شرحها السبكي (23)– وشرح الفقه الأكبر (24)، وقد كانت وفاة الماتريدي سنة 333هـ (25)،

- **منهج الماتريدي وعقيدته:**

- لا يبعد الماتريدي كثيرا عن أبي الحسن الأشعري، فهو خصم لدود للمعتزلة، وقد خالفهم في المسائل التي اشتهروا بمخالفة أهل السنة فيها مثل مسائل الصفات، وخلق القرآن، وإنكار الرؤية، والقدرة، وتخليد أهل الكبائر في النار، والشفاعة، وغيرها، وقد ألف في ذلك كتبا مستقلة، ومع ذلك فالماتريدي لم ينطلق في ردوده عليهم من

---

(23) من أسباب القول بأنها منسوبة إليه أنها تتعرض للخلاف بين الأشعرية والماتريدية، والماتريدي معاصر للأشعري، وليس بينهما أي التقاء، لذلك فلا يمكن أن تكون من تأليف الماتريدي، وانظر كتاب: إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية لعلي عبد الفتاح المغربي (ص: 28–29)، ومصطلح الأشعرية كطائفة نشأت بعد الأشعري بوقت طويل.

(24)طبع الكتاب في الهند ضمن الرسائل السبعة في العقائد، ومما يدل على أنه ليس من كتب الماتريدي ذكره للأشعرية، انظر الكتاب المذكور – شرح الفقه الأكبر – (ص: 10،13، 23، 25) وفي (ص: 24) « وسئل أبو منصور عن صفات الله تعالى ما هي؟ قال: لا هو ولا غيره، قيل له..». وفي (ص: 17 وص: 31) ما يشير إلى احتمال أن يكون من تأليف الفقيه أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي المتوفى سنة 373 هـ وقيل سنة 393هـ، انظر ترجمته في: الجواهر (544/3)، وتاج التراجم (ص: 79)، ومقدمة تحقيق تفسيره « بحر العلوم» (45/1–94).

(25) لم يحظ الماتريدي بالعناية من جانب أصحاب التواريخ والتراجم، حتى كتب الطبقات الحنفية ترجمت له ترجمات مختصرة، انظر: الجواهر (360/3)، وتاج التراجم (ص:59)، والفوائد البهية (ص: 195)، ومفتاح السعادة – طاش كبرى زاده – (251/2) ، وبروكلمان (41/4)، وسزكين (378/2)، وانظر: مقدمة تحقيق التوحيد (ص: 11) وما بعدها، ومقدمة تحقيق تفسيره (9/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

منطلق منهج السلف – رحمهم الله تعالى – وإنما كان متأثرا بمناهج أهل الكلام، ولذلك وافقهم في بعض الأصول الكلامية، والتزم لوازمها فأدى به ذلك إلى بعض المقالات التي لا تتفق مع مذهب السلف، وإنما كان فيها قريبا من مذهب الأشعرية.

ومن المسائل التي تميز بها مذهب الماتريدي:

1- القول بوجوب النظر وإبطال التقليد في مسائل العقيدة ولذلك يقول: »ثبت أن التقليد ليس مما يعذر صاحبه» (26) ، وهذا قريب من مذهب بعض الأشاعرة الذين لا يصححون إيمان المقلد.

2- ومصادر المعرفة عنده: الأعيان(الحس)، والخبر، والنظر (27) .

3- الاستدلال على إثبات الصانع بدليل حدوث الأجسام المبني على عدم خلوها من الأعراض، ومالا يخلو من الحوادث فهو حادث(28)، والماتردي لا يقتصر على هذا الدليل، وإنما يذكر أدلة أخرى(29)، والعجيب أن الماتريدي يعتز بإجابته أحد شيوخ الاعتزال عن الاعتراض على دليل حدوث الأجسام(30).

4- استدلاله في بعض مسائل العقيدة بالسمع والعقل(31).

5- والماتريدي يثبت الصفات العقلية لله تعالى كالسمع والبصر والقدرة، والإرادة والإحياء والإماتة والرزق، وغيرها من صفات الذات وصفات الفعل ولذلك فهو يقول

---

(26)التوحيد (ص: 3)، وانظر كلامه حول النظر (ص:135-137).

(27)انظر: المصدر السابق (ص: 7-11).

(28) انظر: المصدر نفسه (ص: 12-17)، وانظر: (ص: 43).

(29) انظر: المصدر نفسه (ص: 17-19)، ولكنه في (ص: 231) و (ص: 233) يقول كلاما يدل على أن إثبات الصانع ليس له دليل إلا حدوث الأجسام.

(30) انظر: المصدر نفسه (ص: 137-138).

(31) انظر: المصدر نفسه (ص:382،381،373،56،44،4،1،4).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بأزلية صفات الفعل ومنها صفة التكوين التي قال إنها أزلية، وهي من المسائل الكبار التي تميز بها مذهب الماتريدية عن مذهب الأشعرية، وأصل الخلاف فيها أن الأشاعرة – ومعهم المعتزلة – يقولون: الفعل هو المفعول، فالتكوين أو الخلق هو عين المكون أو المخلوق، لذلك قالوا بحدوث صفات الفعل لله تعالى مثل الخلق، وأن الله لم يكن خالقا ثم خلق، قالوا: فلو قلنا بقدم صفات الفعل لله تعالى للزم من ذلك قدم المفعول، وهذا يبطل القول بقدم الصانع وحدوث العالم. أما الماتريدية فعندهم أن الفعل غير المفعول، والتكوين غير المكون، ولذلك فهم يقولون بأزلية صفات الفعل لله تعالى من الخلق والإحياء والرزق، وإن كان المفعول منها حادثا، يقول الماتريدي بعد كلام:» والأصل أن الله تعالى إذا أطلق الوصف له، وصف بما يوصف به من الفعل، والعلم، ونحوه، يلزم الوصف به في الأزل، وإذا ذكر معه الذي هو تحت وصفه به من المعلوم، والمقدور عليه، والمراد، والمكون، يذكر فيه أوقات تلك الأشياء لئلا يتوهم قدم تلك الأشياء» (32)، وأوضح في تفسيره فقال في قوله تعالى: {إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }[البقرة: 117]: » ثم الآية ترد على من يقول بان خلق الشيء هو ذلك هو ذلك الشيء نفسه، لأنه قال: » إذا قضي أمرا« ، ذكر »قضي «، وذكر » أمرا «، وذكر » كن فيكون «، ولو كان التكوين والمكون واحدا لم يحتج إلى ذكر كن في موضع [العبارة(33)] عن التكوين، فالكن تكوينه، فيكون المكون، فيدل أنه غيره، ثم لا يخلو التكوين: إما أن لم يكن فحدث، أو كان في الأزل ...» (34)، ثم رجح أنه موصوف به في الأزل، وأن الشيء يكون في الوقت الذي أراد

---

(32) التوحيد (ص:47).

(33) في المطبوع: العبادة، وكذا تكررت في الصفحة نفسها – قبل خمسة أسطر – وهو خطأ مطبعي أو وهم من المحقق.

(34) تأويلات أهل السنة للماتريدي (268/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

كونه فيه(35)، والماتريدي بنى قوله على الفرار من حلول الحوادث بذاته تعالى الذي يلزم به الأشاعرة حين يقولون بحدوث صفات الفعل لله تعالى(36).

6- والماتريدي من نفاة الصفات الاختيارية لله تعالى تبعا لمنعه حلول الحوادث بذات الله تعالى، ويبني ذلك على مسألة دليل حدوث الأجسام(37)، وفي مسألة كلام الله قال بأنه أزلي وأنه لا يتجزأ ولا يتبعض وبنى في الرد على الكعبي والمعتزلة – في قولهم بخلق القرآن – على منع حدوث كلام الله، والقول بأنه أزلي(38)، أما ما سمعه موسى – عليه الصلاة والسلام – فالله " أسمعه بلسان موسى، وبحروف خلقها، وصوت أنشأه، فهو أسمعه ما ليس بمخلوق» (39)، وقد رد شارح الطحاوي – ابن أبي العز – على الماتريدي قوله هذا(40)، ويؤول الماتريدي الصفات الفعلية مثل صفة الاستواء فيقول – بعد ذكره الأقوال فيه – : " وجملة ذلك أن إضافة كلية الأشياء إليه، وإضافته عزوجل إليها، يخرج مخرج الوصف له بالعلو والرفعة، ومخرج التعظيم له والجلال... وإضافة الخاص إليه يخرج مخرج الاختصاص له بالكرامة والمنزل ... [و] الأصل فيه أن الله سبحانه كان ولا مكان، وجائز ارتفاع الأمكنة، وبقاؤه على ما كان، فهو على ما كان، وكان على ما عليه الآن، جل عن التغير والزوال والاستحالة والبطلان، إذ ذلك أمارات الحدث التي بها عرف حدث العالم»

---

(35) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(36) انظر: إمام أهل السنة والجماعة «الماتريدي» (ص: 181–182)، والروضة البهية (ص:39–43).

(37) انظر: التوحيد (ص: 53–69).

(38) انظر: المصدر السابق (ص: 53).

(39) التوحيد (ص: 59).

(40) انظر: شرح الطحاوية (ص:190) – ط المكتب الإسلامي–.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(41)، وبعد أن يؤصل الماتريدي هذا الأصل يذكر الأقوال في الاستواء من أنه بمعنى الاستيلاء أو العلو والارتفاع، أو التمام، ثم يرجح التفويض لاحتماله أحد هذه المعاني أو غيرها فيقول: » فيجب القول بالرحمن على العرض استوى، على ما جاء به التنزيل، و ثبت ذلك في العقل، ثم لا تقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره مما ذكره، واحتماله أيضاً ما لم يبلغنا مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق» (42)، والعجيب أنه يقيس ذلك على مسألة الرؤية.

7- ينكر الماتريدي أن يكون الله في جهة العلو، ويؤول بعض الأدلة مثل رفع الأيدي إلى السماء تأويلات عجيبة(43)، ولذلك فهو يثبت الرؤية ويرى أن الاستدلال لها بالسمع وحده، والرؤية عنده تكون بلا مقابلة(44).

8- يقول بأن الله فاعل مختار على الحقيقة، وهو خالق كل شيء، والعبد مختار لما يفعله وهو فاعل كاسب(45)، وبعد أن يذكر قولي الجبرية والقدرية يقول: » والعدل هو القول بتحقيق الأمرين» (46)، ثم يذكر الفرق في أحوال العبد بين أفعاله الاضطرارية والاختيارية(47).

9- يقسم الماتريدي قدرة العبد واستطاعته إلى قسمين: » أحدهما: سلامة الأسباب وصحة الآلات، وهي تتقدم الأفعال... والثاني: معنى لا يقدر على تبين حدة الشيء يصار إليه سوى أنه ليس إلى للفعل، لا يجوز وجوده بحال إلى ويقع به الفعل عندما

---

(41) التوحيد (ص: 68-69).

(42)التوحيد (ص:74)، وانظر: تفسير الماتريدي (85/84/1) -المطبوع -.

(43)انظر: التوحيد (ص:75-79).

(44) انظر: المصدر السابق (ص: 77-85).

(45) انظر: المصدر نفسه (ص: 225-226-233).

(46) المصدر السابق (ص: 229).

(47) انظر: المصدر السابق – الصفحة نفسها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يقع معه (48)، والقدرة الثانية هي التي لا تكون إلى مع الفعل – وهذا قول الأشعري – وقد رد الماتريدي على المعتزلة في قولهم » إنها تكون قبل الفعل» (49)، ومما سبق يتضح أن كسب الماتريدي يعطي العبد الاختيار، وهذا ما يخالف – قليلا – كسب الأشعري، والماتريدي أيضا يقول بأنه لا يجوز تكليف مالا يطاق (50).

10- والماتريدي يميل إلى القول بالتحسين والتقبيح العقلي(51)، كما يثبت التعليل والحكمة في أفعال الله تعالى(52)، وهذان الأمران يخالف فيهما الأشعري.

11- والإيمان عند الماتريدي هو التصديق، ومحله القلب، ويستدل لذلك بدليل السمع والعقل(53)، ويرى التفريق بين التصديق والمعرفة، ويعقد لذلك مسألة مستقلة(54) ، وهو بهذا يرد على الجهمية القائلين بأن الإيمان هو المعرفة. والماتريدي يرد على القائلين بأن الإيمان قول باللسان(55)، كما يرد على الذين يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان (56)، وعلى ضوء ذلك فالماتريدي يمنع من الاستثناء في الإيمان (57).

---

(48)المصدر السابق (ص: 256).

(49)انظر: تفسير الماتريدي (181/1)، وانظر: التوحيد (ص:258-262).

(50)انظر: التوحيد (ص: 263-277).

(51) انظر: التوحيد (ص:100، 178).

(52) انظر: التوحيد (ص: 177، 216-217).

(53) انظر: المصدر نفسه (ص: 373-378).

(ن) -انظر : المصدر نفسه (ص: 380-381).

(55) وهم الكرامية، انظر: تفسير الماتريدي (44/1)، والتوحيد (ص: 376-378).

(56) انظر: كتاب التوحيد (ص: 378-379).

(57) انظر: المصدر السابق (ص: 388-392).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

12- ويوافق الماتريدي أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة، ولذلك فهو يرد على المعتزلة و الخوارج في ذلك(58)، ويقرن ذلك بمسألة الشفاعة، وإنها رد عليهم(59).

13- وفي موضوع «الإرجاء» المنسوب إلى الحنفية عقد الماتريدي له مسألة مستقلة، ذكر فيها ما ورد من الأقوال فيه- حيث إن كل طائفة تتهم الأخرى بالإرجاء – كما دافع عما نسب إلى القائلين بعدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان من أنهم مرجئة، ويقول: إن تهمة الإرجاء واقعة إما على الجبرية حين أرجت أفعال الخلق إلى الله تعالى ولم تجعل للخلق فيها حقيقة البتة، وإما على من يسميهم بالحشوية حين يستثنون في الإيمان(60)، أما مسألة الفرق بين الإيمان والإسلام فيرجع أنهما بمعنى واحد(61).

هذه أهم أقوال وآراء الماتريدي، التي وردت مفصلة في تفسيره وفي كتاب التوحيد، وبالمقارنة بين أقواله وأقوال أبي الحسن الأشعري يتبين أنهما قد اتفقا في بعض المسائل الأصولية مثل إثبات بعض الصفات، ومنع حلول الحوادث، وصحة دليل حدوث الأجسام، والكسب، وغيرها، ومع ذلك فبينهما عدة فروق أهمها:

أ – إن الماتريدي قال: بأزلية صفة التكوين لله تعالى ولم يفرق بين صفات الذات والفعل.

ب – وانه يقول: بأن موسى سمع الصوت المخلوق حين كلمه ربه تعالى.

---

(58) انظر: تفسير الماتريدي (73/1)، والتوحيد (ص: 323-365).

(59) انظر: التوحيد (ص:365-373).

(60) انظر: المصدر السابق (ص: 381-385).

(61) انظر: المصدر نفسه (ص: 393-401).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جـ – وفي مسألة العلو والاستواء، فالماتريدي ينفي العلو ويؤول الاستواء أو يفوضه، بخلاف الأشعري الذي يثبت العلو والاستواء – وإن روي عنه في الإستواء معنى آخر.

د – قال الماتريدي بالتحسين والتقبيح العقلي، والأشعري قال بالشرعي فقط.

هـ– قول الماتريدي بالتحسين بالحكمة والتعليل، بخلاف الأشعري.

و – منع الماتريدي تكليف مالا يطاق، بخلاف الأشعري الذي جوزه.

ز – وفي الكسب – مع قوله به كما يقول الأشعري – إلا أنه مال إلى إعطاء العبد حرية في الاختيار، ولذلك فقدرة العبد عنده مؤثرة بخلاف الأشعري.

ح – وفي الإيمان قال إنه التصديق وهذا ما قال به الأشعري، إلا أنه خالفه في دخوله الأعمال في الإيمان وجواز الاستثناء فيه، وهذان منعهما الماتريدي.

ط – أما رؤية الله فقد أثبتها الماتريدي سماعا فقط، أما الأشعري فاستدل مع أدلة السمع بدليلين عقليين، أحدهما الوجود، والآخر أن الله يرى الأشياء.

ثانيا: مقارنة بين الأشعرية والماتريدية:

تكون على إثر الأشعري مذهب الأشعرية، وعلى إثر الماتريدي مذهب الماتريدية ولكل من المذهبين أعلامه ورجاله، وكتبه ومتونه العقيدية، ومع غلبة المذهب الأشعري في العالم الإسلامي وانتشاره، إلا أن المذهب الماتريدي بقي متميزا نوعا ما، ولعل ارتباط كل واحد من المذهبين بمذهب فقهي مخالف للآخر كان له أثر في ذلك(62).

وليس المقصود هنا متابعة التطور الذي حدث لأحدهما أو كليهما، ولا تفصيل المقارنة بين المذهبين، ولكن يمكن الإشارة بإجمال إلى الملاحظات التالية:

(ن)انظر في الفلسفة الإسلامية: إبراهيم مذكور (56/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

14- تبين أنه لم يكن هناك لقاء بين الأشعري والماتريدي، إذ لم يجمعهما مكان ولا حتى منطقة معينة، فالأشعري عاش ومات في العراق، والماتريدي عاش ومات في بلاد ما وراء النهر، كما لم يجمعهما شيخ أو شيوخ تتلمذوا على أيديهم، والسؤال الذي يطرح هنا هو: إذا كان الأمر كذلك فم يفسر التوافق بين الرجلين في المنهج والموقف من المعتزلة وممن يسمونهم بالمشبهة؟ أحد الباحثين أجاب بعد إيراد هذا التساؤل بقوله: « ويمكن تفسير وجوه الشبه بينهما في الآراء بأنه يرجع إلى تشابه منهج كل منهما إلى حد ما في التوسط بين العقل والنقل»(63)، وهذا التفسير تحصيل حاصل، لأن السؤال يرد مرة أخرى: لماذا كان منهج كل منهما أدى إلى التوسط بين العقل والنقل؟، الحقيقة أنه ليست هناك إجابة واضحة لهذا التساؤل، وإن كان انتشار المذهب الكلابي في العراق والري وخراسان – كما في قصة ابن خزيمة مع الكلابية – ما يدفع إلى القول باحتمال أن يكون هذا المذهب الذي ظهر فيه تلامذة – تناءت بهم الديار – قد انتشر أيضا في بلاد ما وراء النهر، خاصة وأن تلك المنطقة كانت كما يقول المقدسي تغص بمختلف الطوائف والفرق(64)، ولذلك فمن المحتمل أن يكون الماتريدي أو أحد شيوخه قد تلقى هذا المذهب عن بعض أعلام أو أتباع الكلابية.

15- تطور المذهب الأشعري – كما سيأتي – وكان تطوره بالقرب من مذهب المعتزلة أو بالالتصاق بالفلسفة أو التصوف، أما المذهب الماتريدي فلم يقع في التطور، بل بقيت أقوال الماتريدي – الذي لم يحدث له تطور كما حدث للأشعري –

(63) إمام أهل السنة (الماتريدي) (ص: 424).
(64) انظر أحسن التقاسيم (ص:323).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

هي المعتمدة لدى متأخري الماتريدية كأبي المعين النسفي(65)، ونجم الدين أبي حفص النسفي(66)، ونور الدين الصابوني(67)، وابن الهمام (68)، وغيرهم، فهؤلاء وإن كان قد يقع لبعضهم مخالفة لمذهب شيخهم، إلا أن الأمر لا يصل إلى مستوى التطور الذي حدث للمذهب الأشعري.

16- اهتم العلماء ببيان الفروق بين مذهبي الأشاعرة والماتريدية، وقسموا الفروق أحيانا إلى لفظية ومعنوية(69).

---

(65) هو: ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد، أبو المعين النسفي المكحولي، من أشهر كتبه التمهيد وتبصرة الأدلة في العقائد توفي سنة 508هـ، وهو الذي روى عن أبي حنيفة القول بفساد صلاة من يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع، مما سبب في قول كثير من الأحناف بعدم صحة صلاة الحنفي خلف الشافعي، انظر تفاصيل هذا الموضوع ومدى صحة نسبته إلى أبي حنيفة في الفوائد البهية في ترجمة أبي المعين النسفي (ص: 216-217).

وانظر في ترجمته: الجواهر المضية (527/3)، وتاج التراجم (ص: 78).

(66) هو: عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي، كان من المهتمين بالحديث ولذلك نعته السمعاني بالحافظ لكنه قال: إن مجموعاته الحديثة فيها أخطاء وأوهام كثيرة، انظر، التحبير (527/1-5287)، توفي أبو حفص النسفي سنة 537هـ، وانظر في ترجمته أيضا معجم الأدباء (70/16)، والجواهر (657/2).

(67)هو: أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني، أبو محمد له البداية في أصول الدين، توفي سنة 580هـ، انظر: الجواهر (328/1)، وتاج التراجم (ص:10).

(68) هو: محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد، كمال الدين، الشهير بابن الهمام الكندري السيواس، ولد سنة 790هـ، وتوفي سنة 861هـ، من كتبه مسايرة في العقيدة، انظر: الفوائد البهية (ص: 180).

(69) هناك في هذا الموضوع كتب مخطوطة كثيرة، ومن المطبوع، كتاب نظم الفرائد لشيخ زاده، والروضة البهية لأبي عذبه.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

17- على الرغم من وجود الفروق بين المذهبين إلا أنه قد وقع نوع امتزاج بينهما، ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

- ما فعله ابن الهمام في كتابه المشهور، «المسايرة» حيث اعتمد على كتاب الرسالة القدسية – وهي المسماة قواعد العقائد التي ألفها الغزالي لأهل القدس، ثم أدخلها ضمن إحياء علوم الدين – وكان هدف ابن الهمام أن يختصر كتاب الغزالي إلا أنه بعد أن بدأ بالكتابة رأي أن يزيد عليه زيادات مهمة، ولم يزل يزيد فيها – كما يقول – «حتى خرج عن القصد الأول، فلم يبق إلا كتابا مستقلا، غير أنه يسايره في تراجمه، وزدت عليها خاتمة ومقدمة » (70)، ولذلك سمى كتابه المسايرة، فابن الهمام اعتمد على أحد كتب الأشاعرة، وهذا وحده كاف للتدليل على ما كان بين المذهبين من تقارب، لذلك فابن الهمام؛ وإن ذكر قول الأشعرب – بناء على ما في كتاب الغزالي – إلا أنه أعقبه بذكر مذهب الماتريدي، انظر كأمثلة على ذلك مسألة سماع موسى لكلام الله وهل سمع الكلام النفسي أم يستحيل أن يسمع ما ليس بصوت (71)، وفي مسألة صفات الأفعال لله، وصفة التكوين، والعجيب في هذه المسألة أن ابن الهمام ذكر قولي الماتريدية والأشعرية، ثمن رجح قول الأشعرية معتمدا على أن مذهب أبي حنيفة وأصحابه الذين ذكر عقيدتهم الطحاوي يخالف ما ذهب إليه الماتريدي ومن جاء بعده(72)، وقد تعقب ابن الهمام شارحو كتابه وضعفوا ما

(70) المسايرة – ضمن شرحها – المسامرة (1/7-8).
(71) انظر: المسامرة شرح المسايرة (1/80).
(72) انظر: المسامرة شرح المسايرة (1/89-93).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

رجحه(73)،ومن المسائل التي ذكر الخلاف فيها مسألة التحسين والتقبيح(74)، وتكليف مالا يطاق(75)،وغيرها.

ب – لما ألف النسفي – عمر بن محمد – متن العقيدة الذي سمي بالنسفية اعتني يشرحها – من منطلق المذهب الأشعري – بعض الحنفية، ومنهم سعد الدين التفتازاني(76)، في شرحه المشهور الذي اشتهر ووضعت له حواش عديدة، انظر كمثال على منهجه كلامه حول صفة التكوين (77).

جـ – ألف البزدوي (78)، كتابا في أصول الدين، حاول فيه أن يجمع بين طريقتي الأشعرية والماتريدية.

---

(73) ومنهم كمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن أبي شريف المقدسي المتوفى سنة 905هـ، وهو صاحب المسامرة – انظر: تعليقه فيها (1/93–96)، ومنهم زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي – صاحب تاج التراجم في طبقات الحنفية – توفي سنة 878هـ، انظر: حاشيته على المسايرة، طبعت مع المسامرة – في الحاشية (1–92–96).

(74) انظر: المسامرة(2/35–39)، وقد ذكر ابن الهمام نفسه القولين في ذلك: قول الماتريدية الذين وافقوا المعتزلة، وقول الأشعرية.

(75) انظر: المصدر السابق (2/41).

(76) هو: مسعود بن عمر التفتازاني، صاحب المقاصد وشرحه، وشرح النسفية وغيرها، ولد سنة 712هـ، وتوفي سنة 791هـ، انظر: الدرر الكامنة (6/112)، «هندية» وبغية الوعاة (2/285).

(77) انظر: شرح النسفية ضمن مجموعة الحواشي البهية عليها (ط الكردي – القاهرة 1/129) مع حاشية ملا أحمد الجندي، والخيالي، ونظر: أيضا – حاشية السيالكوتي في نفس الكتاب – آخر الجزء الأول (ص: 269)، وانظر: حاشية العصام على شرح النسفية (ص: 146) وما بعدها – طبعة مستقلة.

(78) هو: أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين النسفي، الزدوي، له كتاب أصول الدين – مطبوع – ولد سنة 421هـ وتوفي سنة 493هـ ، وأخوه أبو الحسن فخر الدين

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

د – ومن الأمثلة على تداخل المذهبين أن نور الدين الصابوني الماتريدي رجح – خلافا لشيخ الماتريدية – أن دليل الرؤية الوجود (79)، ومن المعلوم أن الماتريدي يحتج للرؤية بالسمع فقط، أما معاصره فخر الدين الرازي – وهو دليل الوجود(80)، ثم في الأخير رجح مذهب الماتريدي ونص على ذلك، ذاكرا اسم الماتريدي(81).

هذه لمحات في مذهب الماتريدي والماتريدية، وبها يتبين كيف دخل في مذهب الأشاعرة وامتزج به، وهذا ما يفسر إغفال كثير من العلماء – ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية – في كتبهم وردودهم لذكرهم إلا في مسائل معينة اشتهروا بالخلاف فيها(82).

* * *

البزدوي – على ابن محمد – ونسبتهم إلى بزدة، قلعة على بعد ستة فراسخ من نسف، انظر: في ترجمة أبي اليسر الجواهر المضية (98/4)، وتاج التراجم (ص:65)، وسير أعلام النبلاء (49/19).

(79) انظر: مناظرات فخر الدين الرازي فيما وراء النهر (ص: 15–16) وقد ناظر الرازي الصابوني في هذه المسألة.

(80) انظر: الأربعين للرازي (ص: 191–198).

(81) انظر: المصدر السابق (ص: 198).

(82) ذكر ابن القيم في أسماء مؤلفات ابن تيمية (ص: 23)، ورقم (79)، أن من مؤلفات شيخ الإسلام « رسالة في عقيدة الأشعرية وعقيدة الماتريدية وغيره من الحنفية، نحو خمسين ورقة» وحتى الآن لم يعثر على هذه الرسالة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المبحث الثالث

نشأة المذهب الأشعري وانتشاره

عرضنا فيما سبق لمذهب ابن كلاب ومدرسته، وتبين أن مذهبهم في الصفات وكلام الله هو مذهب أبي الحسن الأشعري، والأشعري كان أحد تلامذة الكلابية، لذلك فلتحديد نشأة الأشعرية لا ينفك الأمر من حالين:

الحالة الأول: النظر إلى حقيقة المذهب الذي تميز به الأشاعرة عن غيرهم، فهنا لا ترتبط النشأة بأبي الحسن الأشعري، وإنما ترتبط بابن كلاب ومدرسته الكلابية.

الحالة الثانية: النظر إلى التسمية، فلا شك أن التسمية بالأشاعرة أو المذهب الأشعري مرتبطة بأبي الحسن الأشعري وتلامذته من بعده.

ويتضح الفرق بالنسبة لمن كان معاصرا للأشعري وتتلمذ على ابن كلاب أو تلامذته دون الأشعري وتلامذته مع أنه يقول بقول ابن كلاب الذي هو قول الأشعري، فمثل هذا أشعري الاعتقاد لكنه لا ينسب إلا إلى ابن كلاب، وفي خراسان وغيرها من بلاد الإسلام النائية قد توجد مثل هذه النماذج، ولذلك لما عرض شيخ الإسلام ابن تيمية لنشأة المذهب الكلابي في كلام الله ربطه بابن كلاب ومدرسه، فقال: » وكان ... قد نبغ في آواخر عصر أبي عبد الله [أحمد ابن حنبل] من الكلابية ونحوهم؛ أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد ابن كلاب البصري، الذي صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وهو من متكلمة الصفاتية، وطريقته يميل فيها إلى مذهب أهل الحديث والسنة، لكن فيه نوع من البدع، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته، ولكن له في الرد على الجهمية – نفاة الصفات والعلو – من الدلائل والحجج وبسط القول ما بين به فضله في هذا الباب، وإفساده لمذاهب نفاة الصفات بأنواع من الأدلة والخطاب، وصار ما ذكره معونة ونصيرا وتخليصا من شبههم لكثير من أولي الألباب، حتى صار قدوة وإماما لمن جاء

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات، وناقضوا نفاتها، وإن كانوا قد شاركوهم في بعض أصولهما الفاسدة، التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول ومخالفته لسنة الرسول «.

» وكان ممن اتبعه الحارث المحاسبي وأبو العباس القلانسي، ثم أبو الحسن الأشعري، وأبو الحسن بن مهدي الطبري، وأبو العباس الصبغي، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو حاتم البستي، وغير هؤلاء، المثبتين للصفات المنتسبين إلى السنة والحديث، المتلقبين بنظار أهل الحديث .«

« وسلك طريقة ابن كلاب – في الفرق بين الصفات اللازمة كالحياة، والصفات الاختيارية، وإن الرب يقوم به الأول دون الثاني – كثير من المتأخرين، من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، كالتميين أبي الحسن التيمي، وابنه أبي الفضل التيمي، وابن ابنه رزق الله التيمي، وعلى عقيدة الفضل التي ذكر أنها عقيدة أحمد اعتمد أبو بكر البيهقي فيما ذكره من مناقب أحمد بن الاعتقاد«.

» وكذلك سلك طريقة ابن كلاب هذه أبو الحسن بن سالم وأتباعه » السالمية« والقاضي أبو يعلي وأتباعه كابن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني، وهي طريقة أبي المعالي الجويني، وأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي، وغيرهم، لكنهم افترقوا في القرآن، وفي بعض المسائل على قولين – بعد اشتراكهم في الفرق الذي قرره ابن كلاب –» (83).

فالأصل الذي قرره ابن كلاب قال به هؤلاء كلهم، وفيه الأشاعرة وغيرهم ممن لا ينسب إليهم كالسالمية وبعض الحنابلة.

---

(83) الكيلانية: مجموع الفتاوي (12/366-368).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومع مرور الزمن بدأت تنقرض النسبة إلى ابن كلاب لتحل محلها النسبة إلى الأشعري، والسؤال الذي يطرح هنا هو: إذا كان قول ابن كلاب هو الأصل فلماذا لم ينسب إليه مذهب الأشاعرة وإنما نسب إلى أبي الحسن الأشعري؟

ويمكن الجواب عن هذا السؤال من خلال الأمور التالية:

1- إن أبا الحسن الأشعري لم يكن صورة طبق الأصل لابن كلاب ومدرسته، وأتباعه له في أصل معين لا يعني أنه في جميع آرائه وأقواله كان متابعا له، فمثلا مع أن الأشعري قال بنفي حلول الحوادث بذات الله وهو ما يسمى بالصفات الاختيارية القائمة بالله، وهذا هو الأصل الذي قال به ابن كلاب ومدرسته، إلا أن الأشعري خالف ابن كلاب في جوانب من مسألة الكلام التي هي أهم المسائل، فإنه قال بأزلية الأمر والنهي، أما ابن كلاب فقال بحدوث ذلك، وعدم التطابق بين آراء الرجلين له دلالته في تحديد نسبة المذهب إلى أحدهما، خاصة وأن مسألة الكلام من أهم المسائل التي تميز المذهب الأشعري لأن غيرها من المسائل قد شارك غير الأشاعرة القول فيها.

2- إن ابن كلاب جاء في وقت محنة أهل السنة من جانب المعتزلة، ولما زالت المحنة برز في مجتمع الإسلام كعلم من أعلام أهل السنة الإمام أحمد ابن حنبل، أما بان كلاب ومن اتبعه فردودهم على المعتزلة والجهمية وإن كانت قوية إلا أنهم شابوها بشيء من البدع، فإذا أضيف إلى ذلك تحذير أئمة أهل السنة كالإمام أحمد وغيره من هؤلاء، فلا شك أن قدرة ابن كلاب في التأثير على الناس ستكون محصورة في نطاق معين لا تتعداه، وهذا ما حدث(84).

---

(84) انظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية: عرفان عبد الحميد (ص: 147-148).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أما أبو الحسن الأشعري فقد جاء بعد هدوء العاصفة، وركون الناس إلى أن مذهب أهل السنة هو الغالب المسيطر، لذلك لما قام الأشعري في الرد على المعتزلة كانت الأوضاع مهيأة لاشتهاره وتبني مجموعة من الأعلام لمذهبه.

3- من الأمور المهمة قصة انتقال الأشعري عن الاعتزال إلى مذهب السلف فمن المعلوم أنه قد بلغ مكانة ومنزلة في مذهب المعتزلة حتى صار صنوا لأحد أعلامها، ينوب عنه في الدروس والمناقشات الاعتزالية، وحتى صار يؤلف الكتب لدعم مذهبهم، وهي كتب صارت معتمدة في مذهبهم حتى قال الأشعري عن أحدها بعد بعد أن نقضه ورد عليه: » إنه لم يؤلف لهم كتاب مثله» (85)، وفي ظل هذه الأوضاع التي تنبي عن وجود نهضة اعتزالية – تعيد إليها سابق عزها – إذا بالعالم الإسلامي يفاجأ بهذا القرار الخطير يتخذه أشهر أعلام المعتزلة معلنا رجوعه التام عن جميع أقوال المعتزلة، ويتبع ذلك بكشف ضلالاتهم، والرد عليهم بأسلوب كلامي قوي يوازي ما عند المعتزلة من قدرة وأساليب.

والمفاجأة إذا وقعت بهذا المستوى ينسي الناس معها تفاصيل الأمور، من مثل أن الأشعري لم يكن رجوعه إلى مذهب السلف كاملا، وأن لديه بعض البقايا من أصول المعتزلة – وتنحصر القضية في رد العدو الأكبر » المعتزلة « ولا شك أن الرد عليهم وكشف ضلالاتهم في ذلك الوقت جهاد وأي جهاد، يقول ابن عساكر – فيما رواه عن ابن عذرة – في قصة رجوع الأشعري وصعوده المنبر وإعلان ذلك على الملأ: » ودفع الكتب إلى الناس فمنها كتاب اللمع وكتاب أظهر فيها عوار المعتزلة سماه بكتاب » كشف الأسرار وهتك الأستار « وغيرها، فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها، وانتحلوه، واعتقدوا تقدمه، واتخذوه إماما، حتى نسب مذهبهم إليه، قال لي أبو بكر – أي ابن عذرة – فصار عند

(85) تبيين كذب المفتري (ص:131).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

المعتزلة ككتابي أسلم وأظهر عوار ما تركه فهو أعدي الخلق إلى أهل الذمة، وكذلك الأشعري أعدي الخلق إلى المعتزلة، فهم يشنعون عليه من الأشانيع وينسبون إليه الأباطيل» (86).

4- ومن أسباب نسبة المذهب إلى الأشعري كثرة مؤلفاته، ورسائله، فمؤلفاته قد تزيد على ثلاثمائة كتاب، كما أن الأسئلة كانت تأتيه من الآفاق ويكتب في ذلك رسائل مختلفة، وسرعان ما تشتهر وتنتشر بين الناس، وهذا بخلاف ابن كلاب الذي كانت مؤلفاته قليلة، ولم تكن تلقى قبولا بسبب موقف أئمة أهل السنة منه، بل وصل الأمر إلى أن يتستر الكلابية بما عندهم كما حدث لتلامذة ابن خزيمة الموافقين لابن كلاب، لم يستطيعوا أن يظهروا ما عندهم فضلا عن أن ينشروه أو يدرسوه.

5- وأخيرا يأتي دور تلاميذ الأشعري، ومن جاء بعدهم من تلامذتهم في ترسيخ نسبة المذهب إليه في دروسهم وكتبهم، إضافة إلى دورهم في نشره والدفاع عنه، يقول القاضي عياض عن الأشعري: » فلما كثرت تواليفه، وانتفع بقوله، وظهر لأهل الحديث والفقه ذبه عن السنن والدين، تعلق بكتبه أهل السنة وأخذوا عنه، وتفقهوا في طريقه(87)، وكثر طلبته وأتباعه لتعلم تلك الطرق في الذب عن السنة، وبسط الحجج والأدلة في نصر الملة، فسموا باسمه، وتلاهم أتباعهم وطلبتهم فعرفوا بذلك، وإنما كانوا يعرفون قبل ذلك بالمثبتة، سمة عرفتهم بها المعتزلة؛ إذا أثبتوا من السنة والشرع ما نفوه، فبهذه السمة أولا كان يصرف أئمة الذب عن السنة من أهل الحديث كالمحاسبي، وابن كلاب، وعبد العزيز بن عبد الملك المكي، والكراسي، إلا أن جاء أبو الحسن، وأشهر نفسه، فنسب طلبته والمتفقهة عليه في علمه ونسبه، كما نسب أصحاب الشافعي إلى نسبة وأصحاب مالك وأبي حنيفة وغيرهم من الأئمة إلى أسماء

(86) المصدر السابق (ص: 39-40).

(87)هكذا في ترتيب المدارك.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أئمتهم الذين فكذلك أبو الحسن، وتفقهوا بطرقهم في الشريعة، – وهم لم يحدثوا فيها ما ليس منها – فكذلك أبو الحسن، فأهل السنة من أهل المشرق والمغرب بحججه يحتجون، وعلى منهاجه يذهبون، وقد أثني عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقة (88).

- أسباب انتشار المذهب الأشعري:

لاشك أن مذهب الأشاعرة انتشر في أنحاء العالم الإسلامي، حتى كاد يستقر في بعض الأزمنة أن مذهبهم هو مذهب أهل السنة والجماعة، ومع أن هناك مواقف لكثير من العلماء من المذهب الأشعري إلا أن هذه المواقف كثيرا ما تأخذ شكل صراع مذهبي تنتقل بسببه القضية إلى إطار آخر، ومن ثم يكثر الخصام وتتعدد الاتهامات، ويحمل كل فريق على الآخر، ثم قد يصاحب البعض الهوي والتعصب المذهبي، فيزاد في الكلام وينقص، ويحمل على غير محامله، ويسيء كل طرف الظن بالطرف الآخر، ولذلك قلما تنتهي مناقشة من هذه المناقشات إلى اتفاق على رأي واحد يكون مبنيا على أسس سلمية من مذهب ومنهج أهل السنة والجماعة حيث يدعي الطرفان أنهم لا يخالفونه.

وهذا تفسير لما حدث، وإلا فالواجب أن يكون رائد كل مسلم الوصول إلى الحق بالأدلة الصحيحة. ومذهب أهل السنة والجماعة إنما هو ما كان عليه رسول الله ρ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، ومن ثم فعلى كل عالم أن لا يجعل الانتساب إلى طائفة أو جماعة – غير أهل السنة – شعارا له يفاصل عليه ويوالي ويعادي من أجله.

---

(88) ترتيب المدارك (25/5) –ط مغربية –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد يقول قائل: إذا كان مذهب الأشاعرة فيه ما فيه من هنات وعليه ما عليه من ملاحظات فلماذا انتشر في العالم الإسلامي؟ ولماذا تبناه جمهرة من جلة العلماء من أهل الفقه والحديث؟ يجيب على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية من وجوه:

» أحدهما: كثرة الحق الذي يقولونه، وظهور الإثارة النبوية عندهم.

الثاني: لبسهم ذلك بمقاييس عقلية، بعضها موروث عن الصابئة، وبعضها مما ابتدع في الإسلام، واستيلاء ما في ذلك من الشبهات عليهم، وظنهم أنه لم يمكن التمسك بالإثارة النبوية من أهل العقل والعلم إلا على هذا الوجه.

الثالث: ضعف الإثارة النبوية الدافعة لهذه الشبهات، والموضحة لسبيل الهدي عندهم.

الرابع: العجز والتفريط الواقع في المنتسبين إلى السنة والحديث، تارة يروون مالا يعلمون صحته، وتارة يكونون كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، ويعرضون عن بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الأمور» (89).

أما أهم أسباب انتشار مذهب الأشاعرة في العالم الإسلامي فيمكن تلخيصها في الأمور التالية:

1- أفول نجم المعتزلة، مع ظهور المذهب الأشعري كخصم لمذهبهم (90).

2- نشأة المذهب في حاضرة الخلافة العباسية » بغداد «، ولا شك أن أنظار الناس في شتى الأقطار تتجه في الغالب إلى دار الخلافة، ففيها الفقهاء والمحدثون والمقرئون، كما أنها من أهم البلدان التي يرحل إليها العلماء ليسمعوا الروايات أو يحدثوا فيها بمروياتهم، فلما نشأ المذهب الأشعري في بغداد وهي على هذه الحالة كثر المتلقون لهذا المذهب، الناقلون له إلى كل مكان، وهذا – مثلا – بخلاف مذهب

---

(89) مجموع الفتاوي (33/12).

(90) انظر علم الكلام: الأشاعرة (ص: 68).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الماتريدي الذي نشأ في زمن الأشعري لكنه كان في بلاد ما وراء النهر فلم ينتشر كانتشار المذهب الأشعري(91).

3- تبني بعض الأمراء والوزراء لمذهب الأشاعرة واحتضان رجالهم له، ومن أبرز هؤلاء:

- الوزير نظام الملك(92)، الذي تولى الوزارة لسلاطين السلاجقة، فتولى الوزارة لالب أرسلان وملكشاة مدة ثلاثين سنة، من سنة 455-485هـ، والسلاجقة جاءوا على أثر البويهيين الشيعة الذين كانوا يوالون الدولة الفاطمية الباطنية، ولما استولى السلاجقة على بغداد وقضوا عليهم سنة 447هـ لم تمض سنوات قليلة حتى حدثت فتنة البساسيري – أحد القواد الأتراك الموالين لبني بويه – وكان ذلك سنة 450 هـ، وكان من آثارها أن احتل بغداد وأعلن الخطبة للخليفة المستنصر بالله العلوي العبيدي، وأمر بان يؤذن بحي على خير العمل، و عزل الخليفة العباسي القائم بأمر الله وكتب عليه عهدا أن لا حق له في الخلافة ولا لبني العباس وأرسل العهد إلى الخليفة الفاطمي في القاهرة، وقد استمرت فتنة البسايري سنة كاملة حتى قضي عليها السلاجقة وأعيد الخليفة العباسي. لذلك جاءت دولة السلاجقة لتنصر أهل السنة ضد أهل الرفض والبدعة، والوزير نظام الملك من اعظم وزرائهم أثرا وخطرا وكانت له جهود عظيمة في حرب الحركات الباطنية والإسماعلية وتحدث عنها طويلا في كتابه

(91) انظر علم الكلام: الأشاعرة (ص: 28).

(92) اسمه الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي، أبو علي، ولد سنة 408هـ، وقتل سنة 585هـ، انظر: الروضتين (25/1)، والمنتظم (64/9-68)، وطبقات السبكي (309/4-328),

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المشهور سياست تامة أو سير الملوك(93)، ومن أهم آثاره المدارس النظامية التي أنشئت في مدن عديدة منها: البصرة، أصفهان، وبلخ، وهراة، ومرو، والموصل، وأهمها وأكبرها المدرسة النظامية في نيسابور وفي بغداد، وقد جعلهما مع أوقافهما وقفا على أصحاب الشافعي أصلا وفرعا(94)، وكان نظام الملك معظما للصوفية وللقشيري والجويني وغيرهما من أعلام الأشعرية، وقد كان هؤلاء يلقون دروسهم في هذه المدارس على المذهب الشافعي، ويدرسون أصول العقيدة الأشعرية، فكان لذلك دور عظيم في نشرها(95).

- المهدي بن تومرت، مهدي الموحدين، توفي سنة 524 هـ، فقد دعا إلى المذهب الأشعري و تبناه وكان له دور عظيم في نشره(96).

جـ- نور الدين محمود بن زنكي، الذي جاهد الصليبيين، وقد ولد سنة 511 هـ وتوفي سنة 569هـ(97)، وكان من آثاره أنه بنى أكبر دار للحديث في دمشق ووكل مشيختها إلى ابن عساكر صاحب » تبيين كذب المفتري» (98)، كذلك أنشأ في

---

(93) (ص: 234) – وما بعدها – وانظر عن فتنة البساسيري: الكامل (9/640-650)، والتاريخ الفارقي (ص: 152)، وتاريخ دولة آل سلجوق (ص: 16-20)، وزبدة التواريخ للحسيني (ص: 59-63)، وسياسة الفاطميين الخارجية (ص: 179).

(94)انظر: المنتظم (9/65-66)، وتاريخ الفكر الفلسفي –أبو ريان: (ص: 213)، والتاريخ السياسي والفكري للمذهب السني (ص: 211-234).

(95) انظر: المنتظم (9/65)، وطبقات السبكي (4/316).

(96)انظر: المعجب (ص: 275)، والخطط للمقريزي (2/358)، وظهر الإسلام (4/97-98).

(97) انظر: في ترجمته: الكواكب الدرية في السيرة النووية لابن قاضي شهبة (ص: 15)، وما بعدها، والروضتين (1/28) وما بعدها، والتاريخ الباهر (ص: 95) وما بعدها.

(98) انظر: التاريخ السياسي والفكري (ص: 261).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

حلب سنة 544هـ المدرسة النفرية النورية، وكانت للشافعية، وتولى التدريس فيها قطب الدين مسعود بن محمد النيسابوري(99)، وكان أحد أساتذة المدرسة النظامية في نيسابور، وكان أحد أعلام أهل الكلام على المذهب الأشعري، وفي عهد نور الدين بدأت صلة قطب الدين مسعود بصلاح الدين الأيوبي، وتوثقت فيما بعد – كما سيأتي – .

ولا شك أن لهذه المدارس، والمدارس النظامية(100)، متمثلة بأولئك العلماء الذين درسوا فيها أثرا عظيما في مقاومة التيار الباطني الإسماعيلي، ومعلوم أن من أعظم آثار نور الدين وصلاح الدين القضاء على الدولة الفاطمية الباطنية في مصر، حيث حلت محلها دولة سنية حكمها صلاح الدين الأيوبي نائبا لنور الدين ثم مستقلا بعد وفاته – رحمهم الله – .

د– صلاح الدين الأيوبي: يقول المقريزي: » وأما العقائد فإن السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري تلميذ أبي علي الجبائي، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الإمام الشافعي من القرافة، والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية»(101)،ثم يقول عن المذهب الأشعري: » فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني(102)، على هذا المذهب قد نشأ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك

---

(99) انظر: المصدر السابق (ص: 252)، وقطب الدين مسعود سبقا ترجمته.

(100) لكن المدارس النظامية كانت خاصة بالشافعية فولد ذلك أنواعا من التعصب بينهم وبين الحنفية والحنابلة، أما المدارس التي أنشأها نور الدين وصلاح الدين فكانت متنوعة.

(101) الخطط للمقريزي (343/2).

(102) وهو: مؤلف رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري – سبقت الإشارة إليها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق، وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري، وصار يحفظها صغار أولاده، فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الأشعري، وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه، فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك (103)، وإذا كان قطب الدين مسعود قد ألف لصلاح الدين عقيدة(104)، فإن الفخر الرازي قد ألف كتابه المشهور « أساس التقديس » – الذي نقضه شيخ الإسلام ابن تيمية– للملك العادل محمد بن أيوب بن شادي أخو صلاح الدين. المتوفى سنة 615 هـ(105)، أما ابنه الأشرف بن العادل فقد مال إلى الحنابلة وأهل السنة في العقيدة، وجرت بينه وبين العز بن عبد السلام– وهو أشعري – مناقشة ومحنة طويلة(106).

4– ومن أسباب انتشار المذهب الأشعري أن جمهرة من العلماء اعتمدوه ونصروه، وخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين(107)، والأعلام الذين تبنوه: الباقلاني، وابن فورك، والبيهقي، والإسفراييني، والشيرازي، والجويني، والقشيري، والبغدادي، والغزالي، والرازي، والآمدي، والعز ابن عبد السلام، وبدر الدين ابن جماعة، والسبكي،

---

(103) الخطط (358/2)، وانظر خبيئة الأكوان (ص: 48)، ونظريات شيخ الإسلام، لاوست (141/1–142)، وابن تيمية لأبي زهرة (ص: 25).

(104) انظرز سيرة صلاح الدين لابن شداد (ص:7)، وطبقات السبكي (297/7).

(105) انظر أساس التقديس (ص: 3)، وسير أعلام النبلاء (120/22).

(106) انظر طبقات السبكي (218/8)، والتاريخ السياسي والديني (ص: 298).

(107) ومن المعلوم أن أبا الحسن الأشعري تجاذبه أصحاب المذاهب الأربعة، ولذلك ترجم له في طبقات الشافعية والمالكية والحنفية، أما الحنابلة فقد صرح هو في مقدمة الإبانة بانتسابه إلى إمام أحمد في الأصول.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وغيرهم كثير، ولم يكن هؤلاء أشاعرة فقط، بل كانوا مؤلفين ودعاة إلى هذا المذهب، ولذلك ألفوا الكتب العديدة، وتخرج على أيديهم عدد كبير من التلاميذ.

كما انتشر في أنحاء عديدة بواسطة هؤلاء، ففي الحجاز انتقل إليه المذهب الأشعري بواسطة أبي ذر الهروي(108)، كما انتقل عن طريقه إلى المغرب عن طريق المغاربة الذين كانوا يأتون إلى الحج، وكان ممن له أثر في نشره في المغرب بين المالكية أبو بكر الأبهري، والباقلاني وتلامذته(109)، والباجي وابن العربي(110)، وغيرهم، كما دافع كل من ابن أبي زيد القيرواني، وأبي الحسن القابس عن الأشعري(111).

ويذكر المقريزي أنه قد انتشر في العراق نحو سنة 380هـ وانتقل منه إلى الشام(112)، وممن انتشر على يديه في الشام أبو الحسن عبد العزيز بن محمد الطبري المعروف بالدمل(113).

وفي العصور المتأخرة كان لتبني كثير من دور العلم والجامعات عقيدة ومذهب الأشاعرة دور في نشره، ومن أهمها الجامع الأزهر في مصر مع ماله من مكانة علمية في العالم الإسلامي.

---

(108) انظر: صون المنطق (122/1)، ودرء التعارض (271/1، 101/2).

(109) انظر: تبيين كذب المفتري (ص: 120، 121، 410)، والتطور المذهبي بالمغرب (ص: 28-30).

(110) انظر: نشأة الفكر الفلسفي- النشار (284/1).

(111) انظر: تبيين كذب المفتري (ص: 123-124)، ولأبي نصر السجزي في رسالة من أنكر الحرف والصوت تعليق معهم على ذلك (ص: 298-304).

(112) انظر: الخطط (358/2).

(113) انظر: التبيين (ص: 195).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هذه أهم أسباب انتشار المذهب الأشعري، وهي تدل على مدى تغلغل هذا المذهب بين الناس، وإن كانت الجمهرة الغالبة للمسلمين تؤمن بهذا الدين وعقيدته بإجمال وتعظم السلف ومنهجهم، لأنه لا تعرف المداخل الكلامية والقضايا العقلية التي يعتمدها أهل الكلام.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المبحث الرابع

عقيدة الأشعرية

بعد عرض نشأة الأشعرية، وأسلاف الأشاعرة، وأسباب انتشار مذهبهم، لابد لاستكمال الموضوع من عرض عقيدة الأشاعرة، ولما كان المذهب الأشعري قد مر بعدة أطوار حتى في حياة مؤسسة فضلا عن التطورات الأخرى الكبيرة التي مر بها هذا المذهب عبر القرون، فإن هناك صعوبة في تحديد العقيدة الأشعرية والصعوبة تأتي من خلال مايلي:

1- هل المعتبر في تحديد المذهب ما يقوله مؤسسة فقط، أم لابد أن يدخل في ذلك ما قاله الأتباع؟ وفي مذهب الأشاعرة كثيرا ما يعرض المتأخرون مذهب الأشاعرة كما طوروه، ثم إذا رد عليهم أو هوجموا ورموا بالابتداع رجعوا يحتجون بأقوال شيخهم الأشعري التي تخالف في كثير منها أقوالهم ومنهجهم.

2- هل المعتبر في المذهب: الأقوال أو الأشخاص؟ أي أن أحد الأعلام إذا عرف عنه أنه أحد أئمة الأشاعرة المنافحين عن مذهبهم، هل تصبح جميع أقواله في إطار التزامه لأصول المذهب مذهبا وعقيدة أشعرية؟ أم أن المعتبر الأقوال الموافقة للمذهب الأشعري فقط؟ وإذا كان فما المقياس في تحديد هذه الأقوال؟ ومن الأمثلة على ذلك أن الفخر الرازي يعتبر من أهم أعلام وأئمة الأشعرية وله في ذلك جهود ومؤلفات كبرى، ومع ذلك فقد دخل في الفلسفة وألف فيها أحيانا كتبا مستقلة، ففي هذه الحالة هل يؤخذ الرازي وكتبه على أنه أشعري أراد موج عقيدة الأشاعرة بالفلسفة، أو تفصل الفلسفة عنده عن العقيدة الأشعرية وتعتمد أقواله الموافقة لها فقط؟

3- الرجوع عن المذهب، كثيرا ما وقع لأعلام الأشاعرة، ومع انتشار الكتب التي تمثل المرحلتين لعلم ما، تصبح نسبة الأقوال إليه غير مستقرة على وضع معين، فالأشعري نفسه هل تعرض أقواله من خلال الإبانة فقط، وما عداها لا قيمة له لأن

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المفترض أن يكون قد رجع عنه، أو لابد من اعتماد كتبه الأخرى التي شاعت وتلقفها الناس واعتمدوها... وهكذا بقية أعلامن الأشاعرة.

4- التطور الذي وقع في المذهب الأشعري – كما سبق – هل يعتبر الطور الأول أو الثاني أو الثالث، إذا قيل يعتمد ما استقر عليه مذهب الأشاعرة، فما المصدر في ذلك؟

هذه أهم الصعوبات في تحديد عقيدة الأشعرية، ومن ثم فقد ترجح أن يكون العرض لها كما يلي:

أ – بالنسبة للأشعري، فقد سبق عرض عقيدته عند ترجمته، وأبرز سمات عقيدته:

1- إثبات أن الله موجود واحد، أزلي، وأن العالم حادث.

2- إثبات صفات الله تعالى، دون تفريق بين الخبرية والعقلية، ومن ذلك إثبات صفات السمع والبصر، والحياة، والإرادة، والكلام، والقدرة، والعلم، واليدين والوجه، والعين، والاستواء والنزول، والعلو والمجيء، وغيرها مما هو ثابت في الكتاب أو السنة.

3- أما الصفات الإختيارية فلا يثبتها صفات قائمة بالله تتعلق بمشيئته واختياره، بل إما أن يؤولها أو يثبتها أزلية وذلك خوفا من حلول الحوادث بذات الله.

4- الإيمان بكلام الله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لكن الكلام –عنده – أزلي، لا يتعلق بمشيئته وإرادته.

5- إثبات الرؤية، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.

6- الإيمان بالقدر، مع القول بالكسب، وأن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل.

7- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومرتكب الكبيرة مؤمن فاسق.

8- وفي الإمامة، والصحابة، وأمور المعاد، وغيرها يقول كما قال أهل السنة.

ب – أما بالنسبة لعقيدة الأشاعرة بعد الأشعري فلا يتم هذا إلا بعد عرض التطور الذي حدث لمذهبهم، وهذا ما سيتم توضيحه في الفصل التالي – إن شاء الله –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الفصل الخامس

تطور مذهب الأشاعرة وأشهر رجالهم

إلى عهد ابن تيمية

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الفصل الخامس

تطور مذهب الأشاعرة

من الأمور المسلمة لدى الأشاعرة وغيرهم أن أقوال الأشاعرة تعددت واختلفت في مسائل عديدة من مسائل العقيدة، وكل علم من أعلامهم حوت مؤلفاته ورسائله آراء توصل إليها إما باجتهاده أو تقليدا لأحد أعلام عصره أو مدرسته ممن تلقى على يديه العلوم والمعارف، فأصبح ذا منهج مستقل، ثم قد يرجع عن بعض أقواله في مؤلف أومؤلفات أخرى فتكثر الأقوال وتتعدد المناهج.

ويعتبر الأشاعرة مثل هذا الاختلاف أو التعدد في الأقوال اجتهادا داخل المذهب لا يؤثر عليه، ويجددون التفسير المناسب لمثل لذلك، فيقولون مثلا في بعض الصفات الخبرية، قال قدماء أصحابنا أو شيوخنا بإثباتها مع التفويض ونفي التشبيه، ثمن يذكرون القول الثاني بالتأويل تنزيها لله عن مشابهة المخلوقات، والقولان – عندهم – صحيحان ولا تعارض بينهما، والعجيب أن يتلقى الأشاعرة بعضهم عن بعض مثل هذا، لا يتوقفون عنده، ولا يثيرهم ما فيه من تناقض.

والحق أن التطور في المذهب الأشعري لم يكن في مسألة من المسائل بحيث لا يؤبه له، ولا يلفت النظر، بل كان تطورا في الأصول والمناهج، ويتعدى ذلك إلى مسائل عديدة في العقيدة، وقد كان أبرز مظاهر التطور في المذهب الأشعري ما يلي:

أ – القرب من أهل الكلام والاعتزال.

ب – الدخول في التصوف، والتصاق المذهب الأشعري به.

جـ– الدخول في الفلسفة، وجعلها جزءا من المذهب.

هذه أهم الخطوط العامة لما وقع من التطور فيه، وقد تكون هناك تطورات جزئية، لكنها تدخل ضمن أحد هذه الأمور، وهناك بعض الظواهر في المذهب الأشعري قد تلفت نظر المطلع، وذلك مثل ظاهرة ارتباط المذهب الشافعي الفقهي بالمذهب الأشعري، ومثله المالكي، ولكن هذه لا تعدو أن تكون دعوى يدعيها بعض

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المتحمسين للمذهب الأشعري، وأقرب الأمثلة على ذلك السبكي في طبقات الشافعية، فقد حاول أن يجعل من كتابه هذا ما يمكن أن يسمي بطبقات الأشعرية، ويلاحظ ذلك من يطلع على التراجم في هذا الكتاب وأسلوبه في عرض كل ترجمة، ولا شك أن المدارس النظامية وبعض أعلام الشافعية كان لهم أثر فيما يلمس من تبني جمهرة كبيرة من فقهاء الشافعية للمذهب الأشعري، ولكن ليس بهذه الصورة التي يدعيها هؤلاء، كما أنه ليس كل الحنابلة مثبتة على وفق مذهب السلف، بل فيهم أعداد مالت إلى مذهب الأشاعرة أو إلى ما هو أشد غلوا منه.

والجزم في مثل هذه الأمور – التي لا يمكن أن يحصر من لهم علاقة بها من الأعلام، على مختلف الأزمنة والأمكنة– نوع من المجازفة يأباها النظر الفاحص والتتبع الدقيق، ومع ذلك فظاهرة تبني بعض أعلام الشافعية للمذهب الأشعري مما لا ينكر.

وقد يرد في الذهن تساؤل عن أسباب حدوث هذا التطور في مذهب الأشاعرة، وهل كان المذهب يحمل في داخله دواعي مثل ذلك؟ ثم لماذا كان التطور في هذه الاتجاهات المنحرفة ولم يكن في الرجوع إلى مذهب السلف، والتخلي عن البقايا الكلامية والاعتزالية؟.

لعل في عرض النقاط التالية شيئا من التحليل والتعليل، والأمر قبل كل شيء بيد الله تعالى، فهو الذي يصرف قلوب عباده كما يشاء، ولو شاء لجمعهم على الهدى:

1- إن الانحراف يبدأ في الغالب صغيرا، ثم يكبر، والمتتبع لأغلب المقالات، يجدها تبدأ صغيرة ثم يزداد انحرافها وغلوها مع الزمن، والمذهب الأشعري لما أن حوى منذ البداية انحرافا معينا سواء كان بالدخول في علم الكلام، أو تبني بعض آراء المعتزلة – وهذا كله مما يخالف مذهب السلف ومنهجهم – أصبح قابلا للزيادة في هذا الانحراف من خلال التمادي في علم الكلام والتزام لوازم الأقوال الفاسدة،

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

والاستسلام لبعض شبهات أهل الضلال، وعدم القدرة على رد باطلهم إلا بالتزام بعض الأقوال الفاسدة.

2- كثرة مؤلفات مؤسسة أبي الحسن الأشعري، مع ما صاحب ذلك من كونه نشأ وعاش زمنا طويلا في ظل مذهب المعتزلة، وكان من آثار ذلك عدم استطاعته التخلص من المنهج الكلامي في عرض العقيدة، بل زاد على ذلك بأن التزم بعض أصولهم، وهذا كله بعد رجوعه، وقد كان من المفترض أن يكون رجوعه كاملا عن منهجهم وعقيدتهم إلى منهج وعقيدة السلف، لكن الذي وقع أنه ترك الاعتزال وتبني مذهب الكلابية، فإذا أَضيف إلى ذلك كثرة مؤلفاته ورسائله التي ألفتها بعد رجوعه واستخدامه في غالبها الاسلوب العقلي الكلامي، كما هو واضح في مثل كتابه » اللمع « وفي ما حواه كتاب ابن فورك » مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري «، مع تأخر كتابه الإبانة، وكونه كتابا واحدا في مقابل عشرات الكتب المنتشرة، فهذا يفسر ما وقع من تطور في مذهب الأشاعرة، مع قناعة أعلامهم بأنهم لم يخالفوا أقوال شيخهم الأشعري مخالفة أصولية(114).

3- إن المذهب لم يبن منذ البداية على منهج مؤصل؛ حيث لم يحدد له أصول واضحة في الاعتقاد أو كيفية التعامل مع النصوص، والأشعري في الإبانة كان صاحب منهج يختلف عن منهجه في كثير من كتبه، لذلك فالمذهب منذ البداية نشأ على التذبذب بين موافقة مذهب السلف، والرد على المعتزلة، وتأييد العقيدة بعلم الكلام، ولو نشأ المذهب واضح المعالم في الاستدلال للعقيدة أو الرد على المخالفين

(114) سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن كتاب «المجرد» في آخر الكلام عن مؤلفات الأشعري، ويرى ابن بدران أن أتباع الشعري التقطوا مسائل كتبه التي رد بها على المعتزلة وجعلوها مذهبا له، وتركوا الإبانة التي صرح فيها بعقيدته، انظر: المدخل إلى مذهب الإمام أزحمد (ص: 49-50).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

لكان ذلك مانعا من اجتهاد يأتي فيما بعد يؤدي إلى الانحراف، وهذا ما حدث بالنسبة لما كتبه أعلام السلف في ردودهم على الجهميةو المعتزلة، فعلى الرغم من المناقشات العقلية، والالزامات القوية للخصوم، في مؤلفات الأئمة مثل الإمام أحمد، والكناني، والدرامي، وابن قتيبة، وغيرهم، لم تؤد هذه الردود– التي بقيت وحفظت – إلى شيئ من الانحراف، بل على العكس كان لها دور في دعم مذهب السلف وإسكات خصومهم.

4- رفض أهل السنة للمذهب الأشعري منذ البداية مما كان سببا في جعله مذهبا منعزلا عنهم، ولكا كان رفض أئمة الحديث والسنة له الأثر النفسي والواقعي في حياة الناس، حرص المتأخرون على الدفاع عن مذهبهم وعقيدتهم الأشعرية ودعمها بالأدلة، وبيان بعدها عن التشبيه والتجسيم الذي قد يصمون به أهل الإثبات، والمعارضة القوية من جانب علماء السلف لمذهب الأشاعرة ورمي معتنقيه – أحيانا – بأنهم نفاة ومعتزلة، يؤدي إلى ردود فعل نفسية من جانب هؤلاء فيؤدي إلى اتساع دائرة البعد بين الفريقين.

5- ومن الأسباب أيضا فشو التقليد في أصول العقيدة وفروع الأحكام فقد يقلد شيخه في إحدى المسائل؛ ظنا منه أنه – وهو العالم المشهور– ما قال بها إلا هي حق، ثم يضطر في النهاية إلى التزام لوازم هذه المسألة، وقد تكون لوازم باطلة، لكنه التزمها التزاما لأصلها الذي أخذه تقليدا، وقد يكون شيخه قال بهذه المسألة بناء على وجه معين وهو يرفض لوازمها لو ألزمها.

6- وهناك أسباب أخرى مثل الهوى، والتعصب لطائفة أو لمذهب، وحرص أهل الباطل على التفريق بين المسلمين بإثارة الفتن بينهم، وغيرها.

* * *

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بعد هذه المقدمة ننتقل إلى عرض مجمل لترجمة ومنهج أهم أعلام الأشاعرة إلى عصر بان تيمية مع ذكر جوانب التطور التي حدثت في المذهب الأشعري عن طريقهم، وسيتم هذا العرض على المنهج التالي:

1- الاقتصار على ذكر أعلام الأشاعرة الذي كان لهم دور في المذهب، وذلك من خلال مؤلفاتهم وكتبهم التي ساعدت على دعم أو تطوير المذهب الأشعري.

2- لما كان كل علم من هؤلاء بحاجة إلى دراسة مستقلة- وكثير منهم كتبت عنهم مؤلفات ورسائل علمية – فسيقتصر العرض على مايلي:

- ترجمة موجزة للعلم، وأهم شيوخه وتلاميذه.
- آثاره العلمية المتعلقة بمذهب الأشاعرة.

3- مجمل منهجه وعقيدته، وبيان جوانب التطور عنده إن وجدت، مع التركيز على بعض شخصيات الأشاعرة المشهورة.

* * *

أبو الحسن الطبري: توفي بحدود سنة 380هـ.

تقدم ذكر أبي الحسن(115) الطبري في تلامذة الأشعري، وأنه كان أحد تلاميذه الأربعة الذين اختصوا به، واسمه علي بن محمد بن مهدي، أبو الحسن الطبري(116)، -وأحيانا يقال: على بن مهدي -، وقد ذكر السبكي أنه تحقق أن أباه اسمه محمد، ومهدي جده.

---

(115) هكذا في الكتب التي ترجمت له، وفي مخطوطة كتابه تأويل الأحاديث المشكلات، أنه: أبو الحسين.

(116) انظر في ترجمته: تبيين كذب المفتري (ص: 195)، والوافي للصفدي (143/22).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

قال عنه السبكي: « كان من المبرزين في علم الكلام، والقوامين بتحقيقه، ... وكان مفتنا في أصناف العلوم»، وذكر الاسنوي عن أبي عبد الله الأسدي أنه قال في كتاب «مناقب الشافعي»:« كان شيخنا وأستاذنا أبو الحسن بن مهدي حافظا للفقه والكلام والتفاسير والمعاني وأيام العرب، فصيحا مبارزا في النظر ما شوهد في أيامه مثله، مصنفا للكتب في أنواع العلم، صحب أبا الحسن الأشعري في البصرة مدة»، ولم يؤرخ ولادته ولا وفاته، إلا أن الصفدي ذكر أنه توفي في حدود سنة 380هـ.

أما أهم آثاره فهي:

1- كتاب « الأصول».

2- تفسير أسامي الرب عزوجل.

وهذان الكتابان ذكرهما العبادي، ولا يعرف عنهما شيء.

3- تأويل الأحاديث المشكلة الموضحة وبيانها بالحجة والبرهان.

وقد ذكر هذا الكتاب جميع من ترجم له، وقد وصلت إلينا نسخة منه لا تزال مخطوطة(117).

عقيدته:

بما أن علي بن محمد الطبري يعتبر من تلامذة الأشعري فهو يمثل مرحلة متوسطة بين الأشعري والباقلاني، وعرض عقيدته وآرائه يفيد في بيان مستوى النقلة من المؤسس الأول إلى أتباعه من بعده، وكيف تلقى تلاميذ الأشعري أقواله، وهل تابعوه فيها من خلال المرحلة الأولى من رجوعه أم المرحلة الأخيرة؟

1- كتب أبو الحسن الطبري في بداية كتابه ما يبين سبب تأليفه حين قال: « أما بعد فإنك كتبت إليّ شكوى مافشا بالناحية من معتقد الفرقة المنتسبة إلى الحديث،

(117) موجودة في مكتبة طلعت في القاهرة محموع رقم (491) من 108 –أ – 162 – ب، وقد رقمت المخطوطة ترقيما خاصة بها، وعليها الإحالة في بيان أرقام لوحاتها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المنتحلة الأثر، حتى مالوا إلى قوم من ضعفه المسلمين بمعاهدتهم بالتلبيس والتمويه»(118)، ثم يصف هؤلاء الذين يوردون الأخبار فقط بأنهم: « تقصر معرفتهم عن استخراج تأويلها ... لقلة عنايتهم بمعرفة مصادر الكلام وموارده، وظاهره وباطنه، ومجازه وحقيقته واستعارته، وما يجوز إطلاقه في القديم ومالا يجوز إطلاقه» (119)، ثم يقول عنهم:« قد قنع الواحد منهم من العلم برسمه، ومن الحديث بجمعه واسمه، فأبعد غاية هذه الطائفة أن يكتبوا أجزاء من الحديث وأجلادا من القصص ثم يقبلوا على تفسيرها بغير ما أذن الله بها» (120).

ثم يذكر تأثير هؤلاء بأنهم: « يتقربون إلى الرعاع والهمج من أهل الحديث بذلك، وإن من عدل عن هذا المنهج والسير فقد خالف المشايخ والقدماء والأسلاف من العلماء»(121).

ثم يذكر نماذج من الأحاديث التي يوردونها، ويبين أنه لابد من تفسيرها بـ : « ما يوافق المعقول من الأصول، والمعمول به من اللغات»(122).

فأبو الحسن الطبري في هذه المقدمات [يعرض بأهل الحديث و] يستخدم المنهج العقلي في تأويل النصوص الدالة على الإثبات دون أن يفرق بين الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة والأحاديث الثابتة، بل واضح من كلامه أن حذره من التشبيه أكثر من حذره من التعطيل.

---

(118) تأويل الأحاديث المشكلة – مخطوط – (لوحة 1– أ).
(119) المصدر السابق (لوحة 1– ب).
(120) نفس المصدر.
(121) نفس المصدر.
(122) تأويل الأحاديث المشكلة– مخطوط – (لوحة 2– ب).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

2- يحتج على إثبات الصانع بخلق الإنسان من نطفة ثم من علقة، ثم يحتج على الوحدانية بدليل التمانع (123)، وهذه نفسها أدلة الأشعري، ويقول: إن الله ليس بجسم ويحتج لذلك بإن الله لم يسم نفسه به ولا اتفق المسلمون عليه، ويعلل منع إطلاقه بأن حقيقة منع إطلاقه بأن حقيقة الجسم أن يكون طويلا عريضا عميقا وهذا يخالف وصف الله بأنه واحد (124).

3- أما مذهب أبي الحسن الطبري في الصفات فقد فصله في كتابه، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

أ-بالنسبة للصفات الخبرية فهو يثبتها مع نفي أي دلالة فيها على التجسيم أو التبعيض – على حد زعمه – فمثلا حين يتكلم على صفة اليدين وقوله تعالى: (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) (الزمر:67) ، إن الطي أريد به الفناء والذهاب، ويذكر أدلة ذلك من الشعر ثم يقول: « ومن الناس من يقول: مطويات بيمينه ي ذاهبات بقسمه لأنه أقسم ليفنيها» (125).

ويقول: إن الله راء بلا عين، ويرد على أدلة من يسميهم بالمشبه الذين أثبتوا لله عينا ويتأول النصوص الواردة في ذلك من الكتبا والسنة (126)، كما يتأول « القدم» ويذكر له عدة تأويلات ولا يثبت هذه الصفة كما يليق بالله تعالى(127).

ب – يثبت أبو الحسن الطبري صفة الاستواء والعلو لله تعالى، يقول: « اعلم عصمنا الله وإياك من الزيغ برحمته أن الله سبحانه في السماء فوق كل شيء، مستو

---

(123) تأويل الأحاديث المشكلة (لوحة 3– أ–ب).

(124) المصدر السابق (لوحة 4– أ).

(125) نفسه (ل 22 – ب)، كما أنه تأويل (عن يمين الرحمن) و (كلتا يديه يمين)، انظر: (ل51 –أ –ب).

(126) انظر: نفس المصدر (ل5 – أ، ل6 – أ – ب، ل54 – أ).

(127) نفسه (ل38 – ب– 39 –أ).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

على عرشه بمعنى أنه عال عليه، وبمعنى الاستواء الاعتلاء، كما يقول: استويت على ظهر الدابة، واستويت على السطح يعني علوته، واستوت الشمس على رأسي واستوى الطير على قمة رأسي بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي، والقديم جل جلاله عال على عرشه لا قاعد ولا قايم ولا مماس له ولا مباين، والعرش ما تعقله العرب وهو السرير، يريد بذلك أيضا على أنه في السماء عال على عرشه قوله سبحانه: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ) (الملك:16) ، وقوله تعالى: (يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) (آل عمران:55)، وقوله: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) (النحل:50) ، وقوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) (فاطر:10) ، وقوله: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) (السجدة:5) (128)، ثم رد على البلخي وغيره من المعتزلة في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء واحتجاجهم بقولهم: استوى بشر على العراق – وغيره – فقال: « فيقال لهم: ما أنكرتم أن يكون عرش الله جسما مجسما، خلقه وأمر ملائكته بحمله، وتعبدهم بتعظيمه كما خلق في الأرض بيتا وامتحن بني آدم بالطواف – حوله وبقصده من الآفاق، ويدل على ذلك قوله تعالى:(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) (الزمر:75) ، وقال في موضع آخر: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) (الحاقة:17)، ففي كل هذا دلالة أن العرش ليس بالملك وأنه سرير» (129)، ثم قال: « ومما يدل على أن الاستواء ها هنا ليس بالاستيلاء أنه لو كان كذلك لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون ساير خلقه، وليس للعرش مزية على ما [وصفت] (130)، فبان بذلك فساد قوله، ثم

---

(128)تأويل الأحاديث المشكلة (ل24= أ– ب).

(129) نفسه (ل 24 – ب).

(130) في المخطوطة: وضعت، والتصويب من نقض التأسيس المطبوع (336/2)، حيث نقل هذا النص عنه.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يقال له أيضا: إن الاستواء ليس هو بالاستيلاء في قول العرب: استوى فلان على كذا أي استولى عليه، إذا تمكن منه بعد أن لم يكن متمكنا، فلما كان الباري سبحانه لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنا لم يصرف معنى الاستواء إلى الاستيلاء، وحدثنا الشيخ أبو عبد الله الأزدي الملقب بنفطويه قال: حدثنا أبو سليمان، قال كنا عن ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما معنى قوله سبحانه: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:5)، قال: إنه مستو على عرشه كما أخبر، فقال له الرجل: إنما معنى استوى استولى فقال له ابن الأعرابي: ما يدريك ما هذا، العرب لا تقول استوى (131)على العرش حتى يكون فيه مضاد له، فأيهما غلب قيل: قد استولى عليه، والله سبحانه لا مضاد له، وهو مستو على عرشه كما أخبر، والاستيلاء يكون بعد المغالبة» ثم يقول: « فإن قيل فما تقول في قوله سبحانه: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (الملك:16)، قيل له معنى ذلك أنه فوق السماء على العرش، كما قال: (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ) (التوبة:2)، أي على الأرض...» (132). وكلامه في ذلك طويل حيث رد على الذين يقولون: إن الله في كل مكان، كما رد على من تأول رفع المسلمين أيديهم إلى السماء عند الدعاء بأن ذلك لأن أرزاقهم في السماء أو لأن الملائكة الحفظة في السماء، فقال: بأن ذلك لو جاز لجاز « أن تخفض أيدينا في الأرض نحو الأرض من أجل أن الله تعالى يحدث فيها النبات والأقوات والمعايش وأنها قرار، ومنها خلقوا وإليها يرجعون، ولأنه يحدث فيها آيات كالزلازل والرجف والخسف، ولأن الملائكة معهم في الأرض، الذين يكتبون أعمالهم، فإذا لم يجب خفض الأيدي نحو الأرض لما وصفنا لم تكن العلة في رفعها نحو السماء ما وصفه البلخي،

(131) في شرح السنة للالكائي رقم 666 «استولى» ولعلها أصوب.

(132) تأويل الأحاديث المشكلة (ل25 – أ –ب).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وإنما أمرنا الله تعالى برفع أيدينا قاصدين إليه برفعهما نحو العرش الذي هو مستو عليه كما قال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:5) (133).

هذا رأي الطبري في مسألة العلو والاستواء، وهذه النصوص تدل على استقرار هذه المسألة وفق مذهب السلف عند تلامذة الأشعري، وهذا ما سنجده أيضام عند الباقلاني – كما سيأتي –.

جـ– يتأول أبو الحسن الطبري النصوص الواردة في الضحك والعجب، والفرح، ففي صفة الضحك الواردة في الأحاديث يذكر المعاني المجازية للضحك مثل قول العرب ضحكت الأرض إذا تبدي نباتها، وضحك طلع النخل إذا بدا كافوره، ويقال هذا طريق ضاحط أي ظاهر واضح، ثم يقول: « فمرجع الضحك في هذا كله إلى البيان، ومعنى الخبر (134) والله أعلم بالمراد: يضحك الله أي يبين الله ثواب هذين الرجلين المقتولين... فإذا وجدنا للضحك معنى صحيحا تعرفه العرب في لغتها غير الكشر عن الأسنان عند حلول التعجب منه كانت إضافة ذلك إلى ربنا سبحانه أولى مما أضافت إليه المشبهة، نعوذ بالله من الحيرة في الدين وهو ولي المعونة» (135)، وهذا تأويل واضح لهذه الصفة، وفي صفة العجب يذكر عدة تأويلات منها: أن معنى عجب ربك أي عظم عنده، وقيل معناه رضي وأثاب، وقيل: جازاه على عجبه

---

(133) تأويل الأحاديث المشكلة (ل27 – أ– ب)، وقد نقل ابن تيمية أغلب النصوص الواردة في العلو والاستواء في نقض التأسيس المطبوع (2/335–337).

(134) يشير إلى ما سبق أن ذكر من حديث « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة...» وهو حديث متفق عليه، البخاري كتاب الجهاد، باب الكافر يقتل المسلم ورقمه (2826) فتح الباري (6/39)، ومسلم كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الحنة ورقمه (1890).

(135) تأويل الأحاديث (1 35 – أ – ب).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(136)، ولا يذكر إثبات هذه الصفة كما يليق بجلال الله وعظمته، كما يؤول الفرح بالرضا (137).

د- أما الصفات الاختيارية التي تقوم بالله تعالى كالنزول والمجيء والإتيان فيتأولها ولا يثبتها كما يليق الله وعظمته، وهذا بناء على نفي حلول الحوادث، يقول عن النزول: « ولا يجوز حمل ذلك على النزول والنقلة... لما فيه من تفريغ مكان وشغل آخر، والقديم قد جل أن يكون موصوفا بشيء من ذلك، كذلك وقد حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: (لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) (الأنعام:76)، واحتجاجه بهذه الآية هنا هو احتجاج جمهور الأشاعرة الذين يزعمون إن إبراهيم عليه السلام استدل بتغير وتحرك النجم على أنه لا يصلح أن يكون إلها، وبنوا على ذلك نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى. ويقول أبو الحسن الطبري عن الإتيان والمجيء، « فإن قيل: فما تقول في قوله تعالى: (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) (النحل:26)، وفي قوله تعالى : (وَجَاءَ رَبُّكَ)(الفجر:22) وفي قوله: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ) (البقرة:210)، تقول في قوله تعالى: (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) (النحل:26)، وفي قوله تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ)(الفجر:22)، وفي قوله: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ) (البقرة:210)، قيل له: إن الله سبحانه قد صح أنه لا يجوز وصفه بالإتيان والمجيء الذي بمعنى الإنتقال والزوال، إذ كان ذلك من صفات الأجسام تعالى الله أن يكون جسما أعرضا، وكلام العرب واسع له ظهر وبطن لاتباع العرب في المجازات وطرق الكلام. ومعنى البيان في قوله: (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ) (النحل:26)، الاستئصال في الهلاك والدمار بإرساك

---

(136) انظر: المصدر (ل35 – أ – ب).

(137) نفسه (ل 42– أ).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

العذاب... وأما قوله: (وَجَاءَ رَبُّكَ) ،فمعناه جاء حكم ربك وأمر ربك، ألا ترى أن الخاص والعام يقول: ضرب الأمير زيدا، وإن كان الأمير لم يباشر زيدا بالضرب، بل كان ذلك بأمره وحكمه عليه، وقد قال الله تعالى في قصة لوط)(فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) (القمر:37)، وإن كان الطمس للأعين للملائكة بأمر الله، وأما قوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ) ، فمعناه هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالحساب في ظلل من الغمام، يراد به بظلل من الغمام، وأن الفاء بمعنى الباء...» (138)، هذا هو مذهبه في تأويل هذه الصفات.

4- يثبت أبو الحسن الطبري الرؤية ويرد على المعتزلة المنكرين لها، لكن الملاحظ أنه أورد سؤالا حولها يتعلق بأنه يلزم من إثباتها المقابلة، فأجاب بما يدل على أنه يقول بأنه لا يلزم من الرؤية المقابلة، ومما قاله – وهو يرد على المعتزلة – « وقد زعمتم أن معنى ترون ربكم: تعلمون ربكم، ولم تلزموا أنفسكم أنكم تعلمونه مقابلا لكم» (139).

5- هذه أقوال أحد تلامذة الأشعري، ممن جاء قبل الباقلاني المؤسس الثاني للمذهب الأشعري، وهذه النصوص التي نقلت من كلام أبي الحسن الطبري تمثل مرحلة جاءت بين علمين مهمين من أعلام الأشاعرة، ومما سبق يتبين مايلي:

1- إن منهج الأشاعرة الكلامي جعلهم يحرصون على رد تهمة التشبيه عنهم حين يثبتون الصفات كحرصهم على رد تهمة التعطيل وذلك في ردودهم المتوالية على المعتزلة، ولذلك تجد عبارات نفي التجسيم عن الله، أو تأويل أي صفة تدل عليه بزعمهم، وكان من أثر ذلك هجومهم على أهل السنة والحديث الذين يوردون أحاديث الصفات ويروونها مثبتين لها.

---

(138) تأويل الأحاديث (ل 50 – أ – ب).

(139) المصدر السابق (ل 44 – ب).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

2- إثبات الصفات الخبرية لله تعالى، وهذا موجود أيضا عند الباقلاني، لكن نلمح من عبارات أبي الحسن الطبري شرحا واضحا لقولهم وقول الباقلاني: ونثبت أن الله يدين بلا كيف، فما معنى بلا كيف، عبارات الطبري تدل على أنه يقصد التفويض.

3- إن صفة العلو والاستواء لم تكن محل شك أو نقاش عندهم، لأن نفيه أو تأويله هو منهج المعتزلة والجهمية، وهم مخالفون لهم في ذلك، وهذا ما ستجده عند الباقلاني أيضا.

4- تأويل الصفات الأخرى: كالفرح والضحك والمجيء والإتين والنزول، وهذا ما سنجده عند من جاء بعده كالباقلاني الذي يؤول صفات الضحك والفرح أو المجيء والإتيان فيذكر عدة أقوال منه التأويل، كما نجد هذا واضحا عند البيهقي في كتابه الأسماء والصفات، فقد نقل عنه كثيرا خاصة في هذه الصفات (140).

5- ونلمح في منهج أبي الحسن الطبري في مسألة الرؤية إشارة لبداية المشكلة بين المعتزلة النفاة والأشاعرة المثبتين، وذلك حول لزوم المقابلة من إثبات الرؤية.

6- وعلى العموم فيدل كلام الطبري في كتابه هذا على حرص الأشاعرة على أن يسيروا على منهج متوسط بين المعتزلة وأهل الحديث؛ ولذلك ردوا على المعتزلة وخالفوهم، كما أولوا بعض الصفات وخالفوا أهل السنة المثبتين، وهذا ما يفسر تلك المواقف القوية لعلماء السنة من الأشاعرة في ذلك الوقت، ومن يطلع على عبارات أبي الحسن الطبري في تاويله لبعض الصفات يتضح لديه أن تلامذة الأشعري لم

---

(140) نظرا لأن البيهقي نقل من كتابه تأويل الأحاديث المشكلة نصوصا، فنشير إلى بعض مواضع النقل في كتابه « الأسماء والصفات» ، انظر: (ص/ 310 « النور » ، و (ص: 352 « القدم » ، و (ص: 397)، حول اهتزاز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ، و (ص: 410 « إثبات الاستواء») و (ص: 415) حول الاستواء، و (ص: 466، 473، 477، 481، 483، 484، 487، 488، 490، 509)، في صفات متعددة كالضحك، والفرح، والغيرة، والحياء، وغيرها..

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يسيروا على ما في الإبانة وإنما تتلمذوا على كتبه الأخرى ذات الصبغة الكلامية والمناهج التأويلية.

الباقلاني: ت 403 هـ.

أ-حياته: هو الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بان جعفر قاسم البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني (141)، لم يعرف تاريخ ولادته، كان من أهل البصرة، وسكن بغداد، وقد كانت وفاته سنة 403 هـ.

تتلمذ على مجموعة من الشيوخ منهم:

1- أبو بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي، رازي مسند الإمام أحمد، توفي سنة 368 هـ، سمع منه الحديث.

2- أبو بكر: محمد بن عبد الله الأبهري، توفي سنة 375هـ، أخذ عنه الفقه.

3- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري – تلميذ أبي الحسن الأشعري- ، درس عليه الأصول والكلام.

4- أبو الحسن الباهلي: تلميذ أبي الحسن الأشعري، توفي سنة 370هـ، تلقى على يديه أصول المذهب الأشعري.

5- أبو عبد الله: محمد بن خفيف الشيرازي الصوفي، المتوفى سنة 371هـ، وهو أيضا ممن تتلمذ على أبي الحسن الأشعري.

6- أبو محمد: عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، صاحب الرسالة، المتوفى سنة 386هـ، قال عنه الباقلاني: شيخنا (142).

---

(141) انظر: ترجمته في: تاريخ بغداد (379/5)، الأنساب (51/2)، واللباب (112/1)، ترتيب المدارك (44/7)، تبيين كذب المفتري (ص: 217)، الوفيات (269/4)، الوافي (177/3)، سير أعلام النبلاء (190/17)، الديباج المذهب (228/2)، شجير النور الزكية (92/1)، ومقدمة تحقيق إعجاز القرآن لأحمد صقر (ص: 17)، وما بعدها، وغيرها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

7- أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن ماسي، المتوفى سنة 369هـ.

8- أبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري، المتوفى سنة 375هـ.

9- محمد بن عمر البزار، المتوفى سنة 374هـ.

10- وأبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، المتوفى سنة 382هـ، وغيرهم، ويلاحظ أن من شيوخه ثلاثة من تلاميذ أبي الحسن الأشعري.. كما تتلمذ عليه مجموعة من العلماء، منهم:

1ـ القاضي المالكي أبو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي، المتوفى سنة 422هـ.

2ـ أبو ذر الهروي، عبد بن أحمد، الأشعري، المتوفى سنة 434هـ، والذي نقل المذهب الأشعري إلى الحرم، ثم أخذ عنه المالكية هذا المذهب، وقد أن شيخه الدار قطني المتوفى سنة 385هـ، يعظم الباقلاني لما التقى به في الطريق، ولما سأله الهروي قال: « هو أبو بكر بن الطيب، الذي نصر السنة وقمع المعتزلة، وأثنى عليه» (143).

3. أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني، الحنفي، المتوفى سنة 444هـ.

4. أبو الحسن علي بن عيسى السكري الفارسي، الشاعر، المتوفى سنة 413هـ.

5. الحسين بن حاتم الأزدي، الذي أرسله الباقلاني إلى جامع دمشق ليلقي درسا في العقيدة، وقد رجع إلى المغرب ونشر علمه هناك، ومات بالقيروان(144).

6. أبو عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين الصوفي، المتوفى سنة 412هـ، قرأ عليه لما قدم الباقلاني إلى شيراز.

---

(142) انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (ص: 50).

(143) ترتيب المدارك (46/7).

(144) انظر: تبيين كذب المفتري (ص: 216-217).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

7ـ ابن اللبان، أبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني الشافعي، المتوفى سنة 446هـ.

8. أبو علي الحسن بن شاذان، ت 426هـ.

9. أبو بكر بن الحسين الإسكافي.

وغيرهم كثير.

أقوال العلماء فيه:

1. قال عنه الخطيب البغدادي: « المتكلم على مذهب الأشعري...وكان ثقة، فأما الكلام فكان أعرف الناس به، وأحسنهم خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج وغيرهم» (145).

2ـ وقال عنه القاضي عياض: « الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب المثبتة وأهل الحديث وطريقة أبي الحسن الأشعري» (146)، ونقل عن الهمداني قوله: « كان شيخ المالكيين في وقته، وعالم عصره، المرجوع إليه فيما أشكل على غيره، وقال غيره: وإليه انتهت رئاسة المالكين في وقته، وكان حسن الفقه، عظيم الجدل، وكانت له بجامع المنصور ببغداد حلقة عظيمة» (147).

4ـ وقال عنه الذهبي: « الإمام العلامة، أوحد المتكلمين، مقدم الأصولين» وقال: « وكان ثقة إماماً بارعاً صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية

(145) تاريخ بغداد (379/5).

(146) ترتيب المدارك (44/7).

(147) نفس المصدر (45/7).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والكرامية وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظراته» (148).

5. وكان الباقلاني ذا شهرة واسعة، ولذلك استقدمه عضد الدولة البويهي إلى شيراز وناظر المعتزلة في مجلسه، كما أرسله سنة 371هـ، رئيساً للبعثة التي أوفدها إلى ملك الروم، وجرت له أمور كثيرة(149).

ب . آثاره:

تتلمذ على يد الباقلاني تلامذة عديدون، كان لهم أكبر الأثر في نشر المذهب الأشعري، خاصة عند المغاربة، كذلك ترك عدداً كبيراً من المؤلفات في معارف مختلفة، وما يختص منها بالكلام – الذي سار فيه على طريقة أبي الحسن الأشعري– كانت ذا أثر عظيم في المذهب الأشعري، بل يعتبر المؤسس الثاني لهذا المذهب.

ومؤلفات الباقلاني تبلغ (55) مؤلفاً، وقد ذكر أكثرها القاضي عياض (150)، ثم ذكرها وفصل القول فيها السيد أحمد صقر(151)، وأكثرها مفقود، وغالب ما وجد منها كتبه الكلامية أو ما هو قريب منها(152).

وأهم كتبه الكلامية – التي دعم فيها المذهب الأشعري–:

1ـ التمهيد: ويسمى تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، وقد ألفه لابن عضد الدولة وولي عهده لما طلب منه أن يعلمه مذهب أهل السنة.

---

(148) السير (190/17).

(149) انظر: تفصيل ذلك في ترتيب المدارك (51/7) وما بعدها.

(150) ترتيب المدارك (69/7–70).

(151) مقدمة تحقيق إعجاز القرآن (ص: 37) وما بعدها.

(152) انظر: تاريخ التراث العربي، سزكين المجلد الأول (جـ 4 ص: 49)، وما بعدها– ط جامعة الإمام –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والتمهيد من أهم كتب الأشاعرة، وقد ركز فيه الباقلاني على الحجاج العقلي، ولذلك تضمن الردود الطويلة على المنجمين، والثنوية، والديصانية، والمجوس، والبراهمة، واليهود، والنصارى، وغيرهم.. مع أبواب أخرى في تفصيل مسائل الصفات والقدر وغيرها على وفق مذهب الأشاعرة.

والكتاب طبع في القاهرة وبيروت، وكل واحدة من الطبعتين ناقصة، وإحداهما تكمل الأخرى، وقد طبع أخيراً في بيروت طبعة تجمع بين الطبعتين، ولكن الذي سمى نفسه محققاً لهذه الطبعة وهو الشيخ عماد الدين حيدر ارتكب خطأ علمياً شنيعاً حين حذف من الكتاب نصاً للباقلاني يتعلق بإثباته للعلو والاستواء والرد على من أوله بالاستيلاء، وهو خطأ مقصود لأن الذي حذفه لا يناسب اعتقاده خاصة وأن له تعليقات يهاجم فيها المثبتة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية (153)، وسيأتي إيضاح هذه المسألة بعد قليل.

2ـ رسالة الحرة، وقد طبع باسم « الإنصاف فيما يحب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» وهذا الاسم خطأ، بل الاسم الصحيح «الحرة» وقد ذكره في مقدمة كتابه فقال: « أما بعد فقد وقفت على ما التمسته الحرة الفاضلة الدينية..» (154)، وبهذا الاسم ذكره القاضي عياض (155)، ونقل عنه ابن القيم (156)، ورسالة الحرة رسالة جامعة ذكر فيها الباقلاني مسائل العقيدة أولاً بإجمال ثم فصلها، وتوسع كثيراً في مسألة

---

(153) انظر: التمهيد– ط – مؤسسة الكتب الثقافية في بيروت (ص: 41–42، وص: 296، وص: 301–302)، الحواشي. أما النص الذي حذفه فمكانه في (ص: 298)، وهو موجود في طبعة مكارثي (ص: 260–262).

(154) الحرة (مطبوعة باسم الانصاف)، (ص: 193).

(155) انظر: ترتيب المدارك (70/7).

(156) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: 193).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

القرآن وكلام الله وما يتعلق بذلك [ص:71-143]، كما توسع في مسائل القدر والكسب [ص: 144-168]، ثم ذكر مسائل الشفاعة والرؤية.

3ـ كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، وهو في إثبات النبوات، والفرق بين معجزات الأنبياء وخوارق السحرة والكهان وغيرهم، وهو من أوسع ما كتب في هذا الباب.

وقد طبع الكتاب بتحقيق مكارثي، وذكر أنه طبعه على المخطوط الوحيد المعروف لهذا الكتاب (157)، ولما كان المخطوط ناقصاً رجح أن الباقلاني لم يتمه لأنه ربما ألفه في آخر عمره (158)، أما كونه من آواخر كتبه فهو صحيح لأن الباقلاني في كتابه هذا يشير إلى كتبه الأخرى مثل التمهيد وأصول الديانات وكتبه في أصول الفقه، كما أشار إلى أنه قد ألف منذ سنين حول هذا الموضوع – المعجزات والفرق بينها وبين الكرامات والسحر – وأنه قد انتسخ في الحرم (159)، وهذا يدل على أنه قد بلغ من الشهرة مبلغاً، أما دعوى مكارثي أن الباقلاني لم يتم كتابه هذا، لأن المخطوط انتهى عند قوله: « يتلوه إن شاء الل باب القول في الإبانة عن وجود الشياطين وذكر الأدلة على ذلك..» (160)، فهي دعوى غير صحيحة لأن شيخ الإسلام ابن تيمية نقل نصوصاً من هذا الكتاب في كتابه « النبوات »، ومنها نصوص ليست موجودة في المطبوعة من البيان (161)، مما يدل على أنه قد اعتمد على نسخة كاملة وأن الباقلاني قد أتمه.

---

(157) انظر: مقدمة تحقيق البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (ص: 15).
(158) انظر: مقدمة المصدر السابق (ص: 20).
(159) انظر: البيان (ص: 5-6).
(160) نفس المصدر (ص: 108).
(161) انظر: النبوات (ص: 51-182) – ط دار الكتب العلمية – .

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وكتاب النبوات رد على الباقلاني في كتابه هذا.

4. كتاب هداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين، وهو كتاب كبير بقي منه مجلد واحد من الجزء السادس إلى الجزء السابع عشر بتجزئة المؤلف (162)، وقد أشار إليه ابن تيمية في التسعينية (163)، والفرقان بين الحق والباطل (164)، وهو كتاب جامع وإن ركز فيه الباقلاني – في الجزء الموجود – على مسألة النبوات وإعجاز القرآن (165).

5 . دقائق الكلام والرد على من خالف الحق من الأوائل ومنتحلي الإسلام وهي في الرد على الفلاسفة والمنجمين، وقد أشار إليه ابن تيمية في درء التعارض (166).

6. الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة، وقد نقل منه ابن تيمية نصاً حول الصفات في الفتوى الحموية (167)، وابن القيم في اجتماع الجيوش (168)، كما أشار إليه ابن تيمية في درء التعارض (169).

7. شرح اللمع لأبي الحسن الأشعري، ولم يصل إلينا هذا الكتاب، لكن نقل منه شيخ الإسلام نصوصاً كثيرة في درء التعارض، وكتاب (170)، « اللمع » للأشعري يحمل مكانة عند الأشاعرة، ولذلك لما قدم الباقلاني إلى شيراز لمقابلة عضد الدولة

---

(162) انظر: مقدمة السيد أحمد صقر لإعجاز القرآن (ص: 38-39).

(163) (ص: 241).

(164) (ص: 109)، – ت الأرناؤوط –.

(165) مقدمة السيد أحمد صقر (ص: 39).

(166) 158/1.

(167) ضمن مجموع الفتاوى (98/5).

(168) (ص: 193).

(169) 382/3، 206/6.

(170) 304/7، 307-30، 315-317/8، 330-333، 334-335، 339-342.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

البويهي استقبله فيها عبد الله بن خفيف – أحد تلامذة الأشعري – في جماعة من الصوفية وأهل السنة، يقول الباقلاني: « فلما جلسنا في موضع كان ابن خفيف يدارس فيه أصحابه اللمع للشيخ أبي الحسن الأشعري، فقلت له: تماد على التدريس كما كنت، فقال لي: أصلحك الله، إنما أنا بمنزلة المتيمم عند عدم الماء ..»(171).

8 . كتاب في الإيمان، ذكره ابن تيمية في الفرقان بين الحق و الباطل (172).

9. كتاب النقض الكبير، نقل منه الجويني في الشامل (ص: 680).

10. كتاب الكسب، ذكره أبو المظفر الإسفراييني في التبصير بالدين (173).

11. كتاب الإيجاز، ذكره في الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية (174).

12ـ مناقب الأئمة ونقض المطاعن على سلف الأمة، يوجد جزء منه في الظاهرية(175).

13. إعجاز القرآن، طبع عدة مرات.

14. الانتصار للقرآن، يوجد المجلد الأول منه في تركيا، مكتبة قرة مصطفى باشا – مكتبة بايزيد في استانبول – وقد صوره فؤاد سزكين ضمن منشورات معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية في ألمانيا، وأشار إلى وجود قسم من كلا المجلدين في الحسينية في الرباط (176). وقد دافع فيه الباقلاني عن القرآن ونقله، ورد ردوداً

---

(171) انظر: الإشارات الحسان لابن غازي، ضمن أزهار الرياض للمقري (80/3)، ونص الكتاب موجود ما بين صفحتي (65–87) من هذا الجزء.

(172) (ص:38) – ت الأرناؤوط –.

(173) (ص: 174).

(174) لأبي عذبة (ص: 18، 35، 58).

(175) مقدمة السيد أحمد صقر (ص: 42).

(176) مقدمة سزكين لمخطوطة الانتصار (ص:6).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

طويلة على الرافضة والملاحدة الطاعنين في كتاب الله، ولا يخلو من الردود الكلامية في المناسات المختلفة(177).

وقد اختصر هذا الكتاب أبو عبد الله الصيرفي، وطبع هذا المختصر (178)، ولكن بالمقارنة بينه وبين أصله تبين أنه تصرف فيه كثيراً، وقد شمل المختصر كل أبواب الكتاب.

هذه أهم كتب الباقلاني التي وصلت إلينا أو وصل إلينا جزء منها إما مخطوطاً أو منقولاً في بعض المصادر، وفي قائمة كتب الباقلاني بعض الكتب التي يدل عنوانها على أنها في العقيدة أو علم الكلام، أو الرد على الباطنية وغيرهم، نكتفي بالإشارة إليها، فمنها كتاب إكفار المتأولين، والإمامة الكبير، وتصرف العباد والفرق بين الخلق والاكتساب، والرد على المعتزلة فيما اشتبه عليهم من تأويل القرآن، والمقدمات في أصول الديانات، وكتاب الكرامات، وكتابه الإمامة الصغير، وكتاب التعديل والتجوير، وكتاب في أن المعدوم شيء، وكتاب كشف الأسرار وهتك الأستار في الرد على الباطنية.

جـ- مجمل عقيدته ومنهجه، ودوره في تطوير المذهب الأشعري:

1. يبتدئ الباقلاني كتبه بالحديث عن المقدمات حول حقيقة العلم ومعناه، فيذكر أن حده «معرفة المعلوم على ما هو به» (179)، ثم يقسم العلوم إلى قسمين: علم الله

---

(177) انظر مثلاً _ ص: 440)، من المجلد الأول المخطوط وما بعدها، فقد عقد فصلاً حول الهدى والضلال وخلق الأفعال والقضاء وتقدير الأعمال وتكليف مالا يطاق رد فيه على ابن الراوندي، والقدرية والمعتزلة.

(178) باسم « نكت الانتصار لنقل القرآن»، تحقيق د: محمد زغلول سلام – ط منشأة المعارف بالاسكندرية.

(179) التمهيد (ص: 6)، ت مكارثي، وهي التي سنعتمدها إلا ما يشار إليه، والحرة (ص: 13).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

القديم، وعلم الخلق، ويقسم علم الخلق إلى علم اضطرار وعلم نظر واستدلال (180)، ثم يشرح ذلك، ثم يذكر استدلال فيعرفه، ثم يعرف الدليل ويقسمه إلى ثلاثة أقسام: عقلي، وسمعي شرعي، ولغوي (181). ثم يذكر أقسام المعلومات وأنها قسمان: معدوم وموجود ولا ثالث لهما (182).

ثم يقسم الموجودات ويقول: إنها ضربين: قديم لم يزل ومحدث لوجوده على أول(183)، ثم يقسم المحدثات إلى ثلاثة أقسام: جسم مؤلف، وجوهر منفرد، وعرض موجود بالأجسام والجواهر (184).

فالباقلاني يقول بالجوهر الفرد ويدلل على إثباته بـ« علمنا بأن الفيل أكبر من الذرة، فلو كان لا غاية لمقادير الفيل ولا لمقادير الذرة لم يكن أحدهما أكثر مقادير من الآخر، ولو كان كذلك لم يكن أحدهما أكبر من الآخر» (185).

كما يرى الباقلاني أن الأعراض لا يصح بقاؤها فهي لا تبقى زمانين (186).

2ـ ويرى أن أول الواجبات النظر فيقول: « أول ما فرض الله عزوجل على جميع العباد: النظر في آياته والاعتبار بمقدوراته والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته؛ لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار، ولا مشاهد بالحواس، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة، والبراهين الباهرة» (187).

---

(180) انظر: المصدرين السابقين: التمهيد (ص: 7)، والحرة (ص: 14).

(181) انظر: الحرة (ص: 15).

(182) انظر المصدرين: (ص: 15)، والحرة (ص: 15).

(183) انظر المصدرين: التمهيد (ص: 16)، والحرة (ص: 16).

(184) انظر: التمهيد (ص: 17)، والحرة (ص: 16-17).

(185) التمهيد (ص: 17-18).

(186) انظر: التمهيد (ص: 18،239، 287)، والحرة (ص: 16-17).

(187) الحرة (ص: 22).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

3ـ يذكر دليل حدوث العالم، ويستدل لذلك بدليل حدوث الأجسام ويبنيه على دليل ثبوت الأعراض، فيذكر دليل ثبوت الأعراض، ثم يذكر أنها حادثه، ويستدل على ذلك ببطلان الحركة عند مجيء السكون، ثم يذكر دليل حدوث الأجسام وهو أنها لم تسبق الحوادث، ولم توجد قبلها، وما لم يسبق المحدث، ويفصل القول في ذلك (188).

والباقلاني يرى ضرورة دليل حدوث الأجسام، وقد سبق بيان أن الأشعري لا يرى هذا الدليل ضرورياً وأن الرسل لم تدع إليه، وذلك في رسالته إلى أهل الثغر، لكن الباقلاني في شرحه للمع – للأشعري – يفسر كلامه في إثبات الصانع واستدلاله على ذلك بالنطفة وتغيرها وانتقالها من حال إلى حال فيقول: « اعلم أن هذا الذي ذكره هو المعول عليه في الاستدلال على حدوث الأجسام...» (189)، ويرى الباقلاني أن الخليل عليه السلام احتج بهذا الدليل في قوله: (هَذَا رَبِّي) (الأنعام:76)، والآيات بعدها (190).

4ـ ويحتج لإثبات الصانع بأن الكتابة لا بد لها من كاتب، ولا بد للصورة من مصور، وللبناء من بان (191)، ويستدل أيضاً بوجود المحدثات متقدمة ومتأخرة مع صحة تأخر المتقدم وتقدم المتأخر (192)، كما يحتج لإثبات وحدانيته بدليل التمانع ويحتج له بقوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) (الأنبياء:22) (193).

5. أما رأيه في الصفات فيمكن توضيحه كما يلي:

---

(188) انظر: التمهيد (ص:18–21)، والحرة (ص: 17–18).

(189) شرح اللمع – عن الدرء – لابن تيمية (315/8)، وانظر: أيضاً التمهيد (ص: 48–49، 301)، الحرة (ص:30).

(190) انظر: الحرة (ص:30).

(191) انظر: التمهيد (ص: 23)، والحرة (ص:18).

(192) انظر المصدر السابق: التمهيد (ص: 23)، والحرة (ص: 19).

(193) انظر: التمهيد (ص: 25)، و الحرة (ص: 34).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أ . يثبت الباقلاني الصفات عموماً ولا يقتصر على إثبات الصفات السبع، ويقسم الصفات إلى صفات ذات وصفات فعل فيقول: « صفات ذاته هي التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه والعينان واليدان، والغضب والرضى، وهما الإرادة على ما وصفناه – وهي الرحمة والسخط والولاية والعداوة والحب والإيثار والمشيئة – وإدراكه تعالى لكل جنس يدركه الخلق من الطعوم والروائح والحرارة والبرودة وغير ذلك من المدركات، وصفات فعله هي الخلق والرزق، والعدل، والإحسان والتفضل والأنعام، والثواب والعقاب، والحشر والنشر، وكل صفة كان موجوداً قبل فعله لها، غير أن وصفه لنفسه بجميع ذلك قديم، لأنه كلامه الذي هو قوله: إني خالق رازق باسط، وهو تعالى لم يزل متكلماً بكلام غير محدث ولا مخلوق» (194).

ويتبين من ذلك أنه يثبت الصفات لله تعالى، ولا يفرق بين الصفات العقلية والصفات الخبرية.

ب . يستدل للصفات السبع وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة بأدلة نقلية وعقليه؛ ففي التمهيد يقتصر على الأدلة العقلية لهذه الصفات (195)، أما في رسالة الحرة فيحتج بالأدلة من القرآن وبأدلة العقول (196).

جـ . يؤول صفات الغضب والرضى بأن المقصود بهما: إرادته لإثابه المرضى عنه وعقوبة المغضوب عليه (197)، وهو بذلك يقول بقول الأشعري – كما سبق –.

---

(194) التمهيد (ص: 262–263).

(195) انظر: التمهيد (ص: 26–29).

(196) انظر: رسالة الحرة(ص: 35–37).

(197)انظر: التمهيد (ص:27)، والحرة (ص: 39)، ومثلها صفات الرحمة والمحبة والسخط والبغض، انظر: الحرة (ص: 24).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

د . يرى أن صفة البقاء من صفات الذات لله، وأنه ليس باقياً ببقاء، فهي صفة نفسية وليست صفة زائدة على الذات (198).

هـ . يثبت الصفات الخبرية لله تعالى كالوجه واليدين والعينين، يقول: «وأخبر أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضيات، كما قال عزوجل:(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (القصص:88)، وقال: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن:27)، واليدين اللتين نطق بإثباتهما له القرآن في قوله عزوجل: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (المائدة:64) ، وقوله: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص:75)، وإنهما ليستا بجارحتين، ولا ذوي صورة وهيئة، والعينين اللتين أفصح بإثباتهما من صفاته القرآن، وتواترت بذلك أخبار الرسول عليه السلام، فقال عزوجل: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه:39)، (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) (القمر:14)،وإن عينه ليست بحاسه من الحواس، ولا تشبه الجوارح والأجناس» (199)، وفي التمهيد يستدل ببعض هذه الأدلة، ثم يرد على من أول اليدين بالقدرة أو النعمة فيقول: « يقال لهم: هذا باطل، لأنه قوله: « بيدي» يقتضي إثبات يدين هما صفة له، فلو كان المراد بهما القدرة، لوجب أن يكون له قدرتان وأنتم فلا تزعمون أن للباري سبحانه قدرة واحدة، فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين؟ وقد أجمع المسلمون، من مثبتي الصفات والنافين لها على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان، فبطل ما قلتم، وكذلك لا يجوز أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين؛ لأن نعم الله تعالى على آدم وعلى غيره لا تحصى...» (200)، وكلام الباقلاني يدل على أنه في زمنه لم يكن أحد يؤول اليدين بالقدرة إلا

---

(198) انظر: التمهيد (ص: 263)، وأصول الدين للبغدادي (ص: 90-109)، وفيصل التفرقة للغزالي (ص: 131) – ت سليمان دنيا – والروضة البهية (ص: 66).

(199) رسالة الحرة (ص: 24).

(200) التمهيد (ص: 259).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المعتزلة، ولهذا قال لهم: «وأنتم لا تزعمون أن للباري قدرة واحدة » ، وعلى ذلك فالتأويل لهذه الصفات – أعني صفة الوجه واليدين والعين – عند الأشعرية جاء بعد الباقلاني.

و . كما يثبت الباقلاني صفة العلو والاستواء لله تعالى، ويرد على الذين يؤولون الاستواء بالاستيلاء، وعلى الذين يقولون إن الله في كل مكان، يقول: « فإن قالوا: فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ لله، بل هومستو على العرش، كما خبرّ في كتابه فقال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:5)، وقال تعالى:) إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (فاطر:10) ، وقال: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ) (الملك:16) ، ولو كان في كل مكان لكان في جوف الإنسان وفمه وفي الحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها تعالى عن ذلك، وأوجب أن يزيد بزيادة الأماكي إذا خلق منها ما لم يكن خلقه، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى وراء ظهورنا وعن أيماننا وشمائلنا، وهذا ما قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله» (201)، ثم يرد على من اعترض بالنصوص الدالة على أن الله في السماء إله وفي الأرض إله، وأنه مع المؤمنين وغيرها من النصوص الدالة على المعية، ويبين أنه لا دلالة فيها (202). ثم يقول: « ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه عليه، كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق(203)

---

(201) التمهيد (ص: 260) – ت مكارثي–.

(202) انظر: التمهيد (ص: 261–262).

(203) هذا البيت منسوب إلى الأخطل النصراني، انظر: البداية والنهاية (7/9) في ترجمة بشر ابن مروان أخو عبد الملك بن مروان، وتاج العروس مادة سوا من حرف الياء.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً، عزيزاً مقتدراً، وقوله:)(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (لأعراف:54) ، يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن فبطل ما قالوه» (204).

وهذا النص موجود في طبعة مكارثي من التمهيد، يبين ما في اتهام كل من الكوثري ومحققي التمهيد – الخضيري وأبي زيدة – من تجن على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، اللذين نقلا هذا النص ونسباه إلى الباقلاني في التمهيد (205). ومع أن محققي التمهيد قد ذكرا في ذيول تحقيقهما لهذا الكتاب ما يدل دلالة قاطعة على أن المخطوط الذي اعتمداه ناقص (206)، إلا أنهما جزما بخطأ ابن تيمية وابن القيم فقالا: « ونحن نثق على كل حال بنسخة التمهيد التي بين أيدينا ثقة أقوى من ثقتنا بنقل ابن تيمية وابن القيم، والله أعلم » (207)، ولما نشر التمهيد – عن عدة نسخ خطية بتحقيق رجل نصراني – تبين صدق شيخي الإسلام وتثبتهما في النقل، وخطأ هؤلاء الذين اتهموهما بالتحيز والخداع، وكيف يعتمد هؤلاء على أقول الكورثي المشهور بالتجهم والحاقد على أئمة أهل السنة ؟(208) .

---

(204) التمهيد (ص: 262)، وقد ذكر السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: 143)، أن الباقلاني يقول إن الاستواء فعل فعله الله في العرش.

(205) انظر: درء التعارض (6/206 – 207)، واجتماع الجيوش (ص: 193).

(206) انظر: التمهيد – ط القاهرة – (ص: 260–261)، ذيول المحققين – حيث ذكرا سببين يدلان على نقص المخطوطة التي اعتمدا عليها، ومع ذلك– ولا أدري ما السبب – جزماً بكمالها.

(207) المصدر السابق – نفس الطبعة (ص: 265).

(208) سأل المحققان الكوثري عما نقله ابن القيم من التمهيد حول الاستواء فقال: « لا وجود لشيء مما عزاه ابن القيم إلى كتاب التمهيد في كتاب التمهيد هذا، ولا أدري ما إذا كان ابن القيم عزا إليه ما ليس فيه زوراً ليخادع المسلمين في نحلته أم ظن بكتاب آخر أنه كتاب

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

والباقلاني وإن كان يثبت الاستواء والعلو إلا أنه يرى عدم إطلاق الجهة على الله تعالى، يقول: « ويجب أن يعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه، فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والانصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال، ولا القيام ولا القعود، لقوله تعالى(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى:11) ، وقوله: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) (الاخلاص:4) ، ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى بتقديس عن ذلك، فإن قيل: أليس قد قال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:5)، قلنا: بلى، قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة لكن ننفي عنه أمارة الحدوث، ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول: إن العرش له قرار ولا مكان، لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان» (209)، ثم ينقل عن أبي عثمان المغربي أنه قال: « كنت اعتقد شيئاً من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد وزال ذلك عن قلبي، فكتبت إلى أصحابنا: إني قد أسلمت جديداً» (210). ولفظ الجهة –كما سيأتي – لفظ مجمل.

ز. أما رأيه في كلام الله تعالى فهو يقول: « اعلم أن الله تعالى متكلم، له كلام عند أهل السنة والجماعة، وأن كلامه قديم، ليس بمخلوق ولا مجعول ولا محدث، بل كلامه قديم، صفة من صفات ذاته، كعلمه وقدرته وإرادته ونحو ذلك من صفات الذات، ولا يجوز أن يقال: كلام الله عبارة ولا حكاية ...» (211)، ويقول: « ويجب أن يعلم أن

التمهيد للباقلاني»، التمهيد (ص: 265)، وممن نبه إلى ما وقع فيه هؤلاء من خطأ في هذا الموضوع جلال موسى في كتابه نشأة الأشعرية (ص: 331)، مع أنه ممن لا يوافق ابن تيمية في آرائه لكنه قال هنا كلمة الحق والإنصاف.

(209) رسالة الحرة (ص: 41).

(210) المصدر السابق (ص: 42).

(211) نفسه (ص: 71)، وانظر: (ص: 110).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف على الحقيقة» (212)و« مسموع لنا على الحقيقة لكن بواسطة وهو القاري» (213)، وحقيقة الكلام عنده – على الإطلاق في حق الخالق والمخلوق – « إنما هو المعنى القائم بالنفس، لكن جعل لنا دلالة عليه تارة بالصوت والحروف نطقاً، وتارة بجمع الحروف بعضها إلى بعض كتابة دون الصوت ووجوده، وتارة إشارة ورمزاً دون الحرف والأصوات ووجودهما » (214)، وكلام الله عنده ليس بحروف ولا أصوات، ولا يحل في شيء من المخلوقات(215).

هذه خلاصة أقوال الباقلاني في كلام الله، ولكن إذا كان الكلام هو المعنى القائم في النفس، فالكلام النازل علينا كلام من؟ ، سبق قبل قليل أن الباقلاني يقول: إن كلام الله مكتوب في المصاحف على الحقيقة، ومتلو بالألسن على الحقيقة، لكنه بعد ذلك يقول كلاماً خطيراً حيث يزعم... إن كلام النازل كلام جبريل، يقول الباقلاني: « ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى منزل على قلب النبيε نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال »، ثم يقول بعد كلام: « والنازل على الحقيقة المنتقل من قطر إلى قطر قول جبريل عليه السلام، يدل على ذلك قوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ* وَمَا لا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ *تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأيات: (الحاقة38–43)، وقوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ...) الآيات: (التكوير:15–29)، يقول الباقلاني معلقاً على هذا: « هذا إخبار من الله تعالى بأن

(212) نفسه (ص: 93).
(213) نفسه (ص: 94).
(214) رسالة الحرة (ص: 108).
(215) انظر: نفس المصدر (: 99).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

النظم العربي الذي هو قراءة كلام الله تعالى قول جبريل لا قول شاعر ولا قول كاهن» (216)، ثم يقول – بعد كلام– « فحاصل هذا الكلام أن الصفة القديمة كالعلم والكلام ونحو ذلك من صفات الذات، لا يجوز أن تفارق الموصوف، لأن الصفة إذا فارقت الموصوف اتصف بضدها، والله تعالى متنزه عن الصفة وضدها، فافهم ذلك، فجاء من ذلك أن جبريل عليه السلام علم كلام الله وفهمه، وعلمه الله النظم العربي الذي هو قراته، وعلم هو القراءة نبينا ε ، وعلم النبي ε أصحابه... لكن المقروء والمتلو هو كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق ولا يشبه كلام الخلق » (217).

وهذا كلام عجيب، ولا شك أن الباقلاني متابع في هذا الأصل لشيوخه الأشاعرة.

ح . أما مسألة الصفات الاختيارية القائمة بالله تعالى، وهي المسماة بمسألة حلول الحوداث، فالباقلاني ينفيها بقوة، ويدل على ذلك:

1ـ قوله في النص السابق لما ذكر الصفات الفعلية قال: غير أن وصفه لنفسه بجميع ذلك قديم، لأنه كلامه الذي هو قوله: إني خالق، رازق، باسط، وهو تعالى لم يزل متكلماً بكلام غير محدث ولا مخلوق» فهو لا يرى أن الصفات الفعلية تقوم بالله، بل يجعل أمر الله وقوله أزلياً، وهو كلامه، أما المخلوق فهو منفصل عن الله لا يقوم به.

2. قوله عن صفات الله: « إنه لا يجوز حدوثها له، لأن ذلك يوجب أن تكون من جنس صفات المخلوقين، وأن تكون ذات أضداد كصفات المخلوقين، وأن يكون الباري سبحانه قبل حدوثها موصوفاً بما يضادها وينافيها من الأوصاف، ولو كان ذلك كذلك، لوجب قد إضدادها، ولاستحال أن يكون القديم سبحانه موصوفاً بها في هذه الحال،

---

(216) رسالة الحرة (ص: 96–97).

(217) رسالة الحرة (ص: 98)، وفيما يتعلق بالمعجز من القرآن يرى أنه يقع على نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلام الله، انظر: إعجاز القرآن (ص: 394–395).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

وأن يوجد منه من ضروب الأفعال ما يدل على كونه عالماً قادراً حياً، وفي بطلان ذلك دليل على قدم هذه الصفات وأن الله سبحانه لا يجوز أن يتغير بها ويصير له حكم لم يكن قبل وجودها، إذ لا أول لوجودها» (218) ويقول في كلامه عن نفي السنة والنوم عن الله عزوجل: « والمعتمد في هذا أنه سبحانه ذكر السنة والنوم تنبيهاً على أن جميع الأعراض ودلالات الحدوث لا تجوز عليه» (219).

3. ويقطع في هذه المسألة عند كلامه عن كلام الله والرد على القول بخلق القرآن فيقول: « ويستحيل من قولنا جميعاً أن يفعله في نفسه تعالى لأنه ليس بمحل للحوادث» (220).

4. ومن ذلك قوله في صفة المجيء والإتيان فقد ذكر فيهما عدة أقوال، وكلها ذكر فيها ما يدعم قوله في نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى، يقول عن المخالفين المعترضين على آيات القرآن: « واعترضوا أيضاً [بـ] قوله تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً) (الفجر:22) ، وقوله: (يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ) (البقرة:210)، قالوا: والمجيء والإتيان حركة وزوال وذلك عندهم محال في صفته، فالجواب عن هذا عند بعض الأمة: أنه يجيء ويأتي بغير زوال ولا انتقال ولا تكييف، بل يجب تسليم ذلك على ما ورد وجاء به القرآن، والجواب الآخر أنه يفعل معنى يسميه مجيئاً وإتياناً، فيقال: جاء الله، بمعنى أنه فعل فعلاً كأنه جائياً (221)، كما يقال: أحسن الله وأنعم وتفضل، على معنى أنه فعل فعلاً استوجب به هذه الأسماء، ويمكن أن يكو أراد بذلك إتيان أمره وحكمه والأهوال الشديدة التي توعدهم بها وحذرهم

---

(218) التمهيد (ص: 214).

(219) المصدر السابق (ص: 269).

(220) التمهيد (ص: 238).

(221) هكذا في المخطوطة، والصواب: جاء.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

من نزولها، ويكون ذلك نظيراً لقوله عزوجل: (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا)(الحشر:2)، ولا خلاف في أن معنى هذه الآية: أنها أمره وحكمه إياهم (222)، وعقوبته ونكاله، وكذلك قوله: (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) (النحل:26) (223).

فهذه ثلاثة أقوال في معنى المجيء والإتيان: أحدهما: التسليم بهتين الصفتين بشرط نفي ما يدل على قيام الحوادث بالله بحيث تكون بغير زوال ولا انتقال.

والثاني: جعلهما من صفات الفعل المنفصلة عن الله لا تقوم به مثل خلقه الخلق وإحسانه إليهم، وهذا يوافق ما نسب إليه من قوله عن الاستواء: إنه فعل فعله الله في العرش سماه استواء، وقد سبقت الإشارة إليه، والثالث: التأوي كما هو مذهب متأخري الأشعرية.

5. والباقلاني ممن يقول بالأحوال(224)، ولكنه يخالف أبا هاشم الجبائي المعتزلي – أول من قال بالحال – في قوله: إن الحال لا موجودة ولا معدومة ولا معلومة ولا مجهولة، بل يرى أنها معلومة، ويرد ردوداً طويلة على الجبائي، ويقول بعد تقريره أن

---

(222) في نكت الانتصار حيث اختصر النص السابق وردت هنا كلمة: وحكمته بدل وحكمه إياهم.

(223) الانتصار للقرآن – مخطوط – (539/1–540)، وانظر: نكت الانتصار المطبوع (ص: 194).

(224) أول من قال بالأحوال أبو هاشم الجباني – والحال يصعب تعريفها بشكل دقيق– « انظر: نهاية الإقدام (ص: 131–132» ولذلك فهي مع كسب الأشعري وطفرة النظام مما قيل فيه: إنه لا حقيقة له، والحال تطلق على ما هو وسط بين الموجود والمعدوم، وهو صفة لا موجودة ولا معدومة، لكنها قائمة بموجود كالعالمية، وهي النسبة بين العالم والمعلوم، والحال عند أبي هاسم لا هي موجودة ولا معدومة، ولا هي معلومة ولا هي مجهولة، ولا هي قديمة ولا هي حديثة، انظر: المعجم الفلسفي، صليباً (438/1)، ولمجمع اللغة (ص: 66).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الحال لابد أن تكون معلومة: « وإن كانت هذه الحال معلومة، وجب أن تكون إما موجودة أو معدومة، فإن كانت معدومة استحال أن توجب حكماً وأن تتعلق بزيد دون عمرو، وبالقديم دون المحدث، وإن كانت موجودة وجب أن تكون شيئاً وصفة متعلقة بالعالم، وهذا قولنا الذي نذهب إليه إنما يحصل الخلاف في العبارة وفي تسمية هذا الشيء علماً أو حالاً، وليس هذا بخلاف في المعنى فوجب صحة ما نذهب إليه في إثبات الصفات» (225)، وقد عرف الشهر ستاني الحال عند القاضي بأنها: « كل صفة لموجود لا تتصف بالوجود فهي حال، سواء كان المعنى الموجب مما يشترط في ثبوته الحياة أو لم يشترط ككون الحي حياً وعالماً وقادراً وكون المتحرك متحركاً والساكن ساكناً والأسود والأبيض إلى غير ذلك » (226).

والباقلاني بذلك يعتبر من أوائل من قال بالحال من الأشاعرة، ومن المعلوم أن أبا الحسن الأشعري ممن ينكر الأحوال، والباقلاني يثبت الصفات ويقول بالأحوال إلا أنه يخص الأحوال بالأمور التي تتصف بالوجود كالعرضية واللونية والاجتماع والافتراق والقادرية والعالمية وغيرها مما به تتفق المتماثلات، وتختلف المختلفات (227)، على أنه قد ذكر رجوعه عن القول بها(228).

6ـ أما رأيه في القدر فهو لا يختلف عن رأي الأشاعرة فهو يثبت القدر من الله تعالى وأن الله خالق كل شيء، كما أنه يقول بالموافاة وأن الله رضي في الأزل عمن علم أنه يموت مؤمناً وإن عاش أكثر عمره كافراً، وسخط في الأزل عمن علم أنه

---

(225) التمهيد (ص: 201).

(226) نهاية الإقدام (ص: 132).

(227) انظر: الشامي للجويني (ص: 630-642)، ونشأة الأشعرية (ص: 340).

(228) ممن ذكر تردده في إثبات الأحوال ونفيها الجويني في الشامل (ص: 294-629)، وفي بعض أجوبته انظر: المعيار المعرب (246/11)، والشهرستاني في الملل والنحل (95/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يموت كافراً وإن كان أكثر عمره مؤمناً (229)، وهذا بناء على أنه ينفي حلول الحوادث بذات الله تعالى، أما الاستطاعة والقدرة فلا تكون إلا مع الفعل، لكن الباقلاني خالف شيخه الأشعري بأن قال: إن قدرة العبد مؤثرة، يقول: « فإن قالوا: إن قلتم إن القادر منا على الفعل لا يقدر عليه إلا في حال حدوثه، ولا يقدر على تركه وفعل ضده، لزمكم أن يكون في حكم المطبوع المضطر إلى الفعل، قيل لهم: لا يجب ما قلتم لأنه ليس ها هنا مطبوع على كون شيء أو تولد عنه، أما المضطر إلى الشيء فهو المكره المحمول على الشيء الذي يوجد به، شاء أم أبى، والقدر على الفعل يؤثره ويهواه ولا يستنزل عنه برغبة ولا رهبة فلم يجز أن يكون مضطراً مع كونه مؤثراً مختاراً...» (230)، وهذا يوافق ما ذكره عنه الشهرستاني (231)، كما أنه ينفي تعليل أفعال الله كقول الأشاعرة (232)، ويقول بالكسب (233)، كما أنه يقول بإنكار الضرورة بين العلة والمعلول، ويرى إنكار السببية، وربط الأمر كله بالله، فالإحراق لا يكون بالنار وإنما يقع عندها لا بها، وهذا مبدأ السببية الذي اشتهر إنكاره عند الأشاعرة (234).

---

(229) انظر: رسالة الحرة (ص: 24-45).

(230) التمهيد (ص: 293).

(231) انظر: الملل والنحل (97/1)، ونهاية الإقدام (ص: 73)، وما فيهما أصرح مما هنا.

(232) انظر: تعليقه على قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذريات:56)، في الانتصار (ص: 480-481) من المجلد الأول المخطوط.

(233) انظر: الحرة (ص: 144)، والانتصار (491/1).

(234) انظر: التمهيد (ص: 40)، وما بعدها، وانظر: الأشاعرة أحمد صبحي (ص: 87).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

7ـ يثبت الرؤية بالنصوص الواردة، والله يرى لأنه موجود (235)، ولكنه مع أنه يقول بالعلو والاستواء إلا أنه يلمح إلا أنه الله تعالى يرى وليس حالاً في مكان أو مقابلاً أو خلفاً، أو عن يمين أو عن شمال (236)، وهذه عبارات استخدمها نفاة العلو ممن يقول بالرؤية.

8 . أما الإيمان فهو عنده التصديق بالله تعالى، وهو العلم. والتصديق يوجد بالقلب، ويستدل لذلك بإجماع أهل اللغة قاطبة، وبأن الإيمان قبل بعثة النبي ε هو التصديق، كما يستدل بقوله تعالى: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) (يوسف:17) وبقولهم: فلان يؤمن بالشفاعة أي يصدق (237)، ويرى أن « ما يوجد من اللسان وهو الإقرار، وما يوجد من الجوارح وهو العمل، فإنما ذلك عبارة في القلب ودليل عليه» (238).

ولا ينكر الباقلاني أن يطلق القول على الإيمان بأنه عقد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، ويفسر ذلك بأن المقصود به الإيمان الذي ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة (239)، كما أنه لا ينكر أن يطلق على الإيمان أنه يزيد وينقص على أن يرجع ذلك إما إلى القول والعمل دون التصديق، أو إلى الثواب والجزاء والمدح والثناء دون التصديق الذي إذا انخرم منه شيء بطل الإيمان (240).

---

(235) انظر: التمهيد (ص: 266).
(236) انظر: الحرة (ص: 187)، والتمهيد (ص: 277).
(237) انظر: التمهيد (ص: 346)، ورسالة الحرة (ص: 22،55).
(238) الحرة (ص:55).
(239) انظر: المصدر السابق (ص: 56).
(240) الحرة (ص: 57-58).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

9. أما الإمامة فيذهب فيها إلى ما يذهب إليه السلف، وله في التمهيد بحوث طويلة في الدفاع عن الصحابة، وخاصة عثمان وعلياً رضي الله عنهما، كما أنه يثبت إمامة الخلفاء الأربعة على الترتيب، ويرد على الرافضة ودعاواهم الباطلة(241).

10ـ ومن الأمور التي ركز عليها الباقلاني مسألة المعجزات، والفرق بينهما وبين الكرامات والسحر، وقد فصل رأيه في ذلك في كتابه المتعلق بهذا الموضوع.

ويمكن تلخيص رأيها فيها بمايلي:

أ. أن الدلالة على صدق الرسول لا تتم إلا بالمعجزة، «فمتى أهله الله لهذه المنزلة وأحلّه في هذه الرتبة وألزم الأمم العلم بنبوته والتصديق بخبره، لم يكن بد له من آية تظهر على يده ما يفصل بها المكلفون لصدقه بينه وبين الكاذب المتنبئ، وإلا لم يكن لهم إلا فعل العلم بما كلفوه من صدقه وتعظيمه، والقطع على ثبوت نبوته وطهارة سريرته سبيل... وقد اتفق على أنه لا دليل يفصل بين الصادق والكاذب في إدعاء الرسالة إلا الآيات المعجزة » (242)، ومعنى هذا إن الدلائل الأخرى العديدة للنبوات – غير المعجز الخارق للعادة – لا يثبت بها صدق الأنبياء.

ب . والمعجز لا يكون معجزاً « حتى يكون مما ينفرد الله عزوجل بالقدرة عليه ولا يصح دخوله تحت قدر الخلق من الملائكة والبشر والجن، ولابد أن يكون ذلك من حقه وشرطه » (243)، ويعرض الباقلاني للرأي الآخر لبعض أصحابه الأشاعرة وجمهور القدرية وهو جواز أن يكون المعجز مما ينفرد الله بالقدرة عليه، كما يجوز أن يكون مما يدخل جنسه تحت قدر العباد، ومثال الأول: اختراع الأجسام وإبداع الجواريح

---

(241) انظر: التمهيد – ط القاهرة – تحقيق الخضيري وأبي زيدة (ص: 164-249).

(242) كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر (ص: 37-38).

(243) المصدر السابق (ص:8).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والأسماع والأبصار، ورفع العمى، والزمانة وغيرهما من العاهات والضرب الآخر: شيء يقع مثله وما هو من جنسه تحت قدرة العباد، غير أنه يقع من الله على وجه يتعذر على العباد مثله، وذلك نحو تفريق أجزاء الجبال الصم، ورفعها إلى السماء، وتغييض ماء البحار، وحنين الجذع، ونظم القرآن... (244)، ويرى الباقلاني أن هذا القول ليس ببعيد (245)، لكنه يقيد ذلك بأن يمنعوا وأن يرفع عنهم القدرة على فعل مثل ذلك الذي جاء به النبي، ويمثل لذلك بأن النبي لو قال: « آيتي وحجتي أنني أقوم من مكاني وأحرك يدي، وأنكم لا تستطيعون مثل ذلك، فإذا منعوا من فعل مثل ما فعله، كانت الآية له خرق العادة بخلق المنع لهم من القيام وتحريك الجوارح ورفع قدرهم على ذلك مع كونه معتاداً من أفعالهم» (246).

جـ . أما شروط المعجزة عنده فهي :

1. أن تكون مما ينفرد الله بالقدرة عليه.
2. أن يكون ذلك الذي يظهر على أيديهم خارقاً للعادة.
3. أن يكون غير النبي ε ممنوعاً من إظهار ذلك على يده.
4. أن يقع عند تحدي النبي وادعائه النبوة وأن ذلك آية له (247).

د . ولكن كيف يفرق بين المعجزة وبين حيل المشعوذين وأصحاب الخوارق الشيطانية؟ يجيب الباقلاني بما أجاب به سابقاً، من أن معجزات الرسل لا يصح أن يقدر عليها إلا الله تعالى مثل إحياء الموتى واختراع الأجسام (248).

---

(244) انظر: كتاب البيان (ص: 14-15).

(245) انظر: نفس المصدر (ص:16).

(246) البيان (ص: 16-17).

(247) انظر: البيان (ص: 45-46).

(248) انظر: نفس المصدر (ص: 56-58)، وانظر: بعض التفاصيل لذلك في نكت الانتصار المطبوع (ص: 299-306).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وكذلك بالنسبة لما يأتي به الساحر (249)، ولكنه يقول: « إن الساحر إذا احتج بالسحر وادعى به النبوة أبطله الله تعالى عليه بوجهين: أحدهما: أنه إذا علم ذلك في حال الساحر وأنه سيدعي به النبوة أنساه عمل السحر جملة. والثاني: أن ينجد خلق من السحرة يفعلون مثل فعله ويعارضونه بأدق مما أورده فينتقض بذلك ما ادعاه (250)، أما الفرق بين المعجزة والكرامة فليس موجوداً في المطبوعة الناقصة من البيان، ولكن الباقلاني، ذكر ذلك في رسالته لأحد العلماء، وذكر فيها أن الفرق هو أن الأمر الخارق للنبي مقرون بالتحدي والاحتجاج، وأن صاحب الكرامة لا يدعي النبوة بكرامته ولو علم الله أنه يدعي بها النبوة لما أجراها على يديه (251).

دور الباقلاني في تطور المذهب الأشعري:

يعتبر الباقلاني المؤسس الثاني للمذهب الأشعري (252)؛ والباقلاني تلميذ لتلامذة الأشعري فهو قريب العهد به، وعلى الرغم من أن تلامذة الأشعري كانوا أقوياء وذوي تأثير واسع إلا أن أحداً منهم لم يبلغ ما وصل إليه الباقلاني، ولعل الفترة التي عاشها الأشعري وتلامذته كان السائد فيها المذهب الكلابي، فكان المذهبان متداخلين، والأشعري وغيره من معاصريه كانوا تلامذة لابن كلاب، وتلامذة هؤلاء لم يتميزوا كأشاعرة وإنما كانوا كلابية لأن تتلمذهم لم يكن مقتصراً على الأشعري، وإنما كان عليه وعلى غيره من الكلابية، وهذا حسب الأغلب فقط.

---

(249) انظر: نفس المصدر (ص: 94).

(250) البيان (ص: 94-95).

(251) انظر: المعيار المعرب (ص: 250/11-251)، ضمن رسالة كتبها الباقلاني إلى محمد بن أحمد ابن المعتمر المرقى.

(252) انظر في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيقه، إبراهيم مدكور (47/2)، وفي علم الكلام، الأشاعرة أحمد صبحي (ص:75).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فلما جاء الباقلاني جرد نفسه لنصرة أبي الحسن الأشعري ومذهبه، والعمل على دعمه بأوجه جديدة من الحجاج والمناظرات، وقد تمثل ذلك بعد طرق أهمها:

1. أن الباقلاني ربط اسمه بالأشعري، فصار علماً عليه يذكر في نسبه فيقال: أبو بكر بن الطيب الباقلاني الأشعري ، وهذا موجود في الكتب التي ترجمت له، وفي صور عناوين مخطوطات كتبه(253)، ولحماسة في الانتساب إلا الأشعري ونصرة مذهبه عدة الأشاعرة المجدد على رأس المئة الرابعة بعد الأشعري الذي يعتبرونه مجدد المئة الثالثة (254).

2ـ مع انتسابه إلى الأشعري وطد علاقته بالحنابلة، تبعاً لأبي الحسن الأشعري الذي أعلن في الإبانة رجوعه إلى قول الإمام أحمد، وقد وصل الأمر بالباقلاني إلى أنه كان يكتب أحياناً في أجوبته: محمد بن الطيب الحنبلي، كما كان يكتب: الأشعري؛ لأن الأشعري وأصحابه كانوا منتسبين إلى الإمام أحمد وأمثاله من أئمة السنة(255).

وكانت علاقة الباقلاني بالتميميين الحنابلة قوية، ويذكر ابن عساكر وغيره نماذج لهذه العلاقات الوطيدة بينهم (256)، وقد استفاد الباقلاني من ذلك سمعة طيبة عند الحنابلة مع أنه أشعري جلد، كما أن بعض الحنابلة كالتميميين مالوا إلى بعض أقوال

---

(253) انظر: صور عناوين المخطوطات لكل من: الأنتصار، والتمهيد، طبعة القاهرة، وإعجاز القرآن، ت السيد أحمد صقر، والبيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات.

(254) انظر: تبيين كذب المفتري (ص: 53)، أما المجدد الأول والثاني فعند جمهور العلماء أن مجدد المئة الأولى عمر بن عبد العزيز والثانية الإمام الشافعي، وهذا قول الإمام أحمد وغيره، انظر: توالي التأسيس لابن حجر (ص: 47-48).

(255) انظر: درء التعارض (270/1).

(256) انظر: تبيين كذب المفتري (ص: 221-390)، والمعيار المعرب (76/11).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأشاعرة، ولا شك أن علاقتهم بالباقلاني صاحب البلاغة والفصاحة والحجج المنطقية كان لها تأثير في ذلك.

3. حرص الباقلاني على مناقشة المبتدعة من المعتزلة وغيرهم، ومناظرتهم مناظرة علنية أمام السلاطين، ولذلك لما جاء خطاب عضد الدولة يدعوه إلى مجلسه في سيراز قال شيخ الباقلاني أبو الحسن الباهلي – وفي رواية أبو بكر بن مجاهد – وبعض أصحابه: هؤلاء قوم كفرة، فسقه، لأن الديلم كانوا روافض، لا يحل لنا أن نطأ بساطهم وليس غرض الملك من هذا إلا أن يقال: إن مجلسه مشتمل على أصحاب المحابر كلهم، ولو كان خالصاً لله لنهضت، قال القاضي [الباقلاني] : فقلت لهم: كذا قال ابن كلاب، والمحاسبي، ومن في عصرهم: إن المأمون فاسق، لا يحضر مجلسه، حتى ساق أحمد بن حنبل إلى طرسوس، وجرى عليه بعده ما عرف، ولو ناظروه لكفوه عن هذا الأمر، وتبين لهم ما هم عليه من الحجة، وأنت أيضاً أيها الشيخ تسلك سبيلهم حتى يجري على الفقهاء ما جرى على أحمد، ويقولون بخلق القرآن، ونفي الرؤية، وها أنا خارج إن لم تخرج، فقال الشيخ: إذا شرح الله صدرك لهذا فاخرج، فخرجت مع الرسول إلى شيراز (257)، وكان من نتيجة ذلك تلك المناظرات مع المعتزلة في مجلس عضد الدولة، ولما انتصر عليهم قربه الملك وأمره أن يعلم ولده، فألف له التمهيد (258)، كما أن عضد الدولة أرؤسله إلى ملك الروم وجرت له مناظرات عديدة مع النصارى اشتهرت حكاياتها عند الناس.

---

(257) ترتيب المدارك (7/52-53).

(258) انظر: تبيين كذب المفتري (ص: 118-120، 215-219).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فالباقلاني حين عزم على مناقشة المعتزلة (259)، ومناظراتهم كان ذلك بناء على منهج اختطه لنفسه، ورأى أنه وسيلة لازمة لمقاومة مخالفيه من أهل البدع، ولذلك نعى على شيوخه كابن كلاب والمحاسبي حين تركوا المأمون ومن معه من أهل الاعتزال يفرضون على الناس مقالتهم الاعتزالية، وحين يضرب الباقلاني المثل بهذين كان يقصد أن تمكنهما من علم الكلام يعطيهما قدرة على مناقشة المعتزلة أصحاب الكلام والجدل العقلي فهو يرى أن الواجب عليهما أكبر من غيرهما.

4ـ كان للباقلاني دور واضح في تطوير المذهب الأشعري، ويكاد يجمع جميع الباحثين على أن له دوراً في ذلك، يقول ابن خلدون: « وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري، واقتفي طريقته من بعده تلميذه (260)، كابن مجاهد وغيره، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني، فتصدر للإمامة في طريقتهم، وهذبها، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار، وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد، والخلاء، وإن العرض لا يقوم بالعرض، وأنه لا يبقى زمانين، وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول» ثم يعقب ابن خلدون مشيراً إلى الظروف التاريخية للقول بهذه الأمور، فيقول: « وجملت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية، إلا أن صور الأدلة فيها جاءت بعض الأحيان على غيرالوجه القناعي لسذاجة القوم، ولأن صناعة المنطق التي تسير بها الأدلة

---

(259) في الانتصار – المخطوط – (495/1)، يشن الباقلاني هجوماً على المعتزلة وأساليبهم في نشر أقوالهم ومنها دعاواهم في وصف خصومهم بأنهم حشو وعامة ونابتة.

(260) كذا في طبعات مقدمة ابن خلدون، ومنها – ط بولاق – (ص: 388)، – وط كاترمير – (40/3)، – وط دار الكتاب اللبناني – المجلد الأول (ص: 934)، إضافة إلى طبعة الشعب، ولعل الصواب، تلاميذه.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وتعتبر بها الأقيسة لم تكن حينئذ ظاهرة في الملة، ولو ظهر منها بعض الشيء، لم يأخذ به المتكلمون لملابستها للعلوم الفلسفية المباينة لعقائد الشرع بالجملة فكانت مهجورة عندهم لذلك» (261)، ويرى الدكتور إبراهيم مدكور أنه يعتبر: الخليفة للأشعري، وأنه « تأثر بالمعتزلة، فاعتنق نظرية الجوهر الفرد كما اعتنقها الأشعري، ودعمها وعمقها، وقال بفكرة الأحوال، وحاول أن يسوي بين الحال والصفة، ولا شك في أنه بعد أو من ثبت دعائم المذهب الأشعري، وأضاف إليه أسساً عقلية، وإن قال بمبدأ له خطره وهو: إن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول» (262).

ويشير محققاً التمهيد – أبو ريدة ومحمود الخضيري – إلى جوانب من دور الباقلاني في تطوير مذهب الأشاعرة، فيقولان: « أما القيمة الكبرى لعمل الباقلاني فهي.. كانت في التنهيج وفي بناء مذهب الأشاعرة الكلامي والاعتقادي بناء منظماً لا من حيث الطريقة المنطقية الجدل فحسب، بل من حيث وضع المقدمات التي تبني عليها الأدلة، ومن حيث ترتيب هذه المقدمات بعضها بعد بعض على نحو يدل على امتلاك ناصية الجدل وعلى طول اعتبار في أصول الاستدلال» (263)، ثم يذكران قول ابن خلدون، وقبل ذلك ذكرا أن الباقلاني لم يكن « مجرد مواصل لحمل تراث الأشاعرة المتقدمية عليه، بل قد تم على يديه توضيح بعض النقط، وتحديد بعض المفهومات، مما أدى إلى تعديل مذهب الأشعري من بعض الوجوه وإلى تقريبه من رأي المعتزلة، وهذا ما لم يغفله بعض العلماء المتقدمين» (264)، ثم ذكرا نماذج لتعليقات الغزالي والشهرستاني على مخالفة الباقلاني لشيخ الأشاعرة في مسائل: صفة

---

(261) مقدمة ابن خلدون (ص:429)، – ط الشعب –.

(262) في الفلسفة الإسلامية (51/2).

(263) مقدمة تحقيق التمهيد – ط القاهرة – (ص: 15).

(264) مقدمة تحقيق التمهيد – ط القاهرة – (ص: 14).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

البقاء، والحال، وتأثير القدرة الحادثة، وقد سبق ذكر ذلك عند شرح عقيدة الباقلاني وأقواله.

ويذكر أحمد صبحي أن الأشعري كان يعتمد على النقل كثيراً، لكن أتباعه عدلوا « ابتداء من الباقلاني عن الاستشهاد بدليل النقل إلا فيما ندر، مغلبين أدلى العقل.. وجاء الباقلاني ليختط منهجاً مغايراً لمنهج الأشعري دفاعاً عن المذهب، إذ وضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة كالحديث عن العلم وأقسامه، وعن الموجود قديمه وحديثه، وعن الجوهر والعرض والجسم» (265).

وهذا ما سار عليه الأشاعرة من بعده، وواضح أن الباقلاني يستشهد بالأدلة النقلية في كتبه ولكن مناقشاته العقلية تطغى عليه كثيراً، حتى وهو يعرض أن يستشهد بالنصوص.

ويرى بروكلمان أن الباقلاني أتى بآراء جديدة أخذها عن الفلسفة اليونانية(266)، أما مكارثي فيرى أنه يتصف ببعض الأصالة في مناقشته للبيان والمعجز، وأنه عمل كثيراً على نشر المذهب الأشعري (267)، كما يرى فتح الله خليف أنه أدخل بعض العديلات على مذهب الأشعري(268).

والمسألة التي اشتهر بها الباقلاني وهي أن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول لم نجد لها نصاً صريحاً فيما وصل من كتب الباقلاني، ولكن ابن خلدون ذكرها، ثم تناقلها عنه الباحثون، وقد حاول النشار، وتبعه محمد عبد الستار نصار أن يوجدا ما

---

(265) في علم الكلام – الأشاعرة – (ص: 222–223).

(266) دائرة المعارف الإسلامية، للمستشرقين (6/105–106)، ط الشعب.

(267) المصدر السابق (6/107)، وهو من زيادات الطبعة الجديدة لدائرة المعارف الإسلامية.

(268) انظر: معجم أعلام الفكر الإنساني (1/850).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يدعم هذا القول في بعض المقدمات التمهيد (269)، والذي يترجح أنها بنيت على قوله بوجوب المعجزات لثبوت نبوة الأنبياء لأن بطلان المعجزة يؤدي إلى بطلان نبوة الأنبياء، أو أنها بنيت على قوله بالجوهر الفرد وأن بطلانه يؤدي إلى بطلان دليل حدوث الأجسام.

ويتضح من خلال عرض عقيدة وأقوال الباقلاني، وأقوال الباحثين في ذلك أن الباقلاني قد طور المذهب الأشعري من خلال:

1ـ الميل في المناقشات إلى العقل، وضعف الاعتماد على النقل، وإن كان الأمر لم يصل إلى إهماله.

2ـ وضع المقدمات العقلية لمباحث العقيدة وعلم الكلام، مثل مباحث الجوهر والعرض، وأقسام العلوم، والاستدلال، والكلام عن الموجودات وأنواعها.

3. الميل إلى بعض أقوال المعتزلة وخاصة في بعض الصفات، وإذا كان الأشعري أخذ يبعد عن الاعتزال في آخر كتبه، فالباقلاني أعاد المنهج الأشعري ليقرب من أهل الكلام.

4ـ تقعيد بعض القواعد الكلامية، التي أصبحت فيما بعد أصول الأشاعرة مثل القول بالجوهر الفرد، وأن العرض لا يبقى زمانين، وأنه لا يقول بالعرض.

5 . التركيز على مبدأ إنكار العلية والسببية التي جعلها الله في الأشياء. كذلك القول في مسألة المعجزات والفرق بينها وبين السحر والكرامات والحيل.

ابن فورك: ت 406 هـ:

---

(269) انظر: مناهج البحث للنشار (ص: 112- 113)، والمدرسة السلفية (ص: 281-282).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هو محمد بن الحسن بن فورك (270)، أبو بكر الأنصاري، الأصبهاني (271)، ولا يعرف تاريخ ولادته، لكن المعروف عنه أنه أقام أولاً بالعراق ودرس بها مذهب الأشعري على أبي الحسن الباهلي – تلميذ أبي الحسن الأشعري (272)–، ثم ذهب إلى الري فسعب به الكرامية، ثم راسله أهل نيسابور فبنيت له فيها دار ومدرسة، وصار يدرس فيها وتخرج عليه جمهرة كبيرة من الفقهاء (273)، وقد ذكر قصة له في سبب اشتغاله بعلم الكلام (274).

وفي آواخر عمره أنهى إلى السلطان محمود بن سبكتكين أنه يعتقد أن نبينا محمداً ε ليس نبياً اليوم، وأن رسالته انقطعت بموته، وقد امتحن وجرت له مناظرات مع محمود بن سبكتكين، وممن نسب إليه هذا القول ابن حزم حيث قال في الفصل: [حدثت (275)] فرقة مبتدعة تزعم أن محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب ε ليس هو

---

(270) فورك: بضم الفاء وفتح الراء، هكذا ضبطها بان خلكان وصاحب الوافي وغيرهما.

(271) انظر: ترجمته في: تبيين كذب المفتري (ص: 232)، وإنباء الرواة (110/3)، ووفيات الأعيان (272/4)، و سير أعلام النبلاء (214/17)، و العبر (213/2)، و الوافي (344/2)، وطبقات السبكي (127/4)، وطبقات الشافعية للأسنوي (266/2)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (185/1)، وشذرات الذهب (181/3)، والنجوم الزاهرة (240/4)، وتاج التراجم (ص: 62).

(272) انظر: سر أعلام النبلاء (216/17)، وطبقات السبكي (128/4)، وابن قاضي شهبة (185/1).

(273) انظر: السير (215/17)، وطبقات السبكي (128/4)، وتاريخ التراجم لابن قطلوبغا (ص: 62) – ط باكستان –.

(274) انظر: طبقات السبكي (129/4).

(275) في طبعة الفصل الأولى – مع ملل الشهرستاني – (88/1) [حديث] وكذا في الطبعة المحققة (161/1)، ولعل الصواب ما أثبته.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

الآن رسول الله ε ولكنه كان رسول الله، وهذا قول ذهب إليه الأشعرية، وأخبرني سليمان بن خلف الباجي – وهو من مقدميهم اليوم – أن محمد بن الحسن ابن فورك الأصبهاني على هذه المسألة قتله بالسم محمود بن سبكتكين، صاحب ما دون وراء النهر من خراسان – رحمه الله– » (276)، ثم ذكر ابن حزم السبب الذي أدى إلى هذه المقالة (277)، وقد نفى السبكي بشدة نسبة هذه المقالة وشنع على ابن حزم والذهبي بسببها، وقال إن ابن فورك لما سأله ابن سبكتكين كذب الناقل، وإن السلطان عندما وضح له الأمر أمر بإعزازه وإكرامه، فلما أيست الكرامية دست له السم (278)، وقول ابن حزم سبق نقله قريباً وقد نسبه إلى الباجي، أما الذهبي فقال: « ونقل أبو الوليد الباجي أن السلطان محموداً سأله عن رسول الله ε فقال: كان رسول الله، وأما اليوم فلا، فأمر بقتله بالسم » (279)، وهذه المسألة من المسائل التي كانت سبباً في محنة الأشعرية زمن القشيري والجويني، وقد رد القشيري نسبتها إلى الأشعرية وبين بطلان نسبتها إليهم (280).

والذي يظهر أنه قد وقعت بين ابن فورك وابن سبكتكين مناظرات في موضوعات متعددة ولذلك ذكر ابن رجب مناظرة بينهما حول العلو، فروى في أثناء ترجمته لأبي الحسن العكبري أنه قال: « سمعت أبا مسعود أحمد بن محمد البجلي الحافظ قال: دخل ابن فورك على السلطان محمود، فتناظرا، قال ابن فورك لمحمود، لا يجوز أن تصف الله بالفوقية، لأنه يلزمك أن تصفه بالتحتية، لأنه من جاز أن يكون له فوق

---

(276) الفصل (161/1) – المحققة –.

(277) انظر: المصدر السابق (162/1).

(278) انظر: طبقات السبكي (130/4–133).

(279) سير أعلام النبلاء (216/17).

(280) انظر: رسالة شكاية أهل السنة للقشيري (ص: 10–28)، ضمن «رسائل القشيرية» وهو في طبقات السبكي (40/3–413).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جاز أن يكون له تحت. فقال محمود: ليس أنا وصفته بالفوقية، فتلزمني أن أصفه بالتحتية، وإنما هو وصف نفسه بذلك، قال: فبهت» (281).

ومن أبرز شيوخ ابن فورك إضافة إلى أبي الحسن الباهلي: عبد الله بن جعفر الأصبهاني الذي سمع منه مسند أبي داود الطيالسي، وابن خرزاد الأهوازي.

أما أبرز تلاميذه الذين رووا عنه فالبيهقي، والقشيري، وأبو بكر أحمد ابن علي بن خلف (282).

أما مصنفاته فقد ذكر مترجموه أنها قريب من المئة (283)، وقد ذكر سزكين ما وصل إليه منها، وهي باختصار:

1. مشكل الحديث وبيانه، وقد ذكر أن له أسماء كثيرة، وهو مطبوع.
2. كتاب الحدود في الأصول، وذكر أنه طبع في بيروت سنة 1324هـ.
3. النظامي في أصول الدين.
4. رسالة في علم التوحيد.
5. تفسير القرآن.
6. الإبانة عن طرق القاصدين والكشف عن مناهج السالكين، والتوفر إلى عبادة رب العالمين.
7. مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري، وقد طبع أخيراً في بيروت.
8. شرح كتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة.
9. انتقاء من أحاديث أبي مسلم محمد بن أحمد بن علي الكاتب البغدادي المتوفى سنة 399هـ (284).

---

(281) الذيل على طبقات الحنابلة (12/1).

(282) انظر: السير (215/17)، وطبقات السبكي (129/4).

(283) انظر: التبيين (ص: 233).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

توفي ابن فورك سنة 406هـ.

منهج ابن فورك ودوره في تطور المذهب الأشعري:

يعتبر ابن فورك من المعاصرين للباقلاني المتوفى سنة 403هـ، وكلاهما تتلمذ على يد أبي الحسن الباهلي، تلميذ أبي الحسن الأشعري، ولكن شيوخ الباقلاني في مسائل الكلام أكثر، كما أن عناية ابن فورك بالحديث أكثر، ويكفي أن أحد تلامذته الإمام البيهقي.

وإذا كان قد مضى تفصيل مذهب وأقوال الباقلاني، فسيقتصر البحث هنا في عقيدة ومنهج ابن فورك على عرض مقارنة بينه وبين الباقلاني، إذ هما يمثلان مرحلة واحدة في مسيرة مذهب الأشاعرة.

فمن المسائل التي يوافق فيها ابن فورك الباقلاني:

1ـ الاستدلال بدليل حدوث الأجسام المسمى دليل الأعراض، وهو دليل المتكلمين المشهور، وقد أشار إليه ابن فورك عرضاً في كتابه مشكل الحديث فقال: « إن الخلق عرفوا الله سبحانه وتعالى بدلالاته المنصوبة، وآياته التي ركبها في الصور، وهي الأعراض الدالة على حدوث الأجسام، واقتضائها محدثاً لها من حيث كانا محدثين» (285).

---

(284) انظر: تاريخ التراث لسزكين مجلد 1جـ 4 (ص: 52-54) – ط جامعة الإمام –
.

(285) مشكل الحديث وبيانه (ص: 43) – ت موسى محمد علي – المكتبة العصرية ، بيروت.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

2ـ نفي الصفات الاختيارية القائمة بالله تعالى، وهي المسألة المسماة بحلول الحوادث، وقد جاءت الإشارة إلى هذه المسألة عند ابن فورك في عدة مواضع (286).

3ـ يثبت ابن فورك من الصفات الخبرية: الوجه (287)، واليدين (288)، والعين (289)، ويمنع من تأويلها، وينفي عنها أن تكون جارحة أو دالة على تجسيم أو أجزاء، وهذا ما يقوله الباقلاني – إلا أننا نرى ابن فورك يتأول ما عدا هذه الصفات الخبرية، فيتأول ما ورد من اليد (290)، ويمين الرحمن (291)، والكف (292)، والقبضة (293)، والقدم (294)، والأصابع (295)، والساق (296)، ولم يجعلها مع اليدين والوجه والعين نسقاً واحداً في الإثبات مع عدم التمثيل، بل أوّل هذه ومنع تأويل تلك، وكأن ابن فورك شعر بالتناقض هنا فأورد سؤالاً وأجاب عليه حيث قال بعد إثباته صفة الوجه لله تعالى، ورده على المعتزلة الذين يتأولونه بأن معناه: أنه هو، وإن وجه الشيء قد يكون نفسه – قال: « فإن قال قائل: فإنه لا يعقل وجه، الجارحة أو بعض

---

(286) انظر: المصدر السابق (ص: 68، 100، 133، 143، 193، 194، 230).
(287) انظر: المصدر نفسه (ص: 171، 204).
(288) انظر: المصدر نفسه (ص: 53، 157، 179، 183، 206).
(289) انظر: المصدر نفسه (ص: 206، 123، 203، 205).
(290) انظر: مشكل الحديث (ص: 207).
(291) انظر: المصدر نفسه (ص: 209).
(292) انظر: المصدر نفسه (ص: 40).
(293) انظر المصدر نفسه (ص: 49).
(294) انظر المصدر نفسه (ص: 62-63).
(295) انظر، المصدر نفسه (ص: 116-118).
(296) انظر: المصدر نفسه (ص: 167-210).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

(297)، أو نفس الشيء؟ قيل: في هذا جوابان: أحدهما: أنه إثبات وجه بخلاف معقول الشاهد، كما أن إثبات من أضيف إليه الوجه إثبات موجود بخلاف معقول الشاهد، والثاني: أن الوجه على الحقيقة لا يكون نفس الشيء، لما بينا أن ذلك لا يوجد في اللغة حقيقة أيضاً، وأما إطلاق البعض على الوجه الذي هو جارحة فتوسع عندنا، وإن كان حقيقة أيضاً... واعلم أن أحد أصولنا في هذا الباب أنه كلما أطلق على الله عزوجل من هذه الأوصاف والأسماء التي قد تجرى على الجوارح فينا، فإنما يجري ذلك في وصفة على طريق الصفة، إذا لم يكن وجه آخر يحمل عليه، مما يسوغ فيه التأويل، وذلك لصحة قيام الصفة بذاته، فإن قيامها مما لا يقتضي انتقاض توحيده وخروجه عما يستحقه من القدم والإلهية، فأما وصفه بذلك على الحد الذي يتوهمه المشبه الممثلة لربها بالخلق في إثبات الجوارح والآلات، فخلاف الدين والتوحيد، وحملها على ما ذهبت إليه المعتزلة فيه إبطال فائدتها، وإخراجها عن كونها معقولة مفيدة على وجه الحق...» (298)، ثم يورد سؤالاً آخر فيقول: « فإن قيل: فلم لا تقولون على هذا الوصف: « قدم » صفة و « صورة » صفة، لأن الإضافة قد حصلت في الخبر إليه على هذا الوجه؟ فقيل: « على صورته » وقيل: « قدمه » ؟ قيل: إنما لم يحمل ذلك على الصفة لامتناع المعنى فيه، وإن الصفة ليست مما يوصف بالوضع في الأماكن، وقد وجدنا لذلك تأويلاً صحيحاً قريباً، يمنع هذه الشبهة، وهو ما ذكرنا قبل أن قدم المتجبر على الله عزوجل، بضعها على النار على استحقاق العقوبة على عتوه على الله.. و إنما حملنا ما أطلق من ذكر الوجه واليدين والعين على الصفة من حيث لم يوجد في واحد منها ما يستحيل ويمتنع، وليس كل ما أضيف إليه فهو عن طريق الصفة، بل ذلك ينقسم على أقسام: منها بمعنى الملك، ومنها

---

(297) كذا ولعل الصواب: فإنه لا يعقل وجه إلا جارحة أو بعض..

(298) مشكل الحديث (ص: 172).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بمعنى الفعل، ومنها بمعنى الصفة، وإنما يكشف الدليل، ويميز القرائن مواقعها على حسب ما بينا ورتبنا، فاعلمه إن شاء الله» (299)، وواضح من منهجه هذا أن الصفة إذا كان لها وجه آخر تحمل عليه وجب حملها، بحيث لا تكون صفة لله تعالى، ومن تأمل تأويلاته لبعض الصفات الخبرية لا يجد بينها وبين تأويلات مخالفي ابن فورك لصفة اليدين والوجه والعين كبير فرق.

4ـ يؤول ابن فورك صفات النزول (300)، والإتيان (301)، والمجيء (302)، والضحك (303)، والعجب (304)، والغضب (305)، والفرح (306)، وغيرها، وهذا ما نجده مماثلاً له عند الباقلاني، وهذا كله بناءً على أصلهما الذي هو أصل الأشاعرة وهونفي ما يقوم بالله من الصفات الاختيارية.

5ـ يثبت صفة الكلام على مذهب الأشاعرة، ويشرح بعض الأمور المتعلقة به، فيقول: « فأما كلام الله الذي هو صفة من صفات ذاته، غير بائن منه: فكلام واحد، شيء واحد، يفهم منه ويسمع ملا يحصى ولا يعد من الفوائد والمعاني، ونظير ذلك ما نقول: إن علمه واحد، ولكنه يحيط بمعلومات لا تتناهى، والذي تقع عليه الكثرة والقلة

---

(299) انظر: المصدر السابق (ص: 173).
(300) انظر: المصدر نفسه (ص: 99، 101، 191، 222، 224).
(301) انظر: المصدر نفسه (ص: 43، 102).
(302) انظر: المصدر نفسه (ص: 102، 124).
(303) انظر: المصدر نفسه (ص: 67، 200، 222، 225، 226).
(304) مشكل الحديث (ص: 95).
(305) انظر: المصدر السابق (ص: 229)، وفي تأويل الغضب والرحمة (ص: 112، 179).
(306) انظر: المصدر نفسه (ص: 212).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

من المعلومات دون العلم...» (307)، وما نسمعه من كلام الله هو عبارة عنه، وكلام الله ليس بحرف ولا صوت، يقول: « اعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت عندنا، وإنما العبارات عنه تارة تكون بالصوت والعبارات هي الدالة عليه، وأمارات له تظهر للخلق، ويسمعون عنها كلام الله فيفهمون المراد، فيكون ما سمع موسى عليه السلام من الأصوات مما سمع يسمى كلام الله عزوجل، ويكون ذلك في نفسه غير الكلام، ويحتمل أن يكون معناه: أن يسمي العبارة كلام الله، كما يسمي الدلالة على الشيء باسمه، وكما يسمي الواقع عن القدرة قدرة، والكائن عن الرحمة رحمة » (308)، ويقول في موضع آخر" « وقد بينا فيما قبل أن معنى ذلك راجع إلى العبارات والدلالات، التي هي الطريق إلى الكلام وبها يفهم مراده منه، لا أنه تعالى قوله إذا تكلم الله بالوحي، أنه يتجدد له كلام، ولكنه يتجدد إسماع وإفهام بخلق عبارات ونصب دلالات، بها يفهم الكلام، ثم يقال على طريق السعة والمجاز لهذه العبارات كلام من حيث أنها دلالات عليه... واعلم أنه لا يصح على أصلنا في قولنا: إن كلام الله غير مخلوق ولا حادث بوجه أن يقول: إن الله يتكلم كلاماً بعد كلام، لأن ذلك يوجب حدوث الكلام، وإنما يتجدد الإسماع والإفهام، ونصب العبارات وإقامة الدلالات على الكلام الذي لم يزل موجوداً وحدوث الدلالة والعبارة لا يقتضي حدوث المدلول المعبر عنه، كما أن حدوث الذكر والدعاء لا يقتضي حدوث المذكور والمدعو» (309).

هذه بعض المسائل التي اتفق فيها الباقلاني وابن فورك، على أن ابن فورك تميز عن الباقلاني بما يلي:

---

(307) انظر: المصدر نفسه (ص: 212).
(308) انظر: المصدر نفسه (ص: 169).
(309) مشكل الحديث (ص: 193-194).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

1. الاستدلال بالسنة في دقائق مسائل الأسماء والصفات، مع أن له رأياً في أخبار الآحاد وأنها لا تفيد اليقين والعلم، لكنه يرى جواز ذكرها لإفادتها غلبة الظن، فهي من باب الجائز الممكن، يقول: « وأما ما كان من نوع الآحاد مما صحت الحجة به من طريق وثاقة النقلة، وعدالة الرواة، واتصال نقلهم، فإن ذلك – وإن لم يوجب العلم والقطع – فإنه يقتضي غالب ظن وتجويز حكم، حتى يصح أن يحكم أنه من باب الجائز الممكن، دون المستحيل الممتنع» 310، والسبيل الأمثل فيها تخريجها وتأويلها، وليس إنكارها كما فعلت المعتزلة، ولا اعتقاد التشبيه بها كما فعلت المشبهة (311).

والمطلع على كتاب ابن فورك في مشكل الحديث يلحظ أمرين عجيبين:

أحدهما: البحث عن أوجه التأويل لكل حديث، والتكلف في ذلك، وهو يعتقد أن هذه مهمة طائفة من أهل الحديث، فقد قسمهم إلى فرقتين: فرقة هم أهل النقلة والرواية، وحصر أسانيدها، وتمييز صحيحها من سقيمها، وفرقة منهم يغلب عليهم تحقيق طرق النظر والمقاييس، والإبانة عن ترتيب الفروع على الأصول ونفي شبه الملبسين عنها، فالفرقة الأولى للدين كالخزنة للملك والفرقة الأخرى كالحرس الذين يذبون عن خزائن الملك (312)، وواضح أن ابن فورك في كتابه جعل مهمته هدف الفرقة الثانية، ولذلك ذكر فيه ما يراه من مشكل الحديث.

والأمر الآخر: خلطه فيما يورده بين الأحاديث الصحيحة، والضعيفة والموضوعة، حيث جعلها نسقاً واحداً في الدلالة وضرورة التأويل، وإذا أشار إلى ضعف بعض الروايات لا يكتفي بذلك في ردها وبيان عدم الحاجة إلى بحث ما دلت عليه من

---

(310) المصدر السابق: (ص: 22).

(311) انظر: المصدر نفسه (ص: 235–236).

(312) انظر: مشكل الحديث (ص: 17–18).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الصفة لله تعالى، وإنما يشير إلى ضعفها – إن أشار – بكلمات ثم يجلب بخيله ورجله في تأويلها (313).

ومن الأمثلة على ذلك – وهي كثيرة – تأويله لرواية «الحجر الأسود يمين الله في أرضه، يصافح بها من شاء من خلقه» (314)، فإنه قال – دون أن يتعرض لإسناده،

---

(313)نظر: كأمثلة على ذلك مشكل الحديث (الصفحات: 59، 64، 69، 83، 103، 108، 141، 163، 168، 169).

(314) هذا الحديث روي مرفوعاً وموقوفاً، فرواه – عن عبد الله بن عمرو – : الحاكم في المستدرك (457/1)، بلفظ، يأتي الركن يوم القيامة.. وهو يمين الله التي يصافح بها خلقه »، والطبراني في الأوسط (337/1)، ورقمه (567)، وابن خزيمة في صحيحه (221/4) ورقمه (2737)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (85/2)، وصحيحه الحاكم وتعقبه الذهبي بأن في إسناده عبد الله ابن المؤمل وهو ضعيف، كما رواه عن جابر مرفوعاً: الخطيب في تاريخ بغداد (328/6)، وابن عدي في الكامل (336/1)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (84/2)، وفي إسناده إسحاق بن بشر الكاهلي قال عنه ابن عدي في الكامل: هو في عداد من بضع الحديث، كما رواه عن أنس بن مالك مرفوعاً: الديلمي في الفردوس (258/2)، بلفظين، وفي إسناده على بني عمر العسكري ضعيف، والعلاء بن سلمة الرواس متهم بالوضع، انظر: فيض القدير (310/3)، كما رواه موقوفاً على ابن عباس – عبد الرزاق في المصنف (39/5)، ورقمه (8919–8920)، وابن قتيبة في غريب الحديث (337/2)، والأزرقي في أخبار مكة من طرق (323/1، 324، 326)، ومحمد ابن يحيى العدني المعروف بمحمد بن أبي عمر – كما في المطالب العالية – (339/1) ورقمه (1147)، وفي الحاشية (340/1)، « في المسندة هذا موقوف جيد ، وقال البوصيري: رواه ابن أبي عمر موقوفاً بإسناد صحيح»، كما روى موقوفاً على عكرمة، رواه الأزرقي في أخبار مكة (325/1)، ومما سبق يتبين أن المرفوع ضعيف، وأن الصحيح وقفه على ابن عباس، وممن صحح وقفه العجلوني في كشف الخفا (349/1)، وقال في تمييز الطيب من الخبيث (ص: 68)، « قال شيخنا هو موقوف صحيح» ، كما أشار ابن تيمية في مجموع الفتاوى (397/6)، وفي التدمرية (ص: 72)، أن المشهور فيه أنه عن ابن عباس وانظر: حول هذا

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

وهل هو مرفوع أو موقوف – : « وقد تأول أهل العلم ذلك على وجهين من التأويل: أحدهما: أن المراد بذلك الحجر أنه من نعم الله على عباده، بأن جعله سبباً يثابون على التقرب إلى الله تعالى بمصافحته، فيؤجرون على ذلك، وقد بينا أن العرب تعبر عن النعم باليمين واليد.. وزعم بعضهم: أن هذا تمثيل وأصله أن الملك إذا صافح رجلاً، قبل الرجل يده، فكان الحجر لله تعالى بمنزلة اليمين للملك ليستلم ويلثم، وقد روى في الخبر أن الله عزوجل لما أوجده أخذ الميثاق من بني آدم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم؟ قالوا: بلى، جعل ذلك في الحجر الأسود، فلذلك يقال عنده: إيماناً بك ووفاءً بعهدك (315).

ويحتمل وجهاً آخر: وهو أن يكون قوله « الحجر يمين الله في أرضه، إنما إضافة إليه على طريق التعظيم للحجر، وهو فعل من أفعال الله عزوجل سماه يميناً، ونَسَبهُ إلى نفسه وأمر الناس باستلامه ومصافحته، ليظهر طاعتهم بالإئتمار وتقربهم إلى الله عزوجل، فيحصل لهم بذلك البركة والسعدة» (316). ولو أن ابن فورك بين درجته

الحديث أيضاً إحياء علوم الدين (103/1)، مع تخريج العراقي، وشرحه إتحاف السادة (79/2–80)، والسراج المنير للعزيزي (236/2–237)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم (223)، وكنز العمال (215/12، 217).

ملحوظة: وقع في الترغيب والترهيب (194/2) – ت مصطفى عمارة – و (314/2)، ت الهراس رواية عبد الله بن عمرو بلفظ « يأتي الركن اليماني ..» والذي في مصادر الحديث – التي أشرنا إليها – وأيضاً في مسند الإمام أحمد (211/2)، حيث روى أول الحديث دون المصافحة ، مجيء الرواية بلفظ « يأتي الركن» ، فقط، ولذلك بوبوا له بالحجر الأسود، فلعل ما في الترغيب والترهيب وهم من المنذري أو من النساخ، والله أعلم.

(315) وردت في ذلك رواية ضعيفة عن عمر – رضي الله عنه – رواها الحاكم في المستدرك (457/1)، والأزرقي في تاريخ مكة (323/1–324).

(316) مشكل الحديث (ص: 57–58).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وضعفه – أو ضعف المرفوع منه – ثم بين وضوح دلالته وأن نص الحديث يدل على أن الحجر ليس يمين الله حقيقة والتي هي صفته القائمة به لأنه قال: « في الأرض »، لما احتاج إلى هذه التأويلات.

وأحياناً يستعين ببعض الروايات الشاذة أو الضعيفة، فمثلاً حين أوّلَ أحاديث النزول بعدة تأويلات قال: « وقد روى لنا بعض أهل النقل هذا الخبر عن النبي ε بما يؤيد هذا الباب، وهو بضم الياء من « ينزل » وذكر أنه قد ضبطه عمن سمعه عنه من الثقات الضابطين» (317)، والروايات المتواترة جاءت بما هو مشهور، فكيف تمسك بهذه الرواية الشاذة، والمجهول رواتها؟ وفي تأويله للإتيان في قوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ) (البقرة:210) ، ذكر رواية عن مجاهد أنه قال: يأتيهم بوعده ووعيده (318). مع أن المأثور عن مجاهد عكس هذا.

2ـ وابن فورك يؤول الاستواء والعلو، خلافاً للباقلاني الذي يثبتهما، وقد سبق نقل كلامه في ذلك، ولأهمية قول ابن فورك في هذه المسألة في تتبع تطور المذهب الأشعري نعرض لأقواله فيها، يقول عن الاستواء في معرض رده على ابن خزيمة في كتابه التوحيد: « ثم ذكر صاحب التصنيف بابا ترجمه باستوائه على العرش، وأوهم معنى التمكين والاستقرار، وذلك منه خطأ، لأن استواءه على العرش سبحانه ليس على معنى التمكين والاستقرار، بل هو في معنى العلو بالقهر والتدبير، وارتفاع الدرجة

---

(317) مشكل الحديث (ص: 100).

(318) المصدر نفسه (ص: 103)، وقد بحثت عن هذه الرواية فلم أجدها في كتب التفسير ومنها تفسير مجاهد، والطبري، والسيوطي، وابن كثير، والقرطبي، وابن الجوزي، والخازن، والبغوي، والألوسي، والبسيط للواحدي (مخطوط) وتفسير الثعلبي (مخطوط) وغيرها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بالصفة على الوجه الذي يقتضي مباينة الخلق» (319)، وفي موضع آخر حين رد على أحمد بن إسحاق الصبغي – صاحب ابن خزيمة – أحال على تأويله للاستواء فيما سبق – والذي نقلناه قبل قليل – .

أما العلو: فله في تأويله أقوال كثيرة:

أ . يقول في حديث الجارية حين قال لها رسول الله ε: أين الله؟ قالت في السماء، قال: أعتقها فإنها مؤمنة (320)، يقول ابن فورك: « إن ظاهر اللغة تدل من لفظه أين أنها موضوعة للسؤال عن المكان، ويستخبر بها عن مكان المسؤول عنه بأين.. غير أنهم قد استعملوها عن مكان المسؤول عنه في غير هذا المعنى توسعاً أيضاً تشبيهاً بما وضع له، وذلك أنهم يقولون – عند استعلام منزلة المستعلم عند من يستعمله –: أين منزلة فلان منك، وابن فلان من الأمير، واستعملوه في استعلام الفرق بين الرتبتين بأن يقولوا: أين فلان من فلان، وليس يريدون المكان والمحل من طريق التجاوز في البقاع، بل يريدون الاستفهام عن الرتبة والمنزلة، وكذلك يقولون: لفلان عند فلان مكان ومنزلة، ومكان فلان في قلب فلان حسن، ويريدون بذلك المرتبة والدرجة في التقريب والتبعيد، والإكرام والإهانة، فإذا كان ذلك مشهوراً في اللغة احتمل أن يقال: إن معنى قوله ε : أين الله؟ استعلام لمنزلته وقدره عندها وفي قلبها، وأشارت إلى السماء، ودلت بإشارتها على أنه في السماء عندها على قول القائل – إذا أراد أن يخبر عن رفعة وعلو منزلة – : فلان في السماء، أي هو رفيع الشأن، عظيم المقدار، كذلك قولها في السماء على طريقة الإشارة إليها، تنبيهاً عن محله في قلبها ومعرفتها به وإنما أشارت إلى السماء لأنها كانت خرساء، فدلت بإشارتها على مثل دلالة

---

(319) مشكل الحديث (ص: 186).

(320) رواه مسلم – في آخر قصة – كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ورقمه (537).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

العبارة، على نحو هذا المعنى، وإذا كان كذلك لم يجز أن يحمل على غيره مما يقتضي الحد والتشبيه والتمكين في المكان والتكييف » (321)، وبعد أن يقرر ابن فورك مذهبه هذا وتأويله – العجيب – لهذا الحديث، يذكر قولاً آخر لبعض الأشاعرة فيقول: « ومن أصحابنا من قال: إن القائل إذا قال: إن الله في السماء، ويريد بذلك أنه فوقها من طريق الصفة، لا من طريق الجهة، على نحو قوله سبحانه (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (الملك:17)، لم ينكر ذلك » (322)، وقد يكون قصد ببعض أصحابه: الباقلاني، الذي صرح بنفي الجهة – وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

ب . قال في معرض رده على المعتزلة الذين يذهبون إلى أن الله في كل مكان، وبيانه أن المسلمين يطلقون أن الله فوق خلقه، وأن «في» في قوله تعالى: (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) بمعنى «على» غير أنه يعقب قائلاً: «واعلم أنا إذا قلنا: إن الله عزوجل فوق ما خلق، لم يرجع به إلى فوقية المكان، والاتفاع على الأمكنة بالمسافة، والإشراف عليها بالممارسة منها، بل قولنا إنه فوقها يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه يراد به أنه قاهر لها، مسؤول عليها، إثباتاً لإحاطة قدرته بها، وشمول قهره لها، وكونها تحت تدبيره، جارية على حسب علمه ومشيئته.

والوجه الثاني: أن يراد أنه فوقها على معنى أنه مباين لها بالصفة والنعت، وأن ما يجوز على المحدثات من العيب والنقص والعجز والآفة والحاجة، لا يصح شيء من ذلك عليه، ولا يجوز وصفه به، وهذا أيضاً متعارف في اللغة أن يقال: فلان فوق فلان، ويراد بذلك رفعة المرتبة والمنزلة، والله عزوجل فوق خلقه على الوجهين جميعاً .»

---

(321) مشكل الحديث (ص: 76)، ويلحظ أن رواية أنها أشارت بيدها إلى السماء رواية ضعيفة.

(322) المصدر السابق (ص: 76–77).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وإنما يمتنع الوجه الثالث: وهو أن يكون على معنى التحيز في جهة الاختصاص ببقعة دون بقعة، وإذا قلنا: إنه فوق الأشياء على هذا الوجه قلنا أيضاً في تأويل إطلاق القول بأنه فيها على مثل هذا المعنى» (323).

جـ . ويقول في رده على ابن خزيمة: « واعلم أنه ليس ينكر قول من قال: إن الله في السماء، لأجل أن لفظ الكتاب قد ورد به وهو قوله: (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (الملك: 16)، ومعنى ذلك: أنه فوق السماء لا على معنى فوقية المتمكن في المكان، لأن ذلك صفة الجسم المحدود المحدث، ولكن بمعنى ما وصف به أنه فوق من طريق الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة، ثم ذكر هذا القائل [ابن خزيمة] في ذلك قوله عزوجل: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (فاطر:10)، وقوله: (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)(النساء:158) وهذا منه غلط، من قبل [أن] صعود الكلم الطيب إليه على معنى صعود من سفل إلى علو، لاستحالة ذلك في الكلام لكونه عرضاً لا يبقى، وكذلك العمل الصالح وإنما معنى صعود الكلام إليه قبوله، ووقوعه منه موضع الجزاء والثواب، وقوله: (يرفعه) لا على معنى رفع من مكان إلى مكان، ولكن رفع له على معنى أنه قد تقبل، وأن الكلام إذا اقترن به العمل الصالح قُبلاً دون أن ينفرد الكلام من العمل. وأما قوله تعالى في قصة عيسى (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)، فمعناه: رفعه إلى الموضع الذي لا يعبد فيه إلا الله، ولا يذكر فيه غيره، لا على معنى أنه ارتفاع إليه كما يرتفع الجسم من سفل إلى جسم في علو، بأن تقرب منه بالمسافة والمساحة» (324).

د . ويشير في مواضع أخرى إلى تأويله للعلو والفوقية (325).

---

(323) مشكل الحديث (ص: 84).

(324) مشكل الحديث (ص: 188).

(325) انظر: المصدر نفسه (ص: 178-216، 218).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هذا في كتابه الذي وصل إلينا كاملاً، وقد ذكر شيخ الإسلام – نقلاً عن كتابه في أصول الدين – ما يدل على إثبات العلو والاستواء، وأنه قال فيه: «وإن سألت أين هو فجوابنا: أنه في السماء كما أخبر في التنزيل عن نفسه بذلك فقال – عز من قائل – (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)(الملك:16)، وإشارة المسلمين بأيديهم عند الدعاء في رفعها إليه، وإنك لو سألت صغيرهم وكبيرهم فقلت: أين الله؟ لقالوا: إنه في السماء ولم ينكروا لفظ السؤال بأين، لأن النبي – ε – سأل الجارية التي عرضت للعتق فقال: أين الله؟ فقالت: في السماء: مشيرة بها، فقال النبي –ε – اعتقها فإنها مؤمنة، ولو كان ذلك قولاً منكراً لم يحكم بإيمانها ولأنكره عليها، ومعنى ذلك أنه فوق السماء، لأن في معنى فوق، قال الله تعالى: (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ)(التوبة:2) أي فوقها (326)، وقال عن الاستواء« فإن قال: فعلى ما هو اليوم؟ قيل له: مستو على العرش كما قال سبحانه: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:5) (327).

قال ابن تيمية معلقاً: « فيشبه – والله أعلم – أن يكون اجتهاده مختلفاً في هذه المسائل كما اختلف اجتهاد غيره، فأبو المعالي كان يقول بالتأويل ثم حرمه، وحكى إجماع السلف على تحريمه...» (328).

* * *

ومما سبق يمكن تلخيص دور ابن فورك في تطور المذهب الأشعري بما يلي:

1ـ العناية بالحديث والاهتمام به، مع البقاء على منهج وطريقة أهل الكلام وتأويلاتهم، وبذلك خف الحاجز الذي كان يفصل بين أهل السنة من أهل الحديث الذين يثبتون ما دلت عليه النصوص، وأهل الكلام الذين كانوا بعيدين عن الاهتمام

---

(326) أصول الدين لابن فورك – عن مجموع الفتاوي – (90/16).

(327) المصدر السابق (ص: 93/16).

(328) مجموع الفتاوي (91/16).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بعلم الحديث رواية ودراية، وهذا المنهج الذي سلكه ابن فورك هو ما سنجده بشكل أقوى وأوضح عند البيهقي.

2. الغلو في التأويل، وكأنه صار هو الأصل، والإثبات هو القليل.

3. تأويل صفة الاستواء والعلو، وهذا تطور خطير وكبير في المذهب الأشعري، وإن كان – كغيره من الأشاعرة – قد أثر عنه المنع من تأويلها.

عبد القاهر البغدادي – ت 429هـ

هو عبد بن طاهر بن عبد الله، أبو منصور البغدادي، التميمي (329)، لم يحدد تاريخ ولادته، لكن المعروف عنه أنه ولد في بغداد ونشأ بها، ثم رحل مع أبيه إلى نيسابور، حيث تتلمذ على يد أبي إسحاق الإسفراييني، وكان من أبرز شيوخه، ومنهم أيضاً، إسماعيل بن نجيد، وأبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، وأبو بكر الإسماعيلي، وأبو أحمد بن عدي وغيرهم (330).

وقد مدحه العلماء – خاصة علماء الأشاعرة – كابن عساكر (331) والرازي والسبكي (332)، وقال فيه شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني: « كان من أئمة الأصول، وصدور الإسلام، بإجماع أهل الفضل والتحصيل، بديع الترتيب، غريب

---

(329) انظر ترجمته في: تبيين كذب المفتري (ص: 253)، ووفيات الأعيان (203/3)، وفوات الوفيات (370/2)، وأنباء الرواة (185/2)، وطبقات السبكي (136/5)، وطبقات الإسنوي (194/1)، وابن قاضي شبهة (213/1)، وسير أعلام النبلاء (572/17)، وبغية الوعاة (105/2)، ومقدمة تحقيق كتاب الناسخ والمنسوخ له (ص: 15-23)، ومثلها كتابه التكملة في الحساب (ص: 10)، ومقدمة تحقيق مختصر الفرق بين الفرق للرسعني (ص: 6)، وما بعدها.

(330) انظر: السير (572/17)، والسبكي (137/5).

(331) انظر: التبيين (ص: 253).

(332) انظر: طبقات السبكي (136/5، 138).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

التأليف والتهذيب، تراه الجلة صدراً مقدماً، وتدعوه الأئمة إماماً مُفخّماً، ومن خراب نيسابور اضطرار مثله إلى مفارقتها» (333)، قال السبكي « قلت: فارق نيسابور بسبب فتنة وقعت بها من التركمان» (334)، وكان استقراره آخر أمره في إسفراين حيث لم يبق فيها إلا يسيرا، فمات بها سنة 429هـ ودفن بجانب شيخه أبي إسحاق الإسفراييني.

ومن أبرز تلاميذ البغدادي: القشيري، والبيهقي، وناصر بن الحسين المروزي المتوفى سنة 444هـ، وعبد الغفار بن محمد النيسابوري المتوفى سنة 510هـ وعمره 96سنة (335)، ومنهم أيضاً صهره، أبو المظفر الإسفراييني المتوفى سنة 471هـ، صاحب التبصير بالدين، الذي قلد فيه شيخه (336).

أما أهم آثاره فهي:

1ـ الملل والنحل، وهو كتاب مختصر ألفه قبل « الفرق بين الفرق»، وميزته أنه توسع كثيراً في شرح مقالة المعتزلة (337)، إضافة إلى كلامه عن بقية الفرق قال

---

(333) المصدر السابق (137/5)، وهذه الفتنة هي فتنة الغز – وهم من التركمان – انظر أحداثها في: الكامل (457/9) أحداث سنة 429هـ، وانظر: طبقات الأسنوي (195/1) –الحاشية –.

(4) المصدر السابق (137/5)، وهذه الفتنة هي فتنة الغز – وهم من التركمان – انظر أحداثها في: الكامل (457/9) أحداث سنة 429هـ، وانظر: طبقات الأسنوي (195/1) – الحاشية –.

(335) انظر: السير (572/17)، والسبكي (137/5).

(336) انظر: التبصير بالدين (ص: 10–11)، من المقدمة ، و (ص: 175)، من الكتاب.

(337) انظر: الملل والنحل للبغدادي (ص: 82)، وما بعدها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

عنه السبكي: « مختصر ليس في هذا النوع مثله »(338)، وقد طبع بتحقيق ألبير نصري نادر – ط دار المشرق – بيروت سنة 1986م.

2. الفرق بين الفرق، وهو مشهور، طبع عدة مرات.

3. أصول الدين، مطبوع أيضاً.

4ـ الناسخ والمنسوخ، حقق رسالة للماجستير من جامعة أم القرى، تحقيق حلمي كامل أسعد عبد الهادي – وطبعته دار العدوي بعمان – الأردن سنة 1407هـ.

5ـ التكملة في الحساب، وهو من أشهر كتبه حتى قال فيه الرازي «لو لم يكن له إلا كتاب التكملة في الحساب لكفاه » (339)، وقد طبع في الكويت سنة 1406هـ، ضمن منشورات معهد المخطوطات العربية، تحقيق: أحمد سليم سعيدان.

6. رسالة في المساحة، طبعت في ذيل الكتاب السابق.

7ـ تأويل متشابه الأخبار، ذكره السبكي وابن شاكر الكتبي، والزركلي (340)، وذكر محقق كتاب الناسخ والمنسوخ أن له نسخة خطية في جامعة عليكرة الإسلامية بالهند (341)، وبما أن هذا الكتاب موجود فهو ذو أهمية كبيرة لمعرفة منهج البغدادي، خاصة في الصفات، ومع ذلك فكتابه «أصول الدين» جمع فيه ما يتعلق بجميع مسائل أصول الدين.

---

(338) الطبقات (140/5).

(339) طبقات السبكي (138/5).

(340) انظر: طبقات السبكي (140/5)، وفوات الوفيات (372/2)، والأعلام (48/4) – ط السادسة –.

(341) انظر: مقدمة تحقيق الناسخ والمنسوخ (ص: 21)، وقد أحال على بروكلمان – الملحق (666/1) –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وهناك مؤلفات أخرى ذكرها مترجموه، ومنها تفسير أسماء الله الحسنى، أشار الزركلي إلى أنه مخطوط (342).

منهج البغدادي ودوره في تطور المذهب الأشعري:

البغدادي أحد أعلام الأشاعرة في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس حيث كانت وفاته سنة 429هـ، وهو يمثل تقريباً مرحلة كل من الباقلاني – ت 403هـ– وابن فورك – ت 406هـ– وإن تأخر عنهما قليلاً، لكنه مثلاً يلتقي مع ابن فورك بكونهما شيخين للبيهقي، كما أنه يذكره في كتابه أصول الدين (343)، ويذكر الباقلاني أيضاً، ويصفه بقوله: « قال قاضينا » (344)، كما أن البغدادي ذكر أنه أدرك أبا عبد الله بن مجاهد، تلميذ أبي الحسن الأشعري (345).

والبغدادي يميزه كتبه خاصة «أصول الدين» إنه ينقل أقوال أصحابه من الكلابية والأشعرية، ويذكر الخلاف بينهم إن وجد، لذلك فقد يتبادر إلى الناظر أنه مقلد للأشاعرة، وممن رأى هذا الرأي عبد الرحمن بدوي الذي قال: « لقد كان عبد القاهر البغدادي – بحسب ما لدينا من مؤلفاته – عارضاً لآراء الأشاعرة أكثر من مفكراً أصيلاً، ذا آراء انفرد بها، أو براهين جديدة ساقها» (346)، وهذا الكلام فيه شيء من الحق لكن البغدادي – كما سيأتي – له ترجيحات خاصة تعتبر بمثابة منعطف في تطور المذهب الأشعري، صحيح أنه في غالب المسائل مقلد لشيوخه، لكن ليس فيها كلها.

---

(342) الأعلام (48/4)، وانظر: المصادر السابقة في الفقرتين السابقتين.

(343) (ص: 253، 310)، كما ذكره في الفرق بين الفرق (ص: 364).

(344) أصول الدين (ص: 230–231)، و (ص: 253–310)، والفرق بين الفرق (ص: 364).

(345) المصدر السابق (ص: 253–310)، والفرق بين الفرق (ص: 364).

(346) مذهب الإسلاميين (674/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والبغدادي لا يخالف من سبقه من الأشاعرة في مسائل العقيدة والكلام، فيرى أن أول الواجبات النظر (347)، وأخبار الآحاد – إذا رواها الثقات – تقبل إذا كانت تحتمل تأويلاً يوافق المعقول (348)، كما أنه يقول بالجزء الذي لا يتجزأ، وهو الجوهر الفرد، ويستدل له (349)، كما يقول بأن الأعراض لا تبقى زمانين (350)، كما أنه يحتج بدليل الأعراض وحدوث الأجسام ويحتج له ويطيل الكلام حوله (351)، كما أنه ينفي ما يقوم بالله من الصفات الاختيارية، وهي مسألة حلول الحوادث (352)، ولذلك تأوّل صفات المحبة، والرحمة، والغضب، والفرح، والضحك (353)، كما أنه قال بكلام الله الأزلي وأنه قائم بالله وأنه أمره ونيه وخبره ووعده ووعيده، ويربط ذلك بمسألة حلول الحوادث (354)، لكنه لما ذكر ما وقع من الخلاف بين الكلابية والأشعرية في أزلية الأمر والنهي، ذكر قوليهما دون ترجيح (355)، أما الإيمان فهو عنده الطاعات فرضها ونقلها كما هو قول أهل الحديث والسنة، ويرجح

---

(347) انظر: أصول الدين (ص: 210).

(348) انظر: أصول الدين (ص: 12،23)، والفرق بين الفرق (325). – ط عبد الحميد –.

(349) انظر: المصدر السابق (ص: 35–36)، والفرق بين الفرق (ص: 328).

(350) انظر: المصدر نفسه (ص: 51، 229، 230).

(351) انظر: المصدر نفسه (ص: 54–67)، والفرق بين الفرق (ص: 329).

(352) انظر: المصدر نفسه (ص: 106–337)، وانظر: الملل والنحل للبغدادي (ص: 150)، والفرق بين الفرق (ص: 333)، والناسخ والمنسوخ للبغدادي (ص: 107).

(353) انظر: المصدر نفسه (ص: 46، 80).

(354)انظر: المصدر نفسه (ص: 106–108)، والفرق بين الفرق (ص: 337).

(355) انظر: المصدر نفسه (ص: 108).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هذا بعد ذكره لأقوال كل من الأشعري وابن كلاب (356)، أما الاستثناء في الإيمان، فقد رتب الخلاف فه ترتيباً حسناً على الخلاف في حقيقة الإيمان، وبما أنه رجح مذهب أهل الحديث فقد قال: «وكل من وافى ربه على الإيمان فهو مؤمن، ومن وافاه بغير الإيمان الذي أظهره في الدنيا، علم في عاقبته أنه لم يكن قط مؤمناً» (357)، وهذا الكلام ليس هو قول أهل الحديث الذين يجيزون الاستثناء في الإيمان إذا لم يكن شقاً، أما الموافاة فهي من مسائل مذهب الأشاعرة بناءً على قولهم في منع حلول الحوادث، وأن غضب الله أو رضاه أزلي، فالكافر إذا مات على الكفر فهو مغضوب عليه غير مرضي عنه ولو عاش أغلب عمره مؤمناً، وعكسه المؤمن، أما مسألة القدر، فقد قال بالكسب وسار فيه على خطأ شيوخه في ذلك مع التجديد في العرض والاستدلال (358)، أما ما يتعلق بالمعجزات وشروطها، فأقواله فيها جاءت على وفق ما ذهب إليه الباقلاني (359).

هذه خلاصةسريعة لبعض رؤوس المسائل التي وافق فيها شيوخه الأشاعرة أما الجوانب البارزة في منهجه، كمعالم على تطور المذهب الأِشعري فأهمها:

1. مخالفته صراحة لبعض أقوال شيخ الأشاعرة أبي الحسن الأشعري، فهو يعرض الأقوال ومنها قول الأشعري، ثم يرجح قولاً آخر قال به غيره كابن كلاب أو القلانسي، أو غيرهما، ومن ذلك مسألة إيمان المقلد(360)، ومعنى «الإله» (361)، والوقف على قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)(آل عمران:7) ، ومخالفة البغدادي – في

(356) انظر: المصدر نفسه (ص: 248–249).
(357) أصول الدين (ص: 253).
(358) انظر: أصول الدين (ص: 133)، وما بعدها والفرق (ص:339).
(359) انظر: المصدر السابق (ص: 170–179)، والفرق (ص: 344).
(360) انظر: المصدر السابق (ص: 254).
(361) انظر: المصدر نفسه (ص: 123).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

هذه المسائل أو غيرها – للأشعري له أهمية في تصور مدى المتابعة والتقليد لشيخهم في ذلك الزمن القريب من الأشعري، إذ أن الفرق بين وفاتيهما يتجاوز القرن بقليل، وهذه مدة زمنية قليلة نسبياً.

2ـ تبني دليل حدوث الأجسام بقوة، وهو من أدلة المعتزلة، وقد قال به بعض الأشاعرة قبل البغدادي، لكن شيخهم أبا الحسن الأشعري رأى أنه دليل لم تدع إليه الرسل – كما سبق شرح ذلك – فالبغدادي لما عرض هذا الدليل عرضه وكأنه دليل مسلم لا يجوز الاعتراض عليه، بل قال: « وكل قول لا يصح معه الاستدلال على حدوث الأجسام وعلى حدوث الجواهر فهو فاسد» (362)، وهذا الجزم بالقول بصحة هذا الدليل هو ما نجده إحدى مسلمات مذهب الأشاعرة فيما بعد.

3ـ تأييد القول بتجانس الأجسام كلها، وأن اختلافها في الصورة، وهذا قد قال به بعض المعتزلة (363)، وبنوا عليه نفي صفات الله حين قالوا: إثبات الصفات تجسيم والأجسام متماثلة.

4. أما مسألة الاستواء، فقد سبق بيان أن الباقلاني ومن قبله قالوا بإثباته بلا تأويل، وردوا على من أوّله بالاستيلاء، وأن ابن فورك مال فيه إلى التأويل، أما البغدادي فقد قال بالتأويل، مع أنه رد على المعتزلة الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء وقال: « زعمت المعتزلة أنه بمعنى استولى كقول الشاعر: قد استوى بشر على العراق، أي استولى، وهذا تأويل باطل؛ لأنه يوجب أنه لم يكن مستولياً عليه قبل استوائه عليه» (364)، ثم عرض أقوال أصحابه الأشاعرة فقال: « واختلف أصحابنا في هذا، فمنهم من قال: إن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وهذا قول مالك بن أنس

(362) أصول الدين (ص: 58).
(363) انظر: أصول الدين (ص: 54)، والفرق بين الفرق (ص: 328).
(364) أصول الدين (ص: 112).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

وفقهاء المدينة والأصمعي... ومنهم من قال: إن استواءه على العرش فعل أحدثه في العرش ثم سماه استواء، كما أحدث في بنيان قوم سماه إتياناً، ولم يكن ذلك نزولاً ولا حركة، وهذا قول أبي الحسن الأشعري... ومنهم من قال: إن استواءه على العرش كونه فوق العرش بلا مماسة، وهذا قول القلانسي وعبد الله بن سعيد، ذكره في كتاب الصفات» (365)، وبعد عرضه لهذه الأقوال يرجح فيقول: « والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك، كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب: ثّلّ عرشُ فلان إذا ذهب ملكه... فصح بهذا تأويل العرش على الملك في آية الاستواء على ما بيناه (366)، ويقول في موضع آخر حول معنى آية الاستواء: « ومعناه عندنا على الملك استوى، أي استوى الملك للإله، والعرش هاهنا بمعنى الملك...» (367).

أما مسألة العلو فهو من نفاته، ولذلك بوب لإحدى المسائل بقوله: « المسألة السابعة من الأصل الثالث في إحالة كون الإله في مكان دون مكان » (368)، ثم ذكر أقوال الكرامية والمعتزلة والحلولية، ثم قال: « ودليلنا على أنه ليس في مكان بمعنى المماسة قيام الدلالة على أنه ليس بجوهر ولا جسم ولا ذي حد ونهاية، والمماسة لا تصح إلا من الأجسام والجواهر التي لها حدود» (369)، ثم ذكر أنه

---

(365) أصول الدين (ص: 112-11-).

(366) أصول الدين (ص: 113-114).

(367) المصدر نفسه (ص: 78).

(368) المصدر نفسه (ص: 76).

(369) المصدر نفسه (ص: 77).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أفراد هذه المسألة في كتاب مفرد (370)، وفي موضع آخر يذكر أن الله كان ولا مكان وهو الآن على ما كان (371).

فالبغدادي من نفاة العلو ومؤولة الاستواء، وبهذا يتبين أن القول بذلك في المذهب الأشعري جاء قبل الجويني.

5ـ وأبرز تطور جاء على يد البغدادي هو قوله في الصفات الخبرية، وقد سبق ذكر أن الباقلاني وابن فورك ومن قبلهما أثبتوا لله الوجه واليدين والعين ومنعوا من تأويلها، وابن فورك – مثلاً – وإن قال بتأويل بعض الصفات الخبرية، كالقدم والإصبع واليمين – كما مر – إلا أن هذه الصفات – صفات الوجه واليدين والعين– لم يؤولها ولم يسلك فيها ما سلكه في غيرها بل نص على القول بالإثبات والمنع من التأويل، أما البغدادي فإنه قال: « المسألة الثالثة عشرة من هذا الأصل في تأويل الوجه والعين من صفاته »، ثم ذكر قول المشبه ثم قال: « وزعم بعض الصفاتية أن الوجه والعين المضافين إلى الله تعالى صفات له، والصحيح عندنا أن وجهه ذاته، وعينه رؤيته للأشياء، وقوله: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) (الرحمن:27)، معناه ويبقى ربك، ولذلك قال:)(ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ) ، بالرفع لأنه نعت الوجه، ولو أراد الإضافة لقال ذي الجلال والإكرام، بالخفض...» (372)، ثم ذكر المسألة الرابعة عشرة في تأويل اليد المضافة إلى الله تعالى، وبعد أن أبطل مذهب المشبهة قال: « وزعم بعض القدرية أن اليد المضافة إليه بمعنى القدرة، وهذا التأويل لا يصح على مذهبه مع قوله: إن الله تعالى قادر بنفسه بلا قدرة، وقد تأول بعض أصحابنا هذا التأويل، وذلك صحيح على المذهب، إذا أثبتنا لله القدرة، وبها خلق كل شيء، ولذلك قال في آدم عليه السلام

(370) انظر: المصدر نفسه (ص: 78).
(371) انظر: الفرق بين الفرق (ص: 333).
(372) أصول الدين (ص: 109–110).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

(خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (صّ:75)، ووجه تخصيصه آدم بذلك أن خلقه بقدرته لا على مثال له سبق، ولا من نطفة، ولا نقل من الأصلاب إلى الأرحام، كما نقل ذريته من الأصلاب إلى الأرحام، وزعم بعض أصحابنا أن يديه صفتان، وزعم القلانسي أنهما صفة واحدة » (373)، وكلامه هذا يدل على تأويل صريح لهذه الصفات، وقد بنى تأويله هذا على أن الله واحد فقال بعد ذكر بعض الصفات الخبرية ناسياً إثباتها إلى المشبهة: « ودليلينا على أن الله واحد في ذاته، ليس بذي أجزاء وأبعاض أنه قد صح أنه حي، قادر، عالم، مريد فلو كان ذا أجزاء وأبعاض لم يخل أن يكون في كل جزء منه حياة وقدرة وعلم وإرادة، أو تكون هذه الصفات في بعض أجزائه ...» (374)، ثم قال: « وأما قوله : (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) [الرحمن: 27]، فمعناه ويبقى ربك... [ثم ذكر التعليل السابق، ثم قال:] واليد المضافة إلى الله تعالى صفة له خاصة وقدرة له بها فعله» (375)،كما أنه أوّل القدم والإصبع (376).

وبهذا يتبين أن البغدادي قال بتأويل الصفات الخبرية في وقت مبكر، وأن الجويني – المولود سنة 419 هـ والمتوفى سنة 478هـ – الذي اشتهر عنه أنه أول من أوّل الصفات الخبرية قد سبق إلى ذلك من جانب بعض أعلام الأشاعرة، مع أن البغدادي يشير في مسألة تأويل اليد بالقدرة إلى أن بعض أصحابهم قد قال به، ولم يحدد القائل، وهذا يدل على أنها مسألة مطروحة عند الأشاعرة في ذلك الوقت.

---

(373) المصدر السابق (ص: 111)، ويلاحظ أنم الطابعين للكتاب خلطوا بين نسختين منه، مع تمييز إحداهما عن الأخرى، وقد نقلنا إحداهما ليستقيم الكلام.

(374) المصدر نفسه (ص: 75).

(375) أصول الدين(ص: 76).

(376) انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

6ـ ومن المعالم البارزة في منهج البغدادي، مما كان له أثر فيمن أتى بعده:صياغته لمذهب الأشاعرة على أنه مذهب أهل السنة والجماعة، حتى أنه كاد يستقر في أذهان كثير ممن ينتسب إلى الفقه والعلم أن أقوال الأشاعرة تمثل المذهب الصحيح الذي هو مذهب السلف، ومحاولة البغدادي جاءت على النحو التالي:

أ. تأليفه لكتاب في الملل والنحل، ثم في الفرق، والأشعري وإن سبقه إلى ذلك في تأليف مقالات الإسلاميين، إلا أن أسلوبه في العرض لم يكن مرتباً بشكل واضح، وحتى ذكره لمذهب أهل الحديث كان مختصراً (377)، ولما ذكره أشار إلى أنه به يقول وإليه مذهب، أما البغدادي فقد عرض أقوال الفرق بمنهج واضح ومرتب، واعتمد على حديث الافتراق الوارد، وساق بعض رواياته بأسانيده هو، ثم ذكر أنه مروي عن جمع من الصحابة (378)، ثم حصر أعداد الفرق لتوافق ما في الحديث، فذكر اثنتين وسبعين فرقة، ثم الفرقة الثالثة والسبعين وجعلها فرقة أهل السنة والجماعة على أنهم الفرقة الناجية، الواردة في الحديث.

ولما شرح اعتقاد هذه الطائفة ذكر عقائد الأشعرية مختصرة، وفصلها في كتابه «أصول الدين»، ولما كان هذا الكتاب أول كتاب في الفرق بعد مرحلة الأشعري، وجاء مرتباً على هذه الطريقة، توهم الكثيرون أن ما عرضه من عقائد الفرقة الناجية في كتابه هذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة الذي يجب أتباعه.

ب . حين ذكر أصناف أهل السنة والجماعة أدخل فيهم مختلق فئات الناس على أنهم على هذا الاعتقاد الأشعري، فذكر أن منهم سالكي طرق الصفاتية من المتكلمين، الذين تبرءوا من التشبيه والتعطيل، كما ذكر أن منهم أئمة الفقه من فريقي الرأي

---

(377) ومع ذلك فالأشعري أوثق وأدق في نقل الأقوال لسائر الطوائف من البغدادي وممن جاء بعده.

(378) انظر: الفرق بين الفرق (ص: 4-9).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والحديث وأدخل فيهم أصحاب المذاهب الأربعة وأهل الظاهر وغيرهم (379)، كما ذكر أن منهم أهل الأدب والنحو والتصريف واللغة، فذكر أعلامهم، كما ذكر أن منهم علماء القراءات والتفسير، كما ذكر أن منهم الزهاد والصوفية، والمرابطين في الثغور، وعامة البلدان التي غلب فيها شعار أهل السنة (380)، وبذكر هذه الأصناف كلها، ونسبتها في الاعتقاد إلى مذهب الأشاعرة يكون البغدادي قد ادعى أن انتشار المذهب الأشعري عند هؤلاء دليل على أنه الحق.

جـ . ولما كان مذهب الأشاعرة اعتمد على مناهج أهل الكلام، فإن البغدادي حرص على أن ينسب لأعلام الصحابة والسلف أنهم من المتكلمين، فذكر أن منهم علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – لأنه ناظر الخوارج، وعبد الله ابن عمر لكلامه في القدرية وبراءته منهم، وعمر بن عبد العزيز – رحمه الله – وأن له رسالة في الرد على القدرية، وزيد بن علي بن الحسين، والحسن البصري، والزهري، والشعبي، وجعفر الصادق، وأبا حنيفة، والشافعي، وأبا يوسف صاحب أبي حنيفة ثم ذكر أعلام الكلابية والأشعرية الذين سبقوه أو عاصروه (381).

بهذا المنهج المتميز الذي لم يكن معهوداً في مؤلفات ذلك العصر – مع حسن العرض والترتيب والتبويب – استطاع البغدادي أن ينشر بين الناس أن المذهب الأشعري هو المذهب الصحيح، وأنه المذهب الذي يتبناه أعلام الإسلام على مختلف

---

(379) انظر: الملل والنحل (ص: 158)، حيث ذكر أن مدار الفتوى عليهم دون غيرهم، وانظر: الفرق بين الفرق (ص: 313-317).

(380) انظر: الفرق بين الفرق (ص: 317-318)، وانظر: أصول الدين (ص: 307-317)، وفيه تفصيلات كثيرة.

(381) انظر: أصول الدين (ص: 307-310).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

تخصصاتهم وميولهم، وعلى ذلك فليس الأشاعرة فرقة من فرق المسلمين، وإنما عقيدتهم هي عقيدة جمهور أهل السنة من المسلمين (382).

البيهقي: ت 458 هـ

إذا كان الباقلاني، وابن فورك، والبغدادي، يمثلون مرحلة زمنية معينة بالنسبة للمذهب الأشعري – وقد سبق عرض دور كل واحد منهم في تطوره – فإن البيهقي المتوفى سنة 458هـ ، والقشيري المتوفى سنة 465هـ، والجويني المتوفى سنة 478هـ، يمثلون مرحلة تالية، وقد أخذ التطور في هذه المرحلة أبعاداً أخرى:

أ . فالبيهقي: مجدد المذهب الشافعي في الفقه، وأحد أعلام المحدثين، كان له دور في ربط المذهب الأشعري بالفقه الشافعي، ثم في دعم الأشاعرة من خلال حرصه على الحديث وروايته، ولبيان أن ذلك لا يخالف منهج الأشاعرة الكلامي.

ب . والقشيري أدخل التصوف في منهج وعقائد الأشاعرة.

جـ . والجويني خطا خطوات بالمذهب نحو الاعتزال.

والبيهقي هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الخسروجردي، البيهقي (383) أبو بكر، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام (384)، ولد سنة 384هـ ، وتتلمذ

---

(382) انظر: الأشاعرة – محمود صبحي – (ص: 93).

(383) الخسروجردي: بضم الخاء وسكون السين وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم، وهي قرية من ناحية بيهق، وبيهق عدة قرى من أعمال نيسابور، انظر: الأنساب (116/5)، وياقوت (53/37،1/2).

(384) انظر في ترجمته: الأنساب (381/2)، وتبيين كذب المفتري (265–267)، والمنتظم (242/8)، ووفيات الأعيان(75/1)، وتذكرة الحفاظ (1132/3)، وسير أعلام النبلاء (163/18)، والوافي (354/6)، وطبقات السبكي (8/4)، والأسنوي (198/1)، والرسالة المستطرفة (ص: 29)، وقد أفرد له السخاوي ترجمة باسم: القول المرتقى في ترجمة البيهقي كما في فهرس الفهارس (990/2)، وانظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص:

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

على يد عدد كبير من الشيوخ، منهم أبو عبد الله الحاكم، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن فورك، وأبو الفتح العمري – شيخه في الفقه – وأبو محمد الجويني، وأبو ذر الهروي، وعبد القاهر البغدادي، وأبو عبد الله الحليمي، وغيرهم، وكان واسع الرحلة كثير الرواية، له التصانيف المتعددة، فكان كما قال الذهبي ممن « بورك له في علمه، وصنف التصانيف النافعة» (385)، وقال: « تصانيف البيهقي عظيمة القدر، غريزة الفوائد، قل من جوّد تواليفه مثل الإمام أبي بكر» (386)، وقال فيه إمام الحرمين: « ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا أبا بكر البيهقي فإن المنة له على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه» (387)، قال الذهبي معلقاً: « قلت: أصاب أبو المعالي، هكذا هو، ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك، لسعة علومه، ومعرفته بالاختلاف، ولهذا تراه يلوح بنصر مسائل مما صح فيه الحديث» (388). أما تلاميذه فمنهم ابنه إسماعيل، وحفيده عبيد الله بن محمد بن أحمد، وأبو عبد الله الفراوي، وأبو زكريا بن منده، وغيرهم (389).

أما مؤلفاته فهي كثيرة جداً، كتب لها القبول والانتشار منذ عهده وإلى اليوم، ومن كتبه المطبوعة في الحديث والفقه والدلائل:

1. السنن الكبرى، في عشرة مجلدات، مطبوع ومشهور.

---

31)، وما بعدها، ومقدمة تحقيق دلائل النبوة: قلعجي (92/1–119)، ومقدمة تحقيق بقية كتبه المطبوعة.

(385) السير (165/18).

(386) نفسه (168/18).

(387) المصدر السابق – نفس الصفحة – وتبيين كذب المفتري (ص: 266)، والوافي (354/6).

(388) السير (169/18).

(389) طبقات السبكي (9/4)، والسير (169/18),

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

2ـ معرفة السنن والآثار، طبع المجلد الأول منه بتحقيق: أحمد صقر، ثم طبع كاملاً.

3ـ المدخل إلى السنن – طبع عن نسخة ناقصة الأول – بتحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي.

4. القراءة خلف الإمام . مطبوع.

5. مناقب الشافعي، تحقيق: أحمد صقر.

6. مسألة الاحتجاج بالشافعي – ت خليل ملاخاطر – .

7ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي، ت خليل ملاخاطر، وأخرى بتحقيق نايف الدعيس.

8 . اختلاف الحديث، على هامش الأم، ومستقلة بتحقيق عامر حيدر.

9ـ الأربعون الصغرى – ت محمد نور المراغي– وأخرى بتحقيق محمد السعيد زغلول.

10. الزهد الكبير – ت تقي الدين الندوي –.

11. الآداب – ت: محمد عبد القادر عطا–.

12. دلائل النبوة: طبع جزء في القاهرة، ثم طبع الجزء الأول والثاني في المدينة، ثم طبع كاملاً في 7 أجزاء بتحقيق: قلعجي.

ومن كتبه المطبوعة في العقيدة.

13. الأسماء والصفات، طبع عدة مرات، وهو من أهم كتب البيهقي في الاعتقاد.

14. الاعتقاد، طبع عدة مرات، وهو مختصر جداً من الكتاب السابق وأحال عليه مرات.

15ـ البعث والنشور – ت عامر حيدر – عرض فيه للشفاعة والحوض، والنار والجنة وغير ذلك.

16. إثبات عذاب القبر – ت شرف محمود القضاة –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

17ـ الجامع لشعب الإيمان، طبع الجزء الأول في الهند (حيدر آباد) – ط1 في 132 صفحة – وأعيد – ط2 في 400 صفحة – ثم شرعت الدار السلفية في الهند (بومباي) نشره محققاً فظهر منه عدة مجلدات بتحقيق: عبد العلي حامد.

والكتاب كبير تقع مخطوطته في ثلاثة مجلدات كبار.

18ـ حياة الأنبياء في قبورهم، هو كتيب صغير، طبع في القاهرة بالمطبعة المحمودية، ولعل البيهقي ألفه إثر الفتنة المعروفة بفتنة القشيري.

وهناك كتب أخرى للبيهقي، وبعضها لا يزال مخطوطاً (390)، ومنها في العقيدة: كتاب الرؤية، وكتاب القضاء والقدر (391).

عقيدة البيهقي ومنهجه:

سبق أن قام أحد أساتذة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بدراسة واسعة ومركزة عن « البيهقي وموقفه من الإلهيات» ، وقد تقدم بها لنيل درجة الكتوراه (392)، واعتمد فيها على منهج السلف – رحمهم الله تعالى – ولذلك جاءت دراسته واضحة وشاملة، مع نقد واضح ومنصف لما عند البيهقي من مخالفات لمذهب السلف، ولذلك أكتفي بالإحالة عليها، مع ذكر الملاحظات التالية حول منهج البيهقي:

1ـ إذا كان البيهقي من المبرزين في الحديث والفقه فلماذا اهتم بالعقيدة، والتأليف فيها، ثم تأويل النصوص الواردة في الصفات؟، وإذا كان قد ألف في إثبات عذاب القبر، والرؤية، وما يتعلق بالبعث من الشفاعة والميزان والحوض، وهذه الأمور مما

---

(390) انظر: في ذلك مقدمة تحقيق البعث والنشور (ص: 28)، وما بعدها، والمدخل (ص: 51)، وما بعدها، والبيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: 64)، وما بعدها.

(391) حقق كتاب القضاء والقدر في قسم العقيدة – جامعة الإمام –.

(392) قام بها الدكتور أحمد بن عطية الغامدي – من كلية الشريعة بمكة ، وقد طبعته الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة – المجلس العلمي، التراث الإسلامي –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أنكرته أو أوّلته المعتزلة – والرد عليهم من سمات أهل السنة –، فلماذا حرص على التأليف في الأسماء والصفات واستقصاء جميع ما ورد في ذلك من الألفاظ والروايات وغالبها مما يؤول الأشاعرة؟ لقد ذكر البيهقي في ثنايا كتابه « الأسماء والصفات » إشارة إلى سبب تأليفه إذ قال:– في معرض تأويله الصورة– « ومعنى هذا فيما كتب إليّ الأستاذ أبو منصور محمد بن الحسن ابن ايوب الأصولي – رحمه الله – الذي كان يحثني على تصنيف هذا الكتاب، لما في الأحاديث المخرجة فيه من العون على ما كان فيه من نصرة السنة وقمع البدعة، ولم يقدر في أيام حياته لاشتغالي بتخريج الأحاديث في الفقهيات على مبسوط أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي – رحمه الله – الذي أخرجه على ترتيب مختصر أبي ابراهيم المزني – رحمه الله – ولكل أجل كتاب » (393)، وهذا الذي أوصى البيهقي بتأليف كتاب في الأسماء والصفات هو أحد أعلام الأشاعرة، كان من أخص تلاميذ ابن فورك حتى أنه زوجه من ابنته الكبرى ومما قيل في ترجمته أنه: « الأستاذ الإمام، حجة الدين، صاحب البيان، والحجة والبرهان، واللسان الفصيح، والنظر الصحيح، أنظر من كان في عصره، ومن تقدمه، ومن بعده على مذهب الأشعري، واتفق له أعداد من التصانيف المشهورة المقبولة عند أئمة الأصول مثل تخليص الدلائل، تتلمذ للأستاذ أبي بكر بن فورك في صباه، وتخرج به، ولزم طريقته، وجد واجتهد في فقر وقلة من ذات اليد... وكان أنفذ من الاستاذ وأشجع منه، توفي في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة » (394)، وعلى هذا فالبيهقي ألف كتابه استجابة لطلب أستاذه خدمة للمذهب الأشعري – الذي

---

(393) الأسماء والصفات (ص: 289).

(394) تبيين كذب المفتري (ص: 249)، وانظر في ترجمته أيضاً سير: أعلام النبلاء (573/17)، واسمه فيهما محمد بن الحسن، وانظر: طبقات السبكي (147/4)، والوافي (10/3)، ومعجم المؤلفين (235/9)، وهو فيها كلها: محمد بن الحسين.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

كان أحد أعلامه – ولذلك حشاه بالنقول من أقوالهم وتأويلاتهم إضافة إلى تأويلاته هو، وما أدري ما قصد البيهقي بقوله السابق: « لما في الأحاديث المخرجة فيه من العون على ما كان فيه من نصرة السنة وقمع البدعة» ، هل يقصد بدعة التعطيل، أو بدعة الإثبات ورفض التأويل التي يسمونها تجسيماً أو تشبيهاً؟! الذي يترجح من خلال معرفة حال شيخ الجميع ابن فورك، وتلميذه – أبي منصور الأيوبي – وحال البيهقي في تأويلاته في كتابه هذا أنه قصد قمع بدعة الإثبات التي يزعمون أن فيها تشبيهاً، والله أعلم.

والخلاصة أن البيهقي بهذا المنهج الذي سلكه تحولت معرفته في الحديث وإمامته فيه إلى خدمة أهل التأويل لا إلى خدمة مذهب أهل الحديث والسنة، وهذا من باب العقائد دون الأحكام.

2. نقد البيهقي بعض الروايات والأحاديث نقداً لا يتفق مع منهج المحدثين في قبول الروايات أوردها ومن ذلك ما ذكره البيهقي من أن «الصوت» لم يرد في صفة كلام الله عزوجل فقد قال بعد ذكر رواية البخاري: « ثم يناديهم بصوت..» (395): « هذا حديث تفرد به القاسم بن عبد الواحد عن ابن عقيل ..[ثم ذكر أن القاسم وابن عقيل لم يحتج بهما الشيخان، وأن ابن عقيل أيضاً متهم بسوء الحفظ ثم قال:] ولم يثبت

---

(395) رواه البخاري – تعليقاً – كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: (وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ) (سبأ:23)، ووصله ابن حجر في التغليق (355/5)، ورواه البخاري موصولاً في الأدب المفرد ورقمه (970)، فضل الله الصمد (433/2)، وفي خلق أفعال العباد ورقمه (463) – ت البدر – كما رواه الإمام أحمد في مسنده (395/3)، والطبراني في مسند الشاميين كما في التغليق (356/5)، والحاكم في المستدرك (437/2-438، 574/4-575)، وصححه ووافقه الذهبي، كما رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (111/1)، والخطيب في الرحلة في طلب الحديث (ص: 109)، ورقم (31، 32، 33)، وفي الجامع لأخلاق الراوي (225/2)، ورقم (1686) – ت الطحان–.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

صفة الصوت في كلام الله عزوجل أو في حديث صحيح عن النبي ε غير حديثه، وليس بنا ضرورة إلى إثباته، وقد يجوز أن يكون الصوت فيه إن كان ثابتاً راجعاً إلى غيره..» (396)، ثم شرع في ذكر الروايات الدالة على الصوت وتضعيفها، وهذا من مثل البيهقي المحدث كبير لا يحتمل، لأن فيه محاولة لتضعيف الأحاديث الثابتة لأجل أن تسلم الأصول الكلامية والعقلية التي يؤمن بها، وهذا منهج المتكلمين وليس منهج المحدثين، ولهذا كان تعليق الحافظ ابن حجر على كلام البيهقي بعد نقله له أقرب إلى منهج أهل الحديث من منهج البيهقي فقد قال – وهو الذي يميل إلى مذهب الأشاعرة – :« هذا حاصل كلام من ينفي الصوت من الأئمة، ويلزم منه أن الله لم يُسمع أحداً من ملائكته ورسله كلامه، بل ألهمهم إياه، وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين لأنها التي عهد أنها ذات مخارج، ولا يخفي ما فيه، إذ الصوت قد يكون من غير مخارج، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة ...(397)، لكن تمنه القياس المذكور، وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق، وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة (398) وجب

---

(396) الأسماء والصفات (ص: 273-274).

(397) بناءً على مذهب الأشاعرة.

(398) هذا الكلام لابن حجر يرد على ما ذكره هو سابقاً في كتاب العلم، الفتح (174/1) في معرض تعليله لتفريق البخاري بين الموضعين، حيث جزم في تعليقه هنا، ولم يجزم في تعليقه لحديث جابر في كتاب التوحيد، وذلك حين قال: « ونظر البخاري أدق من أن يعترض عليه بمثل هذا، فإنه حيث ذكر الارتحال فقط جزم به لأن الإسناد حسن، وقد اتعضد، وحيث ذكر طرفاً من المتن لم يجزم به لأن لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ويحتاج إلى تأويل، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طريق مختلف فيها ولو أتعضده» ، وهو هنا ذكر أن الصوت ثبت بالأحاديث الصحيحة ويجب الإيمان به، ومنهج البخاري في الصفات لا يتوافق مع تعليل ابن حجر لعدم جزمه هنا.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الإيمان به، ثم إما التفويض وإما التأويل (399)،وهذا بناءً على منهج ابن حجر المخالف لمنهج أهل السنة، لأن منهجهم ليس التفويض أو التأويل، بل الإثبات للنصوص على ما دلت عليه مع نفي التشبيه والتكييف لها، والشاهد من كلام ابن حجر قوله: « وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به» فأين هو من كلام البيهقي الذي حاول تضعيف الروايات الواردة فيه؟.

وقد وقع للبيهقي ما هو شبيه بهذا في مواضع أخرى، مثل حديث « لا شخص أغير من الله » (400)، فقد نقل عن الخطابي ترجيحه أن هذه اللفظة مصحفة، ثم قال البيهقي معلقاً: « ولو ثبتت هذه اللفظة لم يكن فيها ما يوجب أن يكون الله سبحانه شخصاً ..» (401)، ثم فصل القول في تأويلها، وهذه اللفظية رواها مسلم، والبخاري تعليقاً بصيغة الجزم، كما رواها غيرهما، والحري بالبيهقي المحدث أن يرد على الخطابي دعواه أنها مصحفة ويبين ثبوتها، ثم يشرحها، ويبين مذهبه فيها.

ومثله ما ذكره في باب في الأصابع، فإنه نقل كلاماً للخطابي حول حجية السنة إذا عارضها المعقول، كما نقل ورود الأصابع لا في كتاب ولا سنة، ولم يرد البيهقي على الخطابي في أقواله تلك، بل أورد تأويلاته وتأويلات أبي الحسن الطبري وغيره للأحاديث الواردة في ذلك (402)، وعبارة الخطابي: إنها لم ترد في كتاب ولا سنة ولا يجوز السكوت عنها.

---

(399) فتح الباري (458/13).

(400) رواه مسلم، كتاب اللعان، ورقمه (1499)، والبخاري تعليقاً في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول النبي ε لا شخص أغير من الله، الفتح (399/13)، ووصله ابن حجر في التعليق (344/5)، بإسناده إلى الدرامى وهو في سنن الدرامى (73/2)، ورقمه (2233).

(401) الأسماء والصفات (ص: 287-288).

(402) انظر: الأسماء والصفات (333-341)، ومن الأمور الغريبة ما نقله البيهقي هنا عن الخطابي في رواية الأصابع لما جاء الحبر إلى رسول الله ε ، من أن اليهود مشبهة

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

3. اعتمد البيهقي في شرح نصوص الصفات أو تأويلها، بعد سياقه لأسانيدها اعتمد على أقوال مجموعة من علماء الأشاعرة ومنهم:

أ . الحليمي، وهو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، المعروف بالحليمي الجرجاني، المتوفى سنة 403هـ، وهو أحد أعلام الأشاعرة في الحديث والفقه والكلام (403)، نقل عنه البيهقي كثيراً في الجامع لشعب الإيمان (404)، وفي الأسماء والصفات (405).

بـ أبو سليمان الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم، المتوفى سنة 388هـ(406)، وقد نقل البيهقي عنه كثيراً جداً في الأسماء والصفات (407)، واعتمد على أقواله وتأولاته.

وإن الرسول أنكر عليه ذلك، وقدناقش هذه المسألة بالتفصيل أحمد بن عطية الغامدي في كتابه البيهقي وموقفه من الإلهيات. (ص: 260-269).

(403) قال عنه الذهبي : « القاضي العلامة، رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر» السير (231/17)، وانظر: أيضاً تاريخ جرجان (ص: 198)، والأنساب (198/4)، وطبقات السبكي (333/4)، ومقدمة تحقيق المنهاج في شعب الإيمان (13/1) وما بعدها.

(404) بل إنه اعتمد على كتاب المنهاج في شعب الإيمان، وذكر أنه لم يؤلف كتابه إلا لأن الحليمي لم يسق أسانيده للأحاديث التي يوردها، انظر: المنهاج (94/1-95)، أما نقوله منه فهي كثيرة جداً.

(405) انظر: (ص: 8-97)، من الأسماء والصفات حيث نقل فيها نصوصاً من المنهاج للحليمي (183/1)، وما بعدها.

(406)من مؤلفاته المطبوعة: معالم السنن (شرح سنن أبي داود)، والعزلة، وإصلاح المحدثين، وبيان إعجاز القرآن، وغريب الحديث وشأن الدعاء والغنية عن الكلام وأهله (نقله السيوطي في صون المنطق) (137/1-147)، ومن كتبه المخطوطة شعار الدين وغيره، انظر: في ترجمته يتيمة الدهر (334/4)، وفهرست بن خير (ص: 201)، ومعجم الأدباء

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

جـ . أبو الحسن الطبري – وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمته –.

د . وغيرهم من الأشاعرة، كالأشعري (408)، وأبي إسحاق الإسفراييني (409)، وأبي بكر الصبغي (410)، والمحاسبي (411)، وابن فورك(412)، وغيرهم.

وكان اعتماد البيهقي على هؤلاء يتم غالباً النقل الحرفي من كلامهم، بذلك امتزجت كتبه الحديثة – في العقيدة – بمقولات هؤلاء، فمثلاً في كتابه الجامع لشعب الإيمان لما تحدث عن الشعبة الأولى وهي الإيمان بالله عزوجل، ذكر أن دليل معرفة الله تعالى هو دليل معرفة الله تعالى هو دليل حدوث الأجسام، ثم شرحه وأطال فيه، ونقل عن الحليمي أقواله فيه (413)، وفي مناسبة أخرى لما ذكر البيهقي حديث الجارية: أين الله؟ قالت في السماء، تكلم في تأويله بكلام عجيب وأوّله بما يدل على أنه لا يقول بإثبات العلو لله تعالى (414).

4ـ دافع البيهقي عن علم الكلام، ولما ذكر أقوال الشافعي المشهورة في ذم الكلام وأهله، علق البيهقي على ذلك مبرراً ما فعله العلماء من الأخذ بالعقل أو علم الكلام

(246/4)، – باسم أحمد وهو خطأ –، (268/10)، باسم (حمد)، وسير أعلام النبلاء (23/17)، ومقدمة تحقيق غريب الحديث (8/1).

(407) انظر: (ص: 12)، وما بعدها.

(408) انظر: الأسماء والصفات (ص: 187).

(409) انظر: الأسماء والصفات (ص: 115–310)، والجامع (281/1–337).

(410) انظر: الأسماء والصفات (ص: 431).

(411) انظر: الجامع (337/1–338).

(412) انظر: الجامع (462/1).

(413) انظر: الجامع لشعب الإيمان (341/1–344).

(414) انظر: مناقب الشافعي (397/1)، وانظر أيضاً الاعتقاد (ص: 117)، والأسماء والصفات (ص: 400، 424، 426).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(415)، وفي مناقب الإمام أحمد له نقل عن الإمام أحمد أنه قال بتأويل بعض نصوص الصفات (416)، ولما ذم الشافعي الصوفية دافع البيهقي عنهم، بل ونقل إباحة أنواع من السماع (417).

ومما ينبغي ملاحظته أن البيهقي مع أقواله الموافقة لمذهب الأشاعرة في مسائل حدوث الأجسام، وحلول الحوادث، وتأويل الاستواء والنزول والمجيء، والضحك والعجب، ونفيه العلو (الجهة)، وتأويله للقدم والأصابع، وغيرها – إلا أن قال بإثبات الوجه واليدين والعين بلا تأويل (418)–، فهو بذلك قد خالف شيخه البغدادي.

5ـ قام البيهقي بدور عملي في الفتنة التي وقعت على الأشاعرة، المعروفة بفتنة القشيري، والتي وقعت سنة 445هـ، واستمرت سنوات، وفيها لعنت المبتدعة وفيهم الأشعرية، حتى اضطر كثير من الأشاعرة إلى الهجرة من خراسان، وكان منهم القشيري والجويني وغيرهما، وفي سنة 450هـ، حج هؤلاء ومعهم البيهقي، وفي سنة 456هـ قتل الوزير الكندري – صاحب الفتنة (419)– وكان قد تولى ألب أرسلان واستوزر نظام الملك الذي قام بنصرة الأشاعرة وبنى لهم المدارس المعروفة.

وكان البيهقي من القلائل الذين دافعوا عن الأشعري والأشاعرة، وكتب من بلدته بيهق رسالة إلى العميد يشرح له الحال ويمدح الأشعري وأسرته، بل ويجعله أحد

---

(415) انظر: مناقب البيهقي (11/461–464).

(416) كتاب البيهقي في مناقب الإمام أحمد غير موجود – على حد قول مترجمي البيهقي – لكن نقل منه ابن كثير نصوصاً في ترجمته للإمام أحمد، انظر: فيما نقله عن البيهقي: إن الإمام أحمد قال بالتأويل، البداية والنهاية (10/327).

(417) انظر: مناقب الشافعي (2/207–209).

(418) انظر: الاعتقاد (ص: 88–90)، والأسماء والصفات (ص: 301–319).

(419) انظر: تفاصيل هذه الفتنة في المنتظم (8/157)، والكامل(10/33)، وطبقات السبكي (3/389–395)، ومقدمة تحقيق الرسائل القشيرية (ص: 12–17).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المجددين، وبعد ذكر فضل أبي موسى الأشعري وقومه الأشعريين الذين انفردوا من بين الوفود بسؤال النبي ε عن علم الأصول وحدوث العالم – كما يقول البيهقي – يقول: « فمن تأمل هذه الأحاديث وعرف مذهب شيخنا أبي الحسن رضي الله عنه في علم الأصول، وعلم تبحره فيه ابصره صنع الله عزت قدرته في تقديم هذا الأصل الشريف لما ذخر لعباده من هذا الفرع المنيف الذي أحيا به السنة وأمات به البدعة وجعله خلف حق لسلف صدق » (420)، ثم يأمره في آخر الرسالة بالسعي لإطفاء الفتنة، وأن يستدرك ما وقع من هذه المحنة (421).

* * *

فهذه الجهود العظيمة التي قام بها البيهقي في خدمة ودعم المذهب الأشعري – وهو الإمام الفقيه المحدث – توضح دوره في إعادة الثقة بهذا المذهب.

(420) تبيين كذب المفتري (ص: 105).

(421) انظر: المصدر السابق (ص: 107)، وطبقات السبكي (395/3).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

القشيري: ت 465هـ

هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد، أبو القاسم القشيري النيسابوري، ولد سنة 375هـ، تتلمذ على يد مجموعة من العلماء منهم الحاكم، وابن فورك، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو إسحاق الإسفراييني وغيرهم، وتتلمذ في التصوف على شيخه أبي علي الدقاق وتزوج من ابنته.

ولما وقعت الفتنة على الأشاعرى ترك القشيري بلده واتجه إلى بغداد ثم إلى الحج بصحبة الجويني –إمام الحرمين– والبيهقي– ثم عاد بعد نهاية الفتنة إلى نيسابور حيث تولى ألب أرسلان واستوزر نظام الملك الذي كان يقدر القشيري والجويني كثيراً، فعاش القشيري بقية عمره محترماً مقدراً ذا مكانة ومنزلة عالية إلى أن توفي سنة 465هـ، ومن أبرز تلاميذه أولاده ومنهم: عبد الله، وعبد الواحد، وأبو نصر عبد الرحيم، كما تتلمذ عليه زاهر الشحامي، ومحمد بن الفضل الفراوي، وغيرهم (422).

ومن أبرز آثاره:

1. لطائف الإشارات، في التفسير، مطبوع.
2. الرسالة القشيرية، طبعت عدة مرات.
3. شرح أسماء الله الحسنى، طبع بتحقيق: أحمد عبد المنعم الحلواني.
4. نحو القلوب الصغير، طبع بتحقيق: أحمد علم الدين الجندي.
5. شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة، طبعت ضمن الرسائل القشيرية كما ذكرها كامل السبكي في الطبقات (3/399–423).

---

(422) انظر في ترجمته: تاريخ بغداد (11/83)، وكشف المحجوب للهجويري (ص: 382) ودمية القصر (2/993)، – ت التونجي– تبيين كذب المفتري (ص: 271)، المنتظم (8/280)، سير أعلام النبلاء (18/227)، وطبقات السبكي (5/153–3/399)، والإمام القشيري سيرته وآثاره: إبراهيم بسيوني، وغيرها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

6. كتاب السماع، طبع ضمن الرسائل القشيرية.

7. ترتيب السلوك، ضمن الرسائل القشيرية.

8 . التحبير في التذكير، مطبوع.

وهناك مؤلفات أخرى بعضها لا يزال مخطوطاً (423).

عقيدة القشيري ودوره في تطور المذهب الأشعري:

لم يؤلف القشيري كتاباً خاصاً في العقيدة ومسائلها، حتى كتابه « شرح أسماء الله الحسنى، يدور على التصوف و « علم التذكير» و « الأتعاظ» كما أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه حين بين سبب تأليفه (424)، وكذلك رسالته « الشكاية » هي في الدفاع عن الأشعري وما اتهم به من أمور كانت سبباً في المحنة التي جرت على القشيري وأصحابه، أما غالب كتبه – حتى كتابه في التفسير – فهي في التصوف، ولذلك اشتهر القشيري بالتصوف أكثر من شهرته كعلم من أعلم الأشاعرة.

ومع ذلك فليس من العسير استخلاص مذهبه وآرائه في العقيدة، – التي وافق فيها المشهور من مذهب الأشاعرة – من خلال ما يشير إليه في ثنايا كتبه المختلفة.

فالقشيري ممن ينكر قيام الصفات الاختيارية بالله –وهي مسألة حلول الحوادث – ولذلك فهو يقول بأزلية المحبة، والرضا والغضب (425)، كما أنه ينكر العلو (426)، وينقل عن غيره من الصوفية تأويلاتهم للاستواء وأنه لا يدل على العلو

---

(423) انظر في مؤلفاته: سير أعلام النبلاء (229/18)، ومقدمة تحقيق نحو القلوب الصغير (ص: 30–33)، والرسائل القشيرية (ص: 24–26).

(424) انظر: شرح أسماء الله الحسنى للقشيري (ص: 19–20).

(425) انظر: المصدر السابق (ص: 26، 43، 134، 162، 176).

(426) انظر: المصدر السابق (ص: 62–150)، والرسالة القشيرية (19/1، 38، 46، 50)، المحققة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(427)،ويقول: إن الله يرى بلا مقابلة (428)، وهو يثبت الصفات السبع مع صفة البقاء (429)، ويستدل لبعضها بالعقل (430)، ويتأول صفة المحبة (431)، والضحك (432)، وفي القدر مع إثباته له ينكر التعليل (433)، ويقول: إن القدرة مع الفعل فقط (434)، كما هو مذهب الأشارعة، وحين يتحدث عن معنى « التوحيد » يرى أنه يشمل الأقسام الثلاثة المشهورة عند أهل الكلام وهو أن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له (435)، كما أنه يرى أن الواجب الإشتغال بالتأويل الصحيح، ويرد على من يسميهم بالحشوية، ويرى أن كثيراً ممن يناظره في زمنه ليس له تحقيق ولا تحصيل (436)، وفي مسألة النبوة والمعجزات ينقل عن الباقلاني (437).

أما دور القشيريفي المذهب الأشعري وتطويره فتمثل في جانبين:

---

(427) انظر: الرسالة القشيرية(1/44-45).
(428) انظر: المصدر السابق (1/37-51).
(429) انظر: المصدر نفسه (1/49)، وشرح أسماء الله (ص:259).
(430) انظر: الرسالة (1/209-220).
(431) انظر: شرح أسماء الله (ص: 276-239) ، والرسالة (2/611). المحققة.
(432) انظر: الرسالة (ص:63)، ط الأولى.
(433) انظر: شرح أسماء الله (ص:31).
(434) انظر: المصدر السابق (ص: 98).
(435) انظر: المصدر السابق (ص: 215)، والرسالة (2/582)- المحققة-.
(436) انظر: شرح أسماء الله (ص: 260).
(437) انظر: الرسالة (2/661)، وانظر: في موقفه من بعض الصفات كاليدين والمجيء وغيرها الإمام القشيري (ص: 143-152).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أحدهما: دفاعه عن الأشاعرة وقت المحنة التي مروا بها، وقد فاق في دفاعه عنهم أقطاب الأشاعرة في زمنه، وكتب رسالته « الشكاية » يبث فيها أشجانه ويدافع عن الأشعري وعن الأشاعرة ويرد على التهم الموجهة إليهم، ويصور الأمر وكأنه ليس في الأمة الإسلامية إلا الأشاعرة، والمعتزلة، وأن قول الأشاعرة إذا بطل لا يبقى إلا قول المعتزلة فهل يكون هو المعتمد؟! يقول القشيري بعد كلام طويل: « وإذا لم يكن في مسألة لأهل القبلة غير قول المعتزلة، وقول الأشعري قول زائد، فإذا بطل قول الأشعري فهل يتعين بالصحة أقوال المعتزلة، وإذا بطل القولان فهل هذا إلا تصريح بأن الحق مع غير أهل القبلة؟! وإذا لعن المعتزلة والأشعري في مسألة لا يخرج ثول الأمة عن قوليهما، فهل هذا إلا لعن جميع أهل القبلة؟! (438)، ثم يذكر المسائل التي نقمت على الأشعري ولعن من أجلها، ويناقشها واحدة واحدة وأهم هذه المسائل:

أ . اتهامه مع أصحابه أنهم يقولون: إن الرسول ε ليس بنبيٍّ في قبره ولا رسول بعد موته، ويرد هذه التهمة ويذكر أن الرسول ε حيٌّ في قبره ويذكر الأدلة على ذلك (439)، وهذه أيضاً أوقعت الأشاعرة في مشكلة أخرى وهي كيف يكون الرسول ε حياً في قبره، وما معنى هذه الحياة وما مداها، والإجابة عن هذه الأسئلة مما يثير التساؤل حقاً، خاصة في ظل التصاق التصوف بالمذهب الأشعري، ومن المعلوم أن البيهقي الف رسالة في حياة الأنبياء في قبورهم ولا شك أنه ألفها بسبب ما أثير في هذه المحنة.

---

(438) شكاية أهل السنة (ص:9-10)، ضمن الرسائل القشيرية – وطبقات السبكي (3/405-406).

(439) انظر: الشكاية- ضمن الرسائل القشيرية – (ص: 10-28)، وطبقات السبكي (3/405-406).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ب . أن الأشعري يقول: إن الله لا يجازي المطيعين على إيمانهم وطاعتهم، ولا يعذب الكفار والعصارة على كفرهم ومعاصيهم، ويرد على ذلك موضحاً مذهب الأشاعرة في القدر (440).

جـ . في مسألة كلام الله وأن موسى لم يسمع كلام الله، وأنه ليس القرآن في المصحف وقد أجاب القشيري عن ذلك موضحاً مذهب الأشاعرة (441).

د . أن الأشعري يكفر العوام الذين لا يملكون النظر والاستدلال، وقد رد القشيري على ذلك (442).

هـ . أن الاشتغال بعلم الكلام بدعة، وقد دافع القشيري عن علم الكلام، وأن القول بأنه صفة الحشوية الذين لا تحصيل لهم (443).

وبهذا الدفاع الذي جاء بأسلوب بث الشكوى برز القشيري كعلم من أعلام الأشاعرة، وكان لذلك دوره في تبني ما كان عنده من تصوف.

الجانب الآخر: إدخال التصوف في المذهب الأشعري، وربطه به، وذلك حين ألف القشيري رسالته المشهورة في التصوف وأحواله وتراجم رجاله المشهورين، فذكر في أحد فصول الرسالة، وفي ثناياها أن عقيدة أعلام التصوف هي عقيدة الأشاعرة فنسب إليهم أنهم يقولون: « إنه أحدي الذات، ليس يشبه شيئاً من المصنوعات، ولا يشبه شيء من المخلوقات ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، ولا صفاته أعراض، ولا يتصور في الأوهام، ولا يتقدر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقت وزمان، ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يخصه هيئة وقد، ولا يقطعه نهاية وحد، ولا

---

(440) انظر: المصدر السابق (ص: 28-38، و 3/413-416).
(441) انظر: المصدر نفسه (ص: 38-42، و 3/416-418).
(442) انظر: الشكلية (ص: 42-45، و 3/418-420).
(443) انظر: المصدر نفسه (ص: 43-49، و 3/421-423).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

يحله حادث، ولا يحمله على الفعل باعث... ولا يُقال له: أين، ولا حيث ولا كيف... يُرى لا عن مقابلة... خالق أكساب العباد» (444)، ويركز على نفي أن الله في جهة العلو (445)، ثم يقول في أواخر الرسالة: « فإذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول، ومشايخهم أكبر الناس، وعلماؤهم أعلم الناس، فالمريد الذي له إيمان بهم: إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقاصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب، فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة، وإن كان مريداً طريقة الأتباع وليس بمستقل بحاله، ويريد أن يعرج في أوطان التقليد إلى أن يصل إلى التحقيق فليقلد سلفه وليجر على طريقة هذه الطبقة فإنهم أولى به من غيرهم» (446)، فهو يرى أن من أراد دخول طريقة التصوف كوشف مع شيوخه، ومن لم يرد دخول طريقة التصوف فعليه بتقليدهم في القعائد لأنهم أولى من غيرهم.

ودعوى القشير أن هذه عقائد شيوخ الصوفية ليست مسلمة، وليس هذا موضع مناقشة ذلك، ولكن الذي حدث هو تبني أعلام الأشاعرة للتصوف وتمثل ذلك بشكل واضح في الغزالي ومن جاء بعده.

على أنه يجب أن لا يغيب عن البال هنا أن هناك من الأشاعرة من سبق القشيري إلى نوع ممن الارتباط بالتصوف، فالمحاسبي الكلابي تصوفه مشهور، وكذلك كان من أخص تلاميذ أبي الحسن الأشعري بندار خادمه، وعبد الله ابن خفيف وكانا من المتصوفه المشهورين، وعبد القاهر البغدادي ذكر أنه: « قد اشتمل كتاب تاريخ الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي على زهاء ألف شيخ من الصوفية ما فيهم واحد

---

(444) الرسالة (1/50-51).

(445) انظر: المصدر السابق (1/21، 37-46،38).

(446) الرسالة (2/734).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

من أهل الأهواء، بل كلهم من أهل السنة سوى ثلاثة» (447)، والبغدادي يقصد بأهل السنة الأشاعرة، ولكن الذي تميز به القشيري أنه ذكر قواعد التصوف وأصوله، وأحوال المريدين، وآداب الصوفية، ودعا إلى سلوك طريقتهم، وفي أثناء ذلك نسب إليهم العقائد الأشعرية، وأنهم يخالفون المعتزلة والمشبهة.

وقد يظن البعض أن تصوف القشيري كان تصوفاً سنياً، بعيداً عن شطحات وبدع الصوفية، ولكن المتمعن في كتبه يجد غير ذلك، وقد كتبت دراسات عن القشيري وتصوفه (448)، ويمكن الإشارة باختصار إلى القضايا التالية في تصوفه:

أ . صلته بطائفة الملامتية (449)، التي انتشرت في بلده نيسابور، وقد ترجم لبعض أعلامها (450)، ويربط بعض الدراسين بين ما عند هذه الطائفة من كتمان

---

(447) أصول الدين (ص: 315).

(448) منها: الإمام القشيري: سيرته، آثاره، مذهبه في التصوف، لإبراهيم بسيوني، ومقدمة تحقيق نحو القلوب لأحمد الجندي – وله ميل إلى التصوف –.

(449) سبق في (ص: 167)، التعريف بطائفة من الطوائف المنتسبة إليهم وهم اليونسية، وهنا نعرف بهم تعريفاً عاماً بأنهم الذين لم يظهر على ظواهرهم فما في بطونهم أثر، لأنهم يجتهدون في الإخلاص، والملامتي لا يظهر حيراً ولا يضمر شراً، ولذلك فهم يسترون صلاحهم بأمور تتداولها العوام ليست بمخالفات ولا معاص مبالغة في الخفاء، وينسب انتشار هذا المذهب في نيسابور إلى أبي صالح حمدون بن أحمد القصار المتوفى سنة 271هـ، انظر: الرسالة القشيرية (114/1)، وعوارف العوارف (ص: 71)، ومعجم مصطلحات الصوفية (ص: 249)، وانظر: عن نشأتهم: القشيري لإبراهيم بسيوني (ص:17)، وما بعدها.

(450) انظر: الرسالة القشيرية (114/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

لأحوالهم وما عند الرافضة من التقية، ويشير إلى أمر مستغرب وهو أن القشيري لم يرد على طائفة الذين عظم شأنهم في زمنه (451).

ب . إيمانه بوجود القطب (452)، والأوتاد (453)، والأبدال (454)،والغوث (455)، وتفسير القرآن بما يوافق ذلك، فمثلاً يقول في قوله تعالى: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) (الكهف:47)، « كما تقتلع الأرض يوم القيامة بأوتادها، تسير اليوم بموت الأبدال الذين هم والقطب كجبال الأرض، إذ هم في الحقيقة أوتاد العالم» (456)، ويقول في قوله تعالى: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) (النحل:15)، « في الظاهر

---

(451) انظر: القشيري لإبراهيم بسيوني (ص: 25).

(452) القطب عند الصوفية: عبارة عن رجل واحد هو موضوع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام، وحين يلتجأ إليه يسمى الغوث، انظر: اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ص: 45)، ومعجم اصطلاحات الصوفية (ص: 217).

(453) الأوتاد عند الصوفية: الرجال الأربعة على منازل الجهات الأربع من العالم، بهم يحفظ الله تلك الجهات لكونهم محال نظره تعالى، اصطلاحات الصوفية (ص: 33)، ومعجم مصطلحات الصوفية (ص: 264).

(454) ويقال البدلاء: وهم مجموعة – اختلف الصوفية في عددهم – على قلب إبراهيم عليه السلام، إذا سافر أحد منهم عن موضع ترك فيه جسداًعلى صورته بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، انظر: اصطلاحات الصوفية (ص: 36)، والتعريفات للجرجاني (ص: 24)، والصلة بين التصوف والتشيع (ص: 458).

(455) الغوث – عن الصوفية – هو القطب حين يلتجأ إليه، ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثاً، اصطلاحات الصوفية (ص: 167)، والتعريفات (ص:87).

(456) لطائف الإشارات – عن القشيري – (ص: 27).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الجبال، وفي الإشارة الأولياء الذين هم غياث الخلق، وبهم يرحم ربهم عباده، ومنهم إبدال ومنهم أوتاد، ومنهم القطب» (457).

جـ . إقراره لما يقع للمتصوفة في حال فنائهم بربهم إلى حد أن يقول أحدهم: أنا الحق أو سبحاني، يبرر ذلك (458).

د . قوله أن « هو » اسم موضوع للإشارة، وأنه عند الصوفية إخبار عن نهاية التحقيق، وينقل عن ابن فورك أنه قال: « هو: حرفان، هاء وواو، فالهاء تخرج من أقصى الحلق، وهو آخر المخارج، والواو تخرج من الفم، وهو أول المخارج، فكأنه يشير إلى ابتداء كل حادث منه وانتهاء كل حادث إليه» (459)، ويقول: إن أهل الإشارة يقولون: « إن الله كاشف الأسرار يقول هو وكاشف القلوب بما عداه من الأسماء » (460).

هـ . دعوته إلى أدب المريد مع الشيخ، وأنه يجب عليه أن يكون يره بشيخه أكثر من بره بوالديه، ويروي عن أبي عبد الرحمن السلمي يقول: « سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول: « من قال لأستاذ: لم، لا يفلح أبداً » (461)، ويقول بعد ذكر قصص الصوفية الغريبة: « واعلم أن هذه الألفاظ توهم ظواهرها، وإنما يقف على معانيها ومرمى القول فيها من جمع بين حقائق الأصول وبين شيء من علوم هذه الطائفة، وتحقق ولو بشظية من معانيه، وإلا وقع في الاعتراض على السادة، ونعوذ

---

(457) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(458) رسالة ترتيب السلوك، ضمن الرسائل القشيرية (ص:72-73).
(459) شرح أسماء الله الحسنى (ص: 71-72).
(460) المصدر السابق (ص: 72).
(461) نفسه (ص:230)، وانظر: الرسالة (735/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

بالله من تلك العقوبة» (462)، ويقول بعد ذكر قصة لهم: « وهكذا سنة الله في أوليائه أن يسترهم عمن لا يبلغ مرتبتهم » (463).

و . يذكر القشيري الخلاف في الولي: هل يجوز أن يعلم أنه ولي أم لا فيقول: « كان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول: لا يجوز ذلك، لأنه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن، وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله يقول بجوازه» ، قال القشيري: « وهو الذي نؤثره ونقول به، وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء » (464).ز . ينصح المريدين بسلوك طريق الصوفية، ويفضلهم على أهل النقل والأثر وأرباب العقل والفكر، ويرى أن الصوفية أهل الوصال، والناس أهل الاستدلال، ويرى ليس هناك عصر من العصور إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة، وأن علماء الوقت يخضعون له ويتبركون به، ويذكر قصة لأحمد بن حنبل والشافعي مع شيبان أحد الصوفية (465)، ويرى على المريد إذا لم يجد من يتأدب معه في بلده أن يهاجر إلى من هو منصوب في وقته لإرشاد المريدين، ثم يقيم عليه ولا يبرح عن سدته – أي داره – إلى وقت أن يأذن له الشيخ، ثم يعقب القشيري بكلام خطير حين يقول: « إن تقديم معرفة رب البيت – سبحانه – على زيارة البيت واجب، فلولا معرفة رب البيت ما وجبت زيارة البيت» (466)، وينعى على الشبان الذين يحجون من غير إشارة الشيوخ (467).

---

(462) نفسه (ص: 136).
(463) نفسه (ص: 46).
(464) الرسالة (662/2).
(465) انظر: المصدر السابق (731/2-733).
(466) المصدر السابق (743/2).
(467) انظر : المصدر نفسه (742/2-743).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

ح . إباحته للسماع، وذكره للأدلة في ذلك، ومناقشته للمخالفين (468).

* * *

هذه مقتطفات من منهج وأصول القشيري أحد أعلام الأشاعرة، وهي تبين مدى صلته بالصوفية وتمكنه فيها حتى صار شيخاً فيها، ومدى ثقته بعقيدة الأشاعرة حتى نسب إلى شيوخ الصوفية أنهم لا يخالفونها، ولا شك أن القشيري يمثل مدرسة كان لها الأثر الكبير في عقائد ومنهج الأشاعرة.

الجويني: ت 478هـ.

أحد الأعلام المشهورين، وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية، الجويني، النيسابوري، أبو المعالي، إمام الحرمين، ولد سنة 419هـ، وتتلمذ على يد والده أبي محمد الجويني، وجماعة منهم أبو القاسم الإسفراييني الإسكاف واسيمه عبد الجبار بن علي، وأبو عبد الله الخبازي: محمد بن علي بن محمد بن حسن، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني وبو القاسم الفوراني، وابن الزكي أبو حسان محمد بن أحمد، وغيرهم، كما تتلمذ عليه مجموعة منهم أبو حامد الغزالي، وأبو طاهر إبراهيم بن المطهر الجرجاني، وإسماعيل بن أحمد أبو سعد بن أبي صالح المؤذن، وأبو القاسم الأنصاري – شارح الإرشاد – وعبد الرحيم بن عبد الكريم أبو نصر القشيري، وعلي بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي، وغيرهم.

اشتهر الجويني – خاصة بعد فتنة الأشاعرة والتي بسببها جاور في الحرمين وسمي إمام الحرمين – كأحد أعلام الشافعية والأشعرية بعد تدريسه في نظامية نيسابور قرابة ثلاثين عاماً إلى أن توفي سنة 478هـ.

---

(468) انظر: الرسالة (673/2)، ورسالة: كتاب السماع ضمن الرسائل القشيرية (ص: 50) وما بعدها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد عني كثير من العلماء بترجمته (469)، كما أفردت له عدة تراجم مع دراسات عن حياته ومنهجه (470)، ولذلك جاءت ترجمته هنا مختصرة.

أما أهم مؤلفاته فهي:

1 . البرهان في أصول الفقه، مطبوع بتحقيق عبد العظيم الديب.

2. الورقات في أصول الفقه، مطبوعة ولها شروح عديدة.

3. مغيث الخلق في اتباع الأحق، في ترجيح مذهب الشافعي طبع في مصر سنة 1934م، ورد عليه الكوثري.

4. الغياثي أبو غياث الأمم بالتياث الظلم، في الخلافة والإمامة، وخلو الزمان عن الإمام أو عن المفتين نشره مصطفى حلمي، وفؤاد عبد المنعم أحمد ثم طبع مع تحقيق جيد للدكتور عبد العظيم الديب.

5ـ الشامل في أصول الدين: من كتب الجويني الكلامية المطولة، لم يعثر عليه كاملاً، طبع جزء منه بتحقيق المستشرق كلوبفر، ثم طبع جزء أكبر بتحقيق النشار وفيصل بدير عون، وسهير مختار.

6ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد – وهو مختصر للشامل – طبع بتحقيق محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد.

7ـ لمع الأدلة في قواعد وعقائد أهل السنة والجماعة – مختصر جداً – طبع مع مقدمة طويلة عن حياته بتحقيق فوقيه محمود.

---

(469) انظر في ترجمته: دمية القصر (1000/2)، والأنساب (386/3)، – ط لبنان – وتبيين كذب المفتري (278)، والمنتظم (18/9)، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار (85/1)، والمستفاد (ص: 312)، – ط مؤسسة الرسالة – وطبقات السبكي (165/5)، والعقد الثمين (507/5)، وسير أعلام النبلاء (468/18) وغيرها كثير.

(470) منها: الجويني إمام الحرمين: فوقية حسين محمود، سلسلة أعلام العرب، وإمام الحرمين حياته وعصره: عبد العظيم الديب، الإمام الجويني: محمد الزحيلي. وغيرها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

8 . الكافية في الجدل، طبع بتحقيق: فوقيه محمود.

9ـ العقيدة النظامية: طبع بتحقيق: الكوثري، ثم بتحقيق السقا مع إبقائه على حواشي الكوثري.

وله مناظرات (471)،وكتب أخرى بعضها لا يزال مخطوطاً، ومن أهمها: مختصر الإرشاد للباقلاني، في علم الكلام (472).

منهج الجويني وأثره في تطور المذهب الأشعري :

يعتبر الجويني إمام الحرمين من أعظم أعلام الأشاعرة، ولا يكاد يذكر المذهب الأشعري إلا ويسبق إلى الذهن هذا الإمام المشهور كأحد من يتمثل هذا المذهب في أقواله وكتبه، ولذلك فاستعراض عقيدته وأقواله تدل على أشعريته وموافقته لشيوخه الأشاعرة مما لا داعي لبسطه هنا، وإنما المقصود الإشارة إلى عموم منهجه الذي طور فيه هذا المذهب، ويمكن عرض ذلك من خلال ما يلي:

أ . تجديده في داخل المذهب الأشعري، فالجويني وإن تبني أقوال شيوخه السابقين ونقلها إلا أنه رد أو ناقش منها ما يرى أنه يستحق الرد والمناقشة بل إمام الأشاعرة أبو الحسن الأشعري الذي يذكره الجويني غالباً بقوله: قال شيخنا أو ذهب شيخنا (473)، ودافع عن كتابه « اللمع» فيما وجه إليه من المطاعن من قبل المعتزلة

---

(471) ذكر بعضها السبكي في الطبقات (5/209-218).

(472) انظر: مقدمة تحقيق « الجدل » (ص: 16)، وانظر في مؤلفاته: طبقات السبكي (5/171)، وسير أعلام النبلاء (18/475)، وإمام الحرمين: عبد العظيم الديب (ص: 49)، وما بعدها، ومقدمة تحقيق الجدل (ص: 12)وما بعدها.

(473) انظر: – على سبيل المثال – الإرشاد (ص: 14)، وغيرها، والشامل (ص: 149)، والبرهان (1/135-274).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وغيرهم (474)؛ لم يسلم من تضعيف أقواله، ومن الأشاعرة – بعد الأشعري – الذين نقل أقوالهم الجويني وناقش بعضها: الباقلاني (475)، وأبو إسحاق الإسفراييني (476)، وان فورك (477)، ومن ثم فيلاحظ في منهج الجويني بهذا الخصوص ما يلي:

1 . إن الجويني ضعف التأويل المشهور – والمنسوب للأشعري – لبعض الصفات الفعلية مثل الاستواء والنزول والمجيء من أنه فعل فعله الله في العرش سماه استواء، أو فعل يفعله كل ليلة، أو يوم القيامة سماه نزولاً أو مجيئاً (478)، وترجيحه التأويل بالملك والغلبة بالنسبة للاستواء، وبنزول أو مجيء أمره أو بعض ملائكته.

2. نقده لمذهب الأشعري في مسألة تكليف مالا يطاق (479)، يقول: « نقل الرواة عن الشيخ أبي الحسن الأشعري – رضي الله عنه – أنه كان يجوز تكليف ملا يطاق، ثم نقلوا اختلافاً عنه في وقوع ما جوزه من ذلك، وهذا سوء معرفة بمذهب الرجل، فإن مقتضى مذهبه أن التكاليف كلها واقعة على خلاف الاستطاعة، وهذا يتقرر من وجهين: أحدهما: أن الاستطاعة عنده لا تتقدم على الفعل، والأمر بالفعل يتوجه على

---

(474) ذكر الجويني فصولاً في كتابه الشامل ذكر فيها المطاعن التي وجهت إلى اللمع للأشعري وأجاب عنها، انظر (ص: 245-287-338-342).

(475) انظر: البرهان (1/101،89، 148-149، 218، 280، 287)، والإرشاد (ص:407)، والشامل (ص: 198، 211،221، 233،247، 274،294، 570).وغيرها.

(476) انظر: البرهان (1/95، 100، 111، 170)، والإرشاد (ص: 33، 333)، والشامل (ص: 212، 267، 350، 433، 533، 624)، والكافية في الجدل (ص: 307، 409).

(477) انظر: البرهان (1/116)، والشامل (ص: 212، 346، 543، 562).

(478) انظر: الشامل (ص: 549، 555، 556).

(479) مع أنه في الإشاد (ص: 226)، رجح مذهب الأشعري والأشاعرة في جوازه.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المكلف قبل وقوعه، وهو إذ ذاك غير مستطيع... والثاني: أن فعل العبد عنده واقع بقدرة الله تعالى، والعبد مطالب بما هو من فعل ربه ولا ينجى من ذلك تمويه المموه بذكر الكسب، فإنا سنذكر سر ما نعتقده في خلق الأعمال » (480)، ثم رجح منع تكليف مالا يطاق، ورجح جواز ورود الصيغة به دون الطلب كقوله تعالى: (كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (البقرة:65)، وخلاصة قوله: « إنه يكلف المتمكن، ويقع التكليف بالممكن، ولا نظر إلى الاستصلاح ونقيضه » (481)، فالجويني بهذا القول يكون قد بعد عن مذهب الأشاعرة في هذه المسألة، ويزيدها إيضاحاً قوله في مسألة « قدرة العبد » هل تقارن المقدور أو تسبقه.

3. وفي مسألة الاستطاعة، أو القدرة الحادثة للعبد(482)، ذكر مذهب أبي الحسن الأشعري أن القدرة الحادثة تقارن حدوث المقدور ولا تسبقه ثم قال بعد شرحه: «ومذهب أبي الحسن – رحمه الله – مختبط عندي في هذه المسألة » (483)، ثم قال: « ومن أنصف من نفسه علم أنه معنى القدرة التمكن من الفعل ، وهذا إنما يعقل قبل الفعل وهو غير مستحيل في واقع حادث في حالة الحدوث» (484).

4- وفي مسألة أزلية كلام الله تعالى والخلاف الواقع بين الكلابية والأشعرية في أزلية الأمر والنهي- وهما من أجزاء الكلام عندهم- قال:« اشتهر من مذهب شيخنا أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري- رضي الله عنه- مصيره إلى أن المعدوم وقع في العلم وجوده واستجماعه شرائط التكليف فهو مأمور- معدوما- بالأمر الأزلي، وقد

---

(480) البرهان في أصول الفقه (1/102-103).

(481) المصدر نفسه (1/105).

(482) رجع الجويني في الإرشاد (ص: 218)، مذهب الأشاعرة المشهور وهو أن القدرة الحادثة تقارن « في المطبوعة الأرشاد: وهو خطأ» حدوث المقدور بها.

(483) البرهان (1/277).

(484) المصدر نفسه (1/279).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

تمادي المشغبون عليه، وانتهى الأمر إلى انكفاف طائفة من الأصحاب هم هذا المذهب، وقد سبق القلانسي (485) رحمه الله من قدماء الأصحاب- إلى هذا، وقال: كلام الباري تعالى في الأزل لايتصف بكونه أمرا ونهيا ووعدا ووعيدا وإنما يثبت له هذه الصفات فيما لايزال عند وجود المخاطبين» (486)، ثم رد ثم رد الجويني على القلانسي- الذي يمثل مذهبه مذهب الكلابية (487)، ثم ذكر مسلكين لأئمة الأشاعرة في إثبات أن المعدوم مأمور، ثم ذكر طريقة أبي الحسن الأشعري في ذلك (488)، ثم قال معلقا: « هذا منتهى مذهب الشيخ [الأشعري] – رضي الله عنه- فأقول: إن ظن ظان أن المعدوم مأمور فقد خرج عن حد المعقول، وقول القائل: إنه مأمور على تقدير الوجود تلبيس، فإنه إذا وجد، ليس معدوما، ولاشك أن الوجود شرط في كون المأمور مأمورا»- ثم قال بعد هذا الكلام مباشرة- معلنا حيرته في هذه المسألة العظيمة المتعلقة بكلام الله تعالى: « وإذا لاح ذلك بقي النظر في أمر بلا مأمور، وهذا معضل الأرب، فإن الأمر من الصفات المتعلقة بالنفس، وفرض متعلق لا متعلق له محال، والذي ذكره (489) في قيام الأمر بنا في غيبة المأمور تمويه، ولا أرى ذلك أمرا حاقا ، وإنما هو فرض تقدير- وما أرى الأمر لو كان كيف يكون- إذا حضر

---

(485) رجح محقق البرهتن هنا (270/1)، وقبل ذلك (ص: 135) أن المقصود بالقلانسي أحمد بن إبراهيم المعاصر لابن فورك المتوفى سنة 406هـ، وليس هو القلانسي الآخر السابق للأشعري المعاصر للمحاسبي وغيره من الكلابية، وترجيحه هذا مرجوح، والراجح أنه قصد القلانسي الكلابي، ولذلك قال عنه هنا: أنه من قدماء الأصحاب، ثم ذكر قوله في هذه المسألة والذي هو قول ابن كلاب وأصحابه.

(486) البرهان (270/1-271).

(487) انظر: المصدرنفسه (271/1).

(488) البرهان (272/1-274).

(489) أي الأشعري فيما سبق انظر: البرهان (273/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المُخَاطَب قام بنفس الأمر إلحاق المتعلق به، والكلام الأزلي ليس تقديرا، فهذا مما نستخير الله تعالى فيه، وإن ساعف الزمان أملينا مجموعا من الكلام ما فيه شفاء الغليل إن شاء الله تعالى» (490)، هذا منتهاه في مسألة من أهم المسائل التي تميز بها المذهب الأشعري0

4- ويري الجويني أن الأشاعرة وضعوا بعض الأصول مثل: نفي التجسيم عن الله ومثل نفي العلو (الجهة)، ثم ذكر أن المعتزلة عجزوا عن نصب الأدلة على استحالة كون القديم جسماً (491)، كما أن نفى الجهة لا يستقيم على أصولهم أيضاً (492)، والجويني بهذا الأسلوب يبرز مذهب الأشاعرة على أنه أكثر أصالة وأقوي أدلة في نفي بعض الصفات، ونفى العلو عن الله تعالى- من المعتزلة – الذين هم أهل التجهم والتعطيل، وهذا منهج للجويني في إعلاء المذهب الأشعري يعتمد على أسلوب غريب؛ إذ لو أنه ذكر أن أصول المعتزلة لا تستقيم على نفي الصفات السبع، أو الرؤية أو أن القرآن كلام الله غير مخلوق لكان هذا معتادا غير مستغرب، أما أن

يذكر أن أصولهم لا تستقيم على نفى العلو وإنما تستقيم الأدلة على أصولنا نحن الأشاعرة فهذا هو الذي يلفت الانتباه0

5-وفي مسألة أخبار الآحاد- وإفادتها للعلم ثم حجيتها في العقيدة- يسير الجويني في ركب غالب شيوخه في أنها لا تفيد العلم (493)، وفي أحد المواضع في الشامل ذكر قولين أحدهما قول الباقلاني: إنه لا يقطع بها في القطعيات، الآخر قول الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني الذي ذكره قائلا: « وذهب الأستاذ أبو إسحاق إلى أن الحديث

---

(490) البرهان (1/274-275).

(491) انظر: الشامل (ص: 414).

(492) انظر: المصدر نفسه (ص:528).

(493) انظر: الإرشاد (ص: 161)، والشامل (ص: 100).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المدون في الصحاح الذي لم يعترض عليه أحد من أهل الجرح والتعديل، هو(494)مما يقضي به في القطعيات، وليس من أصله أنه يبلغ مبلغ التواتر، إذ لو بلغه لأوجب العلم الضروري، ولكنه مما يتوجب العلم استدلالا ونظراً » (495)،ثم قال الجويني: «والصحيح في ذلك طريقه القاضي» (496)،وفي البرهان كانت عبارة قاسية جدا فيمن يقول إن خبر الواحد العدل يفيد العلم، يقول: « ذهبت الحشوية من الحنابلة، وكتبة الحديث إلى أن خبر الواحد العدل يوجب العلم، وهذا خزي(497) لا يخفي مدركه على ذي لب » (498).

ب- تأويله للاستواء وللصفات الخبرية:

في العرض السابق لأقوال شيوخ الأشاعرة- قبل الجويني- تبين أن تأويل هذه الصفات كان موجودا قبل الجويني، وليس كما اشتهر من أنه أول من تأولها، ومع ذلك فللجويني مذهب متميز فيها، قرب فيه من مذهب المعتزلة0

ويوضح ذلك أن السابقين كابن فورك ومن بعده قالوا بنفي الجهة، ثم قالوا في الاستواء: إنه بمعنى العلو بالقهر والتدبير – كما يقول ابن فورك- أو على معنى الملك – كما يقول البغدادي – لكنهم أبطلوا تأويل المعتزلة استوى باستولى، فلما جاء الجويني ذكر أن الاستواء بمعنى الاستيلاء فقال: « لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة، إذ العرب تقول: استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد الملك، واستعلى على الرقاب، وفائدة تخصيص العرش بالذكر أنه

---

(494) في الشامل (وهو) والواو زائدة.

(495) الشامل (ص: 557).

(496) نفس المصدر والصفحة.

(497) ذكر المحقق في الحاشية أن في نسخة ت :خرق.

(498) البرهان(606/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أعظم المخلوقات في ظن البرية، فنص تعالى عليه تنبيهاً بذكره على ما دونه، فإنه قيل: الاستواء بمعنى الغلبة ينبئ عن سبق مطامحة ومحاولة؟ قلنا: هذا باطل، إذ لو أنبأ الاستواء عن ذلك لأنبأ عنه القهر، ثم الاستواء بمعنى الاستقرار بالذات ينبئ عن اضطراب واعوجاج سابق، والتزام ذلك كفر » (499)، ثم ذكر أنه لا يبعد تفسير الاستواء بالقصد، ثم ذكر التفويض ورده (500). أما في الشامل فذكر عدة أقوال فيه: منها التفويض مع القطع بنفي الجهات والمحاذيات، بحيث يكون الاستواء من الأسرار التي لا يطلع عليها الخلائق، والله تعالى مستأثر بعلمها (501)، ثم قال: «ذهب بعضهم إلى أن المراد بالاستواء: الاقتدار والقهر والغلبة، وذلك سائغ في اللغة، شائع فيها، إذ القائل يقول: استوى المالك على الإقليم، إذا احتوى على مقاليد الملك فيه، ومنه قول القائل:

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف أو دم مهراق(502)

وقول آخر:

ولما علونا واستوينا عليهم

---

(499) الإرشاد (ص: 40-41).

(500) انظر: المصدر السابق (ص: 41).

(501) انظر: الشامل (ص: 550).

(502) هذا البيت منسوب إلى الأخطل النصراني، وقد سبق تخريجه، وفي الشامل « ولا دم ».

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

تركنـــــــاهم صـــــــرعى لنســـــــر

ثم ذكر الاعتراض الذي أورده في الإرشاد وأجاب عنه بمثل ما أجاب به هناك (505)، ثم ذكر القول الآخر أنه بمعنى القصد والإرادة، وقول الأشعري أنه فعل في العرش واستبعده (506)، أما في لمع الأدلة – المختصر في العقائد – فلم يذكر سوى التأويل: حيث قال: « المراد بالاستواء القهر والغلبة والعلو، ومنه قول العرب: استوى فلان على المملكة – أي استعلى عليها واطردت له » ومنه قول الشاعر:

«قد استوى بشر....» (507)، وفي النظامية – وهي من آخر مؤلفاته – قطع بتنزيه الله عن الاختصاص ببعض الجهات (508)، ثم ذكر أن مذهب السلف إجرؤها على ظاهر دون تأويل، وهو ما رجحه (509).

هذه خلاصة أقوال الجويني في الاستواء، ومنه يتبين أن ما اختاره في لمع الأدلة وقال بجواز القول به في الإرشاد والشامل هو قول المعتزلة (510)، الذي رده شيوخ الجويني، كابن كلاب والأشعري والباقلاني والبيهقي وغيرهم، وبذلك يصبح الجويني أول من ارتضى هذا التأويل الاعتزالي المشهور.

---

(503) لم أقف على قائله.

(504) الشامل (ص:553).

(505) انظر: الشامل (ص: 553).

(506) انظر: المصدر السابق (ص: 554-556).

(507) لمع الأدلة (ص: 95).

(508) انظر: النظامية (ص: 21).

(509) انظر: المصدر نفسه (ص: 32-34).

(510) انظر: مثلاً كلامهم حول الاستواء وتأويله، وشواهدهم في ذلك: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار الهمذاني (ص: 226-227).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أما الصفات الخبرية فقسمان: ما عدا صفة الوجه والعين واليدين، فقد تأوّله غالب الأشاعرة ومنهم أبو الحسن الطبري، والبغدادي والبيهقي وغيرهم ومشى على طريقتهم الجويني (511)، وذلك مثل صفة القدم، والساق، والأصابع وغيرها، فالجويني ليس في مذهبه جديد في هذا، أما صفة الوجه والعين واليدين فجمهور شيوخ الجويني من الأشاعرة على إثباتها بلا تأويل، والذي أثر عنه تأويلها عبد القاهر البغدادي – كما سبق تفصيل ذلك – ولم يقل يقول البغدادي في تأويلها أحد من تلامذته، ومنهم البيهقي الذي أثبتها بلا تأويل، فلما جاء الجويني قطع بتأويلها، وإن كان قد رجع عن ذلك عن النظامية، يقول الجويني في الإرشاد: « ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إيباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العينين على البصر، وحمل الوجه على الوجود» (512)، ثم شرح ذلك ورد على الذين يعتقدون أنها صفات لله تعالى لورود النصوص الصريحة بذلك (513)، ثم يسوق الجويني كلاماً في الرد على شيوخه الأشاعرة المثبتين لهذه الصفات نهج فيه منهج المعتزلة الذين يصفون الأشاعرة حين يثبتون بعض الصفات دون بعض بأنهم متناقضون لأن مساق الصفات واحد فإما أن تثبت جميعاً أو تؤول جميعاً، يقول الجويني هنا: « ومن سلك من أصحابنا سبيل إثبات هذه الصفات [أي صفات اليدين والعين والوجه] بظواهر هذه الآيات ألزمه سوق كلامه أن يجعل الاستواء والمجيء والنزول والجنب من الصفات، تمسكاً بالظاهر، فإن ساق تأويلها فيما يتفق عليه، لم يبعد أيضاً طريق التأويل فيما

---

(511) انظر: مثلاً تأويل الجويني للقدم الشامل (ص: 562)، والإرشاد (ص: 162)، والأصابع الشامل (ص: 564)، والساق الإرشاد (ص: 159).

(512) الإرشاد (ص: 155).

(513) انظر: المصدر السابق (ص: 155–157).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ذكرناه » (514)، و لاشك أن الجويني معه الحق فيما يقول، لأن تأويل شيوخه لصفات الاستواء والنزول والمجيء ليس بأولى من تأويل الصفات الخبرية، ودلالات النصوص واحدة.

وفي الشامل تأوّل الجويني النصوص الواردة في العين (515)، أما في النظامية فقد رجع عن التأويل فيها كلها إلى التفويض.

ومما سبق يتبين أن الجويني وإن كان قد سبق إلى تأويل الاستواء والوجه واليدين والعين – إلا أن مذهبه فيها تميز بأمرين:

الأول: اختيار تأويل الاستواء بالاستيلاء والملك – كقول المعتزلة – وهذا التأويل بالذات رده شيوخ الأشاعرة ومنهم عبد القاهر البغدادي الذي قال بعد أن رد تأويل المعتزلة بأن الصحيح تأويل العرش على معنى الملك أي أن الملك ما استوى لأحد غيره (516)، وهذا القول للبغدادي ليس ببعيد من قول المعتزلة، ومع ذلك فلم يجسر على مخالفة شيوخه الذين ردوا تأويل المعتزلة للاستواء، فلما جاء الجويني أزال هذا الحاجز، ورأى أنه لا فرق بين التأويلين، ولذلك نص على تأويل المعتزلة واختاره.

الثاني: التأويل الصريح لصفة الوجه واليدين والعين، مع إلزام الأشاعرة أن تأويلها لازمهم كتأويل الاستواء والنزول.

جـ . قربه من المعتزلة ومذهبهم:

---

(514) المصدر السابق (ص: 157-158).

(515) انظر: الشامل (ص:556-557).

(516) انظر: أصول الدين للبغدادي (ص: 112-113).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يجمع الباحثون على تأثر الجويني بالمعتزلة أكثر ممن سبقه من الأشاعرة (517)، وما تقدم – في الفقرة السابقة – دليل واضح على قربه منهم وتأثره بهم، ومن الأدلة والشواهد على ذلك ما يلي:

1- إن الجويني في مسألة كلام الله والقرآن، لما شرح مذهب الأشاعرة، ورد على المعتزلة قال: « واعلموا بعدها أن الكلام مع المعتزلة وسائر المخالفين في هذه المسألة يتعلق بالنفي والإثبات، فإن ما أثبتوه وقدّروه كلاماً فهو في نفسه ثابت، إنه كلام الله تعالى إذ [لعل صوابها إذا] رد إلى التحصيل آل الكلام إلى اللغات والتسميات فإن معنى قولهم: هذه العبارات كلام الله، أنها خلقه، ونحن لا ننكر أنها خلق الله (518)، ولكن نمتنع من تسمية خالق الكلام متكلماً به، فقد أطبقنا على المعنى، وتنازعنا بعد الاتفاق في تسميته، والكلام الذي يقضي أهل الحق بقدمه هو الكلام القائم بالنفس، والمخالفون ينكرون أصله ولا يثبتونه » (519)،والجويني لم يخالف في هذا بقية الأشاعرة لأنهم يفرقون بين كلام الهل القائم بالنفس، وبين القرآن المتلو، فالأول قائم بالله لا يجوز انفصاله عن الله بحال، كما لا يجوز حدوثه، بل هو أزلي كأزلية الحياة والعلم كما أنه واحد ليس بحروف ولا أصوات أما الكلام المتلو فهم وإن صرحوا أنه كلام الله إلا أنهم عند التحقيق يقولون: إن هذا الكلام – بعباراته – فهمه جبريل أو غيره من الله، ولذلك فهو حكاية لكلام الله أو عبارة عنه، فالقرآن المتلو

---

(517) انظر: مقدمة تحقيق الشامل (ص: 77)، حيث ذكر المحققون: أن الجويني لم يخالف المعتزلة في الأصول؛ لكنه خالفهم في فهمهم لهذه الأصول نفسها، وانظر: في علم الكلام: الأشاعرة، أحمد صبحي (ص:123-132) ، حيث ذكر أن خصومه الأشاعرة للمعتزلة فترت لدى الجويني ، وانظر: نشأة الأشعرية (ص: 409)، وإمام الحرمين: عبد العظيم الديب (ص: 84)، وغيرها.

(518) ذكر المحققان أن في نسخة م : لا ننكر كونها خلقاً له.

(519) الإرشاد (ص: 116-117).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

على هذا القائل به هو جبريل أو غيره – وقد ذكر ما يدل على ذلك من قوله الباقلاني – لكن الجديد في قول الجويني تصريحه بأنه لا ينكر أن تكون العبارات – أي القرآن المتلو – خلق الله، وهذا مذهب المعتزلة، وإن خالفهم في أن الكلام هو الكلام القائم بالنفس، ولتوضيح قول الجويني هذا ننقل ما ذكره الإيجي في الموقف – الذي يعتبر من أهم كتب الأشاعرة التي استقر عليها مذهبهم في القرون المتأخرة، يقول – حول صفة الكلام –: « وقالت المعتزلة: أصوات وحروف يخلقها الله في غيره، كاللوح المحفوظ، وجبريل أو النبي، وهو حاديث. وهذا لا ننكره، لكننا نثبت أمراً وراء ذلك، وهو المعنى القائم بالنفس... ثم نزعم أنه قديم، لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى، ولو قالت المعتزلة: إنه هو إرادة فعل يصير سبباً لاعتقاد المخاطب علم المتكلم بما أخبره به، أو إرداته لما أمر به لم يكن بعيداً – لكني لم أجده في كلامهم – إذا عرفت هذا فاعلم أن ما يقوله المعتزلة: وهو خلق الأصوات والحروف، وكونها حادثة قائمة (520)، فنحن نقول به، ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك، وما نقوله من كلام النفس فهم ينكرون ثبوته » (521).

فالجويني في نصه السابق يخفف من حدة المعركة بين الأشعرية والمعتزلة في مسألة خلق القرآن، ويصرح بأن المذهب الأشعري لا يعارض قول المعتزلة، ومن ثم فالخلاف معهم في أنهم لا يثبتون الكلام النفسي.

2ـ دفاعه عن المعتزلة فيما نقل من مذاهبهم، فمثلاً في مسألة التحسين والتقبيح العقلي الذي قال به المعتزلة يقول الجويني: « واضطرب النقلة عنهم في قولهم يقبح الشيء لعينه أو يحسن، فنقل عنهم أن القبح والحسن في المعقولات من صفات أنفسها ونقل عنهم أن القبح صفة النفس، وأن الحسن ليس كذلك، ونقل ضد هذا عن

---

(520) قال في شرح الموافق (95/8)، قائمة، بغير ذاته تعالى.

(521) المواقف (ص: 293–294)، ومع شرحه وحواشيه (92/8–95).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الجبائي، وكل ذلك جهل بمذهبهم، فمعنى قولهم يقبح ويحسن الشيء لعينه أنه يدرك ذلك عقلاً من غير إخبار مخبر » (522)، ثم رد على المعتزلة في قولهم هذا وهذا يدل على إطلاعه على كتبهم، ومعرفته بأقوالهم.

3. وفي مسألة المخاطب إذا خص بالخطاب ووجه الأمر إليه وهو في حالة اتصال الخطاب به هل يعلم أنه مأمور، رجح الأشاعرة أنه يعلم، وقالت المعتزلة: إنه لا يعلم إلا بعد مضي زمان الإمكان الذي يسعه فعل المأمور به، وقد رجح الجويني مذهب المعتزلة وقال: « المختار ما عزى إلى المعتزلة في ذلك » (523).

4. وللجويني صلة خاصة بكتب أبي هاشم الجبائي (524)، الذي يرد في كتبه كثيراً، وأقرب مثال على ذلك قول الجويني بالأحوال، وتأكيده على ذلك بعد أن ذكر تردد الباقلاني في القول بها، ومما يلاحظ أن الباقلاني لما قال بالأحوال لم يوافق أبا هاشم الجبائي في أن الحال لا معدومة ولا موجودة، ولا معلومة ولا مجهولة –كما سبق بيان قوله – لكن الجويني وافق الجبائي في عدم اتصاف الحال بالوجود والعدم (525)، ولإن قطع بأنها معلومة مقدورة مرادة (526)، مع تفسير معين لهذه المعاني (527).

---

(522) البرهان (1/88-89).

(523) البرهان (1/282)، وانظر ما قبلها (ص: 280-281).

(524) هو عبد السلام بن أبي علي بن عبد الوهاب – تقدمت ترجمة أبيه عند الحديث عن الأشعري – ولد أبو هاشم سنة 277هـ ، وتوفي سنة 321 هـ، وإليه تنسب فرقة البهشمية – إحدى فرق المعتزلة – انظر في ترجمته وآرائه: تاريخ بغداد (11/55)، والمنتظم (6/261)، والأنساب (3/176)، ووفيات الأعيان (3/183)، « وفي هذين المصدرين أنه ولد سنة 247هـ وهو خطأ» ، وسير أعلام النبلاء (15/63)، والملل والنحل (1/78) والفرق بين الفرق (ص: 184)، والتبصير بالدين (ص: 80).

(525) انظر: الشامل (ص: 639-341).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومن الأدلة على صلة الجويني بأبي هاشم دفاعه عنه فيما نسب إليه في مسألة تعريف العلم، وأن علم المقلد هل يعتبر علماً أم لا، يقول: « نقول: عقد المقلد إذا لم يكن له مستند عقلي فهو على القطع من جنس الجهل، وبيان ذلك بالمثال: إن من سبق إلى عقده أن زيداً في الدار، ولم يكن فيها، ثم استمر العقد، فدخلها زيد، فحال المعتقد لا يختلف وإن اختلف المعتقد، وعن ذلك نقل النقلة عن عبد السلام بن الجبائي – وهو أبو هاشم – أنه كان يقول: العلم بالشيء والجهل به مثلان، وأطال المحققون ألسنتهم فيه، وهذا عندي غلط عظيم في النقل، فالذي نصن عليه الرجل في كتاب الأبواب: إن العقد الصحيح مماثل للجهل، وعني بالعقد اعتقاد المقلد » (528).

وفي مسألة الصلاة في الدار المعصوبة ذكر قول أبي هاشم الجبائي: أنها لا تصح، وبعد كلام ذكر معارضة المعترضين لكلامه ثم قال: « وأبو هاشم لا يسلم ذلك ولا أمثاله، وليس هو (529)، ممن تزعه التهاويل » (530)، ويذكر في إحدى المسائل أنه طلع على مصنفاته (531).

---

(526) انظر: المصدر السابق (ص: 642).

(527) انظر: تفصيل أقواله في الأحوال في الشامل (ص: 629-645)، والإرشاد (ص: 80).

(528) البرهان(121/1).

(529) في المطبوعة من البرهان لو، ولعله خطأ مطبعي.

(530) البرهان (286/1)، وفي الحاشية في نسخة ش، ع، ت ترمعه ، وتزعه بمعنى : تكفه.

(531) المصدر السابق (304/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

د . صلته بالفلسفة وعلوم الأوائل:

لم يكن الجويني فيلسوفاً، أو متبنياً لأفكار الفلاسفة، وإنما اطلع على كتبهم واستفاد منها في تأصيل المذهب الأشعري في بحوثه الكلامية ولذلك جاء تفكيره – كما عبر البعض – متسماً بنزعة فلسفية عميقة (532)، وتأثر الجويني بِكتب الأوائل من الفلاسفة تمثل فيما يلي:

1ـ نقوله عنهم، يقول في مسألة إحاطة الإنسان بأحكام الإلهيات وحقائقها: « أقصى إفضاء العقل إلى أمور جميلة منها، والدليل القاطع في ذلك على رأي الإسلاميين: إن ما يتصف به حادث، وموسوم بحكم النهاية، يستحيل أن يدرك حقيقة ملا يتناهى، وعبر الأوائل عن ذلك بأن قالوا: تصرف الإنسان في المعقولات بفيض ما يحتمله من العقل عليه، ويستحيل أن يدرك الجزء الكل، ويحيط جزء طبيعي له حكم عقلي بما وراء عالم الطبائع، وهذه العبارات وإن كانت مستنكرة في الإسلام، فهي محومة على الحقائق» (533).

2ـ مسألة علم الله بالجزئيات، التي أثارت جدلاً بالنسبة للجويني، وهل وافق الفلاسفة في قولهم: إن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، والحق أن عبارة الجويني موهمة وذلك حين يقول: « وبالجملة علم الله تعالى إذا تعلق بجواهر لا تتناهى فمعنى تعلقه بها استرساله عليها من غير فرض تفصيل الآحاد» (534)، وقد شنع عليه من العلماء الإمام المازري (535)، وقال: « إنما سهل عليه ركوب هذا المذهب إدمانه

---

(532) انظر: مقدمة تحقيق الشامل (ص: 76).

(533) البرهان (142/1).

(534) البرهان (145/1-146).

(535) كما هجره صديقه القشيري لأجلها بقول الذهبي: « هذه هفوة اعتزال، هجر أبو المعالي عليها، وحلف أبو القاسم القشيري لا يكلمه، ونفي بسببها، فجاور وتعبد، وتاب ولله الحمد منها» (السير 472/18).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

النظر في مذهب أولئك » (536)، والجويني الذي قال العبارة الموهمة السابقة هو الذي يقول في نفس الكتاب « إن الرب تعالى كان عالماً في أزله تفاصيل ما يقع فيما لا يزال » (537)، وهذا نص في إثبات علم الله بالجزئيات، ولذلك دافع السبكي – بحق – في طبقاته عن الجويني وأطال الكلام حول هذه المسألة وأتى بالنقول من كتب الجويني الأخرى كالشامل والإرشاد، كما نبه إلى النص الذي نقلناه آنفاً من البرهان وهي نقول تدل على إثباته لعلم الله بالجزئيات » (538).

3. ومن معالم تأثره بالكتب الفلسفية ما هو واضح في منهجه من التحديد الدقيق للمصطلحات في كتبه، فهو قبل أن يبدأ في الكلام في أي باب يبدأ بتعريف المصطلحات والتعريفات (539)، وتأخذ هذه المقدمات – أحياناً – قسطاً كبيراً من كتبه، وهذا المنهج الذي سلكه الجويني ظهر جلياً في كتب متأخري الأشعرية، حيث يصل الأمر أن تبلغ المقدمات أكثر من ثلثي الكتاب قبل أن يدخل المؤلف في المقصود من الكتاب وهو البحث في الإلهيات، ومن الأمثلة على ذلك كتاب شرح المقاصد، والمواقف وشروحه.

هـ . الفقه وأصوله عند الجويني وعلاقة ذلك بمذهبه الكلامي:

يعتبر الجويني من أئمة الشافعية، وقد سبقت الإشارة إلى أنه كتب كتاباً يفضل فيه مذهب الشافعي ويرى أنه الأحق بالاتباع، وهو ما صرح به أيضاً في البرهان (540).

---

(536) طبقات السبكي (201/5).

(537) البرهان (130/2).

(538) انظر: طبقات السبكي (192/5-207).

(539) انظر: مثلاً لمع الأدلة (ص: 76) من أول الكتاب، وما بعدها، والإرشاد (ص: 5) وما بعدها.

(540) (1148/2-1155).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومن الأمور الملفتة والبارزة في منهجه إدخاله مسائل المنطق والكلام في أصول الفقه، ولما كان كتابه من الكتب الأصولية المتقدمة فقد تأثر بمنهجه هذا من جاء بعده من الأشاعرة وغيرهم مثل الغزالي والرازي والآمدي وغيرهم.

يقول النشار في عرضه لمسألة إدخال المنطق الأرسطي في أصول الفقه: « أما الأشاعرة فقد احترزوا بأصولهم عن منطق أرسطوا، ونجد هذا واضحاً لدى عدو ممتاز للتراث اليوناني – أبي بكر الباقلاني – وهو شخصية ضخمة لم تبحث بع، ولم يصل إلينا إنتاجها الأصولي إلا خلال كتب المتأخرين أيضاً».

« ولكن ما لبث علم الأصول أن اتجه وجهة أخرى على يد إمام الحرمين (478هـ)، وقد كان المظنون أن إمام الحرمين سار على منهج المدرسة الكلامية الأصولية الأولى، إلا أنه تسنى لي بحث مخطوطة نادرة لكتاب البرهان فتبين لي أنه وإن كان إمام الحرمين خالف المنطق الأرسطاليسي في نقاط كثيرة إلا أنه تأثر به إلى حد ما، بل قد تجد عنده أول محاولة لمزج منطق أرسطو بأصول الفقه، فكما أنه خالف متكلمي أهل السنة في القول بالواسطة أولاً، ثم وافق أبا هاشم الجبائي في أقوال له كثيرة... تراه يخالفهم أيضاً في محاولته مزج المنطق الأرسطاليس في الأصول، ويمهد الطريق بذلك لتلميذه أبي حامد الغزالي (541)،(542) وقد أدخل الجويني مسائل كلامية كثيرة في أصول الفقه ومنه صيغ الأمر (543) ، والكلام النفسي

---

(541) للغزالي كتابه المشهور: المستصفي، وله المنخول من تعليقات الأصول نص في آخر على أنه اقتصر « على ما ذكره إمام الحرمين رحمه الله في تعاليقه من غير تبديل وتزييد في المعنى وتعليل » المنخول (ص: 504).

(542) مناهج البحث (ص: 73) – ط الرابعة –.

(543) البرهان (212/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(544)، وعلم الله (545)، وتكليف ما لا يطاق (546)، والاستطاعة (547)، والمعجزة (548)، والتحسين والتقبيح (549) وغيرها.

و. حيرة الجويني ورجوعه:

لما كان الجويني ممن خاض في مسائل علم الكلام أكثر ممن سبقه، وما تميزت به شخصيته من استقلال واعتداد، بحيث لا يرى غضاضة في مخالفة شيوخه وتزييف أقوالهم أحياناً ولو كانوا أعلاماً كالأشعري، والباقلاني، وابن فورك، وأبي إسحاق الإسفراييني وغيرهم، لهذا ولما يحسب من قصده الحق وتجرده فقد برز في كتبه ما يدل على تراجعه عن بعض أقواله، وانتهاء الأمر عنده إلى الحيرة ويمكن عرض الشواهد التالية من كتبه.

1. في أثناء جواب الجويني عن المطاعن التي وجهت إلى اللمع للأشعري، ومنها استدلاله في إثبات حدث العالم بالنطفة وأنه لم يوضح الدلالة على حدثها القائم على إثبات الأعراض، وبعد مناقشات يقول الجويني: « ثم نقول: لا يتوقف ثبوت حدث العالم على إثبات الأعراض، ولكن من علم تعاقب الأحوال المتناقضةعلى بعض الذوات، علم استحالة عروة منها، فهذا يفضي به إلى العلم بحدث الذات، وإن لم يتعرض لكون الأحوال موجودات، وكونها أغياراً للذات، فلم يتوقف إذاً إثبات حدث الجواهر على إثبات الأعراض، هكذا قال ابن مجاهد والقاضي – رضي الله عنهما – فاستبان بما قلناه أنه لا يتوقف العلم بحدث العالم على العلم بثبوت الأعراض، فإن

---

(544) نفسه (199/1).
(545) نفسه (145/1).
(546) نفسه (102/1).
(547) نفسه (276/1).
(548) نفسه (148/1).
(549) نفسه (87/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

المقصد يثبت دون ذلك » (550)، فالجويني يصرح هنا بأن دليل حدوث العالم لا يتوقف على دليل حدوث الأعراض، ولكنه لما أخذ يرد على الكرامية في مسألة القول بأن الله جسم قال: « وسبيل الكلام أن يسألوا عن دلالة حدث العالم، فإن ترددوا فيها، ولم يستقلوا بإيرادها بأن عجزهم عن قاعدة الدين، وأصل المعارف، فإن السبيل الذي به تتوصل إلى معرفة المحدث ثبوت الحدث، وإن راموا ذكر الدلالة على حدث الأجسام، لم يطردوا دلالة إلا تقرر عليهم مثلها في الجسم الذي حكموا بقدمه» (551)، ومن أصول أدلة حدوث العالم عند الجويني أن الجواهر لا تخلو من الأعراض (552).

فالجويني في رده على الكرامية سد طرق إثبات حدث العالم إلا بطريق حدوث العالم إلا بطريق حدوث الأجسام والأعراض، وهو هناك في رده على خصوم الأشعري يصرح بأنه لا يتوقف إثبات حدوث الجواهر على حدوث الأعراض؟.

وقد رجح الجويني في إثبات الصانع إدعاء الضرورة في أن هذا العالم لابد له من خالق دون الدخول في طرائق الاستدلال، يقول الجويني بعد كلام ومناقشات حول ما ذكره الأشعري من أدلة إثبات الصانع وأن هذا الكون لابد له من خالق كما أن البناء لا بد له من بانٍ والكتابة لا بد لها من كاتب: « قال عبد الملك بن عبد الله: أسد الطرق اعندي في المسألة ادعاء الضرورة، ومن لم يسلك هذا المسلك أولاً اضطرته

---

(550) الشامل (ص: 247)، ومن العجيب أن الجويني وهو يدافع عن الأشعري في عدم ذكره لدليل حدوث الأجسام قال: « إنه » أي الأشعري، رأى كثيراً من الناي ينفرون عن طرق الكلام ويأبونها، ولو صدر الكلام بإثبات الأعراض والتعرض للجواهر لن يأمن أن ينفر صدر كتابه مطالعه، فبدأ بإثبات الصانع في معرض لا يأباه أحد ثم ذكر حدث العالم في درج الكلام، الشامل(ص: 279).

(551) انظر: الشامل (ص: 411).

(552) انظر: المصدر السابق (ص: 204، 209، 220).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الحاجة إلى سلوكه أخرا » (553)، وهذا الذي يدعي فيه الجويني الضرورة كتب حول الاستدلال له كلاماً طويلاً (554).

2. حيرته في مسألة هل المعدوم مأمور؟ وقد تقدم كلامه في ذلك حين قال: وهذا مما نستخبر الله تعالى فيه.

3. في مسألة قدرة العبد ذكر في الشامل والإرشاد ولمع الأدلة (555)، أنه لا تأثير لها كما هو مذهب جمهور الأشاعرة ثم رجع في النظامية إلى أن لها تأثير (556).

4. ومن الأمور المهمة رجوعه في نظرته إلى السلف، فإنه قال في كتابه – الكافية في الجدل – في الجواب عن الاعتراض الذي يقول: إن السلف لم يستخدموا بعض أنواع القياس في الرد على الخصم – فقال بعد ذكر عدة أجوبة: « وأيضاً فإنهم [أي السلف] لما علموا أنه قد يكون بعدهم من لعل الله سبحانه يخصه بجودة قريحة، وزيادة فهم، وفطنة وذكاء... لم يطولوا واقتصروا على النبذة والإشارة» (557)،فهذه عبارات توحي بتجهيل وسلبية للسلف، لكنه يقول عنهم في الغياثي – الذي ألفه بعد النظامية – فهو في آخر كتبه (558)، موصياً مغيث الدولة الذي هو نظام الملك – قائلاً: « والذي أذكره لائقاً بمقصود هذا الكتاب أن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذاهب السلف السابقين، قبل أن نبغت الأهواء، وزاغت الآراء وكانوا – رضي الله عنهم– ينهون عن التعرض للغوامض والتعمق في المشكلات، والإمعان في ملابسة المعضلات، والاعتناء بجمع الشبهات، وتكلف الأجوبة عما لم يقع من

---

(553) المصدر السابق (ص: 282-283).
(554) انظر: الشامل (ص: 123-342).
(555) انظر: الشامل (ص: 182)، والإرشاد (ص: 208)، ولمع الأدلة (ص: 107).
(556) انظر: النظامية (ص: 43-51).
(557) الكافية في الجدل (ص: 346-347).
(558) أحال الجويني في الغياثي (ص: 190) على النظامي.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

السؤالات، ويرون صرف العناية إلى الاستحثاث على البر والتقوى، وكف الأذى، والقيام بالطاعة حسب الاستطاعة، وما كانوا ينكفون – رضي الله عنهم – عما تعرض له المتأخرون عن عي وحصر، وتبلد في القرائح، هيهات، قد كانوا أذكى الخلائق أذهاناً، وأرجحهم بياناً...» (559).

5ـ حيرته في مسألة العلو – وقصته مع الهمذاني مشهورة (560)– وقد صرح بالحيرة في هذه المسألة في النظامية بعد كلام طويل (561).

6ـ رجوعه عن علم الكلام، وهو من الأمور المشهورة التي لا ينازع فيها إلا من يحمل في قلبه تعصباً أعمى للأشاعرة وعلومهم الكلامية، ومن أقواله في رجوعه:

أ . ما رواه الفقيه غانم الموشيلي: سمعت الإمام أبا المعالى يقول: « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام » (562).

ب . ما حكاه أبو الفتح الطبري الفقيه قال: دخلت على أبي المعالي في مرضه، فقال: اشهدوا عليَّ أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور » (563).

---

(559) الغياثي: غياث الأمم في التياث الظلم (ص: 190–191)، وفي هذا الكتاب (ص: 193–194)، هاجم المأمون بسبب تساهله مع المعطلة، وترجمته لكتب الأوائل، وحملة المسؤولية أمام الله.

(560) انظرها: في العلو الذهبي (ص: 188)، وقال الألباني في مختصر العلو (ص: 277) « إسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ » وانظر: سير أعلام النبلاء (474/18، 175، 477) وطبقات السبكي (190/5)، وحاول ردها بما لا طائل من ورائه.

(561) انظر: النظامية(ص: 23).

(562) سير أعلام النبلاء (463/18).

(563) المصدر السابق (474/18)، وطبقات السبكي (191/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جـ . وروى عنه أنه قال: « قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني » (564).

د . وقال أبو الحسن الشقيرواني الأديب –وهو من تلاميذ الجويني – : سمعت أبا المعالى يقول: « يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به » (565).

وقد حاول السبكي رد هذه الأقوال المروية عن الجويني بأساليب معهودة عند السبكي حين يتعلق الأمر بالطعن على الأشاعرة.

7 . رجوع الجويني في النظامية.

اشتهر عن الجويني أنه رجع في النظامية وأبرز ما رجع فيه مسألتان:

أ . مسألة القدرة الحادثة وقوله: إنه مؤثرة بعد أن كان يرى أنها غير مؤثرة – وقد سبقت الإشارة إلى ذلك –.

ب . مسألة الصفات الخبرية، فإنه قال: « اختلفت مسالك العلماء في الظواهرالتي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها، وإجراؤها على موجب ما تبتدره أفهام أرباب اللسان منها، فرأى بعضهم تأويلها والتزام هذا المنهج في أي الكتاب وما يصح من سنن الرسول ε وآله وسلم، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذي

---

(564) السير (474/18)، والمنتظم (19/9)، والسبكي (185/5).

(565) السير (474/18)، والمنتظم (19/9)، والسبكي (186/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

نرتضيه رأياً، وندين الله به عقلاً أتباع سلف الأمة، فالأولى الأتباع وترك الابتداع، والدليل السمعي القاطع في ذلك: أن إجماع الأمة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة.

وقد درج أصحاب الرسولε ورضي عنهم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة..» (566)، ورجوع الجويني في النظامية لم يكن رجوعاً كاملاً إلى مذهب السلف في جميع المسائل العقيدة وعلم الكلام، والدليل على ذلك:

1 . أن رجوعه بالنسبة للصفات كان إلى التفويض، وليس هذا مذهب السلف.

2. أن الجويني أبقى على بعض المسائل وعرضها كما هي في مذهب الأول ومنها مسألة حدوث الأجسام (567)، وكلام الله(568)، ومنع حلول الحوادث التي هي مسألة الصفات الاختيارية(569)، والرؤية بلا مقابلة (570)، كما أنه أوّل بعض الصفات مثل المحبة أوّلها بالإرادة (571)، وفي الإيمان ذكر أولاً أنه التصديق (572)، ثم ذكر عند الكلام على زيادة الإيمان ونقصانه قول السلف: إنه معرفة بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، وقال: « هذا غير بعيد في التسمية » (573)، لكنه ذكر بعده القول الآخر؛ إنه التصديق، ولم يرجح بينهما.

* * *

---

(566) النظامية (ص: 32-33).
(567) النظامية (ص: 16)، وما بعدها.
(568) المصدر السابق (ص: 27-30).
(569) المصدر نفسه (ص: 27).
(570) نفسه (ص: 39).
(571) نفسه (ص: 61).
(572) نفسه (ص: 85).
(573) نفسه (ص: 90).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

هذا هو الجويني في أحواله وأقواله، ومما سبق يتبين كيف خطا بالمذهب الأشعري نحو الاعتزال، والتأصيل الكلامي.

أبو حامد الغزالي: ت 505هـ

هو الشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، ولد بمدينة طوس سنة 450هـ، توفي والده وهو صغير، وكان قد أوصى إلى صديق له صوفي بكفالة ولده محمد وأخيه أحمد، وأن يعنى بتعليمهما، وبقيا تحت رعاية هذا الرجل – وكان فقيراً– حتى نفد المال الذي تركه والدهما، فطلب منهما أن يذهبا إلى إحدى دور العلم، فبدأ الغزالي بالدراسة على الفقيه علي بن أحمد الراذكاني بطوس، وكان ذلك سنة 465هـ ثم رحل إلى جرجان حيث طلب العلم على الشيخ الإسماعيلي – إسماعيل بن مسعدة – (574)، فلما كان عام 473هـ، اتجه أبو حامد إلى نيسابور يطلب العلم على أبي المعالي الجويني – رئيس المدرسة النظامية فيها – وأصبح أشهر تلاميذه وأكثرهم نبوغاً، ولما توفي الجويني سنة 478هـ، رحل إلى عسكر نيسابور واتصل بنظام الملك هناك وناظر العلماء وبهرهم واعترفوا بمكانته، فولاه نظام الملك التدريس في نظامية بغداد، فقدم الغزالي بغداد سنة 484هـ وصار يدرس فيها الفقه والأصول وعلم الكلام، فتكونت له بذلك شهرة عالية وجاه عريض ومنزلة رفيعة، وفي أثناء ذلك أخذ يعيش صراعاً باطنياً بينه وبين نفسه مما أدى إلى عزوفه عما هو في وميله إلى العزلة والتصوف، فرحل سنة 488هـ عن بغداد – وترك أخاه أحمد يتولى التدريس مكانه – وتوجه إلى الشام فنزل دمشق، ثم ذهب إلى بيت المقدس، واستمرت عزلته هناك قرابة عشر سنين، حيث رجع إلى بغداد وأقام زمناً يسيراً ثم ارتحل سنة 499هـ إلى نيسابور – بأمر من بعض سلاطينها – ليتولى الإمامة والتدريس في نظاميتها، ثم لم يلبث زمناً قصيراً حتى رجع إلى بلده طوس حيث بنى

(574) توفي سنة 477هـ، انظر: العبر (336/2)، والشذرات (354/3).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

بجوار بيته مدرسة وخانقاه(575) للصوفية، وأقبل على علوم الآخرة والحديث حتى توفي سنة 505هـ (576).

مؤلفات الغزالي:

تعددت كتب الغزالي ومؤلفاته، وبلغت من الكثرة والشهرة حداً كبيراً، وكل من ترجم له ذكر أسماء مؤلفاته، ومؤلفاته لكثرتها فهي أقسام:

. منها ما هو ثابت أنه من مؤلفاته.

. ومنها ما هو منحول منسوب إليه.

. ومنها ما هو مشكوك في نسبته إليه.

وقد قام محققاً المنقذ من الضلال بتعدادها، مع الإشارة إلى بعض ما هو منحول منها (577)، كما قام عبد الرحمن بجوي بتأليف كتاب ضخم أفرده لدراسة مؤلفات

---

(575) سبق التعريف بها (ص: 143).

(576) ذكر الغزالي جوانب مهمة من حياته في كتابه « المنقذ من الضلال » وهو من أهم المصادر ترجمته، انظره: (ص:77) وما بعدها – ت تحقيق صليبا عياد– وانظر: تبيين كذب المفتري (ص:291)، المنتظم (168/9)، وفيات الأعيان (216/4)، المستفاد (ص:127)، وسير أعلام النبلاء (322/19)، وطبقات السبكي (191/6)، والوافي (274/1)، واتحاف السادة المتقين (6/1)، والتاج المكلل (ص: 388)، والطبقات العلية في مناقب الشافعية للواسطي [ترجمة الغزالي] طبعت ضمن كتاب الأعسم الفيلسوف الغزالي ص: 153–194) وغيرها، أما الكتب المعاصرة فكثيرة جداً.

(577) انظر: مقدمة تحقيق المنقذ –صليبا عياد – (ص: 52–65).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الثابت منها والمشكوك فيه والمنحول (578).. أما أشهر مؤلفات الغزالي الأشعرية فهي:

1ـ الأربعين في أصول الدين، وهذا الكتاب هو الجزء الثاني من كتابه الآخر « جواهر القرآن ».

2. قواعد العقائد – وكتابه العقيدة القدسية جزء منه – وقد ضم الغزالي قواعد العقائد إلى كتابه الآخر « إحياء علوم الدين » وهو ضمن المجلد الأول منه.

3. الاقتصاد في الاعتقاد.

4. تهافت الفلاسفة، نقض فيه أقوال الفلاسفة من منطلق أشعري.

5. فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة.

وللغزالي كتب أخرى كثيرة في أصول الفقه، والفقه، والفلسفة، والمنطق، والتصوف، وتفصيل الكلام حولها يضيق به هذا المقام، ولكن نشير إلى أهمها بالنسبة لمن يريد الإطلاع على فكر وأقوال الغزالي، فإضافة إلى كتبه الأشعرية السابقة هناك له.

6. المستصفى من علم الأصول، وأشهر ما فيه مقدمته المنطقية، ومباحثه الكلامية في أثنائه، وقد برر الغزالي فعل المتكلمين في كتبهم الأصولية حين خلطوا مع الأصول المباحث الكلامية بقوله: « وإنما أكثر فيه المتكلمون من الأصوليين لغلبة الكلام على طبائعهم، فحملهم حب صناعتهم على خلطه بهذه الصنعة» (579)، لكنه قال : « وبعد أن عرفناك إسرافهم في هذا الخلط فإنا لا نرى أن نخلي هذا المجموع

---

(578) كما أنه ذكر في آخر ملاحق تحوي نصوص بعض القدماء في تعداد مؤلفاته: انظر: مؤلفات الغزالي (ص: 469)، وما بعدها، إضافة إلى نصوص في ترجمته من مصادر مختلفة.

(579) المستصفى (ص: 17) – ط الجندي–.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

عن شيء منه لأن الفطام عن المألوف شديد ...» (580)، أما المقدمة المنطقية فالعجيب قوله فيها: « وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول، ولا من مقدماته الخاصة به، بل هي مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً » (581)، وقد ألف كتابين آخرين مشهورين في المنطق هما: محك النظر، ومعيار العلم، وهما مطبوعان.

7 . المعارف العقلية، طبع بتحقيق عبد الكريم العثمان.

8 . مشكاة الأنوار، طبع عدة مرات منها طبعة بتحقيق أبي العلا عفيفي.

9. المقصد الأسني في شرح معاني أسماء الله الحسنى، طبع عدة مرات منها طبعة بعناية بسام الجابي.

10ـ ميزان العمل، طبع عدة مرات، منها طبعة بتحقيق سليمان دنيا، وأخرى بتحقيق سليمان البواب.

11. المضنون به على غير أهله، وهذا الكتاب مثار جدل قديم وحديث حول نسبته إلى الغزالي، والمطلع على كتب الغزالي الأخرى – خاصة التي تجمع بين الفلسفة والتصوف – يترجح لديه صحة نسبته إليه – والله أعلم، وقد طبع الكتاب عدة مرات، آخرها بعناية وضبط رياض العبد الله.

12ـ المضنون الصغير، المسمى: الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية، طبع ضمن القصور العوالي الجزء الثاني.

13. معارج القدس في مدارج معرفة النفس – ط مكتبة الجندي – .

14. قانون التأويل، طبع مع الكتاب السابق.

---

(580) المصدر السابق (ص: 18).

(581) المصدر نفسه (ص:19)، وفي جواهر القرآن (ص:21)، حين تحدث عن محك النظر ومعيار العلم – عبارة مشابهة –

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

15ـ وهناك كتب في الرد على الباطنية ومنها الكتابان المشهوران: فضائح الباطنية، والقسطاس المستقيم، وهما مطبوعان.

16ـ إلجام العوام عن علم الكلام: طبع عدة مرات منها طبعة بتعليق وتصحيح محمد المعتصم بالله البغدادي.

17 . روضة الطالبين وعمدة السالكين – طبع بتصحيح محمد بخيت –.

18. الرسالة اللدنية – طبعت ضمن القصور العوالي الجزء الأول–.

19. إحياء علوم الدين، وهو أشهر كتبه وأهمها.

20. المنقذ من الضلال، ورسائل الغزالي (582)، ولها أهمية كبر في معرفة حياته وأحواله.

وهناك كتب أخرى للغزال، قد يقع التردد كثيراً في نسبة بعضها إليه ومع ذلك فما سبق ذكره منها يمثل فكر وعقيدة الغزالي، وهي كتب تجمع بين المذهب الأشعري، والتصوف، والفلسفة.

منهج الغزالي ودوره في تطور المذهب الأشعري:

هذا الموضوع بحاجة إلى دراسات مستقلة، وقد كتبت حوله بحوث ودراسات عديدة تشعبت بأصحابها المناهج والنتائج (583)، ولضيق المقام هنا نشير إلى الملاحظات التالية:

---

(582) ترجمت رسائل الغزالي من الفارسية إلى العربية بعنوان: فضائل الأنام من رسائل حجة الإسلام الغزالي، ترجمها الدكتور نور الدين آل علي، ط الدار التونسية 1972م، وهي رسائل متنوعة كتبها للملوك والوزراء والأمراء والفقهاء، وغالبها مما كتبه آخر عمره، ولها أهمية كبرى في معرفة آراء وأحوال الغزالي.

(583) منها على سبيل المثال: الأخلاق عند الغزالي، زكي مبارك، والحقيقة في نظر الغزالي، سليمان دنيا، والفيلسوف الغزال، إعادة تقويم لمنحني تطويره الروحي، عبد الأمير الأعسم، والغزالي: البارون كارادوفو، ترجمة عادل زعيتر= =ومنهج البحث عن المعرفة عند

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أولاً: يعتبر الغزالي أحد أعلام الأشاعرة والذين دافعوا عن المذهب الأشعري ضد مناوئيه من مختلق الطوائف، ولذلك سمي أحد أشهر كتبه الأشعرية بالاقتصاد في الاعتقاد ليكون مقتصداً ووسطاً كما يقول بين الحشوية من جهة والمعتزلة والفلاسفة من جهة أخرى (584)، والغزالي لم يأتِ بجديد فيما يتعلق بمذهب الأشاعرة، بل جاءت كتبه واستدلالاته ملخصة عمن سبقه من أعلام الأشاعرة مع صياغة جديدة وأسلوب سهل، والملاحظ في مذهبه تركيزه على:

1. قوله بصحة إيمان المقلد – خلافاً للمشهور من مذهب جمهور الأشاعرة – بل يرى أن فئات من الناس آمنوا بالله وصدقوا برسله واعتقدوا الحق واشتغلوا بالعبادة أو الصناعة « فهؤلاء ينبغي أن يتركوا وما هم عليه، ولا تحرك عقائدهم بالاستحثاث على تعلم هذا العلم [أي علم الكلام بأدلته]، فإن صاحب الشرع صلوات الله عليه لم يطالب العرب في مخاطبته إياهم بأكثر من التصديق، ولم يفرق بين أن يكون ذلك بإيمان وعقد تقليدي أو بيقين برهاني » (585)، وفي الأربعين يقول بعد ذكره عشرة أصول على وفق مذهب الأشاعرة: « ووراء هذه العقيدة الظاهرة رتبتان: إحدهما: معرفة أدلة هذه العقيدة الظاهرة من غير خوض على أسرارها، والثانية: معرفة أسرارها، ولباب معانيها، وحقيقة ظواهرها والرتبتان جميعاً ليستا واجبتين على جميع العوام، أعني أن نجاتهم في الآخرى غير موقوفة عليهما، ولا فوزهم موقوف عليهما »

الغزال، فكتور سعيد باسيل، ومنهاج البحث عند الغزالي، عادل زعبوب، ومفهوم السببية عند الغزالي، أبو يعرب المرزوقي، وهناك دراسة مهمة عن الغزالي لحسام الألوسي، نشر فصلاً منها في كتابه دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي وعنوانه: الغزالي مشكل وحل، والمنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارات محمود زقزوق، وغيرها كثير جداً.

(584) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد (ص: 3).

(585) الاقتصاد في الاعتقاد (ص: 8).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(586)، وكتاب الأربعين من كتب الغزالي المتأخرة التي جمعت بين إيضاح المذهب الأشعري مع آرائه الأخيرة في مسائل التصوف والكشف والذوق.

2ـ تأكيده لإنكار السببية، وهي مسألة مشهورة في المذهب الأشعري، وقد قال بها الأشاعرة وأكدوها لأمرين:

الأول: إثبات المعجزات، التي هي في الحقيقة خوارق للعادات المعهودة، فحتى تربط هذه المعجزات بالله وقدرته بحيث يقلب العصا حيّة، ويشق القمر وغيرها من الأمور الخارقة لابد من ربط هذا بإنكار التلازم الذي يدعيه الفلاسفة وغيرهم بين السبب والمسبب (587).

والثاني: إثبات قدرة الله الشاملة، وإبطال التولد الذي قال به المعتزلة، فالفاعل والخالق لكل شيء هو الله تعالى وهذا بناء على مذهبهم في القدر الذي يميل إلى الجبر (588).

وقد شرح الغزالي هذه النظرية في معرض رده على الفلاسفة، وأطال فيها (589)، فلما ألف معيار العلم – وهو متأخر عن مقاصد الفلاسفة والتهافت – ذكر دليل المجريات – كجزء من الأدلة اليقينية الصادقة (590)– قال: « فإن قال قائل: كيف تعتقدون هذا يقيناً، والمتكلمون شكوا فيه وقالوا: ليس الجز سبباً للموت، ولا الأكل سبباً للشبع، ولا النار علة للإحراق، ولكن الله تعالى يخلق الاحتارق والموت والشبع عند جريان هذه الأمور؟ قلنا: قد نبهنا على غور هذا الفصل وحقيقته في كتاب « تهافت

---

(586) الأربعين في أصول الدين (ص: 20).

(587) انظر: تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية (ص: 104)، وكلامه مبني على كلام الغزالي في التهافت (ص: 236).

(588) انظر: تهافت الفلاسفة (ص: 238–251).

(589) انظر: تهافت الفلاسفة (ص: 235)، وما بعدها.

(590) انظر: معيار العلم (ص: 186)، – ت سليمان دنيا –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الفلاسفة » والقدر المحتاج إليه الآن، إن المتكلم إذا أخبره بأن ولده جزت رقبته لم يشك في موته وليس في العقلاء من يشك فيه، وهو معترف بحصول الموت، وباحث عن وجه الاقتران، وأما النظر في أنه هل لزوم ضروري، ليس في الإمكان تغييره؟ أو هو يحكم جريان سنة الله تعالى لنفوذ مشيئته الأزلية التي لا تحتمل التبديل والتغيير، فهو نظر في وجه الاقتران، لا في نفس الاقتران، فليفهم هذا، وليعلم أن التشكك في موت من جزت رقبته وسواس مجرد، وأن اعتقاد موته يقين لا يستراب فيه » (591)،وفي التهافت قال في جواب اعتراض « ولم ندع أن هذه الأمور واجبة، بل هي ممكنة، يجوز أن تقع، ويجوز أن لا تقع، واستمرار العادة بها، مرة بعد أخرى، يرسخ في أذهاننا جريانها على وفق العادة الماضية ترسيخاً لا تنفك منه » (592)، وهذا النصوص تدل على أن فهم الغزالي للسببية ليس كما يتصوره بعض من ينتصر للفلسفة اليونانية (593)، وليس أيضاً كما فهمه بعض أتباع الأشاعرة الذين أخذوا يشككون في حقائق الأشياء حتى إن بعضهم يقول: هذا ثوب إن شاء الله، ومع ذلك فالغزالي وإن استدرك على نفسه ما يبعد عنها تهمة إنكار السببية (594)، إلا أن تأصيل هذه النظرية وشرحها كان له – على ما أظن – تأثير كبير في الفكر الصوفي – بعد الغزالي – حين أصبحت الكرامات والخوارق المزعومة للأولياء مقبولة مهما كان فيها من مخالفة للشرع والعقل.

---

(591) معيار العلم (ص: 190-191).

(592) تهافت الفلاسفة (ص: 245).

(593) كابن رشد انظر: تهافت التهافت (ص: 777-788)، وانظر: مفهوم السببية عند الغزالي للمرزوقي (ص: 51-67)، وانظر: ابن رشد و الغزالي، التهافتان ليو حنا قنبر (ص: 31).

(594) انظر: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت (ص: 181-188)، وتاريخ الفلسفة في الإسلام دي بور (ص: 338-339)، تعليقات المترجم – ط الخامسة-.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

3ـ مجيئه بقانون التأويل الكلامي حين يتعارض – وبالأصح حين يتوهم التعارض – بين العقل والنقل، والغزالي وإن كان مسبوقاً إلى هذا القانون (595)، إلا أنه ألف فيه رسالة مستقلة كانت على إثر أسئلة سألها أحد تلاميذه (596)، وفي هذه الرسالة ذكر فرق الناس في هذه المسألة، ورجح قول الفرقة الخامسة التي قال عنها « هي الفرقة المتوسطة الجامعة بين البحث عن المعقول والمنقول الجاعلة كل واحد منهما أصلاً مهماً، المنكرة لتعارض العقل والشرع، وكونه حقاً، ومن كذب العقل فقد كذب الشرع إذ بالعقل عرف صدق الشرع، ولولا صدق دليل العقل لما عرفنا الفرق بين النبي والمتنبي، والصادق والكاذب، وكيف يكذب العقل بالشرع، وما ثبت الشرع إلا بالعقل، وهؤلاء هم الفرقة المحقة، وقد نهجوا منهجاً قويماً..» (597)، وبعد أن يذكر صعوبة هذا المسلك أوصى بعدة وصايا منها: « الوصية الثانية أن لا يكذب برهان العقل أصلاً، فإن العقل لا يكذب، ولو كذب العقل فلعله كذب في إثبات الشرع، فكيف يعرف صدق الشاهد بتزكية المزكي الكاذب، والشرع شاهد بالتفاصيل، والعقل مزكي

---

(595) من الفلاسفة ابن سينا، حيث يقول في الأضحوية في المعاد: « أما أمر الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد وهو أن الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة» (الأضحوية ص: 97 ت حسن عاصي)، ومن المتكلمين الجويني في الإرشاد، انظر: (ص: 358–360).

(596) وهو أبو بكر بن العربي، وفي المعيار المعرب (11/23–24)، نقل نص جواب للغزالي على أحد أسئلة ابن العربي وهذا النص أخّر قانون التأويل للغزالي (ص: 345–346)، وممن نبه إلى أن السائل ابن العربي ابن تيمية في الدرء (5/1) وانظر: الدراسة الواردة في مقدمة تحقيق قانون التأويل لابن العربي (ص: 244).

(597) قانون التأويل للغزالي (ص: 238–239)، – ط في ذيل معارج القدس – مكتبة الجندي .

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الشرع» (598)، وقد تأثر بهذا القانون جمهرة الأشاعرة بعد الغزالي، ومن أبرزهم تلميذه، أبو بكر بن العربي (599)، والرازي (600)، وغيرهم، وهذا القانون أصبح فيما بعد أحد ركائز العقيدة الأشعرية وأخطرها وأعظمها أثراً، ولذلك أفرده شيخ الإسلام ابن تيمية بمؤلفه الكبير « درء تعارض العقل والنقل ».

4. ومن أهم سمات منهج الغزالي أنه حول المعركة – التي كانت تدور فيما سبق بين الأشاعرة والمعتزلة – إلى معركة بين الأشاعرة والفلاسفة، وكتاب تهافت الفلاسفة يعتبره الأشاعرة بدءاً من الغزالي نفسه أحد الكتب المؤيدة لمذهبهم، وقد ألفه الغزالي في المرحلة التي كان فيها أستاذ المدرسة النظامية –الأشعرية– دون منازع (601)، والذي ينبغي أن يلاحظ أمران:

أحدهما: أن الغزالي ناقش الفلاسفة بمختلف المناهج، ولذلك قال في المقدمة الثالثة في كتابه: « ليعلم أن المقصود تنبيه من حسن اعتقاده في الفلاسفة، وظن أن مسالكهم نقية من التناقض، ببيان وجوه تهافتهم، فلذلك أنا لا أدخل في الاعتراض عليهم إلا دخول مطالب منكر، لا دخول مدع مثبت، فأبطل عليهم ما اعتقدوه مقطوعاً بإلزامات مختلفة، فإلزامهم تارة مذهب المعتزلة، وأخرى مذهب الكرامية، وطوراً مذهب الواقفية، ولا أتنهض ذاباً عن مذهب مخصوص، بل أجعل الجميع ألباً واحداً عليهم، فإن سائر الفرق ربما خالفونا في التفصيل، وهؤلاء يتعرضون لأصول الدين، فلنتظاهر

---

(598) قانون التأويل للغزالي (ص: 240).

(599) انظر: كتابه قانون التأويل (ص: 452–576–646)، وانظر: كتاب مع القاضي أبي بكر ابن العربي سعيد اعراب (ص: 43).

(600) انظر: أساس التقديس للرازي (ص: 220–221)، – ت السقا – و (ص:172–173)، – ط الحلبي –.

(601) ولذلك قرر في كتابه التهافت مذهب الأشاعرة مثل قضية السببية، ومثل مسألة تأويل الصفات. انظر: (ص: 293).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

عليهم فعند الشدائد تذهب الأحقاد » (602)، ومع ذلك فالغزالي غلب منهج الأشاعرة، واستفاد من منهجه السابق في الهروب من تحديد مذهبه الذي يؤمن به في القضايا المطروحة ولذلك قال في جواب أحد الاعتراضات عليه: « نقول: نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض الممهدين، بل خوض الهادمين المعترضين، ولذلك سمينا الكتاب « تهافت الفلاسفة » لا تمهيداً لحق، فليس يلزمنا الجواب عن هذا» (603).

والثاني: أن الغزالي ألف هذا الكتاب بعد دراسته للفلسفة ليستفيد منها ولا شك أنه تأثر بها أيما تأثر، أما رده عليها فبناء على العقيدة التي يظهرها للعوام -كما هو مذهبه في أن للإنسيان ثلاث عقائد – ولذلك قال في مقدمة التهافت بعد ذكره لانتشار أقوال الفلاسفة وإعجابهم بأنفسهم: « فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضاً على هؤلاء الأغبياء انتدبت لتحرير هذا الكتاب، رداً على الفلاسفة القدماء » (604)، وهذا يشبه موقفه من الباطنية –الذين انتشرت دعوتهم في زمنه انتشاراً عظيماً – يقول عنهم: « وكان قد نبغت نابغة التعليمية ، وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق، فعن لي أن أبحث في مقالاتهم، لأطلع على ما في كنانتهم، ثم اتفق أن ورد على أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف حقيقة مذهبهم، فلم يسعني مدافعته » (605)، ثم بين أن هذا الأمر جاء موافقاً لما في نفسه من معرفة مذهبهم – ليستفيد منه – فقال: « وصار ذلك مستحثاً من خارج ضميمة للباعث الأصلي من الباطن » (606)، وهذا يوافق قوله

---

(602) تهافت الفلاسفة (ص: 82-83)، – ت سليمان دنيا –.

(603) تهافت الفلاسفة (ص:180).

(604) المصدر نفسه (ص:75).

(605) المنقذ من الضلال (ص: 118)، – ت صليبا وعياد – والكتاب الذي ألفه: فضائح الباطنية انظره: (ص: 2-3).

(606) المنقذ من الضلال (ص: 118).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

في فضائح الباطنية: « فكانت المفاتحة بالاستخدام في هذا المهم في الظاهر نعمة أجابت قبل الدعاء، ولبت قبل النداء، وإن كانت في الحقيقة ضالة كنت أنشدها، وبغية كنت أقصدها» (607).

فدراسة الغزالي لمذهب الباطنية جاء عن رغبة باطنة في الاستفادة مما قد يكون عندهم من معارف، وهذا يشبه ما فعله مع الفلاسفة، ومما يلاحظ أنه في رده على الباطنية انطلق من منطلق أشعري، وهذا واضح في كتابيه فضائح الباطنية (608)، والقسطاس المستقيم (609)- الذي هو عبارة عن مناقشة ومحاورة بينه وبين أحد دعاة التعليم من الباطنية -، وهو بهذا الكتاب يحيل على كتابيه المنطقيين « محك النظر» و « معيار العلم» (610).

فالغزالي ينطلق في ذلك من منطلق عقيدة العوام التي هي عقيدة الأشاعرة، ولذلك يقول في جواهر القرآن عن علم محاجة الكفار ومجادلتهم: « ومنه يتشعب علم الكلام المقصود لرد الضلالات والبدع وإزالة الشبهات، ويتكفل به المتكلمون، وهذا العلم شرحناه على طبقتين: سمينا الطبقة القريبة منهما الرسالة القدسية، والطبقة التي فوقها الاقتصاد في الاعتقاد، ومقصود هذا العلم حراسة عقيدة العوام من تشويش المبتدعة،

---

(607) فضائح الباطنية (ص: 3).

(608) انظر: - من هذا الكتاب - (ص: 154) حول تأويل الصفات.

(609) بنى الغزالي كتابه هذا على المنطق، وغير في الألفاظ فقط حيث أتى بألفاظ من القرآن، وقد اعترف بذلك (ص: 67)، بل وصرح أنه قد قال بهذه الموازين من سبقه من الأمم الخالية، أما منطلقه الأشعري فواضح انظر: (ص: 55-56) حيث أشار إلى دليل حدوث الأجسام وفسر به الأقوال في قصة إبراهيم عليه السلام ، (ص: 94-95)، مسألة الصلاح والأصلح.

(610) انظر: القسطاس المستقيم (ص: 71-75).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ولا يكون هذا العلم ملياً (611) بكشف الحقائق، وبجنسه يتعلق الكتاب الذي صنفناه في تهافت الفلاسفة، والذي أوردناه في الرد على الباطنية في الكتاب الملقب بالمستظهري وفي كتاب حجة الحق، وقواصم الباطنية، وكتاب مفصل الخلاف في أصول الدين، ولهذا العلم آلة يعرف بها طريق المجادلة، بل طرق المحاجة بالبرهان الحقيقي، وقد أودعناه كتاب « محك النظر »، وكتاب معيار العلم على وجه لا يلفي مثله للفقهاء والمتكلمين ولا يثق بحقيقة الحجة والشبهة من لم يحظ بهما علماً» (612).

ثانياً: هناك مشكلة تتعلق بحقيقة مذهب الغزالي، هل هو المذهب الأشعري الذي تبناه ظاهراً ودافع عنه كثيراً (613)، أم له مذهب آخر يذكره لخاصته و أومأ إليه في كثير من كتبه؟ يقول الغزالي في كتابه ميزان العمل الذي ألفه بعد معيار العلم، لأن السعادة عنده إنما تكون بالعلم والعمل (614)- ميزان العمل من كتب الغزالي الصوفية – يقول في آخره: « لعلك تقول: كلامك في هذا الكتاب انقسم إلى ما يطابق مذهب الصوفية، وإلى ما يطابق مذهب الأشعرية وبعض المتكلمين، ولا يفهم الكلام إلا على مذهب واحد، فما الحق من هذه المذاهب؟ فإن كان الكل حقاً فكيف يتصور هذا؟ وإن كان بعضه حقاً فما ذلك الحق؟ فيقال لك: إذا عرفت حقيقة المذهب لا تنفعك قط، إذ الناس فيه فريقان:

فريق يقول: المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب:

---

(611) كذا، ومثله في –ط الجندي – (ص: 24)، ولعل صوابها: مليئاً، أو ملماً.

(612) جواهر القرآن (ص: 21).

(613) انظر في أسباب تبنيه للمذهب الأشعري، منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي، فكتور سعيد باسل (ص: 237-239).

(614) انظر: معيار العلم (ص: 348)، آخر الكتاب.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أحدهما: ما يتعصب له في المباهاة والمناظرات.

والأخرى: ما يسار به في التعليمات والإرشادات.

والثالثة: ما يعتقده الإنسان في نفسه مما انكشف له من النظريات» .

ثم شرح هذه المراتب بقوله: « ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار: فأما المذهب بالاعتبار الأول: هو نمط الآباء والأجداد، ومذهب المعلم، ومذهب البلد الذي فيه النشوء، وذلك يختلف بالبلاد والأقطار، ويختلف بالمعلمين، فمن ولد في بلد المعتزلة أو الأشعرية أو الشفعوية أو الحنفية، انغرس في نفسه منذ صباه التعصب له، والذب دونه، والذم لما سواه ... المذهب الثاني: ما ينطبق في الإرشاد والتعليم على من جاء مستفيداً مسترشداً، وهذا لا يتعين على وجه واحد بل يختلف بحسب المسترشد، فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه.. المذهب الثالث: ما يعتقد الرجل سراً بينه وبين الله عزوجل لا يطلع عليه غير الله تعالى ولا يذكره إلا مع من هو شريكه في الإطلاع على ما اطلع، أو بلغ رتبة يقبل الاطلاع عليه ويفهمه » (615)، ثم ذكر قول الفريق الثاني الذين يقولون المذهب واحد، ثم ذكر أن الأولين يوافقون هؤلاء على أنهم لو سئلوا عن المذهب لم يجز أن يذكروا إلا مذهباً واحداً (616).

إن هذا الكلام يفيد في معرفة وتحليل ذلك التناقض العجيب في كتبه.

---

(615) ميزان العمل (ص: 405-408)، - ت سليمان دنيا -.

(616) انظر: ميزان العمل (ص: 408-409).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثالثاً: الشك عند الغزالي.

وقد احتلت هذه المسألة مكاناً بارزاً لدارسي الغزالي، بل وكثرت المقارانات بينه وبين ديكارت (617)، صاحب الفلسفة المعروفة التي قال فيها: « أنا أفكر، إذن فأنا موجود » (618)، بل أثبت أحد الباحثين أن ديكارت قد اطلع على كتاب الغزالي «المنقذ من الضلال» وأنه اقتبس منه فكرة الشك (619)، والكلام حول شك الغزالي وكنهه وإلى أي مدى كان يطول، ولكن الثابت أن منهج الشك عند الغزالي تمثل في أمرين:

أحدهما: عملي، وهو ما عايشه وسطره بوضوح في كتابه المنقذ من الضلال (620)، ويلاحظ هنا أن الغزالي يشرح ما جرى له، ولذلك سماه داءً ومرضاً.

والثاني: شك منهجي، وهو الذي أشار إليه في بعض كتبه، ومن ذلك قوله: « ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث، لتنتدب للطلب، فناهيك به نفعاً، إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم

---

(617) اسمه رينه ديكارت، فيلسوف فرنسي ولد سنة 1596م، وتوفي سنة 1650، يعرف بأنه أبو الفلسفة الحديثة، من أهم كتبه: مقال عن المنهج، وتأملات في الفلسفة الأولى، وهما مترجمان ومطبوعان، انظر: في فلسفته وترجمته: أعلام الفلسفة الحديثة، رفقي زاهر (ص: 43)، وقصة الفلسفة الحديثة (65/1)، وتاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم (ص:58).

(618) مقال عن المنهج لديكارت (ص: 51)، ترجمة محمود الخضيري، وانظر أيضاً: كتابه الآخر: التأملات في الفلسفة الأولى (ص: 93)، وما بعدها ترجمة عثمان أمين، وانظر: ديكارت والعقلانية: جنفياف لويس (ص: 37)، ترجمة عبده الحلو، ودراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة يحيى هويدي (ص: 5)، وما بعدها.

(619) انظر: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت (ص: 17-20) – ط الثالثة –.

(620) انظر: المنقذ (ص: 81-87).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال، نعوذ بالله من ذلك » (621)، وهذا الشك هو الذي يذكر في أول واجب على المكلف، هل هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشك، وإذا كان الأول والثاني قد أخذ به بعض الأشاعرة فإن الثالث – وهو الشك– إنما يؤثر القول به عن أبي هاشم الجبائي المعتزلي (622).

رابعاً: تصوف الغزالي وفلسفته.

بقدر اشتهار الغزالي بأشعريته، اشتهر بتصوفه، ولذلك فهو يمثل مرحلة خطيرة من مراحل امتزاج التصوف بالمذهب الأشعري حتى كاد أن يكون جزءاً منه، ولكن ما نوعية التصوف الذي اعتنقه الغزالي بقوة حتى قال فيه في المنقذ – بعد شرح مطول لمحنته ورحلته وعزلته –: « ودمت على ذلك مقدار عشر سنين، وانكشفت لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي أذكره لينتفع به: إني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطريق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به » ثم يشرح ويوضح فيقول: « وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها – وهي أول شروطها – تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة، استغراق القلب بالكلية

---

(621) ميزان العمل للغزالي (ص:153)، – ت البواب –، وانظر: الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل للفيومي (ص: 107).

(622) انظر: الشامل (ص: 121)، وأبكار الأفكار (جـ 1 – ل31 أ)، وشرح المواقف (278/1)، ودرء التعارض (419/7).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله؟ وهذا آخرها، بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها، وهي على التحقيق أول الطريقة، وما قبل ذلك إلا كالدهليز للسالك إليه » – ثم يوضح أكثر فيقول: « ومن أول الطريقة تبتدي المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز منه..» (623)، ما نوع تصوف الغزالي الذي يقول فيه هذا الكلام – خاصة المقطع الأخير منه –؟.

لقد كان التصوف قبله متمثلاً بتصوف المحاسبي، ثم القشيري، وقد سبق حقيقة تصوفهما، وما يحمله من بدع مخالفة للسنة، فهل كان تصوف الغزالي من هذا النوع، أم كان تصوفاً من نوع آخر.

إن هناك من يدافع عن الغزالي، ويرى أن تصوفه تصوف سني، وأنه هاجم الفلاسفة والمتكلمين لنصرة طريق الصوفية (624)، ولكن المطلع على كتبه – وما ألفه منها للخاصة – كمشكاة الأنوار، والمعارف العقلية، وميزان العمل، ومعارج القدس، وروضة الطالبين، والمقصد الأسني، وجواهر القرآن، والمضنون به على غير أهله، يرى شيئاً آخر غير التصوف المعروف.

إن مفتاح معرفة شخصية الغزالي أمران:

---

(623) المنقذ من الضلال (ص: 139–140).

(624) مثل عبد الحليم محمود وتلامذته، انظر: مقدمات تحقيق المنقذ من الضلال، عبد الحليم محمود (ص: 17)، وما بعدها ، (ص: 58)، وما بعدها، وانظر: التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل، عبد الحليم محمود (ص: 174–179)، وانظر: الفلسفة الإسلامية بين التقليد والابتكار: عبد الرحمن عميرة (ص: 48)، وما بعدها، والإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالشك (ص: 177)، وما بعدها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أولهما: ما سبق نقله عنه من أن لكل رجل كامل ثلاث عقائد، إحداها ما يتظاهر به أمام العوام ويتعصب، والثانية: ما يسار به في التعليم والإرشاد – وهو يختلف بحسب حال المسترشد الطالب – ،والثالثة: ما يعتقده الإنسان في نفسه ولا يطلع عليه إلا من هو شريكه في المعرفة، إذن الغزالي –حتماً – يخفي جوانب خاصة وسرية من عقيدته.

والثاني: جمع أقواله ولمحاته – التي يشير دائماً إلى سريتها والضن بها – ثم مقارنتها بأقوال من سبقه من الفلاسفة – المائلين إلى الإشراق والتصوف – كابن سينا وغيره، وقد تنبه إلى هذا المنهج بعض الباحثين (625)، ونحن هنا نذكر نماذج فقط من أقواله التي تدل على أن تصوفه كان تصوفاً فلسفياً إشراقياً، وإن هجومه على الفلاسفة في التهافت لم يكن إلا بمنهج النوع الأول من العقيدة –لكل إنسان – وهي العقيدة التي يتعصب لها ويذب عنها:

1. يقول الغزالي في كتابه: إحياء علوم الدين عن علم المكاشفة: « هو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها، فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذلك، حتى تحصل المعرفة الحقيقة بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التامات، وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا، والمعرفة بمعنى النبوة والنبي، ومعنى الوحي، ومعنى الشيطان، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية وصول الوحي إليهم، والمعرفة بملكوت السموات والأرض..الخ» ثم يقول عن هذه الكشوفات التي تحصل: « وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب، ولا يتحدث بها

(625) من هؤلاء سليمان دنيا في كتابه: الحقيقة في نظر الغزالي (ص:149)، وما بعدها، وحسام الألوسي في كتابه عن الغزالي، انظر: دراسات (ص: 237)، وما بعدها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله، وهو المشارك فيه، علي سبيل المذاكرة، وبطريق الإسرار وهذا هو العلم الخفي ...» (626)، إن هذا الكلام الخطير يقوله الغزالي في أهم وأشهر كتاب من كتبه، وقد ألفه في أواخر عمره بعد عزلته ورجوعه إلى بغداد، ومما يلاحظ أن لفتات كثيرة تشبه هذا الكلام جاءت متفرقة في هذا الكتاب الكبير (627).

2ـ ويقول في كتابه مشكاة الأنوار وهو من كتبه التي ألفها للمخاصة ولذلك يقول في مقدمته: « أما بعد فقد سألتني أيها الأخ الكريم.. أن أثبت إليك أسرار الأنوار الإلهية، مقرونة بتأويل ما يشير إليه ظواهر الآيات المتلوة والأخبار المروية » ، ثم يقول: « ولقد ارتقيت بسؤالك مرتقى صعباً تنخفض دون أعاليه أعين الناظرين، وقرعت باباً مغلقاً لا يفتح إلا للعلماء الراسخين، ثم ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار، ولقد قال بعض العارفين: إفشاء سر الربوبية كفر ...» (628)، وبعد أن يذكر تأويلات باطنية وفلسفية عجيبة يقسم الناس – في آخر الكتاب – إلى أصناف، ومنهم المحجوبون بمحض الأنوار، وهؤلاء أيضاً أصناف وبعد أن يذكر الصنف الأول والثاني يقول: « والصنف الثالث ترقوا عن هؤلاء وقالوا: إن تحريك الأجسام بطريق المباشرة ينبغي أن يكون خدمة لرب العالمين، وعبادة له وطاعة من عبد من عباده يسمى: ملكاً، نسبته إلى الأنوار الإلهية المحضة نسبة القمر في الأنوار المحسوسة، فزعموا أن الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك، ويكون الرب تعالى محركاً للكل بطريق الأمر، لا بطريق المباشرة، ثم في تقسيم ذلك الأمر وماهيته غموض يقصر عنه أكثر الأفهام ولا يحتمله هذا الكتاب»،

---

(626) إحياء علوم الدين (1/20-21).
(627) انظر على سبيل المثال: (1/104،100، 4/241).
(628) مشكاة الأنوار (ص:39)، – ت أبو العلا عفيفي–.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

ثم يقول: « فهؤلاء الأصناف كلهم محجوبون بالأنوار المحضة، وإنما الواصلون صنف رابع تجلى لهم أن هذا « المطاع » موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ لسر لا يحتمل هذا الكتاب كشفه، وإن نسبة هذا المطاع نسبة الشمس في الأنوار...» (629)، وهذا المطاع هو العقل الأول عند الفلاسفة (630).

3. وفي معارج القدس – وهو من كتبه الفلسفية الخاصة – ينهج فيه نهج الفلاسفة في بحوثهم عن النفس الإنسانية، ويذكر خصائص النبوة، وأنها ثلاث: قوة التخيل وقوة العقل، وقوة النفس (631)– وهذا نفسه هو كلام الفلاسفة الذين يقولون: إن النبوة مكتسبة –، ويفسر الغزالي آية النور (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ) (النور:35)، بقوله: « فالمشكاة مثل العقل الهيولاني، فكما أن المشكاة مستعدة لأن يوضع فيها النور فكذلك النفس بالفطرة مستعدة لأن يفيض عليها نور العقل... ثم إذا حصلت له المعقولات فهو نور على نور، نور العقل المستفاد على نور العقل الفطري، ثم هذه الأنوار مستفادة من سبب هذه الأنوار بالنسبة إليه كالسرج بالنسبة إلى نار عظيمة طبقت الأرض، فتلك النار هي العقل الفعال المفيض لأنوار المعقولات على الأنفس البشرية » (632)، وهذا لا يحتاج إلى تعليق، ومنها يتضح ما يقصده الغزالي بالأسرار، والتي يقول فيها في كتابه المعارف العقلية: « وهذا القدر الذي كتبنا وذكرنا في هذه الأوراق نخبة أسرار غير مكتوبة،

(629) مشكاة الأنوار (ص: 91)، وانظر: رسائل الغزالي (ص:54–55).

(630) انظر: دراسات في الفكر الفلسفي، الألوسي (ص: 248).

(631) انظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص: 151)، –ط مكتبة الجندي –.

(632) معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص: 164–165).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وإشارات مكنونة ورموز مستورة.. ولا يحل أن يوضع الورد بين الحمير، ويطرح الدر في فم الخنزير» (633)، وقد صرح في كتابه هذا بأمور غريبة وعجيبة حقاً (634).

4ـ ويقول الغزالي في كتابه – جواهر القرآن – « وهذه العلوم الأربعة أعني علم الذات والصفات والأفعال وعلم المعاد أودعنا من أوائله ومجامعه القدر الذي رزقنا منه مع قصر العمر وكثرة الشواغل والآفات وقلة الأعوان والرفقاء بعض التصانيف، لكنا لم نظهره، فإنه يكل عنه أكثر الأفهام، ويستضر به الضعفاء، وهم أكثر المترسمين بالعلم، بل لا يصلح إظهاره إلا على من اتقن علم الظاهر، وسلك في قمع الصفات المذمومة من النفس وطرق المجاهدة حتى ارتضت نفسه واستقامت على سواء السبيل »، ثم يقول محذراً: « وحرام على من يقع ذلك الكتاب بيده أن يظهره إلا على من استجمع هذه الصفات » (635).

وفي إلجام العوام عن علم الكلام، مع أنه كتاب في المنع من علم الكلام أن يدرس للعامة إشارات عديدة إلى مثل هذه العلوم المستورة (636).

5ـ وفي روضة الطالبين: يشرح بشكل واضح كيف تتم الكشوف، والعقبات التي تحول دونها، وهي ست عقبات، وماذا يحصل لكل من تجاوز عقبة من عقبات وكيف يصل إلى السكر والفناء (637)، وفي كلامه عن الروح ولماذا منع رسول الله – ε – من إفشاء سر الروح، قسم الناس إلى أعوام وخواص، ثم ذكر من ترقى عن العامية قليلاً من المعتزلة والأشعرية ثم قال: « فإن قيل لمَ لا يجوز كشف السر مع

---

(633) المعارف العقلية (ص: 108–109)،– ت عبد الكريم العثمان –.

(634) انظر: المصدر السابق (ص: 27–34، 66، 70).

(635) جواهر القرآن (ص: 25) – ط دار الآفاق الجديدة –.

(636) انظر: إلجام العوام عن علم الكلام (ص: 60، 70) – ط دار الكتاب العربي –.

(637) انظر: روضة الطالبين (ص: 8–13).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هؤلاء؟ فيقال: لأنهم أحالوا أن تكون هذه الصفة لغير الله تعالى، فإذا ذكرت هذا معهم كفروك، وقالوا هذا تشبيه لأنك تصف نفسك بما هو صفة الإله تعالى على الخصوص » (638)، والغزالي في « المقصد الأسني » وإن رد على الاتحادية أو أصحاب وحدة الوجود (639)، إلا أنه ذكر أموراً فلسفية وأشار إلى سريتها، فصرح بأن الله معشوق – كما يقوله الفلاسفة (640)– ولما أشار إلى أبدية الإنسان وأنه لا سبيل عليه للعدم قال: « وكشف ذلك بالحقيقة مما لا يحتمله هذا الكتاب » (641).

6ـ وهذا الذي ذكره الغزالي في كتبه هو ما يؤكده تلاميذه ومنهم ابن العربي الذي يقول عنه –بعد أن لقيه وتتلمذ عليه – « ولا ينكر أحد من الإسلاميين، لا من الفقهاء، ولا من المتكلمين، أن صفاء القلب وطهارته مقصود شرعي، إنما المستنكر أن صفاءه يوجب تجلي العلوم فيه بذته » (642)، ثم يقول – بعد ذكر الطائفة الثانية من المتصوفة كالمحاسبي والقشيري –: « ونجمت في آثارهما أمم انتسبت إلى الصوفية، وكان منها من غلا وطفف، وكاد الشريعة وحرف، وقالوا – كما تقدم – لا ينال العلم إلا بطهارة النفس، وتزكية القلب، وقطع العلائق بينه وبين البدن، وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال، والخلطة بالجنس، والإقبال على الله بالكلية، علماً دائماً مستمراً حتى تنكشف له الغيوب، فيرى الملائكة ويسمع أقوالها، ويطلع على أرواح الأنبياء ويسمع كلامهم، ووراء هذا علو ينتهي بمشاهدة الله، يدخلونه في باب الكرامات إذ كان من المجوزات » ، ثم قال: « ولقد فاوضت فيها أبا حامد الغزالي

---

(638) روضة: الطالبين (ص: 69).
(639) انظر: المقصد الأسني (ص: 128–152–156) – عناية بسام الجابي –.
(640) انظر: المصدر السابق (ص: 116).
(641) انظر: المصدر نفسه (ص: 124).
(642) العواصم من القواصم (ص: 22–23) – ت عمار الطالبي –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

حين لقائي له بمدينة السلام في جمادى الآخر سنة تسعين وأربعمائة، وقد كان راضَ نفسه بالطريقة الصوفية من سنة ست وثمانين... فسألته سؤال المسترشد عن عقيدته المستكشف عن طريقته، لأقف من سر تلك الرموز التي أومأ إليها في كتبه، مرتبته، وسمو منزلته، وما ثبت له في النفوس من تكرمته؛ فقال لي من لفظه، وكتبه لي بخطه: إن القلب إذا تطهر عن علاقة البدن المحسوس، وتجرد للمعقول انكشفت الحقائق، وهذه أمور لا تدرك إلا بالتجربة لها عند أربابها، بالكون معهم والصحبة لهم، ويرشد إليه طريق من النظر وهو: أن القلب جوهر صقيل، مستعد لتجلي المعلومات فيه، عند مقابلتها عرياً عن الحجب، كالمرآة في ترائي المحسوسات عند زوال الحجب »، ثم يقول ابن العربي: « قال لي: وقد تقوى النفس، ويصفو القلب حتى يؤثر في العوالم، فإن للنفس قوة تأثيرية موجدة .. » (643)، وهذه الأقوال موجودة في كتبه (644)، وقد نقلنا ما يشبهها سابقاً.

7ـ ومن الأمور الخطيرة في مذهب الغزالي ميله إلى تأويل عذاب القبر، وعذاب النار ونعيم الجنة، بتأويلات قرمطية باطنية، حتى ذكر في المضنون به على غير أهله: أن نصوص النعيم « مما خوطب به جماعة يعظم ذلك في أعينهم، ويشتهونه غاية الشهوة » (645)، ويقول: « والرحمة الإليهة ألقت بواسطة النبوة إلى كافة الخلق القدر الذي احتملته أفهامهم » (646)، ولا يقول قائل: إن هذا في كتاب

---

(643) العواصم من القواصم (ص: 30-32).

(644) انظر مثلاً: مقاصد الفلاسفة (ص: 377)، والعجيب أن ابن العربي – المالكي – تأثر بالغزالي في كتابه قانون التأويل، (ص: 470-479)، وإن كان قد رد على الغزالي في ما يشبه هذه المسائل، انظر: قانون التأويل (ص: 498)، وما بعدها (ص: 552)، وانظر: الدراسة التي في أول الكتاب – للمحقق – (ص: 340-349).

(645) المضنون به على غير أهله (ص: 117).

(646) المصدر السابق (ص: 121).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المضنون – وهو مشكوك في صحة نسبته إلى الغزالي – لأن الغزالي صرح بشيء من ذلك في كتابه الأربعين – الذي لا يشك أحد في نسبته إليه – فقال: « أما قولك: إن المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران والعقارب والحيات، فهذا صحيح، وهوكذلك، ولكني أراك عاجزاً عن فهمه ودرك سره وحقيقته، إلا أني أنبهك على أنموذج منه تشويقاً لك إلى معرفة الحقائق، والتشمر للاستعداد لأمر الآخرة، فإنه نبأ عظيم أنتم عنه معرضون » (647)، ثم يضرب مثالاً، ويؤوله ثم يقول: « لعلك تقول: قد أبدعت قولاً مخالفاً للمشهور، منكراً عند الجمهور، إن زعمت أن أنواع عذاب الآخرة يدرك بنور البصيرة والمشاهدة إدراكاً مجاوزاً حد تقليد الشرائع، فهل يمكنك –إن كان كذلك – حصر أصناف العذاب وتفاصيله؟ فاعلم أن مخالفتي للجمهور لا أنكره، وكيف تنكر مخالفة المسافر للجمهور، فإن الجمهور يستقرون في البلد الذي هو مسقط رؤوسهم، ومحل ولادتهم، وهو المنزل الأول من منازل وجودهم وإنما يسافر منهم الآحاد » ، ثم يذكر كيف يترقى الإنسان حتى « يفتح له باب الملكوت فيشاهد الأرواح المجردة عن كسوة التلبيس، وغشاوة الأشكال، وهذا العالم لا نهاية له » (648)، ولا شك أن مذهب الغزالي الفلسفي الصوفي قادة إلى مثل هذه التأويلات الخطيرة (649)– نعوذ بالله من الخذلان –.

* * *

(647) الأربعين (ص: 112).

(648) الأربعين (ص: 215–216).

(649) وأخطر منها ما ذكره في المضنون من الشركيات في « التقرب لمشاهدة الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام، فإن المقصود منه: الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة » (ص: 121)، وانظر ما بعدها: وفي رسائل الغزالي (ص:85)، ذكر أنه نذر عند تربة الخليل.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هذا هو أبو حامد الغزالي – من خلال لمحات سريعة عن منهجه وعقيدته – الذي تأثر به من جاء بعده، ويمكن تلخيص هذا التأثير بما يلي:

1. التأكيد على إنكار السببية، فقد تأثر به من جاء بعده، دون الانتباه إلى تحفظاته التي أوردها.

2. تكريس قانون التأويل الكلامي في المذهب الأشعري، وقد جاءت صياغة هذا القانون بشكل مركز على يد الرازي.

3. تحويل المعركة من معركة مع المعتزلة – والفلاسفة من باب أولى – إلى معركة مع الفلاسفة، وهذا ما نشاهده لدى كثير من الأشاعرة لكنه هجوم من منطلق صوفي.

4. إنه لا مانع أن يحمل الإنسان أكثر من عقيدة – حسب الأحوال – وهذا ما نشاهد نموذجاً له عند الرازي، الذي ظهر في بعض كتبه فيلسوفاً وبعضها أشعرياً.

5. نقله التصوف من التصوف المعروف قبله – على ما فيه من بدع تصغر أو تكبر –إلى تصوف فلسفي إشراقي، وإذا كان هذا المذهب جاء عند الغزالي على شكل عقيدة مخفية لا يصرح بها للعوام، فإن الأشاعرة من بعده صرحوا بتبنيهم للفلسفة– أحياناً – أو لبعض آراء الفلاسفة.

6. كما أن المنطق الأرسطي – بقي بعد الغزالي – على ما صرح به الغزالي من أنه آلة، وأنه لا علاقة له بالعقيدة.

7. وأخيراً بقي الغزالي – في كتابه الإحياء خاصة – مرجعاً يرجع إليه فئات كثيرة من الناس على مختلف مشاربهم وعقائدهم، لأن كلاً منهم يجد في هذا الكتاب ما يوافق هواه (650).

---

(650) ومع ذلك فهناك جمهرة من العلماء المائلين إلى المذهب الأشعري ردوا على الغزالي في كتبه، خاصة الإحياء، كما ردوا عليه بسبب ميله إلى الفلاسفة، ومن هؤلاء: محمد بن علي بن حمدين المتوفى سنة 508 هـ ، الذي اطلع على كتاب الإحياء فسعي إلى

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأمير علي بن يوسف تاشفين فأمر بإحراقه، فتم ذلك في سنة 503هـ، بل وأصدر أمراً إلى سائر البلاد بالأمر وإحراقه، وقد ألف ابن حمدين كتاباً في الرد على الغزالي، انظر في ترجمته: (الصلة لابن بشكوال 570/2، وسير أعلام النبلاء 422/19)، وفي مسألة الإحراق الحال الموشية ص: 104، (وسيأتي مصادر أخرى لقصة= =الإحراق في ترجمة ابن تومرت)، ومن العلماء الذين ردوا على الغزالي: أبو بكر الطرطوشي المتوفى سنة 520هـ، حيث كتب رسالة حط فيها من الغزالي وبرر قصة إحراق كتابه، (انظر: هذه الرسالة في المعيار المعرب 186/12-187، وانظر سير أعلام النبلاء 490/19)، ترجمة الطرطوشي، وفي (ص: 495)، ذكر الذهبي عنه أنه قال عن إحياء علوم الدين: « وهو لعمرو الله أشبه شيء بإماتة علوم الدين»، ومن العلماء أيضاً: الإمام المازري المتوفى سنة 536هـ، الذي رد على الغزالي وألف كتاباً سماه: الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء، وقال عن الغزالي: إنه: « قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في فن أصول الدين، فكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعاني، وتسهيلاً للهجوم على الحقائق »، ثم إن له عكوفاً على رسائل إخوان الصفا، وإنه يعول على كتب ابن سينا (انظر: طبقات السبكي 241/6، وانظر: كتاب:المازري، الفقيه والمتكلم وكتابه المعلم، لمحمد الشاذلي النيفر ص: 67 وما بعدها)، ومنهم ابن صلاح كما في سير أعلام النبلاء 329/19، ومنهم القاضي عياض كما في السير أيضاً (327/19)، ومنهم أبو بكر بن العربي كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أعلام الأشاعرة في الفترة بين الغزالي والرازي:

. ابن تومرت ت 524هـ.

. أبو بكر بن العربي ت 534هـ.

. الشهرستاني ت 548هـ.

. ابن عساكرت 571هـ.

ليس المقصود استيفاء أعلام الأشاعرة في كل زمن، وإنما الغرض من هذا الفصل الإشارة إلى أشهر رجالهم الذي كان لهم أثر في المذهب الأشعري وتطوره، لذلك سنختصر الحديث عن هؤلاء، وإن كان كل واحد منهم قد يفرد ببحث مستقل.

أما ابن تومرت (651) فشهرته جاءت كمؤسس لدولة الموحدين، التي قامت على أنقاض دولة المرابطين – التي كانت دولة سنية –، وحادثة إحراق كتب الغزالي، وعلى رأسها الإحياء – مشهورة (652)، وسبب إحراقها ما حوته من تأويل وأقوال مخالفة لمذهب السلف، فلما جاء ابن تومرت– الذي ذكر أنه لقي بعض الأشاعرة في رحلته إلى المشرق ومنهم الغزالي (653)– وبدأ ثورته ضد المرابطين أخذ يستخدم في حربهم

---

(651) سبقت ترجمته (ص: 171).

(652) انظر في سنية دولة المرابطين: المعجب للمراكشي (ص: 255)، وشذرات الذهب (4/71–72)، وتاريخ فلسفة الإسلام في القارة الأفريقية (1/201–208)، وعقيدة المرشدة: عبد الله كنون ضمن نصوص فلسفية (ص: 103–104)، أما في مسألة حرق كتب الغزالي فانظر: المعجب (ص: 255)، والبيان المغرب لابن عذاري (4/59–60)، والحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: عصر المرابطين والموحدين: حسن علي حسن (ص: 450–451).

(653) ممن ذكر لقاءه بالغزالي: ابن الأثير في الكامل (10/569)، والمراكشي في المعجب (ص: 263)، وابن خلدون في تاريخه (11/466)، دار الكتاب اللبناني، والصفدي في الوافي (3/323)، وصاحب الحلل الموشية (ص: 104–105)، وممن أنكر لقاءه به

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أساليب متعددة منها رميهم بالتجسيم، وألف عقيدته المسماة المرشدة، ونجح في تأسيس دولة الموحدين فاشتهر على أنه أحد أعلام الأشاعرة، والظاهر أن تصنيفه كأحد الأعلام الذين نشروا المذهب الأشعري جاء لسببين:

أحدهما: حربه للمرابطين السنة، وكان من الأشياء التي حاربهم بها اتهامه لهم بالتجسيم والتشبيه، فهو بهذا فتح الباب لدخول التأويل الكلامي لبلاد المغرب، ولم يقتصر الأمر على هذا بل تبنى – بصفته إماماً مطاعاً – هذا الجانب، فكان لسلطته الدور الأكبر في انحسار مذهب السلف، وفشو مذاهب المتكلمين.

الثاني: تأليفه للمرشدة (654)، وهي عقيدة – مختصرة – مستقاة من مذهب الأشاعرة، ولم يقتصر الأمر على هذا بل كان يفرض هذه العقيدة على الناس، بحيث تدرس للعوام، مما جعلها تشتهر بسرعة.

وفيما عدا ذلك فابن تومرت يبدو أقرب ما يكون إلى مذهب المعتزلة، ومذهب الشيعة (655)، وقد كان أحد أتباعه لما كتب تاريخ ابن تومرت لا يسميه إلا الإمام المعصوم (656) وليس قربه من هؤلاء بأقل من قربه من الأشاعرة.

عنان في تراجم إسلامية (ص: 242)، والفرد بل في الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي (ص: 251)، ويحيى هويدي في تاريخ فلسفة الإسلام (ص: 226).

(654) هذه العقيدة مختصرة – صفحة واحدة – قيل سميت بذلك لقوله في أولها: اعلم أرشدنا الله وإياك« انظر نصها في الحلل الموشية (ص: 117–118)، وطبقات السبكي (185/8–186)، وقد حققها مع دراسة واسعة عبد الله كنون – نشرت ضمن: نصوص فلسفية – الدراسة تبدأ (ص: 99)، ونص المرشدة (ص: 114–115)، وقد عدها السبكي في معيد النعم (ص: 75)، من أصول العقائد الموافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وسلكها مع عقيدة الطحاوي والقشيري، وذكر في الطبقات (185/8)، أن فخر الدين ابن عساكر كان يدرس المرشدة في القدس في المدرسة الصلاحية.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أما أبو بكر بن العربي المعافري الأشبيلي (657)، فقد تتلمذ على الغزالي بلا شك وتأثر به وإن كان قد نقده في بعض المواضع، بل ونقد بعض شيوخ الأشاعرة كالأشعري والباقلاني والجويني (658)، لكنه مع ذلك بقي ملتزماً بمذهب الأشاعرة في الصفات وغيرها (659)، بل ودافع عن منهجهم فقال: « فإن قيل فما عذر علمائكم في الإفراط بالتعلق بأدلة العقول دون الشرع المنقول في معرفة الرب، واستوغلوا في ذلك؟ قلنا: لم يكن هذا لأنه خفي عليهم أن كتاب الله مفتاح المعارف ومعدن الأدلة، لقد علموا أنه ليس إلى غيره سبيل ولا بعده دليل، ولا وراءه للمعرفة معرس ولا مقيل، وإنما أرادوا وجهين: أحدهما: أن الأدلة العقلية وقعت في كتاب الله مختصرة بالفصاحة، مشاراً إليها بالبلاغة مذكوراً في مساقها الأصول، دون التوابع والمتعلقات من الفروع، فكمل العلماء ذلك الاختصار، وعبروا عن تلك الإشارة بتتمة البيان،

---

(655) انظر: وفيات الأعيان (238/3)، علاقة المهدي بكتاب الجفر الباطني – وانظر: عقيدة المرشدة – كنون – (ص: 106–107)، وانظر الأمير الشاعر أبو ربيع الموحدي: عباس الجراري (ص: 46–47)، وانظر كتاب: المهدي ابن تومرت، عبد المجيد النجار (ص: 356)، وما بعدها.

(656) انظر: أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر الصنهاجي، المكنى بالبيدق (ص:11) وما بعدها.

(657) سبقت ترجمته (ص:252).

(658) انظر: عارضة الأحوذي (68/10)، وقانون التأويل (ص: 462،507، 559) والعواصم (ص:106، 127،134).

(659) لابن العربي كتاب اسمه « المتوسط في الاعتقاد » اعتمد فيه على أقوال الأشاعرة، كما أن له كتاباً اسمه: الأمد الأقصى شرح أسماء الله الحسنى، تابع فيه الغزالي في كتابه: المقصد الأسني وتأثر به: وإن كان قد رد عليه بعض ما حوم عليه في هذا الكتاب من التصوف المغرق، انظر: قانون التأويل – الدراسة – (ص:112–113، 117).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

واستوفوا الفروع والمتعلقات بالإيراد... الثاني: أنهم أرادوا أ يبصروا الملاحدة ويعرفوا المبتدعة أن مجرد العقول التي يدعونها لأنفسهم، ويعتقدون أنها معيارهم لاحظ لهم فيها..» (660)، وهذا الكلام – بما فيه من لمز خفي بكتاب الله وكمال بيانه – استقاه ابن العربي من شيوخه الذين أمر بالاقتداء بهم في التأويل حين قال حول صفات اليد، والقدم، والأصابع، والنزول: « اسرد الأقوال في ذلك بقدر حفظك، وأبطل المستحيل عقلاً بأدلة العقل، والممتنع لغة بأدلة اللغة، والممتنع شرعاً بأدلة الشرع، وأبقَ الجائز من ذلك كله بأدلته المذكورة، ورجح بين الجائزات من ذلك كله إن لم يمكن اجتماعها في التأويل، ولا تخرج في ذلك عن منهاج العلماء، فقد اهتدى من اقتدى، ولن يأت أحد بأحسن مما أتى به من سبق أبداً » (661)، وما منهجه في كتابه « قانون التأويل » وغيره (662) إلا أكبر دليل على أشعريته.

وابن العربي – مع أشعريته – تميز بأمور:

1ـ منها حياته الخاصة وجهوده الكبيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى جرى له لما تولى القضاء أمور كثيرة سببت عداء كثير من الناس له (663).

---

(660) قانون التأويل لابن العربي (ص:501–502).

(661) قانون التأويل (ص: 576)، ويقول أيضاً في عارضة الأحوذي (49/11) – عن المحكم والمتشابه في القرآن – : « خذوا معنى اللفظ عربية واعرضوه على أدلة العقول إن كان توحيداً فما جاز ظاهره عليه نفذ وما امتنع عدل به عنه إلى أقرب وجوهه إليه ».

(662) انظر حول قانون التأويل الذي اعتمده العواصم (ص: 152–311)، وانظر: حول أشعريته وموقفه من الصفات (العواصم ص: 281) وما بعدها.

(663) انظر: العواصم (ص: 400)، والبيان المغرب لابن عذاري (92/4–94)، والصلة (591/2)، وأزهار الرياض (63/3) وقانون التأويل – الدراسة – (ص: 91–95)، ومع القاضي أبو بكر بن العربي، سعيد إعراب (ص: 81–88).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

2ـ تحقيقات أصولية وحديثية وفقهية أودعها كتبه المختلفة في الحديث والتفسير والأصول.

3ـ دوره العظيم في الدفاع عن الصحابة وما جرى بينهم، والرد على مختلف الطوائف المنحرفة عن مذهب السلف في هذا الباب، وقد جاء ذلك في قسم من كتابه العواصم من القواصم (664).

أما الشهرستاني (665) فقد اشتهر بكتابيه الملل والنحل ونهاية الإقدام، كما كانت له ردود على الفلاسفة في كتابه « مصارعة الفلاسفة » وأكثر ما يميز مذهبه ومنهجه:

1ـ العناية بنقل أقوال الناس، وقد تمثل هذا بوضوح في كتابه « الملل والنحل » حيث اشتهر كأحد مؤرخي الفرق في ملية وغيرها، كما تمثل هذا أيضاً في بقية كتبه، فهو في مصارعة الفلاسفة ينقل أقوال الفلاسفة – وعلى رأسهم ابن سينا – بحروفها ثم يعقبها بالنقض والمناقشة، وكذلك فعل في كتابه نهاية الإقدام فإنه نقل أقوال أئمة الأشاعرة والمعتزلة.

---

(664) العواصم – ط عمار طالبي – (ص: 373)، وما بعدها، وقد حقق هذا القسم وعلق عليه وطبعه مستقلاً محب الدين الخطيب.

(665) هو: محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني، تتلمذ على أبي نصر القشيري وأبي القاسم الأنصاري، ولد الشهرستاني سنة 469هـ، وتوفي سنة 548هـ، وقد اتهم بالإلحاد والتشيع، ذكر ذلك السمعاني في التحبير (161/2)، وصاحب معجم البلدان – نقلاً عن ابن أرسلان الخوارزمي (377/3)، ودافع عنه السبكي.

وشهرستان التي ينسب إليها هي في خراسان بين نيسابور وخوارزم، انظر: وفيات الأعيان (274/4) ومعجم البلدان، وانظر في ترجمته أيضاً: لسان الميزان (263/5)، وطبقات السبكي (128/6)، وسير أعلام النبلاء (286/20)، ومقدمة مصارعة الفلاسفة (ص: 9)، وما بعدها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

2. عرض المذهب الأشعري – بأقوال أئمته – وقد كان عنوان كتابه نهاية الإقدام في علم الكلام، يحمل دلالة معينة، فيها الانتصار للأشاعرة ومذهبهم الكلامي، ولم يكن الشهرستاني صاحب منهج محدد، بل كان ناقلاً لأقوال من سبقه، حاكماً بينها في بعض الأحيان (666)، وفي الكتاب ردود على من يسميهم أهل التشبيه من الكرامية وغيرهم مع قسوته عليهم (667)، كما أن فيه رداً على المعتزلة وسماهم مرة بالخناثي لأنهم ليسوا مع الفلاسفة ولا الأشاعرة (668).

3. الإقرار بالحيرة حتى وهو يؤلف كتابه في علم الكلام، ولذلك قال في أول صفحة من نهاية الإقدام، مستشهداً.

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرَ واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم(669)

ولم يخل الكتاب من عبارات الحيرة (670).

4. رد على الفلاسفة ردوداً قوية، لكنه مع ذلك تأثر بأقوالهم، ومن أبشع الأمور التي تأثر فيها بهم قوله بجواز وجود الجواهر العقلية والنفوس الفلكية المجردة (671).

* * *

---

(666) انظر: نهاية الإقدام (ص: 143-237).

(667) انظر: المصدر السابق (ص: 103-122).

(668) انظر: المصدر نفسه (ص: 159).

(669) استشهد بهما الشهرستاني في نهاية الإقدام (ص:3)، دون أن ينسبهما لا له ولا لغيره، وفي وفيات الأعيان (274/4)، وذكر أنه قيل: إنهما لأبي بكر بن باجه، المعروف بابن الصائغ، وفي الوافي للصفدي (408/12)، ذكر أنهما نسباً إلى ابن سينا.

(670) انظر: نهاية الإقدام (ص: 109، 237، 340).

(671) انظر: مصارعة الفلاسفة (ص: 100،63،36)، وانظر: درء التعارض لابن تيمية (163/377،4/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وابن عساكر (672) اشتهر كمدافع عن المذهب الأشعري في كتابه المشهور شهرة واسعة: « تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري (673)، وقد كان لخليفته الحديثية والتاريخية أثر في منهج الكتاب وقدرته على الدفاع عن أبي الحسن الأشعري، كما أن هذا الكتاب يصح أن يسمى: طبقات الأشاعرة، لأنه ترجم لأعلامهم منذ الأشعري وإلى عصره.

(672) هو: الإمام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ، بن عساكر، ولد سنة 499هـ وتوفي سنة 571هـ، له مؤلفات كثيرة جداً أشهرها كتابه العظيم تاريخ دمشق، ومما يلاحظ أنه لما مات صلى عليه القطب النيسابوري، وحضره السلطان صلاح الدين الأيوبي – وكان ممن نشر المذهب الأشعري كما سبق – انظر في ترجمة ابن عساكر: سير أعلام النبلاء (554/20)، ووفيات الأعيان (309/3)، وغيرهما كثير.

(673) وقد طبع الكتاب مع مقدمة وتعليقات لزاهد الكوثري ملأها – كعادته – بالسباب لأعلام السلف، والرفع من شأن انحرافات المتكلمين.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

. فخر الدين الرازي: ت 606هـ.

هو محمد بن عمر بن الحسن بن علي، فخر الدين أبو عبد الله، القرشي البكري، الطبرستاني، الرازي (674)، ولد سنة 544هـ، تتلمذ على والده ضياء الدين (675) المعروف بخطيب الري، ولذلك اشتهر ولده الفخر بابن خطيب الري، ولما توفي والده تتلمذ علي الكمال السمناني (676)، ومجد الدين الجيلي (677) الذي لازمه الفخر حتى في أسفاره وقد أخذ عنه الفلسفة كما أخذ عن أبيه ضياء الدين الفقه وعلم الكلام.

وحياة الرازي (678) برز فيها جانبان:

---

(674) الرازي نسبة إلى الري على غير قياس، انظر: الروض المعطار (ص: 279)، وانظر: قولاً آخر في النسبة في حاشية المحصول (32/1)، والري مدينة مشهورة تقع بين جرجان وطبرستان في منطقة الجبل –شمال إيران وجنوب بحر قزوين – انظر: معجم البلدان (116/3)، والروض المعطار (ص: 278).

(675) سبقت ترجمته (ص: 439).

(676) اسمه أحمد بن زر بن كم بن عقيل – كذا في طبقات السبكي (16/6–17)، وفي طبقات الأسنوي (57/2)، أحمد بن زيد، تفقه السمناني علي محمد بن يحيى وكان رئيس أصحابه، وتوفي سنة 575هـ، انظر في ترجمته المصدرين السابقين، والطبقات الوسطي للسبكي كما في حاشية الكبرى (17/6).

(677) لم أجد من ترجمة سوى ابن أبي أصيبعه في عيون الأبناء (ص: 462)، – ت نزار رضا – حيث أشار إليه بقوله: « كان مجد الدين هذا من الأفاضل العظماء في زمانه، وله تصانيف جليلة».

(678) انظر: في ترجمة الرازي: الكامل لابن الأثير (288/12)، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (ص: 190)، والتكملة للمنذري (186/2)، وآثار العباد للقزويني (ص:377)، ونزهة الأرواح للشهرزوري (144/2)، ومختصر تاريخ الدول (ص: 240)، ووفيات الأعيان (248/4)، والوافي (248/4)، وسير أعلام النبلاء (500/20)، وتاريخ

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

الأول: رحلاته المتكررة، إلى كل من خوارزم، وطوس، وبلاد ما وراء النهر، وهراة التي استقر ومات بها، وقد جرت له في رحلاته مناظرات عديدة مع المعتزلة والكرامية وغيرهم، وكثيراً ما تشتد الخصومة بينه وبين معارضيه فيضطر إلى مغادرة المكان الذي هو فيه.

الثاني: اتصاله بالملوك والسلاطين، وتأليفه أغلب كتبه لهم، وقد استفاد من صلته بهم – خاصة خوارزم شاه وولده محمداً – مالاً وجاهاً عريضاً، وقد توفي الرازي سنة 606هـ.

أما تلاميذ الرازي فهم كثيرون – بخلاف شيوخه– ومن أبرزهم: أفضل الدين الخونجي (679)– صاحب المنطق – وأثير الدين الأبهري (680)، وتاج الدين الأرموي(681) وغيرهم (682).

الإسلام للذهبي (232/18)، مطبوع، وميزان الاعتدال (340/3)، ولسان الميزان (426/4)، وطبقات السبكي (18/8)، والأسنوي (260/2)، وابن قاضي شهبة (81/2).

(679) تقدمت ترجمته (ص: 322).

(680) هو: المفضل بن الأبهري السمرقندي، له مؤلفات في الفلسفة والفلك والمنطق، ومنها: هداية الحكمة: مطبوع، توفي سنة 663هـ، انظر: تاريخ آداب اللغة، جرجي زيدان (114/3)، ومعجم المؤلفين (315/12)، والأعلام (279/7).

(681) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله الأرموي، فقيه أصولي له كتاب حاصل المحصول في أصول الفقه، توفي سنة 556هـ، انظر: الوافي (353/2)، وطبقات الأسنوي (451/1)، ومعجم المؤلفين (244/9).

(682) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (337/1/18)، ومختصر تاريخ الدول لابن العبري (ص: 254)، وفخر الدين الرازي للزركان (ص: 32–36)، ومقدمة تحقيق نهاية الإيجاز (ص: 12–13).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

أما مؤلفاته فكثيرة جداً شملت فنون التفسير، والفقه، وأصوله، وعلم الكلام والفلسفة، والبلاغة، وغيرها، وقد استقصى الحديث عنها – مع بيان مخطوطاتها وما طبع منها – محمد صالح الزركان في كتابه « فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية » (683)، وأهم كتبه المطبوعة:

1. التفسير.
2. المحصول في أصول الفقه.
3. المباحث المشرقية.
4. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين.
5. أساس التقديس.
6. معالم أصول الدين.
7. لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات.
8. شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا.
9. الأربعين في أصول الدين.
10. عصمة الأنبياء.
11. مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر.
12. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.
13. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.
14. مناقب الإمام الشافعي.
15. الخمسين في أصول الدين.
16. لباب الإشارات.

---

(683) (ص: 56-164).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أما المخطوطة فمنها.

17. المطالب العالية، طبع منه جزء يتعلق بالنبوات، ولم يتمه وهو من أواخر كتبه.

18. أقسام اللذات، آخر كتبه.

19. الملخص في الحكة والمنطق.

20. شرح عيون الحكمة لابن سينا.

21. نهاية العقول.

وغيرها كثير.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

. منهج الرازي وأثره في تطور المذهب الأشعري.

أولاً: يمثل الرازي مرحلة خطيرة في مسيرة المذهب الأشعري، فهذا الإمام الشافعي الأشعري (684) ترك مؤلفات عديدة دافع فيها عن المذهب الأشعري بكل ما يملكه من حجج عقلية، كما أنه أفاض في بعضها في دراسة الفلسفة فوافق أصحابها حيناً وخالفهم حيناً آخر، بل وصل الأمر به إلى أن يؤلف في السحر والشرك ومخاطبة النجوم . وقد اختلفت آراء الناس فيه بين مادح وقادح، ومدافع عنه منافح، وناقد له جارح، وقد انتهى في آخر عمره إلى أن الحق في الرجوع إلى مذهب أهل الحديث وهو الاستدلال بالكتاب والسنة، ولكن بقيت المشكلة في مؤلفاته الكلامية والفلسفية التي انتشرت وتلقفها المهتمون بهذه الأمور، لذلك اختلفت أقوال الناس فيه وفي مؤلفاته:

فالسبكي – على عادته في أمثاله – كال له المدح كيلاً بلا حساب، حتى وصل الأمر إلى أن يقول فيه « وله شعار أوى الأشعري من سننه إلى ركن شديد، وعتزال المعتزلي علماً أنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » (685)، وفي معيد النعم لما هاجم الفلسفة وأعلامها كابن سينا والفاراي ونصير الدين الطوسي وهاجم الذين حاولوا مزج الفلسفة بكلام علماء الإسلام أورد على نفسه هذا الاعتراض قائلاً: « فإن قلت: فقد خاض حجة الإسلام الغزالي والإمام فخر الدين الرازي في علوم الفلسفة ودونوها، وخلطوها بكلام المتكلمين فهلا تنكر عليهما؟ » – ثم أجاب قائلاً –:« قلت: إن هذين إمامان جليلان، ولم يخض واحد منهما في هذه العلوم حتى صار قدوة في الدين، وضربت الأمثال باسمهما في معرفة على الكلام على طريقة أهل السنة

---

(684) انظر: سلسلة شيوخه في الفقه إلى الشافعي وفي العقيدة إلى الأشعري في وفيات الأعيان (252/4).

(685) طبقات السبكي (82/8).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فإياك أن تسمع شيئاً غير ذلك، فتضل ضلالاً مبيناً، فهذان إمامان عظيمان وكان حقاً عليهما نصر المؤمنين وإعزاز هذا الدين بدفع ترهات أولئك المبطلين، فمن وصل إلى مقامهما لا ملام عليه بالنظر في الكتب الفلسفية، بل هو مثاب مأجور » (686)، وليس هذا موضع مناقشة هذه الفكرة التي يطرحها السبكي مدافعاً فيها عن شيوخه من الأشاعرة، وإنما القصد الاستشهاد بأقوال الذين دافعوا عن الرازي وفلسفته، وكان منهم ابن خلكان الذي قال عنه بعد تعداده لمؤلفاته: « وكل كتبه ممتعة، وانتشرت تصانيفه في البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين، وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه: وأتى فيه بما لم يسبق إليه » (687)، كما دافع عنه أبو حيان والصفدي وأبو شامة (688).

أما الذين انتقدوه فكثيرون جداً، منهم ابن جبير الذي قال عنه في رحلته – كما نقل الصفدي –: « دخلت الري فوجدت ابن خطيبها قد التفت عن السنة وشغلهم بكتب ابن سينا وأرسطو » (689)، ونقل أبو شامة أن الشناعات عليه قائمة بأشياء

---

(686) معيد النعم (ص: 78–79).

(687) وفيات الأعيان (249/4)، ونقله عنه الذهبي تاريخ الإسلام (235/1/1)، مطبوع.

(688) انظر: كلام أبي حيان والصفدي في الوافي (248/4–252)، أما كلام أبي شامة فهو في ذيل الروضتين – قاله بعد ذكر ما وجه إلى الرازي من نقد – وذكر أنه التقى ببعض تلاميذه انظر: الذيل (ص: 68).

(689) الوافي (251/4)، ولم أجد هذا الكلام في رحلة ابن جبير المطبوعة – دار صادر – ولابن جبير ثلاث رحلات، انظر: تاريخ الأدب الجغرافي العربي تأليف يوكرا تشكوفسكي (ص: 299).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

منها « أنه كان يقول: قال محمد التازي (690) يعني العربي: يريد النبي ε ، وقال محمد الرازي، يعني نفسه، ومنها أنه كان يقرر في مسائل كثيرة مذاهب الخصوم وشبههم بأتم عبارة فإذا جاء إلى الأجوبة اقتنع بالإشارة » (691)، ثم مدحه ودافع عنه، وقال في بعض المغاربة: « يورد الشبه نقداً، ويحلها نسيئة » (692)، وقال الطوفي الصرصري المتوفى سنة 716هـ: « وأجمع ما رأيته من التفاسير لغالب علم التفسير كتاب القرطبي، وكتاب مفاتيح الغيب، ولعمري كم فيه من زلة وعيب، وحكى لي الشيخ شرف الدين النصيبي (693) المالكي أن شيخه الإمام الفاضل سراج الدين المغربي السرمساحي (694)، المالكي صنف كتاب المآخذ على مفاتيح الغيب، وبين ما فيه من البهرج والزيف في نحو مجلدين، وكان ينقم عليه كثيراً، خصوصاً إيراده شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من القوة وإيراد جواب أهل الحق منها على غاية ما يكون من الوحي(695)، ولعمري إن هذا لدأبه في غالب كتبه الكلامية والحكمية، كالأربعين، والمحصل، والنهاية، والمعالم، والمباحث المشرقية، ونحوها، وبعض الناس يتهمه في هذا وينسبه إلى أنه ينصر بهذا الطريق ما يعتقده ولا يجسر على التصريح به، ولعمري إن هذا ممكن، لكنه خلاف ظاهر حاله، فإنه ما كان يخاف من قول يذهب إليه، أو اختيار ينصره، ولهذا تناقضت آراؤه في سائر كتبه، وإنما سببه عندي، أنه كان شديد الاشتياق إلى الوقوف على الحق كما صرح به

---

(690) التازي: كان العجم يطلقونها على العرب، أي العربي، انظر: حاشية ذيل الروضتين (ص:68).

(691) ذيل الروضتين (ص:68).

(692) لسان الميزان (427/4).

(693) في الإكسير اليصني، وما أثبته من لسان الميزان (428/4).

(694) في لسان الميزان: السرمياحي.

(695) في الإكسير: الدهاء، وهو خطأ والتصويب من لسان الميزان.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

في وصيته التي أملاها عند موته، فلهذا كان يستفرغ وسعه ويكد قريحته في تقرير شبه الخصوم، حتى لا يبقى لهم بعد ذلك مقال، فتضعف قريحته عن جوابها على الوجه، لاستفراغه قوتها في تقرير الشبه...» (696)، وقال الذهبي عنه – وقد ترجم له في الميزان في حرف الفاء باسم الفخر – : « رأس في الذكاء والعقليات لكنه عرى عن الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا، وله كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم، سحر صريح، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى » (697).

أما الشهرزوري المتوفى سنة 387هـ، تقريباً – فقد نقده نقداً لاذعاً – من منطلق فلسفي إشراقي (698) وقال عنه « له مصنفات في أكثر العلوم إلا أنه لا يذكر في زمرة الجكماء المحققين، ولا يعد في الرعيل الأول من المدققين، أورد على الحكماء شكوكاً وشبهاً كثيرة وما قدر أن يتخلص منها، وأكثر من جاء بعده ضل بسببها، وما قدر على التخلص منها» (699)، ويقول عنه أيضاً: « هو شيخ مسكين، متحير في مذاهبه التي يخبط فيها خبط عشواء» (700).

---

(696) الإكسير في علم التفسير (ص:26)، ونقله ملخصاً ابن حجر في لسان الميزان (427/4-428).

(697) ميزان الاعتدال (340/3).

(698) الفلسفة الإشراقية تجمع بين الفلسفة والتصوف، وكان على رأسها السهروردي المقتول سنة 587هـ، وأشهر كتبه كتابه حكمة الأشراف الذي شرحه الشهرزوري – محمد بن محمود– انظر في نشأة فلسفة الإشراق وترجمة الشهرزوري، مقدمة تحقيق نزهة الأرواح (جـ 1ص: د– كز) وأصول الفلسفة الإشراقية، محمد على أبو ريان، والأعلام للزركلي (87/7).

(699) نزهة الأرواح (144/2).

(700) المصدر السابق (146/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هذه أقوال الناس فيه مدحاً وذماً، ومنها يتبين كيف كان الرازي – بمؤلفاته العديدة ذا أثر واضح فيمن جاء بعده من الأشاعرة الذين رأوا فيه علماً من أعلامهم المنافحين عن مذهبهم ضد مخالفيهم من مختلف الطوائف.

ثانياً: هناك مسألة تحتاج إلى بيان، وهي أن الرازي بلا شك خاض في علم الكلام والفلسفة، فعلى أي وجه كان خوضه فيهما؟ وما خلاصة منهجه وعقيدته؟

هل كان فيلسوفاً مثل ابن سينا والفارابي وغيرهما؟ أم كان متكلماً مناهضاً للفلسفة؟ أم أنه متكلم متفلسف يؤيد الفلاسفة حيناً ويؤيد المتكلمين حيناً آخر؟ أم أنه مر بمراحل في حياته، يميل إلى الفلسفة في مرحلة ثم يتخلى عنها إلى علم الكلام في مرحلة لاحقة؟ (701).

هذه أهم الأقوال في حقيقة منهج الرازي وعقيدته التي سطرها في كتبه، والأقوال الثلاثة الأولى منها لا تعارض بينها، لأن من وصفه بأنه فيلسوف فقد بنى قوله على كتبه الفلسفية الواضحة كالمباحث المشرقية وشرح الإشارات، وشرح عيون الحكمة، وهذه كتب نهج فيها الرازي نهج الفلاسفة وهو و إن ناقشهم فيها أحياناً أو جعل فيها قسماً للإلهيات فذلك لأن كتب الفلاسفة الإسلام نفسها فيها أشياء من هذا ولم تخرج كتبهم عن أن تكون كتباً فلسفية، ومن قال إنه متكلم – أشعر – فقد بنى ذلك على كتب الرازي التي تبنى فيها –بقوة– مذهب الأشاعرة كالأربعين وأساس التقديس ونهاية العقول والمعالم وغيرها وهؤلاء جعلوا خوضه في الفلسفة مثل خوض الغزالي فيها وإنما هو للرد على الفلاسفة ونقض أقوالهمن ومن قال إنه متكلم متفلسف فقد عبر فعلاً عن ما تحويه كتبه من موافقة لأهل الفلسفة وأهل الكلام.

---

(701) ذكر خلاصة هذه الأقوال والقائلين بها الزركان في كتابه عن الرازي (ص:616-618).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أما القول الرابع وهو أن الرازي مر بمراحل فقد تبناه الدكتور محمود قاسم، وتابعه في ذلك تلميذه محمد صالح الزركان، وعلى هذا الرأي بنى رسالته العلمية عن الرازي (702)، فذكر – في كل مسألة من مسائل الفلسفة أو العقيدة – أن الرازي مر فيها بمرحلتين أو أكثر حسب ما هو موجود في كتبه المختلفة، ونظراً لأن هذه الدراسة انتشرت وتناقل أفكارها كثير من الباحثين، فأود أن أسجل عليها الملاحظات التالية وهي ملاحظات تفيد في التعرف على منهج الرازي وعقيدته:

أ . يقول الزركان « نظراً إلى اختلاف آراء الرازي في معظم المسائل فقد تبادر إليّ بادئ الأمر أنني حيال تناقض واضطراب، وبالفعل كتبت الرسالة مفسراً ما أجده من تعارض آرائه بالتناقض، إلا أن أستاذنا الدكتور محمود قاسم رأى – بعد أن قرأ ما كتبت – أن الأمر ليس تناقضاً، بل هو تطور، وعندئذ عدت إلى أوراقي أقرؤها واضعاً واضعاً نصب عيني الترتيب الزماني لمؤلفات الرازي، فاتضح لي صدق نظرة أستاذنا ومن ثم اضطررت إلى تغيير أكثر ما دونته أولاً» (703)، والذي يتبادر إلى الذهن من هذا الكلام أنه قصد من تغيير منهجه في الدراسة إلى أن يتخلص من الحكم بتناقض الرازي، وليس هناك مبرر واضح لهذا التغيير، وكل إنسان ألف كتباً عديدة لابد أن يكون قد ألفها في أزمان متتالية، والتطور إنما يكون للآراء والأفكار، ولو أن الرازي كان أشعرياً في أول أمره ثم تحول إلى الفلسفة ورد على الأشاعرة، أو بالعكس، لكان هذا تطوراً واضحاً، ولكن من خلال تتبع مؤلفاته تبين أنه ألف ف وقت مبكر كتباً فلسفية وأشعرية، وكذا في وسط حياته، ومثله في آخر حياته، ثم إن الرازي في واحد من كتبه المتقدمة التي وافق فيها بعض آراء الفلاسفة وصف بعض أقوالهم

(702) التي بذلك فيها جهداً كبيراً، فتتبع بشكل جيد أقوال الرازي في كتبه المخطوطة والمطبوعة ودرسها وقارن بينها.

(703) فخر الدين الرازي للزركان (ص: 618)، – حاشية –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بأنها خرافات، وقال: إنه لا يقبل مقالات الأولين (704)، فكيف يقال: إنه في أول أطواره كان أرسطياً مشائياً؟ وإن كتابه « المباحث المشرقية» يمثل هذه المرحلة؟ والرازي يتناقض في الكتاب الواحد من كتبه، وقد ذكر الزركان مثالاً على ذلك (705)، فهل يقال في مثل هذا: إن مذهبه قد تطور؟

ب . سار الزركان في دراسته على تتبع جزئيات المسائل، وعرض تطور مذهبه في كل واحدة منها على حده، ومن المعلوم أن المسائل يترتب بعضها على بعض، فمن وافق الفلاسفة أو المعتزلة أو الأشاعرة فلا بد أن تكون موافقته لعموم المسائل التي يقوم عليها هذا المذهب – خاصة الأصولية منها – ، والمتتبع لما عرضه الباحث لتطور مذهب الرازي في كل مسألة لا يرى أنه تسير نسقاً متقارباً – ولا أقول واحداً – والسبب في ذلك أن الرازي – وهو المكثر في تآليفه – كان يرجح في كل مسألة ما يتوصل إليه عند كتابتها، ثم قد يعود إلى المسألة نفسها في كتاب آخر ويرجح ترجيحاً مخالفاً لترجيحه الأول، والناظر فيما كتبه الباحث حيال ثلاث من أهم المسائل الفلسفية والكلامية، وهي مسألة: هل الوجود زائد على الماهية، والمثل الأفلاطونية، وتماثل الأجسام (706) وتطور مذهب الرازي في كل واحد منها، يستنتج منها أنه كان مضطرباً بشكل واضح وأن من الصعوبة بمكان القول بأن مذهبه تطور فيها.

جـ . يقول الرازي في كتابه في الفرق عن الفلاسفة – وقد صنفهم ضمن الفرق الخارجين عن الإسلام بالحقيقة والاسم – : « مذهبهم أن العالم قديم وعلته مؤثرة بالإيجاب، وليست فاعلة بالاختيار، وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى، وينكرون حشر

---

(704) انظر: المباحث المشرقية (507/2).

(705) انظر: فخر الدين الرازي (ص:320).

(706) انظر: هذه المسائل الثلاث في المصدر السابق – على التوالي – (ص: 170)، وما بعدها و (ص: 410–415) و (ص: 501–509).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأجسام، وكان أعظمهم قدراً أرسطاليس، وله كتب كثيرة، ولم ينقل تلك الكتب أحد أحسن مما نقله الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا الذي كان في زمن محمود بن سبكتكين، وجميع الفلاسفة يعتقدون في تلك الكتب اعتقادات عظيمة» ثم يقول بعد هذا مباشر مبيناً أسباب دراسته لكتبهم: « وكنا نحن في ابتداء اشتغالنا بتحصيل علم الكلام تشوقنا إلى معرفة كتبهم لنرد عليهم، فصرفنا شطراً صالحاً من العمر في ذلك حتى وفقنا الله تعالى في تصنيف كتب تتضمن الرد عليهم ككتاب نهاية العقول، وكتاب المباحث المشرقية، وكتاب الملخص، وكتاب شرح الإشارات... [وذكر كتباً أخرى].. وهذه الكتب بأسرها تتضمن شرح أصول الدين وإبطال شبهات الفلاسفة وسائر المخالفين، وقد اعترف الموافقون والمخالفون أنه لم يصنف أحد المتقدمين والمتأخرين مثل هذه المصنفات، وأما المصنفات الأخرى التي صنفناها في علم آخر فلم نذكرها هنا» ثم يقول عن الاتهامات التي وجهت إليه بسبب كتبه: « ومع هذا فإن الأعداء والحساد لا يزالون يطعنون فينا وفي ديننا، مع ما بذلنا من الجد والاجتهاد في نصرة اعتقاد أهل السنة والجماعة، ويعتقدون أني لست على مذهب أهل السنة والجماعة، وقد علم العالمون أنه ليس مذهبي ولا مذهب أسلافي إلا مذهب أهل السنة والجماعة، ولم تزل تلامذتي ولا تلامذة والدي في سائر أطراف العالم يدعون الخلق إلى الدين الحق والمذهب الحق، وقد أبطلوا جميع البدع، وليس العجب من طعن هؤلاء الأضداد الحساد بل العجيب من الأصحاب والأحباب كيف قعدوا عن نصري والرد على أعدائي » (707)، وهذا الكلام يدل على أن الرازي وهو يؤلف في الفلسفة كان قاصد للرد على أصحابها من منطلق مذهبه الأشعري، ولكنه لما خاض في هذه الأمور اجتهد في عرض مذاهبهم وأقوالهم وحجبهم بأسلوبه، كما فعل الغزالي في مقاصد الفلاسفة، وكانت للرازي في أثناء عرضه لهذه الأمور ترجيحات وافق في

(707) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: 91-93) – ت النشار–.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بعضها مذهب الفلاسفة، ولم يكن في وقت من الأوقات فلسفياً خالصاً حتى يقال: إن مذهبه قد تطور.

د . هناك جانب لابد من الانتباه إليه بالنسبة للذين خاضوا في الفلسفة من علماء الأشاعرة، وهو أنهم يحرصون كثيراً على إخفاء ما عندهم من عقائد توافق مذاهب الفلاسفة، ولذلك فهم يكتمون بعض أمورهم ويلمحون لذلك في مواضع من كتبهم، وأبرز الأمثلة على ذلك الغزالي – كما سبق – أما الرازي فكان خوضه في علوم الفلاسفة صريحاً حتى هاجمه وانتقده – بسبب ذلك – بعض علماء الأشاعرة ومع ذلك فوصل الأمر به إلى إخفاء بعض الأمور، ومن الأمثلة على ذلك:

1ـ قوله في المباحث المشرقية حين عرض لمسألة العقول والجواهر المجردة التي قال بها الفلاسفة: « هذا ما نقوله في هذا الموضع وهذا الفصل من كلامنا، وهو مشتمل على رموز ونكت من استحضر الأصول الماضية وقف عليها، وظفر منها بالحق الذي لا محيص عنه، ولكنا تركناها مستورة لئلا يصل إليها إلا من هو أهلها » (708).

2ـ وفي شرحه لكتاب الإشارات والتنبيهات قال بعد ذكر قول ابن سينا في آخرها: « خاتمة ووصية: إني قد مخضت لك في هذه الإشارات عن زبدة الحق، وألقمتك قفيّ الحكم في لطائف الكلم، فصنه عن الجاهلين والمبتذلين، ومن لم يرزق الفطنة الوقادة، والدربة والعادة، وكان صغاه مع الغاغة، أو كان من ملاحدة هؤلاء الفلاسفة ومن همجهم، فإن وجدت من تثق بنقاء سريرته واستقامة سيرته وبتوقفه عما يتسرع إليه الوسواس ، وبنظره إلى الحق بعين الرضا والصدق، فآته ما يسألك منه، مدرجاً، مجزأ، مفرقاً، تستغرس مما تسلفه لما تستقبله، وعاهده بالله وبأيمان لا مخارج لها، ليجرى فيما تأتيه مجراك متأسياً بك، فإن أذعت هذا العلم، أو أضعته فالله بيني وبينك وكفى

(708) المباحث المشرقية (445/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

بالله وكيلاً » (709)، قال الرازي معلقاً على هذا الكلام: « وأنا أيضاً أوصيك يا أخي في الدين وصاحبي في طلب اليقين أن تعمل بهذا الشرح ما أمرك الشيخ به، وأن لا تعدل عن قانون قوله، فإنك بعد إطلاعك على ما فيه، ووقوفك على حقائقه ومعانيه تعلم أن الضنة إن حسنت في المشروح فهي واجبة في الشرح لكثرة ما فيها من الحقائق الدقيقة والمباحث العميقة » (710).

3ـ والرازي – مثل الغزالي– يقسم الناس إلى خواص وعوام، فيقول في معرض تعداده لما ذكره العلماء من فوائد للمتشابهات في القرآن: « الوجه الخامس – وهو السبب الأقوى في هذا الباب – أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام بالكلية، وطبائع العوام تنبو في أكثر الأمر عن إدراك الحقائق، فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا مشار إليه، ظن أن هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتوهمونه ويتخيلونه، ويكون ذلك مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح» (711)، وليس المقصود رد ما في كلامه من الباطل، وإنما بيان منهجه وأنه يقسم الناس إلى عوام وخواص.

فهذه الشواهد – من كلامه – تدل على أن الرازي يوافق الفلاسفة ويحسن الظن بعلومهم ويعتقد أنها لا تخالف علم الكلام (712)، وهذا يدل على خطورة مذهبه ومنهجه، وأنه متكلم متفلسف خلط هذا بهذا، وقد اقتدى به كثير ممن أتى بعده.

---

(709) الإشارات والتنبيهات، مع شرح الطوسي (4/903–906)، – ط دار المعارف –.

(710) شرح الإشارات للرازي، مع شرح للطوسي (2/144).

(711) تفسير الرازي (7/172).

(712) انظر في مصادر فلسفة الرازي: مذهب الدرة عند المسلمين (ص: 80–81)، وفخر الدين الرازي، لفتح الله خليف (ص: 105).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثالثاً: من القضايا المتعلقة بمنهج الرازي أنه يعتبر من الذين خلطوا الكلام بالفلسفة، وقد انتقده في ذلك بعض متأخري الأشعرية حتى قال السنوسي في شرح السنوسية الكبرى عنه «وقد يحتمل أن يكون سبب دعائه بهذا ما علم من حاله من الولوع بحفظ آراء الفلاسفة وأصحاب الأهواء وتكثير الشبه لهم، وتقوية إيرادها، ومع ضعفه عن تحقيق الجواب عن كثير منها على ما يظهر من تآليفه، ولقد استرقوه في بعض العقائد فخرج إلى قريب من شنيع أهوائهم، ولهذا يحذر الشيوخ من النظر في كثير من تآليفه » (713)، وقال أيضاً في شرحه لعقيدته الأخرى «أم البراهين» : « وليحذر المبتدي جهده أن يأخذ أصول دينه من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة وأولع مؤلفوها بنقل هوسهم وما هو كفر صراح من عقائدهم التي ستروا نجاستها بما ينبههم على كثير من اصطلاحاتهم وعباراتهم التي أكثرها أسماء بلا مسميات، وذلك ككتب الإمام الفخر في علم الكلام، وطوالع البيضاوي ومن حذا حذوهما في ذلك، وقل أن يفلح من أولع بصحبة الفلاسفة » (714)، وأشعرية الرازي لا يتطرق إليها أي شك، وهو وإن خالفهم أحياناً أو ردّ على بعض أعلام الأشاعرة إلا أنه وضع بعض التآليف التي أصبحت فيما بعد عمدة يعتمد عليها الأشاعرة، وذلك مثل كتابه المحصل، والمعالم، والأربعين، والخمسين، وأساس التقديس، وهذا الأخير يعتبر من أقوى كتبه الأشعرية وأهمها ولذلك أفرد له شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً من أهم كتبه وأكبرها – وهو وإن كان لم يصل إلينا كاملاً – إلا أن الذين ذكروه تحدثوا عنه بما يفيد أنه أكبر من درء تعارض العقل والنقل، وما وجد من هذا الكتاب – مطبوعاً ومخطوطاً – يدل على أن شيخ الإسلام تتبع أقوال الرازي كلمة كلمة وعبارة عبارة ونقضها وبين ما فيها من مخالفة لمذهب السلف، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في

---

(713) شرح السنوسية الكبرى (ص:41).

(714) شرح أم البراهين، مع حاشية الدسوقي عليها(ص: 70-71).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

مقدمة رده على الرازي مكانته ومنزلته بين أتباعه فقال: « فلهذا ذكرت ما ذكره أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، المعروف بابن خطيب الري، الإمام المطلق في اصطلاح المقتدين به من أهل الفلسفة والكلام، المقدم عندهم يجعلونه في زمنه ثاني الصديق في هذا المقام لما رده في ظنهم من أقاويل الفلاسفة بالحجج العظام، والمعتزلة ونحوهم، ويقولون: إن أبا حامد ونحوه لم يصل إلى تحقيق ما بلغه هذا الإمام، فضلاً عن أبي المعالى ونحوه ممن عندهم فيما يعظمونه من العلم والجدل بالوقوف على نهاية الإقدام، وأن الرازي أتى في ذلك منتهى نهاية العقول والمطالب العالية بما يعجز عنه غيره من ذوي الإقدام، حتى كان فهم ما يقوله عندهم هو غاية المرام، وإن كان فضلاؤهم مع ذلك معترفين بما في كلامه من كثر التشكيك في الحقائق، وكثرة التناقض في الآراء والطرائق، وأنه موقع لأصحابه في الحيرة والاضطراب، غير موصل إلى تحقيق الحق الذي تسكن إليه النفوس وتطمئن إليه الألباب، لكنهم لم يروا أكمل منه في هذا الباب، فكان معهم كالملك مع الحجاب، وكان له من العظمة والمهابة في قلوب الموافقين له والمخالفين ما قد سارت به الركبان، لما له من القدرة على تركيب الاحتجاج والاعتراض في الخطاب » (715).

أما ما يدل على دخوله في الفلسفة فأمور:

أ . اهتمامه بكتب ابن سينا وغيره، ففي المباحث المشرقية اعتمد كثيراً على أقوال ابن سينا ونقلها، كما أنه شرح الإشارات، واختصرها، وشرح عيون الحكمة – وكلها لابن سينا – وقد سبق نقل كلام الرازي في مدحه وأنه قال عنه أنه أحسن من نقل كتب الأقدمين من الفلاسفة، واهتمام الرازي بهذه الكتب بحد ذاته يدل على إعجابه بها، وهو وإن نقد بعض فصولها إلا أنه في نفس الوقت وافقهم على ما في الفصول الأخرى.

---

(715) نقض التأسيس المخطوط (1/6-7).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ب ـ لم يقتصر الأمر على شرح كتب الفلاسفة، بل دافع عنها، حتى أنه لما ورد بخاري وسمع أن أحداً من أهلها أورد إشكالات على إشارات ابن سينا، رد عليه وناقشه في قصة ذكرها القزويني (716)، كما أنه دافع عن عموم الفلاسفة فقال في إحدى المناسبات: « وإذا أمكن تأويل كلام القوم على الوجه الذي فصلناه فأي حاجة بنا إلى التشنيع عليهم وتقبيح صورة كلامهم » (717).

جـ ـ لما ذكر الأقوال في المعاد وهل يكون للروح أو للجسد والروح ذكر قول القائلين بالمعاد الروحاني والجسماني معاً – وقال بعد ذكر عنوان هذا الفصل – : « أعلم أن كثيراً من المحققين قالوا بهذا القول، وذلك لأنهم أرادوا الجمع بين الحكمة والشريعة» ، ثم قال بعد شرح قولهم: « فهذا المعنى لم يقم على امتناعه برهان عقلي، وهو جمع بين الحكمة النبوية والقوانين الفلسفية فوجب المصير إليه » (718)، ونصوص المعاد من أوضح ما ورد بيانه في القرآن، ومع ذلك فالرازي يرى وجوب المصير إلى هذا القول لموافقته للقوانين الفلسفية.

د ـ موافقته لأقوال الفلاسفة في بعض المسائل التي اختصوا بها، وهو وإن رجع عن بعضها إلا أن أقواله وترجيحاته بقيت مدونة في كتبه، ومن أهم الأمثلة على ذلك:

1ـ قوله بالعقول المجردة، وأن لكل ملك نفساً (719)، ويرى أن دليل المتكلمين على إبطال ما قاله الفلاسفة من وجود العقول المجردة دليل ضعيف (720).

---

(716) انظر: آثار البلاد وأخبار العباد (ص: 378).

(717) المباحث المشرقية (1/382-383).

(718) الأربعين في أصول الدين (ص: 300-301).

(719) شرح الإشارات (2/129)، والمباحث المشرقية (2/437،379،377).

(720) الأربعين (ص:6).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

2ـ قوله بالمثل الأفلاطونية في بعض كتبه، فقد أثبتها في الملخص في الحكمة والمنطق (721)، وقال في شرح الإشارات: « ما قامت الدلالة القاطعة على فسادها » (722)، ولكنه في المباحث المشرقية أبطلها (723).

3ـ وأخطر قضية قال بها ووافق فيها فلاسفة قوله بالتنجيم وأن الكواكب أرواحاً تؤثر في الحوادث الأرضية، وكذلك قوله في السحر، وتأليفه في ذلك كتاباً مستقلاً سماه « السر المكتوم في مخاطبة النجوم» وقد أثار هذا الكتاب جدلاً حول صحة نسبته إليه، واختلف حوله، بين نافٍ، وشاكٍ، ومثبتٍ، وقد عرض الزركان الخلاف حوله، واستقصى أقوال العلماء في ذلك، ثم رجح صحة نسبته إليه (724)، وممن رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع متفرقة من كتبه (725)، وكتاب السر المكتوم أشار إليه الرازي وأحال عليه في بعض كتبه (726)، وقد وصل إلينا وطبع في الهند، إلا أن الذي يدل دلالة قاطعة على صحة نسبة هذا الكتاب إليه أنه ذكر هذه المسألة في كتاب من أواخر كتبه وأشهرها – ولم يتمه – وهو كتاب المطالب العالية، وقد قال فيه – عند حديثه عن السحر وأقسامه وهو القسم الثالث في كتاب النبوات – «اعلم أنا ما رأينا إنساناً عنده في هذا العلم شيء معتبر، وما رأينا كتاباً مشتملاً على أصول معتبرة في هذا الباب إلا أنا لما تأملنا حصلنا فيه أصولاً وجملاً،

---

(721) انظر: فخر الدين الرازي للزركان (ص: 506) –نقل عن مخطوطة الملخص –.

(722) شرح الإشارات (133/1).

(723) انظر: المباحث المشرقية (110/1).

(724) انظر: فخر الدين الرازي للزركان (ص: 52–54، 109–111، 382).

(725) انظر: نقض التأسيس المخطوط _3/194،184)، والمطبوع (2/1،63/447)، والصفدية (173/1،66)، والاستغاثة (302/2)، ودرء التعارض (311/1)، ومجموع الفتاوي (55/18)، والرد على المنطقيين (ص: 286).

(726) انظر: شرح الإشارات (143/2)، وكتاب الزركان عن الرازي (ص: 110).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فمن جاء بعدنا وفاز بالفوائد والزوائد في هذا الباب فليكن شاكراً لنا حيث رتبنا له هذه الأصول المضبوطة والقواعد المعلومة » (727)، ثم يقول: « ثبت بالدلائل الفلسفية أن مبادئ حدوث الحوادث في هذا العالم هو الأشكال الفلكية والاتصالات الكوكبية، ثم إن التجارب المعتبرة في علم الأحكام [أي أحكام النجوم] انضافت إلى تلك الدلائل، فقويت تلك المقدمة جداً » (728)، ثم ذكر الأدلة على صحة هذا العلم وأن منها إطباق من قديم الدهر على التمسك بعلم النجوم (729)، ثم قال بعد ذكره لوجوه صعوبة هذا العلم: « فهذا ضبط الوجوه المذكورة في بيان أن الوقوف على أحوال هذا العلم بالتمام والكمال صعب، إلا أن العقلاء اتفقوا على أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فهذا العلم وإن كان صعب المرام من هذه الوجوه إلا أن الاستقراء يدل على حصول النفع العظيم فيه، وإذا كان كذلك وجب الاشتغال بتحصيله والاعتناء بشأنه، فإن القليل منه كثير بالنسبة لمصالح البشر » (730)، وله بعد ذلك كلام غريب وخطير في هذا الباب (731).

وقد كان من آثار هذا الشرك الصريح، أنه ذكر أن من الأنواع المعتبرة في هذا الباب اتخاذ القرابين وإراقة الدماء، فقال: « إنه لما دلت التجارب عليها وجب المصير إليها» (732)، بل قال بتعظيم المزارات والقبور وأن الدعاء عندها فيه فائدة فقال في معرض ذكره لحجج القائلين بأن النفس جوهر روحي مفارق – وهو ما رجحه في كتابه هذا– : « الحجة الثالثة: جرت عادة العقلاء بأنهم يذهبون إلى المزارات

---

(727) المطالب العالية – جزء النبوات – (ص: 199) مطبوع.
(728) المصدر السابق (ص: 200).
(729) انظر: المصدر نفسه (ص: 210).
(730) المطالب العالمية (ص: 216).
(731) انظر المصدر نفسه (ص: 219–222).
(732) المصدر نفسه (ص: 243).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

المشرفة، ويصلون وتصدقون عندها، ويدعون في بعض المهمات فيجدون آثار النفع ظاهرة، ونتائج القول لائحة، حكى أن أصحاب أرسطو كانوا كلما صعبت عليهم مسألة ذهبوا إلى قبره وبحثوا فيها كانت تنكشف لهم تلك المسألة، وقد يتفق أمثال هذا كثيراً عند قبور الأكابر من العلماء والزهاد في زماننا، ولولا أن النفوس باقية بعد البدن، وإلا لكانت تلك الاستعانة بالميت الخالي من الحس والشعور عبثاً، وذلك باطل » (733).

هذه أقوال هذا الإمام الذي يقتدي به الكثيرون، ولعل الرازي قد تاب من ذلك قبل وفاته ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونعوذ به من زيغ القلوب، ونسأله الثبات على دينه الحق إلى أن نلقاه.

4ـ ومن المسائل التي كان قوله فيها مضرباً، وكثيراً ما يميل فيها إلى أقوال الفلاسفة، مسألة النبوة، وخصائص النبي (734).

رابعاً: تصوف الرازي.

تصوف الرازيقريب مما انتهى إليه تصوف الغزالي، فهو تصوف فلسفي، يقوم على أن التجرد بالرياضة مع العلم والفلسفة يقودان إلى إلى الكشوفات المباشرة (735)، ولذلك حين يدلل على مذهبه في بقاء النفس الذي وافق فيه الفلاسفة يذكر منها: « أن عند الرياضيات الشديدة يحصل للنفس كمالات عظيمة وتلوح لها الأنوار وتتكشف

---

(733) المطالبة العالية (2/301-306)، مخطوط – نقلاً عن الزركان (ص: 477-478).

(734) انظر: المباحث المشرقية (2/521-522)، آخر الكتاب – وانظر: كتاب الزركان (ص: 547-575).

(735) انظر: من أسرار التنزيل (ص: 113-114)، وقد طبع باسم عجائب القرآن انظره: (ص: 118-119).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

لها المغيبات » (736)، ولما وصل إلى النمط التاسع في الإشارات والتنبيهات وهو في «مقامات العارفين»، قال الرازي في شرحه: « هذا الباب أجل ما في هذا الكتاب، فإنه رتب علوم الصوفية ترتيباً ما سبقه إليه من قبله ولا لحقة من بعده» (737)، وقال معلقاً على كلامه في التفريق والجمع – وهما من اصطلاحات الصوفية–: « لقد وفق المصنف في هذا الفصل حتى جمع في هذه الألفاظ القليلة جميع مقامات السالكين إلى الله، واعلم أن السالكين إلى الله تعالى لا بد وأن يتكلفوا الإعراض عن لذات الدنيا وشهواتها، ولا يزالون في كلفة وتكلف من ذلك إلى أن يزول عن قلبهم حبها والميل إليها، وهو الدرجة الثانية إلا أن منتهى سعيهم وثمرة اجتهادهم ليس إلا محو ما سوى الله عن القلب، ..[ثم يذكر الدرجة الثالثة والرابعة، ثم يقول] فهذه درجات التخلية وهي في لسان الحكمة درجات الرياضيات السلبية، وفي لسان محققي الصوفية درجات التخلق بنعوت، وأما درجات الرياضيات الإيجابية المسامة عند المحققين بالترقي في مدارج الكمال فهي التخلق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية.. وقد اتفقت كلمة العارفين على أن مقامات السالكين إلى الله لا تخلو عن الفرق والجمع، وأما الفرق ففيما سوى الله، وأما الجمع ففي الله ..» (738)، ويرى الرازي أن المريد إذا لم يكن عالماً فلا بد له من شيخ محقق (739)، كما يرى أن السماع له آثار في تحريك القلب ورياضته (740).

---

(736) انظر: معالم أصول الدين للرازي (ص:120–121)، – ط دار الكتاب العربي – والفراسة (ص: 96–97)، ت يوسف مراد.

(737) شرح الإشارات (100/2).

(738) انظر: المصدر السابق (120/2).

(739) انظر: شرح الإشارات (112/2).

(740) انظر: المصدر نفسه (113/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وأبرز الكتب التي ذكر فيها أموراً كثيرة تتعلق بالتصوف كتابه في شرح أسماء الله الحسنى الذي سار فيه على طريقة القشيري والغزالي في كتابيهما عن أسماء الله، وذلك في ذلك الاسم ومعناه ثم ذكر حال الصوفية والشيوخ مع هذا الاسم ودلالته عندهم، ولما ذكر الدعاء وأنه أعظم مقامات العبودية دلل على ذلك بأدلة منها « أن الداعي ما دام يبقى خاطره مشغولاً بغير الله فإنه لا يكون دعاؤه خالصاً لوجه الله، فإذا فنى عن الكل وصار مستغرقاً في معرفة الأحد امتنع أن يبقى بينه وبين الحق وساطة » (741)، وأطال القول في تفسير « هو» وذكر أن له هيبة عظيمة عند أرباب المكاشفات (742)، ويقول: « إن لفظ هو.. نصيب المقربين السابقين الذين هم أرباب النفوس المطمئنة وذلك لأن لفظ هو إشارة، والإشارة تفيد تعين المشار إليه بشرط أن لا يحضر هناك شيء سوى ذلك الواحد » (743)، ويقول عن موسى والخضر، ومعلوم اعتقاد الصوفية في الخضر –: « ثم إن موسى عليه السلام لما كملت مرتبته في علم الشريعة بعثه الله إلى هذا العالم ليعلم موسى عليه السلام أن كمال الدرجة في أن ينتقل الإنسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر إلى علوم الباطن المبنية على الإشراف على البواطن والتقطع على حقائق الأمور» (744).

وإذا أضيف إلى كلامه هنا ما سبق أن ذكره حول النفوس المجردة يتبين أن تصوفه بناه على جوانب فلسفية قريبة مما ذكره ابن سينا وقد سبقت الإشارة إلى مدى إعجاب الرازي بأقواله في ذلك.

---

(741) لوامع البينات (ص: 85).

(742) انظر: المصدر السابق (ص: 101).

(743) المصدر نفسه (ص:105)، وانظر: كلامه حول لفظ « هو » في (ص: 101-107).

(744) تفسير الرازي (160/21).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

على أن مما يلفت الانتباه في تصوف الرازي – والصوفية تقول بالجبر في القدر لاستغراقهم في توحيد الربوبية – أنه صرح بالقول بالجبر فقال: « فثبت بهذا أن أفعال العباد بقضاء الله وقدره، وأن الإنسان مضطر باختيار، وأنه ليس في الوجود إلا الجبر » (745)، وقال: « إن صدور الفعل عن العبد يتوقف على داعية يخلقها الله تعالى، ومتى وجدت تلك الداعية كان الفعل واجب الوقوع، وإذا كان كذلك كان الجبر لازماً (746)، بل قال في شرح الإشارات: «إن العارف لا يكون له همة في البحث عن أحوال الخلق، ولا يغضب عند مشاهدة المنكر لعلمه بسر الله في القدر» (747)، وبذلك يلتقي مع غلاة الصوفية في مقالاتهم الخطيرة، وأحوالهم المبطلة للشرائع.

(745) المباحث المشرقية (517/2).

(746) المحصول في أصول الفقه (جـ 1 ف 2 ص 380)، وكلام الرازي هنا مع قوله في النص السابق: أن الإنسان مضطر باختيار كأن فيه إشارة إلى أن كسب الأشعري نوع من القول بالجبر، ومن ثم فإن الرازي لا يمانع مع ذلك من التصريح بلفظ الجبر، بل يراه لازماً.

(747) شرح الإشارات (123/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

خامساً: حيرته وتناقضه، ورجوعه.

يعتبر الرازي من أكثر الأشاعرة اضطراباً في أقواله، وهذا بالنظر إلى مجمل أقواله في جميع كتبه، ومن يتتبع الدراسة التي قام بها الزركان يرى ذلك واضحاً في كل مسألة من المسائل التي ذكرها، وهي كثيرة جداً، كما أنه في بعض المسائل أعلن حيرته أو شكه، وفي آخر أمره رجع إلى طريقة القرآن وفضلها، ولعل من أسباب هذه الأمور في منهجه خوضه في المسائل الفلسفية والكلامية، وتقريره لكل مسألة بالأدلة التي أوردها أصحابها وزيادته على ذلك بأدلة من عنده يرى أنها تصلح أن تكون دليلاً لهم، ولذلك قال في مقدمة المباحث المشرقية بعد أن بين أنه لخص أقوال الفلاسفة واجتهد في تحريرها: « ثم نضم إليه أصولاً وفقنا الله إلى تحريرها وتحصيلها وتفصيلها مما لم يقف عليه أحد من المتقدمين ولم يقدر على الوصول إليه أحد من السالكين» (748)، ويقول في نهاية العقول عن سبب تأليفه: « وكثر إلحاحهم عليّ بتصنيف كتاب في أصول الدين مشتمل على نهاية الأفكار العقلية، وغاية المباحث العلمية، صنفت هذا الكتاب بتوفيق الله تعالى لي بحق ملتمسهم، وأوردت فيه من الحقائق والدقائق ما لا يكاد يوجد في شيء من كتب الأولين والآخرين، والسابقين واللاحقين، من المخالفين والمخالفين ، والمرافقين والمفارقين» (749)، ثم ذكر كيف أنه يستقصي أدلة كل مذهب ويورد الأسئلة والجوابات ويتعمق في بحار المشكلات « على وجه يكون انتفاع صاحب كل مذهب بكتابي هذا ربما كان أكثر من انتفاعه بالكتب التي

(748) المباحث المشرقية (1/ 4-5).

(749) نهاية العقول – مخطوط – (1- أ).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

صنفها أصحاب ذلك المذهب » (750)،بل إنه ذكر أنه إذا لم يجد دليلاً لأصحب ذلك المذهب استنبط أقصى ما يمكن أن يقال في تقريره (751).

وهذه الأمور – في منهجه – لا شك في تأثيرها على أسلوبه في الوصول إلى الحقائق في كل مسألة، وهي مفسرة لهذا التناقض والشك والحيرة في كتبه، وقد تكون هناك أسباب أخرى.

وبروز هذه الجوانب في كتبه ومنهجه واضح، ومع ذلك فيمكن الإشارة إلى ما يلي:

أ . كثيراً ما يأتي الرازي بعبارات الشك والإشكال والحيرة، فمثلاً يقول في مسألة حدوث العالم وأنه ليس من شرطه أن يكون مسبوقاً بالعدم قال بعد ذكر الأدلة « وعلى هذه الطريقة إشكال» ثم ذكره وقال: « فقد بطلت هذه الحجة، فهذا شك لابد وأن يتفكر في حله» (752)، ويقول في مسألة أخرى: « ولكن لابد من فرق بين البابين، وهو مشكل جداً » (753)، وفي الأربعين قال حول دليل حدوث العالم: « هذا مما نستخير الله فيه » (754)، وقال: « هذا سؤال صعب وهو ما نستخير الله فيه » (755)، وقال: « الحيلة ترك الحيلة » (756)، وفي نهاية العقول ذكر إشكالات حول منع حلول الحوادث (757)، وتوقف في مسألة الجوهر الفرد (758)، بل توقف في كتابه المباحث المشرقية حول مسألة فلسفية (759).

---

(750) المصدر السابق (1–ب).
(751) نهاية العقول (1–ب).
(752) المباحث المشرقية (487/1).
(753) المصدر السابق (511/1).
(754) الأربعين (ص: 40).
(755) المصدر السابق (ص: 41).
(756) المصدر نفسه (ص: 237).
(757) نهاية العقول (265– أ).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

ب . أما تناقضه فكثير، فمثلاً في أساس التقديس قال بتماثل الأجسام (760)، محتجاً به على نفي العلو والصفات الخبرية، ولكنه في المباحث المشرقية، وشرح الإشارات رد ذلك وقال بعدم تماثلها (761)، وفي صفة المحبة قال بتأويلها بالإرادة كما فعل الأشاعرة، ولكنه في أحد مواضع من التفسير قال: « ثبت أن جزم المتكلمين بأنه لا معنى لمحبة الله إلا إرادة إيصال الثواب ليس لهم على هذا الحصر دليل قاطع، بل أقصى ما في الباب أن يقال لا دليل على إثبات صفة أخرى سوى الإرادة فوجب نفيها، لكنا بينا في كتاب نهاية العقول أن هذه الطريقة ضعيفة ساقطة» (762) وهذه المسألة التي ذكرها في نهاية العقول أشار فيها أولاً إلى أن القول بأن كل مالا دليل عليه يجب نفيه، مردود (763)، ثم ذكر في موضع آخر – في مسألة أدلة الأشاعرة على وجوب حصر الصفات بالسبع – أن هذه القاعدة من أدلتهم فقال: « أقوى ما قيل فيه أن الله تعالى كلفنا بمعرفته فلا بد من طريق إلى ذلك، وإلا وقع التكليف بالمحال، والطريق لنا إلى ذلك ليس إلا أفعال الله تعالى، وأفعال الله تعالى لا تدل على هذا العدد من الصفات، بدليل أنا لو قدرنا ذاتاً موصوفة بهذا القدر من الصفات، فإنه يصح منه الإليهة، فثبت أن ما وراء هذه الصفات لم يوجد عليه دلالة

---

(758) المصدر السابق (249–أ).

(759) المباحث المشرقية (509/1).

(760) انظر: أساس التقديس (ص: 18)، وانظر: أيضاً عصمة الأنبياء (ص: 55).

(761) انظر: المباحث المشرقية (47/2)، وشرح الإشارات (21/1–22)، وانظر: كتاب الزركان (ص: 250–251).

(762) تفسير الرازي (132/14).

(763) انظر: نهاية العقول (10–ب – 12 – ب).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أصلاً فوجب نفيها » – ثم قال معقباً– : « وقد عرفت ما يمكن أن يقال على هذه الطريقة وما فيها» (764).

ومن أبرز الأمثلة على تناقض الرازي أنه في جميع كتبه قرر أن الأدلة النقلية لا تفيد القطع واليقين فلا يحتج بها في العقائد (765)، ومن هذه الكتب نهاية العقول حيث فصل الكلام وأطال فيه (766)، فلما وصل في هذا الكتاب إلى مسألة صفة السمع والبصر ضعف دليل الأشاعرة العقللي في إثباتهما، ثم رجح أن الأولى الاستدلال لها بنصوص السمع، لكنه أورد هذا الاعتراض: « لئن سلمنا إمكان جملها على حقائقها، لكنكم قلتم في أول الكتاب: إن التمسك في المسائل القطعية لظواهر الآيات غير جائز» ثم أجاب بقوله: « نحن ما ذكرنا ذلك السؤال هناك لاعتقادنا أنه لا يمكن الجواب عنه، بل الجواب عنه إجماع الأمة على جواز التمسك بنصوص الكتاب والسنة في المسائل القطعية، وفي هذا الموضوع كلام طويل » (767)، يقول الزركان معقباً على كلام الرازي هذا: « على أن قوله الأخير لن يغني فتيلاً، بل هو مجرد مخلص لا أقل ولا أكثر، وذلك بدليل أني لم أرَ له في كافة كتبه إلا القول بأن النصوص ظنية الدلالة، وأنها لا تتقدم على العقليات، والدليل على أنه مخلص أيضاً أنه قال: « وفي هذا الموضع كلام طويل» مع انه لم يبين شيئاً من هذا الكلام الطويل ولو مختصراً، رغم أن الموقف يحتاج إلى البت في هذه المسألة» (768)،

---

(764) نهاية العقول (166– ب).

(765) انظر: أساس التقديس (ص: 172–182)، والمحصل (ص: 51)، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز (ص: 381)، ومعالم أصول الدين (ص: 25–48)، والمحصول في أصول الفقه (جـ 1ف1 ص 572–574).

(766) انظر: نهاية العقول (14– أ–15–أ).

(767) المصدر السابق (160–أ–ب) وانظر: المحصل _ص: 171–172).

(768) فخر الدين الرازي للزركان (ص: 321).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وأقول ماذا سيكون تعليق الرازي لو أنه وجد مثل هذه الطريقة المتناقضة في الاحتجاج استخدمها أحد مخالفيه – خاصة المثبتة– ؟.

جـ رجوعه:

لم يكن الرازي بعيداً عن مذهب السلف، فهو يشير إليه أحياناً لكن ضمن مناقشاته الكلامية والفلسفية، والملاحظ أن عرضه له كثيراً ما يأتي مشوهاً (769)، فلما كان آخر حياته صرح بترجيحه لمذهب السلف وذلك في كتابيه المتأخرين المطالب العالية وأقسام اللذات، ثم في وصيته قبل وفاته:

1ـ ففي المطالب العالية لما ذكر أدلة وجود الله رجح طريقة القرآن ثم قال: « ونختم هذه الفصول بخاتمة عظيمة النفع، وهي أن الدلائل التي ذكرها الحكماء والمتكلمون وإن كانت كاملة قوية، إلا أن هذه الطريقة المذكورة في القرآن عندي أنها أقرب إلى الحق والصواب، وذلك أن تلك الدلائل دقيقة ولسبب ما فيها من الدقة انفتحت أبواب الشبهات، وكثرت السؤالات، وأما الطريق الوارد في القرآن فحاصله راجع إلى طريق واحد، وهو المنع من التعمق، والاحتراز عن فتح باب القيل والقال، وحمل الفهم والعقل على الاستكثار من دلائل العالم الأعلى والأسفل، ومن ترك التعصب وجرب مثل تجربتي علم أن الحق ما ذكرته» (770).

2ـ وفي أقسام اللذات – آخر كتبه – قال: « وأما اللذة العقلية فلا سبيل إلى الوصول إليها والتعلق بها، فلهذا السبب نقول ياليتنا بقينا على العدم الأول وليتنا ما شهدنا هذا العالم، وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن، وفي هذا المعنى قلت:

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين

---

(769) تفسير الرازي (183/1).

(770) المطالب العالية – عن الزركان – (ص: 198).

(771) هذا البيت – مع أبيات بعده 0 مشهورة ذكرها أغلب مترجمي الرازي.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

- قم قال- « واعلم أن بعد التوغل في هذه المضايق، والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق رأيت الأصوب والأصلح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم والفرقان الكريم، وهو ترك التعمق والاستدلال بأقسام أجسام السموات والأرضين على وجود رب العالمين، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل ..» (772).

3ـ وفي وصيته المشهورة قال فيها: « لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن » ثم قال: « ديني متابعة الرسول محمد ε، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما » (773).

سادساً: أثره فيمن جاء بعده

ويمكن أن يلاحظ ذلك فيما يلي:

أ . أن من جاء بعده من الأشاعرة اعتمد – في تقرير أصول المذهب الأشعري- على ما كتبه الرازي، لأنه استقصى ما يمكن أن يقال مما جاء له المتقدمون من الأشاعرة وزاد على ذلك، ومن ثم أصبحت كتبه مصادر ميسرة ومستوعبة لأدلة الأشاعرة في تقرير مذهبهم والرد على خصومهم.

ب . كانت للرازي اجتهادات في المذهب الأشعري، وصلت إلى حد القرب من المعتزلة أحياناً، والرد على أدلة الأشاعرة وتضعيفها أحياناً أخرى، مع النقد لأعلام الأشاعرة في مناسبات مختلفة، ومن الأمثلة على ذلك.

---

(772) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص: 194-195).

(773) تاريخ الإسلام للذهبي (18/242-243)، وانظر نص الوصية في عيون الأنباء (ص: 466)، وطبقات السبكي (8/90)، والزركان (ص: 638).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

1 . نقده للغزالي، وللبغدادي، وللشهرستاني، وقد جاء نقده لهؤلاء في مناظراته في بلاد ما وراء النهر (774).

2. وفي مسألة الرؤية ضعف دليل الأشاعرة العقلي، واقتصر في إثباتها على السمع (775)– وقد سبقت الإشارة إلى هذا عند الحديث عن الماتريدية – .

3. كما نقد ليل الأشاعرة على إثبات صفة السمع والبصر – وقد مرَّ قريباً–.

4. وكذا في صفة المحبة بين – كما تقدم – أنه لا دليل لهم على تأويلها بالإرادة.

5. وفي حصرهم الصفات الثابتة بسبع نقدهم نقداً قوياً كما سلف.

6ـ أما في صفة الكلام، فيعتبر الرازي من الذين ناقشوا حقيقة الخلاف بين الأشعرية والمعتزلة، وقد ضعف أدلة الأشاعرة العقلية لإثبات هذه الصفة (776)، بل بين أن منازعة الأشاعرة للمعتزلة في هذه المسألة ضعيفة (777)، وصرح بأن الحروف والأصوات محدثة (778).

7. اعتذاره لنفاة الصفات بأنهم أرادوا بنفيها إثبات كمال الوحدانية لله تعالى (779)، بل مال إلى مذهب المعتزلة في الصفات حين رد صفتي الإرادة والقدرة إلى صفة العلم (780).

---

(774) انظر: مناظرات فخر الدين الرازي (ص: 35، 39، 45).

(775) انظر: الأربعين (ص: 191–198)، ونهاية العقول (174–أ) والمعالم (ص: 74)، والمحصل (ص: 189).

(776) انظر: المحصل (ص: 173–174).

(777) انظر: الأربعين (ص: 177–179).

(778) انظر: المصدر السابق (ص: 184).

(779) انظر: لوامع البينات (ص: 33).

(780) انظر: المباحث المشرقية (490/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

8 . كما نقد الاستدلال بالإحكام والإتقان على العلم، وهو من أدلة الأشاعرة المشهورة (781).

9ـ دافع عن تكفير المعتزلة والخوارج والروافض، وناقش الأوجه التي كفر بها بعضهم بعضاً، ومن ذلك تكفير الأشاعرة لغيرهم (782)، وفي مسألة الجهل بصفات الله رجح أنه لا يكفر الجاهل بها، وعلل ذلك بأنه يلزم منه تكفير كثير من أئمة الأشعرية بسبب خلافهم في إثبات الصفات (783)، كما رجح أن أهل التقليد ناجون خلافاً لكثير من الأشعرية (784)، وليس المقصود هنا تصويب الرازي أو تخطئته في هذه الأمور التي قرب فيها من منهج أهل السنة، وإنما المقصود أنه خالف فيها كثيراً من شيوخه الأشاعرة.

10ـ تصريحه بالجبر في مسألة القدر – كما تقدم – وذلك خلافاً لشيوخه الذين ينكرون أن يكون قولهم بالكسب يؤدي إلى الجبر.

إلى غيرها من المسائل، التي كان للرازي فيها تأثير فيمن جاء بعده، وذلك بالبعد عن منهج السلف والقرب من بعض فرق الضلال كالمعتزلة وغيرهم كما كان له أيضاً تأثير في وجود الترجيحات المخالفة لمذهب الأشاعرة.

جـ . ومن الآثار البارزة في المنهج متابعة من جاء بعده له في خلط علوم الفلسفة بعلم الكلام، يقول ابن خلدون: « ولما وضع المتأخرون في علوم القوم [أي الفلاسفة] ودونوا فيها، ورد عليهم الغزالي ما رد منها، ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة، لعروضها في مباحثهم وتشابه موضوع علم الكلام

---

(781) انظر: فخر الدين الرازي للزركان (ص: 303-305).
(782) انظر: نهاية العقول (290-أ – 293-ب).
(783) انظر: المصدر السابق (287-ب).
(784) انظر: نهاية العقول (293-ب-294-أ).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

بموضوع الإلهيات، ومسائله بمسائلها، فصارت كأنها فن واحد، ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والإلهيات، وخلطوهما فناً واحداً، قدموا الكلام في الأمور العامة، ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها، ثم بالروحانيات وتوابعها إلى آخر العلم، كما فعله ابن الخطيب في المباحث المشرقية، وجميع من بعده ممن علماء الكلام » (785)، والمتتبع لكتب البيضاوي والتفتازاني والإيجي وغيرهم يلاحظ هذا المنهج واضحاً، حتى إن مباحث الإلهيات – وهي المقصودة – لا تأخذ من الكتاب الواحد منها إلا جزءاً صغيراً في آخر الكتاب، والباقي كله مقدمات منطقية وطبيعية وفلسفية، وقد علل هؤلاء المتأخرون هذا الخلط بمثل قول التفتازاني المتوفى سنة 791هـ: « لما كان من الباحث الحكمية مالا يقدح في العقائد الدينية ولم يناسب غير الكلام من العلوم الإسلامية خلطها بمسائل الكلام إفاضة للحقائق، وإفادة لما عسى أن يستعان به التقصي عن المضائق وإلا فلا نزاع في أن أصل الكلام لا يتجاوز مباحث الذات والصفات والنبوة والإمامة والمعاد وما يتعلق بذلك من أحوال الممكنات» (786).

* * *

وإن تتبع

وقبل الانتقال إلى الأشاعرة الذين عاصروا شيخ الإسلام ابن تيمية أود الإشارة إلى اثنين من أعلام الأشاعرة المشهورين جاءا بعد الرازي وهما:

---

(785) مقدمة ابن خلدون (ص: 466)، وانظر: أيضاً قبل ذلك (ص: 430) – ط الشعب –.

(786) شرح المقاصد (14/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

. أبو الحسن الآمدي : المتوفى (787) سنة 631هـ.

وقد اشتهر بكتابه الكبير الذي لا يزال مخطوطاً وهو أبكار الأفكار، وقد اختصره في كتابه الآخر غاية المرام في علم الكلام، وهو مطبوع، ومنهج الآمدي يقرب من منهج الرازي في بعض الأمور ومنها:

1. خلطه علم الكلام بالفلسفة، وهو يُعنى كثيراً بالمصطلحات وبيانها.

2. نقده لأدلة الأشاعرة في المسائل المختلفة وتضعيفها، فهو مثلاً يقول عن دليل الشهرستاني على حدوث العالم بعد أن نقله بطوله: « وهو عند التحقيق سراب غير حقيقي » (788)، كما أنه في مسألة حلول الحوادث يستعرض جميع أدلة الأشاعرة على نفيها ثم يضعفها واحداً واحداً (789)، وإن كان رجح نفيها بدليل اختاره (790)، وكذلك أيضاً اعترض على جواب الأشاعرة عن الاعتراض الموجه لهم حين نفوا الجهة بأن الرؤية لا تكون إلا في جهة فأجابوا عن ذلك بمثال المرآة وأن الإنسان يرى نفسه

---

(787) هو: أبو الحسن علي بن أبي محمد بن سالم، سيف الدين الآمدي، ولد سنة 551هـ في آمد من ديار بكر، انتقل وهو شاب إلى بغداد فدرس بها، ثم تعرض لاتهام الفقهاء له بسبب ميله إلى العلوم العقلية فانتقل سنة 592هـ إلى مصر وبقي فيها مدرساً في بعض مدارسها وقد تعرض فيها أيضاً إلى محنة أخرى حيث نسب إليه فساد العقيدة لغلوه في الفلسفة، ثم انتقل إلى حماة ودمشق حيث تولى مرتبة الأستاذية في المدرسة العزيزية ثم عزل عنها، ومات سنة 631هـ، من مؤلفاته الأحكام في أصول الأحكام، ومنتهى السول، مطبوعان، وله أيضاً الإبكار، والغاية، ودقائق الحقائق وغيرها، انظر: أخبار العلماء للقفطي (ص: 161)، وعيون الأنباء (ص: 650)، ووفيات الأعيان (293/3) وسير أعلام النبلاء (364/22)، وطبقات السبكي (306/8).

(788) غاية المرام في علم الكلام (ص: 260).

(789) غاية المرام في علم الكلام (ص: 187-191).

(790) انظر: المصدر السابق (ص: 191).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فيها لا في وجهه، فالآمدي قال عن هذا الجواب « لكن فيه نظر، وهو مما لا يكاد يقوى » (791).

3ـ ميله إلى التصوف الفلسفي، حتى أنه قال في الأبكار في معرض بيانه أن المعرفة قد تحصل بعدة أمور فذكر منها « طريق السلوك والرياضة، وتصفية النفس وتكميل جوهرها حتى تصير متصلة بالعوالم العلوية، عالمة بها مطلعة على ما ظهر وبطن من غير احتياج إلى دليل ولا تعلم ولا تعليم » (792).

4ـ الحيرة وإيراد الإشكالات، ومن الأمثلة ذلك قوله في دليل إثبات الصانع الذي أتى به المتكلمون: « وإن أمكن بيان ذلك فهو مما يطول ويصعب تحقيقه جداً على أرباب العقول » (793)، وقال عن مسألة خلق الأعمال وقول المعتزلة فيها: « وهو موضع غمرة ومحز إشكال » (794)، وفي مسألة من أهم المسائل في مذهب الأشاعرة وهي القول بأن كلام الله واحد، أورد الاعتراض الذي يقول: لم لا يقال: إن الصفات كالسمع والبصر والكلام والحياة لا ترجع إلى الذات، مثل القول بأن الكلام واحد مع أنه متنوع، فأجاب الآمدي بقوله: « وما أوردوه من الإشكال على القول باتحاد الكلام وعود الاختلاف إلى التعلقات والمتعلقات فَمُشْكِل، وعسى أن يكون عند غيري حله، ولعسر جوابه فر بعض أصحابنا إلى القول بأن كلام الله تعالى القائم بذاته خمس وصفات مختلفة وهي الأمر والنهي والخبر والاستخبار والنداء » (795).

---

(791) المصدر نفسه (ص: 168)، والرازي يميل إلى هذا التضعيف كما تدل عليه عبارته في إيراد أدلة المعترضين على ثبوت الرؤية (انظر: الأربعين ص: 213، والمحصل ص: 192).

(792) أبكار الأفكار ـمخطوط – (27/1– أ).

(793) غاية المرام (ص: 249).

(794) المصدر السابق (ص: 214).

(795) أبكار الأفكار (95/1–ب–96–أ).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

5. ومما يلاحظ على الآمدي – مثل الرازي – التقرب إلى سلاطين زمانه – ومن حولهم – بإهداء كتبه إليهم (796)، ولعل مرد ذلك إلى نوع من طلب الحماية من اعتراض عموم علماء المسلمين وفقهائهم عليه.

. أما ما خالف فيه الآمدي الرازي فأمور:

1 . منها: أنه مع غلبة الحيرة عليه حتى في الأصول الكبار إلا أن تناقضه أقل من تناقض الرازي، والآمدي يورد أدلة من سبقه بخلاف الرازي الذي يوردها ويستنبط من عنده أدلة أخرى جديدة، مما يوقعه في التناقض.

2. والآمدي كثيراً ما يرد على الرازي، بل له كتاب لا يزال مخطوطاً اسمه المآخذ على الإمام الرازي أو تلخيص المطالب العالية ونقده (797)، كما رد عليه في مسألة حلول الحوادث وقول الرازي: إنها لازمة لجميع الطوائف (798).

3. والآمدي لا يتزعزع يقينه في أن أدلة السمع ظنية لا تفيد اليقين، بخلاف الرازي الذي يشكك أحياناً في أدلة العقل فيحيل على أدلة السمع، وقد رد الآمدي عليه في هذه المسائل، فرد عليه في تعويله على إثبات صفة الكلام على أدلة السمع (799)، وكذلك في إثبات صفة السمع والبصر (800)، وفي إثبات الرؤية (801)، وبين صحة الدليل العقلي لها.

---

(796) انظر مثلاً: مقدمة الأحكام (4/1)، والمبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتعلمين (ص:61-62)، ت حسن محمود، أو (ص: 37-38)، ت عبد الأمير الأعسم.

(797) غاية المرام (ص: 456)، في قائمة المراجع، وذكر المحقق أن لكتابه المآخذ نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة – رقم 3 توحيد –.

(798) انظر: غاية المرام (ص: 187).

(799) انظر: غاية المرام (ص: 90-91).

(800) انظر: المصدر نفسه (ص: 123).

(801) انظر: المصدر نفسه (ص: 161-174).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والآخر: عز الدين بن عبد السلام (802): ت 660هـ.

الإمام العلم المشهور، وهو أحد تلامذة الآمدي، ويلاحظ أن وفاته كانت قبل ولادة شيخ الإسلام ابن تيمية بسنة واحدة تقريباً، وقد تميز العز بن عبد السلام بكونه من أعلام العلماء العاملين المجاهدين، الذين يقتدى بهم فئات عظيمة من الناس من العلماء وغيرهم، ولذلك فدفاعه عن مذهب الأشاعرة وتقريره له في كتبه له أثره في الناس، وقد كانت إحدى محنة الكبار بسبب مسألة الحرف والصوت، وقد ألف في ذلك عقيدته المسماة «الملحة في اعتقاد أهل الحق» قرر فيها مذهب الأشاعرة في كلام الله وإنكارالحرف والصوت وشنع على مخالفيه من الحنابلة، ووصفهم بالحشو وأغلظ عليهم، وقد أفرد ولده عبد اللطيف ما جرى له في رسالة (803)، ونقلها السبكي، الذي نقل أيضاً « الملحة » بكاملها (804)، ومما تجدر ملاحظته أن شيخ

---

(802) هو الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذب السلمي الشافعي، ولد سنة 577- أو – 578 هـ، تتلمذ على يد فخر الدين بن عساكر الآمدي وغيرهما، وكان من أبرز تلاميذه ابن دقيق العيد، وهو الذي لقبه بسلطان العلماء، كانت للعز بن عبد السلام مواقف عظيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أبرز مؤلفاته المطبوعة قواعد الأحكام، وكتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، وبداية السول في تفضيل الرسول، والفتاوي، وغيرها، توفي سنة 660هـ، انظر: ذيل الروضتين (ص: 216)، وفوات الوفيات (350/2)، وطبقات السبكي (209/8)، وانظر: العز بن عبد السلام للدكتور عبد الله الوهيبي (ص: 47)، وما بعدها.

(803) اسمها: إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام، انظر: الرسالة (ص: 1)، وما بعدها.

(804) انظر: ما ذكر السبكي في طبقاته حول المحنة (218/8-245)، أما عقيدة العز المسماة « الملحة» فنصها في (219/8-229).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الإسلام رد على العز في رسالته هذه –وأغلظ عليه أحياناً – مع أنه مدحه في أول الجواب عن الفتوى (805).

والأدلة على أشعرية العز واضحة، وقد سجل خلاصة لعقيدته في كتابه المشهور قواعد الأحكام (806)، أما تأويله لبعض الصفات، فواضح في كتابه الإشارة إلى الإيجاز فقد أول صفات المجيئ، والقبضة، واليدين، والنزول، والضحك، والفرح، والعجب، والاستواء، والمحبة، والغضب، والسخط وغيرها (807)، وهو ممن ينفي العلو والفوقية ويتأولهما (808)، كما أن الشيخ له ميل إلى التصوف، فقد ذكر في كتابه القواعد أنواع العلوم التي يمنحها الأنبياء والأولياء فذكر منها: « الضرب الثاني:

---

(805) قال ابن تيمية في نقض المنطق (ص: 14)، [وهو في مجموع الفتاوي 15/4)، « وكذلك رأيت في فتاوي الفقيه أبي محمد فتوى طويله فيها أشياء حسن .. » ثم رد عليه في (ص: 74)، وكونه مع الجويني يعيبون بتسميتهم حشوية، وفي (ص: 118)، نقل نصاً من « الملحمة » ورد عليه إلى (ص: 135)، – من نقض المنطق – والمقصود بأبي محمد العزّ بن عبد السلام وليس أبا محمد الجويني، والد إمام الحرمين – كما ظن البعض، لأن ابن تيمية أشار (ص: 15)، إلى الفتنة القشيرية والتي وقعت سنة 469هـ، وأن اللعن للأشعرية انتشر بعدها، وأبو محمد الجويني توفي سنة 438هـ، إضافة إلى أن شيخ الإسلام أعاد ذكره في (ص: 54)، بقوله « الفقيه أبو محمد بن عبد السلام »، وفي (ص: 74)، ذكر أن أبا محمد كان يتبع أبا المعالي في فقهه وكلامه، وهذا دليل قاطع، مع أنه ذكره بقوله « أبو محمد» فقط بدون الفقيه، إضافة إلى أن مترجمي الجويني لم يذكروا له فتاوي جمعت له، أما العز فله عدة فتاوي لها نسخ خطية موجودة، وقد طبع بعضها، والله أعلم.

(806) انظر: قواعد الأحكام (199/1–201)، وانظر أيضاً: الإمام في بيان أدلة الأحكام (ص: 220–226)، حيث أثبت الصفات السبع.

(807) انظر: الإشارة إلى الإيجاز الصفحات: (145،136،107،106،8)، والإمام في بيان أدلة الأحكام (ص: 219، 226،231، 233، 238، 243).

(808) انظر: الإشارة (ص: 129) والإمام (ص: 257).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

علوم إلهامية، يكشف بها عما في القلوب، فيرى أحدهم من الغائبات ما لم تجر العادة بسماع مثله.. ومنهم من يرى الملائكة والشياطين والبلاد النائية، بل ينظر إلى ما تحت الثرى، ومنهم من يرى السموات وأفلاكها وكواكبها وشمسها وقمرها على ما هي عليه، ومنهم من يرى اللوح المحفوظ ويقرأ ما فيه، وكذلك يسمع أحدهم صرير الأقلام وأصوات الملائكة والجان، ويفهم أحدهم منطق الطير، فسبحان من أعزهم وأدناهم» (809)، وهذا تصوف غالٍ، وقد أباح في فتاويه السمع وذكر أنواعه، ومنع من الرقص المصاحب له (810).

والملاحظ في منهج العز – رحمه الله – أنه مع قسوته على مخالفيه في مسألة كلام الله إلا أنه ذكر في بعض كتبه وفتاويه وجوهاً من الأعذار لهم، فذكر في الفتاوي مثلاً أن معتقد الجهة لا يكفر (811)، كما ذكر أن من قال بالحرف والصوت مسلم ويجب رد السلام عليه (812)، أما في القواعد فقد ذكر أن مسائل قدم كلام الله، والصفات الخبرية كالوجه واليدين، والجهة، وغيرها» مما لا يمكن تصويب للمجتهدين فيه، بل الحق مع واحد منهم، والباقون مخطئون خطأ معفواً عنه لمشقة الخروج منه والانفكاك عنه ولا سيما قول معتقد الجهة ...» (813).

الأشاعرة المعاصرون لشيخ الإسلام ابن تيمية

عاصر شيخ الإسلام عدد كبير من علماء الأشاعرة، وجرت بينه وبينهم جولات ومناظرات أدت إلى سجنه مرات عديدة، كما أنها كانت سبباً في تأليفه لعدد كبير من

---

(809) قواعد الأحكام (140/1).
(810) انظر: الفتاوي (ص: 163–166).
(811) انظر: المصدر السابق (ص: 153).
(812) انظر: الفتاوي (ص: 54).
(813) قواعد الأحكام (201/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

رسائله وكتبه، والملاحظ أنه – رحمه الله – ركز في مواقفه العلمية – أما العملية فسبق شرحها في ترجمته – على الرد على شيوخ أشاعرة عصره، والسبب أن هؤلاء المعاصرين له إنما كانوا يرددون أقوال وحجج من سبقهم، ولم يكن أحد منهم ذا تميز مؤثر بحيث يصبح في منزلة الغزالي أو الرازي أو الآمدي أو غيرهم من الذين كانت لهم شخصيات مستقلة.

ولهذا السبب سيقتصر العرض هنا على ذكر من وصل إلينا شيء من كتبهم العقدية، وسيكون العرض مختصراً جداً، مع محاولة التركيز على من كانت بينه وبين شيخ الإسلام مناظرة كصفي الدين الهندي، أو جاء له ذكر في بعض أحداث محنته كبدر الدين بن جماعة (814)، مع عدم إغفال من كان لهم تأثير فيمن جاء بعدهم كالبيضاوي والإيجي.

. صفي الدين الهندي (815): ت 715هـ

وقد سمى كتابه « الرسالة التسعينية في الأصول الدينية» لأنها مشتملة على تسعين مسألة، وقد أشار في أولها إلى ما جرى بين ابن تيمية والأشاعرة (816)، وقد حذا في رسالته هذه حذو الرازي (817)، وذكر القانون الكلي الذي يقدم فيه العقل

---

(814) ورد ذكره في محنته في مصر ومدحه ابن تيمية ودافع عنه كثيراً، انظر: مجموع الفتاوي (3/234-247).

(815) سبقت ترجمته (ص: 180).

(816) تقدم نقل كلامه حول ذلك في (ص: 180)، وقد أشار إلى ذلك مرة أخرى، فقال بعد كلامه حول مسألة الجهة: « أطلنا الكلام فيه لابتلاء الناس به بسبب الفتنة المذكورة في أول الكتاب » ، الرسالة التسعينية (16-أ) مخطوط.

(817) انظر: الرسالة التسعينية (12-ب-24 – أ -25 -أ -ب – 28 -ب ، 101-ب).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

على النقل عند التعارض (818)، كما أوّل حديث الجارية « أين الله » بتأويل عجيب (819)، وفي مسألة حلول الحوادث رد على الرازي حين قال إن أكثر العقلاء قالوا به (820)، وفي مسألة حوادث لا أول لها ناقشها وكأنه يعرض بشيخ الإسلام ابن تيمية (821)، كما أنه رد على الرازي في قوله في الرؤية: وإنها حالة انكشاف بنوع من العلم (822)، وفي الجملة فليس في هذه الرسالة جديد لا في الأدلة ولا في العرض، ويغلب عليه فيها المنهج العقلي.

. بدر الدين بن جماعة (823): ت 733هـ

وله مؤلفات كثيرة في الحديث وعلوم القرآن وغيرها، أما كتبه في العقيدة فلم يصل إلينا إلا كتابه الذي سماه: « كتاب إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ولا يزال مخطوطاً، وقد نحا فيه منحى الأشاعرة، وذكر في أوله انتشار مذهب المعطلة (المعتزلة) والمشبهة، ثم ذكر أن مذهب المعتزلة « قد محى في بلادنا رسمه، ولم يبقَ فيها إلا ذكره واسمه، وأما مذهب التشبيه فإن جماعات من الأغوام (824) المجانيين للعلماء الأعلام أحسنوا الظن في بعض من ينسب ذلك إليهم، واعتمدوا في تقليد دينهم عليهم، إذ كان هذا المذهب أقرب إلى ذهن العامي وفهمه» (825)، ثم ذكر أنه أورد ما تمسكوا به من الآيات والأخبار، وما يتعين عليه حملها مما يوافق مذهب الأشاعرة،

---

(818) انظر: المصدر السابق (25- أ- ب).
(819) انظر: المصدر نفسه (25-ب).
(820) انظر: المصدر نفسه (28- ب).
(821) انظر: المصدر نفسه (34-ب).
(822) انظر: المصدر نفسه (53-أ).
(823) سبقت ترجمته (ص: 184).
(824) كذا في المخطوطة.
(825) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل – مخطوط – (2-أ).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد سار على طريقتهم فأوّل العلو والاستواء (826)، وبقية الصفات الفعلية والخبرية كالمجيء والوجه، واليدين، والعين، والساق، والقدم، والنزول، والضحك، والفرح، والعجب، وغيرها (827)،ومما يلاحظ في منهجه أنه ذكر أن العلماء قسمان: أهل تأويل وأهل تفويض (828)، ثم رجح التأويل لعدة وجوه، وذكر منها أنه لو قيل بالتفويض لتعطل معنى النصوص، وصار الخطاب بلفظ مهمل، وهذا الكلام مما يركز عليه شيخ الإسلام ابن تيمية كثيراً في الرد على المفوضة، لكن ابن جماعة ذكره لترجيح القول بالتأويل على القول بالتفويض، وفي معرض إنكاره للعلو ذكر القانون العقلي المشهور عند الأشاعرة (829)، كما أنه قال بأن العقلاء اتفقوا على وجود ما ليس في حيز ولا جهة كالعقول والنفوس (830)، وهو في هذا متأثر بالرازي والآمدي.

كما يلاحظ في منهجه أنه ذكر أولاً الآيات الدالة على الصفات وأوّلها، ثم ذكر الأخبار الصحيحة وأوّلها (831)، ثم ذكر في القسم الثالث الأحاديث الضعيفة (832)، ولم يكتفِ ببيان ضعفها بل أكثر القول في تأويلها، وكأنه في هذا سار على منهج أبي الحسن الطبري، تلميذ الأشعري، وقد سبق الكلام عنه وعن كتابه المشابه لكتاب ابن جماعة، ومن أعجب ما أورده ابن جماعة في كتابه هذا أنه قال عن حديث

---

(826) انظر: إيضاح الدليل (6-أ-23-أ)، وأيضاً ما بعدها.
(827) انظر: المصدر السابق (3-أ).
(828) انظر: المصدر نفسه (4-أ-ب).
(829) انظر: المصدر نفسه (8 – ب).
(830) انظر: المصدر نفسه (6-أ-ب).
(831) إيضاح الدليل (16- ب) وما بعدها.
(832) نفسه (28 –ب) وما بعدها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

النار وأن الله يضع عليها قدمه – أو رجله(833)، بعد أن رد على ابن خزيمة بشدة: « واعلم أن من العلماء من جزم بضعف هذا الحديث وإن خرجه الإمامان لأنهما ومن روياه عنه غير معصومين» (834)، وموطن العدب في هذا الكلام – وكله عجب– أن المعهود عند هؤلاء المؤولة أن يقول الواحد منهم: إن هذه الأحاديث آحاد لا تفيد اليقين فلا يحتج بها في العقائد، أما أن يقول قائل: إن ما اتفق عليه الشيخان ورواياه من عدة طرق، حديث ضعيف لأن البخاري ومسلماً من رويا عنهم غير معصومين، فهذا غريب حقاً، خاصة إذا جاء من عالم مهتم بالحديث له مثل كتاب تذكرة السامع والمتكلم، والمنهل الروي (835)، وغيرهما، ويشبه هذا ما ذكره – نقلاً عن غيره – من احتمال التصحيف في حديث « ولا شخص أغير من الله » (836)، وغيره(837).

---

(833) متفق عليه – بلفظ « رجله » و « قدمه » البخاري في مواضع منها التفسير – سورة ق ، باب هل من مزيد، ورقمه (4848–4850)، (الفتح 8/594–595)، وفي التوحيد، ورقمه (7384) (الفتح 13/369)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون ورقمه (2846–2848).

(834) إيضاح الدليل (20–أ).

(835) كلاهم لبدر الدين ابن جماعة، وقد بين في المنهل الروي (ص: 37)، أن الأحاديث الضعيفة قد توجد فيما سوى الصحيحين، وانظر أيضاً: (ص: 34)، عن معلقات البخاري، وهو في كلا الموضعين يرد على كلامه هنا.

(836) انظر: إيضاح الدليل (28–أ) ، وهو هنا ناقل عن الخطابي أو البيهقي الذي نقل أيضاً عن الخطابي، انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (ص:287)، والحديث سبق تخريجه (ص: 617).

(837) انظر مثلاً: إيضاح الدليل (23–ب) حول حديث « ينادي بصوت » حيث ذكر احتمال أنه يفتح الدال، ثم تصحفت.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وليس في منهج ابن جماعة جديد –إذ هو مقلد لمن سبقه، وكأنه اعتمد على من سلك هذا المنهج في إيراد نصوص الصفات من الآيات والأحاديث والكلام في تأويلها، وذلك مثل أبي الحسن الطبري، وابن فورك، والبيهقي، وقد نص في بعض المواضع على نقله من الأخير(838).

. ناصر الدين البيضاوي (839): ت 685هـ على الراجح.

وهناك أقوال أخرى في وفاته منها أنه توفي سنة 691هـ (840)، وقيل أنها كانت سنة 719هـ (841)، ولكن الراجح أنه سنة 685هـ، وهو الذي ذكره أغلب مترجميه (842)، أما ولادته فلم يذكر لها تاريخ لكن من المحتمل أنها كانت في أوائل القرن السابع أو قبله بقليل (843)،والبيضاوي عاش أغلب عمره بين شيراز وتبريز في بلاد فارس، والغرض من ذكر ما سبق بيان مدى معاصرته لابن تيمية، وأنه لم يقدم إلى الشام ولا إلى مصر، ومع ذلك اشتهرت مؤلفاته خاصة التنزيل، وكتابه طوالع في

---

(838) انظر مثلاً: إيضاح الدليل (31–أ).

(839) هو عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي، ولي قضاء شيراز مدة، من مؤلفاته أيضاً الغاية القصوى – في الفقه – مطبوع، وغيره كثير، انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى للسبكي (157/8)، والكشكول للحر العاملي (52/1)، ومفتاح السعادة (103/1)، إضافة إلى المصادر التالية.

(840) ممن قال بهذا القول السبكي في الطبقات الوسطى، انظر: حاشية الكبرى (157/8)، والأسنوي (284/1)، وابن قاضي شهبة (221/2).

(841) انظر: القاضي ناصر الدين البيضاوي وأثره في أصول الفقه د. جلال الدين عبد الرحمن (ص: 169).

(842) ممن ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (309/13)، والصفدي في الوافي (379/17) وابن العماد في الشذرات (392/5).

(843) انظر: القاضي ناصر الدين البيضاوي وأثره في أصول الفقه (ص:137).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأصول، في أصول الفقه، وتفسيره المسمى أنوار التنزيل، وكتابه طوالع الأنوار في علم الكلام، وكل هذه الكتب عنيَّ بها العلماء فشرحوها ووضعوا عليها حواشي عديدة، غالبها مطبوع، والذي يعنينا هنا كتابه الأخير الذي قال فيه السبكي: « أما الطوالع فهو عندي أجل مختصر ألف في علم الكلام» (844)، وأبرز من شرحه شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني المتوفى سنة 749هـ، والذي قدم دمشق سنة 725هـ، وصار يتردد على شيخ الإسلام ابن تيمية ولازمه (845).

الطوالع يعتبر من كتب الأشاعرة التي نهجها متأخرو الأشعرية في الاعتماد على المقدمات الطويلة ثم ذكر ما يتعلق بالإلهيات، وقد استغرقت الإلهيات عند البيضاوي ما يقارب ثلث الكتاب فقط، والباقي في المقدمات العقلية والطبيعية وما شابهها (846)، وليس هناك جديد فيما عرضه في مسائل الإلهيات (847)، سوى أنه قال

---

(844) الطبقات الوسطي عن حاشية الكبرى (157/8)، ونقله عنه ابن قاضي شهبة (221/2).

(845) تقدمت ترجمته (ص: 212)، وشرحه مطبوع، وقد سماه مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار، وقد أهداه إلى السلطان محمد بن قلاوون، انظر: المقدمة(ص: 3).

(846) يقع متن الطوالع في (109)، ولا تبد الإلهيات إلا من (ص: 66).

(847) هذا في كتابه طوالع الأنوار، أما تفسيره فالمشهور أنه اعتمد على تفسير الزمخشري والرازي، لكنه لمن يساير صاحب الكشاف في اعتزالياته، بل رد على المعتزلة (انظر مثلاً: تفسيره أنوار التنزيل 109/1، مع حاشية شيخ زاده)، حيث انتصر للأشاعرة، وما ذكره رونسون، ومحمد حسين الذهبي من مسايرته لصاحب الكشاف في بعض اعتزالياته يحتاج إلى استقصاء وتتبع، والأمثلة التي ذكروها لا تقوى على مثل هذا الجزم، انظر: دائرة المعارف الإسلامية (33/9)، – ط الشعب – والتفسير والمفسرون (297/1)، والقاضي ناصر الدين البيضاوي وأثره في أصول الفقه (ص: 220–235).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

في مسألة كلام الله « والأطناب في ذلك قليل الجدوى » (848)، وكأنه ضاق بتناقضات من سبقه في ذلك، ولما عرض لصفات الاستواء واليدين والوجه والعين، ذكر خلاف الأشاعرة فيها ثم قال: « والأولى اتباع السلف في الإيمان بها والرد إلى الله تعالى» (849)، وفي مسألة القدر والكسب عند الأشاعرة قال: « وهو أيضاً مشكل، ولصعوبة هذا المقام أنكر السلف على المناظرين فيه » (850)، وقد تابعه الأصفهاني في شرحه وأحال على مذهب السلف في القدر، وأن يترك المناظرة فيه ويفوض علمه إلى الله تعالى (851). والملاحظ عموماً على شرح الأصفهاني لمتن الطوالع متابعة صاحبه، وتكرار عبارته، والإضافات التي يوردها قليلة.

. عضد الدين الإيجي (852): ت 756هـ.

أما ولادته فقيل: إنها بعد سنة 680هـ (853)، وقيل بعد 700هـ (854)، ومن كتبه: العقائد العضدية، متن مختصر وضعت عليه شروح وحواش عديدة، والكتاب

---

(848) طوالع الأنوار (ص: 79).

(849) المصدر السابق: والصفحة نفسها، ولعل هذا تفويض أو سوء فهم لمذهب السلف.

(850) المصدر السابق (ص:84).

(851) انظر: مطالع الأنظار – للأصفهاني – (ص: 193).

(852) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي الشيرازي، وإيج من نواحي شيراز، تتلمذ على يد زين الدين السهنكي أحد تلامذة البيضاوي، مات مسجوناً قرب إيج سنة 756هـ، ومن أبرز تلامذته شمس الدين الكرماني وسعد الدين التفتازاني، انظر: طبقات السبكي (46/10)، والدرر الكامنة (110/3)، – هندية – والبدر الطالع (326/1)، والإعلام (295/3).

(853) انظر: طبقات السبكي (46/10).

(854) انظر: الدرر الكامنة (110/3)، – هندية – والبدر الطالع (326/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الثاني المواقف في علم الكلام وهو كتاب متوسط يقع في 430 صفحة، فقد قسمه إلى ستة مواقف، الأربعة الأولى منها في المقدمات المنطقية والمباحث الفلسفية، والموقف الخامس والسادس في الإلهيات التي بدأت في ص: 266، والكتاب له شروح، عليها حواشٍ بلغت في طبعته الثانية ثمانية مجلدات كبار، وقد جاءت الإلهيات في الجزء الثامن فقط، وأكبر ما يميز كتاب المواقف ذلك التقسيم الجيد للمسائل حيث أنه يقسم الموقف إلى مراصد، وكل مرصد إلى مقاصد – وكل مقصد – إن احتاج – إلى مسالك، كما أن أسلوبه وعبارت قوية سلسة مع البعد عن التطويل في المناقشات، كما أنه اعتمد على أقوال كبار رجال الأشاعرة والترجيح بينها إن كان بينهم خلاف، وهو كثيراً ما يورد أقوال المعتزلة أو الفلاسفة ويناقشها.

ومنزلة هذا الكتاب عند الأشاعرة – ممن جاء بعده كبيرة – فهو يمثل الصياغة النهائية لمذهبهم، وهو أيضاً « يضارع ما بلغه المغني للقاضي عبد الجبار بالنسبة للمعتزلة، وما بلغه كتاب الشفاء لابن سينا بالنسبة للفلاسفة، وذلك أنه بشرح الجرجاني يعد حصيلة تراث الأشاعرة كما يعد المغني حصيلة تراث المعتزلة، على أن النسق الذي اتبعه الإيجي في كتابه لم يجعل الكتاب مقصوراً في موضوعاته على علم الكلام، إذ اختلطت هذه الموضوعات بالفلسفة والمنطق حتى أصبحت هذه سمة علم الكلام لدى متأخري الأشاعرة، وإذا كانت هذه السمة معروفة لدى الرازي قبله فالواقع أن الإيجي كان تابعاً له في نسقه الكلامي، وإن كان قد تخلص من كثرة التفريعات المعروفة عن الرازي، هذا ولقد كان الإيجي أكثر اتساقاً من الرازي في موقفه الأشعري، فلم يُغلّب الفلسفة على علم الكلام تغليب الرازي، ولم يتناقض في آرائه بين مؤلفاته مما جعله أكثر تمثيلاً لعلم الكلام الأشعري من الرازي» (855).

(855) الأشاعرة: أحمد صبحي (ص: 287-288)، – ط الرابعة –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد كان دعم هذا الكتاب للمذهب الأشعري مع سهولته ودقة تبويبه أن أصبح مقرراً دراسياً في العصور المتأخرة لدى كثير من المعاهد والجامعات في بعض أنحاء العالم الإسلامي.

. أبو علي السكوني (856): ت 717هـ.

وقد عاش في بلاد المغرب، وترك عدة مؤلفات أهمها: التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز – ولا يزال مخطوطاً – وعيون المناظرات، ولحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام – وهما مطبوعان –.

والذي دعا إلى اختيار هذا العلم ليمثل جهة المغرب في هذه المرحلة المعاصرة لحياة شيخ الإسلام ابن تيمية – إضافة إلى وصول كتبه إلينا– أمران:

أحدهما: أن بلاد المغرب لها تميز عن غيرها، فهي وإن قبلت المذهب الأشعري وانتشر فيها على يد الهروي والباقلاني وتلامذتهما إلا أنها رفضت تلك الانحرافات التي أتى بها الغزالي والرازي وغيرهما، وأبو علي السكوني في كتبه يمثل هذا الاتجاه بوضوح، فهو أشعري الاعتقاد، منافح عند ضد مناوئيه، لكنه اعتمد في ذكره للمناظرات ونقل الأقوال على ما أثر عن الأشعري، وأبي إسحاق الإسفراييني، والباقلاني، والجويني، والشهرستاني، وابن فورك، وهؤلاء تكرر ذكرهم كثيراً (857)، أما الغزالي فلم يرد له ذكر في المناظرات، موفي لحن العوام حذر من مواضع من

---

(856) هو أبو علي عمر بن محمد بن محمد بن أحمد بن خليل السكوني، التونسي المغربي الإشبيلي، له عدة مؤلفات، توفي سنة 717هـ، وقيل غير ذلك، انظر في ترجمته: نيل الابتهاج – بهامش الديباج المذهب – (ص: 195)، ومقدمة تحقيق لحن العوام (ص: 111–114)، ضمن العدد 12 من حوليات الجامعة التونسية –كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1975م.

(857) انظر: فهرس عيون المناظرات، وفي لحن العوام ذكر (ص: 216)، عدداً من علماء الأشاعرة الذين يثق بهم ويوصي بكتبهم، ومنهم هؤلاء.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

كتابه الإحياء، وكتابه الآخر النفخ والتسوية (858)، وأما الرازي فقد انتقده في المناظرات في مواضع (859)، ولم ينقل عنه إلا مناظرة أحد النصارى (860)، أما في لحن العوام فقد انتقد التسمية بمفاتيح الغيب دون أن يذكر اسمه (861).

ومما يلاحظ أنه رد طويلاً على المنجمين (862)، والصوفية (863)، والفلاسفة (864)، وغيرهم.

والثاني: أن السكوني سلك في كتابيه أسلوباً – لم يسبق إليه فيما أعلم – في تأليف مستقل:

أ- أما في عيون المناظرات فقد عرض فيه المذهب الأشعري عن طريق جمعه للمناظرات التي وقعت من العلماء قبل الأشاعرة، أو من علماء الأشاعرة، وذلك في المسائل التي ردوا فيها على خصومهم وبينوا فيها مذهبهم، وقد جمع السكوني في كتابه هذا مائة وستين مناظرة، وقال في أول الكتاب بعد أن ذكر علم التوحيد وأهميته: « قصدت إلى تعريفه بطريق ترغب في سمعه الآذان ويسهل مدركه على الأذهان، ويحمل على تحصيله من به أراد معرفة حقائق قواعد الإيمان، فألهمني الله سبحانه في ذلك إلى منهج تقرب فائدته، وتُرتجى بفضل الله عائدته وذلك أني رأيت القلوب كالمجبولة على حب سماع ما كان وما جرى في التاريخ في سالف الأزمان، ووجدت

---

(858) انظر: لحن العوام (ص: 209).

(859) انظر: عيون المناظرات (ص: 41-44-50)، وقد دافع السبكي عن الرازي وهاجم السكوني في ترجمة أحد تلاميذ الرازي، انظر: الطبقات (121/8).

(860) انظر: المصدر السابق (ص: 283-287).

(861) انظر: لحن العوام (ص: 209).

(862) انظر: عيون المناظرات (ص: 221)، ولحن العوام (ص: 174) وما بعدها.

(863) انظر: لحن العوام (ص: 202-206، 213-214).

(864) انظر: المصدر السابق (ص: 212).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

معظم قواعد هذا العلم الشريف قد تضمنتها عيون مناظرات وأشكال مناظرات جرت لأوّلي العلم في العالمين والأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين، إلى الخلفاء الراشدين، وصدور العلماء من المتقدمين والمتأخرين فرتبتها في هذا المجموع» (865)، وقد ضمن كتابه هذا كثيراً من آراء الأشاعرة كدليل حدوث الأجسام (866)، وكلام الله (867)، ونفى العلو (868)، والرؤية بلا مقابلة (869)، وتكليف مالا يطاق (870)، والكسب (871)، وغيرها.

ب . أما كتابه لحن العوام فقد قصد منه أن يبين كثيراً من الألفاظ والعبارات التي تدور على ألسنة العوام مما له علاقة بالله وأسمائه وصفاته، وقد ذكر في المقدمة أنه لا يجوز إطلاق الأسماء لله إلا بما ورد به الشرع، ونقل عن الأشعري والباقلاني ما يؤيد ذلك، ثم سرد مجموعة كبيرة من العبارات والألفاظ التي ترد على ألسنة العامة وغيرهم، وبين ما فيها من مخالفة لما يجب لله تعالى، والكتاب بديع في أسلوبه وطريقته لولا أنه حشى تعليلاته بما يوافق مذهب الأشاعرة، مثل نفي العلو، وتأويل الاستواء والنزول (872)، وغيرها.

وفيما يتعلق بعصره فإنه بعد أن ذكر نفي العلو وتأويل الاستواء والنزول، ردّاً على من يسميهم بالكرامية والمجسمة والحشوية المشبهة، قال: « حتى ذكر بعض أغبيائهم

---

(865) عيون المناظرات (ص: 14).
(866) انظر: المصدر السابق (ص: 26-232-233).
(867) انظر: المصدر نفسه (ص:41).
(868) انظر: المصدر نفسه (ص: 48، 230-231).
(869) انظر: المصدر نفسه (ص: 58، 266-267).
(870) انظر: المصدر نفسه (60).
(871) انظر: المصدر نفسه (ص: 61).
(872) انظر: لحن العوام (ص: 142-164-169).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

أنه ينزل درجاً من المنبر .. ويقول للناس: ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا كنزولي من منبري هذا، وهذا جهل عظيم بما يجب للرب سبحانه ويستحيل عليه » (873)، وهذه الحكاية ذكرها ابن بطوطة في رحلته وأن ذلك كان سنة 726هـ، والغريب أن ابن بطوطة ذكر أنه رأى ابن تيمية بنفسه يقول هذا على المنبر، وهذه فرية واضحة لأن ابن تيمية كان وقت دخول ابن بطوطة دمشق في السجن (874)، أما ما ذكره السكوني فهو ناقل عن غيره، ولا يمكن أن يكون ناقلاً عن ابن بطوطة على القول الراجح في وفاته – أي السكوني – وهو سنة 717هـ.

وهذا يدل على انتشار هذه الفرية على شيخ الإسلام – أو غيره من علماء السلف – والظاهر أن ابن بطوطة تلقاها عن غيره ثم صاغها لتناسب حكاية الرحلات.

* * *

_ خلاصة وتعقيب:

مما سبق يتبين كيف تطور المذهب الأشعري بدءاً من الأشعري وإلى عصر شيخ الإسلام ابن تيمية، ومنه يتبين كيف دخل هذا المذهب على يد أعلامه في متاهات كلامية وفلسفية، وصوفية، فقرب من الاعتزال، وخلط علومه بمقدمات الفلاسفة المنطقية وغيرها، وقرن ذلك بتصوف منحرف.

أما ما استقر عليه مذهب الأشاعرة، فلا يمكن تحديد ذلك بدقة، لاختلاف الأقوال وتعارضها، وقد يثبت بعضهم ما نفاه الآخرون، ومع ذلك فيمكن أن يقال: إن

---

(873) لحن العوام (ص: 143)، ضمن حوليات الجامعة التونسية – العدد 12 سنة 1975م.

(874) انظر: رحلة ابن بطوطة (110/1)، وقد رد عليه المحقق الدكتور علي المنتصر الكتاني في الحاشية، كما دحض هذه الفرية محمد بهجت البيطار في كتابه حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (ص: 46–53).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأرضية التي استقر عليها هذا المذهب هو ما سطره الإيجي في كتابه المواقف، مع ملاحظة أنه يعرض أحياناً في بعض المسائل لعدة أقوال داخل المذهب الأشعري، ومع ملاحظة أن الأشاعرة حتى في العصور المتأخرة يعولون على كتب السابقين مثل كتب الأشعري والباقلاني والجويني والغزالي والرازي وغيرهم.

لذلك فيمكن أن يقال: إن المذهب الأشعري أخذ السمات التالية:

1ـ ضرورة المقدمات المنطقية والعقلية لتحديد المصطلحات، والإحالة عليها عند عرض ما يتعلق بها من موضوعات العقيدة.

2. التمسك بدليل حدوث الأجسام، والتركيز على ضرورته لأجل الرد على القائلين بقدم العالم.

3. استقرار القانون العقلي – عند تعارض العقل والنقل – الذي جاءوا به على أنه قانون مسلم، يلجأون إليه دائماً عندما يواجهون بالنصوص.

4ـ خبر الآحاد لا يفيد اليقين، فلا يحتج به في العقائد ابتداءً، ولا مانع من الاحتجاج به في مسائل السمعيات، أو فيما لا يعارضه قانون عقلي.

5. مسألة نفي العلو والجهة، أصبحت من المسائل المسلمة التي لا تقبل المناقشة.

6. التوحيد هو توحيد الربوبية فقط، ويدخلون فيه نفي الصفات الخبرية التي تقتضي عندهم تجسيماً، لأن هذا يخالف – عندهم – حقيقة التوحيد، أما توحيد الألوهية فلا يشيرون إليه في كتبهم إلا من خلال موضوعات التصوف التي تدخلها الشركيات والانحرافات الكثيرة.

7. في الصفات استقر الأمر على إثبات الصفات السبع العقلية– وخلاف باقٍ في صفة البقاء – أما ما عداها من الصفات فيجب تأويلها.

8 . الصفات الخبرية: فيها قولان التأويل أو التفويض، وكلاهما متقاربان في النتيجة وهي القطع بنفي ما يدل عليه ظاهرها من الصفة اللائقة بالله تعالى.

9. نفي الصفات الفعلية الاختيارية، وهي ما تسمى بمسألة حلول الحوادث.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

10ـ كلام الله، أبقوا علا ما كان موجوداً عند شيوخهم من الأشاعرة، وهو القول بالكلام النفسي، وإنه أزلي، وإنه معنى واحد، أما ما يتعلق بالقرآن المتلو فقد يميلون إلى رأي المعتزلة.

11. الرؤية الثابتة، لكن مع نفي العلو، ولم يتخلوا عن هذا التناقض الواضح إلا ما ظهر من ميل الرازي إلى تفسير الرؤية بأنها مزيد من الانكشاف العلمي، وهو قريب جداً من مذهب المعتزلة.

12. في القدر: بقيت كثير من قضاياه، كالكسب، وإنكار التعليل، والقول بالتحسين والتقبيح الشرعي فقط، وتكليف ما لا يطاق، والاستطاعة – على المذهب المشهور عنهم– أما القدرة التي للعبد وهل هي مؤثرة فقد تعددت أقوالهم فيها، وإن كان الغالب عليهم الميل إلى أنها غير مؤثرة.

13. الإيمان: مالوا فيه إلى مذاهب المرجئة، فقالوا إنه التصديق – وبعضهم يقول: إنه المعرفة – مع قولهم بوجوب الطاعات، وتأثيم العصاة وكذلك مالوا في مسائل زيادة الإيمان ونقصانه، ودخول الأعمال فيه، والاستثناء فيه – إلى أقوال المرجئة – ومع قول بعضهم: أن الإيمان هو المعرفة إلا أنهم لا يلتزمون لوازم مذهب جهم الفاسدة.

14ـ النبوات يثبتونها بدلائلها التي هي المعجزات، ويميلون إلى ما قرره الباقلاني فيها.

15. وفيما يتعلق بحكمهم على من خالفهم، فقد بقي المذهب متأرجحاً بين التكفير لغالب الطوائف، والأعذار لهم.

16. أما مسائل:

. الإمامة والتفضيل بين الخلفاء الأربعة.

. والسمعيات من المعاد وأحوال القيامة والجنة والنار.

. والشفاعة، وعدم خلود أهل الكبائر في النار.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فم يتغير مذهبهم فيها، بل بقي موافقاً لمذهب أهل السنة والجماعة كتبهم تختلف وتتباين في كثير من تفاصيل هذه المسائل، وخاصة ما يتعلق بطرق الاستدلال لها، والله أعلم.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الباب الثاني

موقف ابن تيمية من الأشاعرة

تمهيد:

الفصل الأول: عرضه لجوانبهم الإيجابية، واعترافه بما عندهم من حق.

الفصل الثاني: منهجه العام في الرد على الأشاعرة.

الفصل الثالث: موقفه في الرد عليهم تفصيلاً.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: في توحيد الألوهية والربوبية.

المبحث الثاني: في الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: في القضاء والقدر.

المبحث الرابع: في الإيمان.

المبحث الخامس: في بقية أمور العقيدة التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الفصل الأول

« عرضه لجوانبهم الإيجابية واعترافه بما عندهم من حق »

مقدمة:

أولاً: وصفهم بأنهم من أهل السنة في مقابل المعتزلة والرافضة.

ثانياً: تفضيله أقوالهم على أقوال غيرهم من المعتزلة والجهمية والفلاسفة.

ثالثاً: ذكره لإيجابيتهم وردودهم على الباطنية والملاحدة وغيرهم.

رابعاً: الأشاعرة يحمدون لما لهم من مساع وجهود مشكورة.

خامساً: إنصافه لأعلام الأشاعرة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

تمهيد

سبق في الباب الأول عرض موسع وشامل عن ابن تيمية وحياته ومنهجه وعن الأشاعرة ونشأتهم وتطور مذهبهم، وهذا الباب لبيان موقف ابن تيمية منهم سلباً وإيجاباً.

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية قد أنصف خصومه – من غير الأشاعرة – وهم أشد بعداً وانحرافاً منهم عن مذهب السلف، وقد سبق ذكر أمثلة لذلك في منهجه في الرد على الخصوم (875)– فلا شك أنه سيكون من أصول منهجه وموقفه من الأشاعرة إنصافهم وبيان مواقفهم الإيجابية، مع رده عليهم ومناقشته لهم في الأمور التي خالفوا فيها مذهب ومنهج السلف.

لذلك كان من مقتضيات تكامل المنهج – في هذا الباب – أن يأتي على فصلين:

أحدهما: بيان مواقفهم الإيجابية والاعتراف بما معهم من الحق.

والثاني: بيان مواقفهم السلبية، وذلك بالرد على الانحرافات التي وقعوا فيها ومناقشتها بالتفصيل.

وشيخ الإسلام من خلال هذا المنهج المتكامل سار على طريقة متوازنة، فالأشاعرة الذين رد عليهم طويلاً لم تمنعه هذه الملاحظات من أن يقول عنهم: إنهم من أهل السنة، وإنهم ليسوا كفاراً باتفاق المسلمين، كما لم تمنعه من التنويه بجهودهم العظيمة في الدفاع عن الإسلام، والرد على خصومه الحاقدين عليه من الفلاسفة والباطنية والرافضة والمعتزلة وغيرهم، وبالمقابل فاعتراقه بهذه الجهود لم ينسه أن هؤلاء بشر يصيبون ويخطئون، وأن ما وقعوا فيه من مخالفة لعقيدة السلف لا يجوز السكوت عنها، بل يجب بيان الحق للناس والرد على من خالفه ولو كان من أهل الفضل والعمل الصالح.

---

(875) انظر: ما سبق (ص: 303) وما بعدها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

مقدمة

يعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية من علماء السلف الذين انتقدوا مذهب الأشاعرة وقد ألف في ذلك كتباً مطولة، وكان معنياً ببيان تناقضاتهم ومخالفتهم لمذهب السلف، كما كان معنياً ببيان الأصول الفاسدة – وهي أصول فلسفية واعتزالية – التي أدت بهم إلى هذا الانحراف، ولذلك صار في عرف كثير من الباحثين تصنيفه على أنه خصم لدود للأِشاعرة، وفات هؤلاء أنه مع خصومته لهم وردوده القاسية عليهم لم ينسَ إنصافهم، كما لم ينسَ ما قاموا به من جهود عظيمة في كبح جماح كثير من الملاحدة والرافضة والمعتزلة وغيرهم.

والعجيب أن شيخ الإسلام لما أنصف خصومه لم ينصفوه بل رموه بعظائم الأمور، ولفقوا عليه كثيراً من التهم الباطلة، فكم من محنة جرت له في حياته بسببهم حتى لقي ربه وهو في السجن، أما بعد وفاته فليست حاله وحال كتبه أحسن منها في حياته، والكل سيقفون بين يدي حكم عدل لا يظلم مثقال ذرة.

وقبل أن نذكر نماذج من مواقفه الإيجابية من الأشاعرة لابد من بيان الملاحظات التالية:

1- أن شيخ الإسلام بنى ذلك على أصل ثابت عنده، وهو تفاوت الطوائف في القرب والبعد من الحق، فيسلك مع الأشاعرة هذا المسلك، يقول شيخ الإسلام معلقاً على مسألة تأثر الأشاعرة بالمعتزلة: « مع أنه يمكن بيان أن قول الأشعري أقرب إلى صريح المعقول من قول المعتزلة، كما يمكن أن يبين أن قول المعتزلة أقرب إلى صريح المعقول من قول الفلاسفة، لكن هذا يفيد أن هذا القول أقرب إلى المعقول وإلى الحق، ولا يفيد أنه هو الحق في نفس الأمر، فهذا ينتفع به من ناظر الطاعن على الأشعرية من المعتزلة، والطاعن على المعتزلة من الفلاسفة، فتبين له أن قول هؤلاء خير من قول أصحابك، فإنه كما أن كل من كان أقرب إلى السنة فقوله أقرب إلى الأدلة الشرعية، فكذلك قوله أقرب إلى الأدلة العقلية، ولا ريب أن هذا مما ينبغي

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

سلوكه، فكل قول – أو قائل – كان إلى الحق أقرب فإنه يبين رجحانه على ما كان عن الحق أبعد، ألا ترى أن الله تعالى لما نصر الروم على الفرس – وكان هؤلاء أهل الكتاب، وهؤلاء أهل أوثان – فرح المؤمنون بنصر الله لمن كان إلى الحق أقرب على من كان عنه أبعد. وأيضاً فيمكن القريب إلى الحق أن ينازع البعيد عنه في الأصل الذي احتج به عليه البعيد، وأن يوافق القريب إلى الحق للسلف الأول الذين كانوا على الحق مطلقاً» (876).

ولذلك أنصف خصومه كلهم من الأشاعرة وغيرهم بناءً على هذه القاعدة.

2ـ أن ذكره لجوانبهم الإيجابية لم يأتِ مستقلاً، وإنما جاء على أثر، أو في أثناء مناقشاته لهم، ولذلك تجده عندما يرد عليهم يقرن ذلك بذكر ما عندهم من حق، وكذلك إذا ذكر إيجابيتهم أو مدحهم يقرن ذلك بذكر ما عليهم من ملاحظات عامة.

3. لم يكن شيخ الإسلام ابن تيمية يكيل المدح أو الذم جزافاً، بل يقرن ذلك بكثير من التحفظ، والسبب في ذلك أنه بنى منهجه على مقياس الاتباع لمنهج أهل السنة وليس على الأشخاص، إذ كل إنسان – مهماً كان – يؤخذ من قوله ويترك سوى رسول الله ε .

4. قال كلمة الحق في معاصريه، ومدح بعضهم، ولم تأخذه سورة الغضب والمحن التي مر بها بسببهم إلى أن يقول فيهم غير الحق، أو أن يغمط ما هم عليه من أتباع للسنة.

وعلى ضوء ما سبق يمكن توضيح هذا الجانب – أي ما ذكره ابن تيمية من إيجابية عند الأشاعرة واعترافه بما عندهم من حق – كما يلي:

أولاً: وصفهم بأنهم من أهل السنة في مقابل المعتزلة والرافضة:

---

(876) انظر: درء التعارض (7/238-239).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

1ـ يقول شيخ الإسلام في معرض ذكره لذم السلف لأهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم: « وإن كان في كلامهم من الأدلة الصحيحة وموافقة السنة ما لا يوجد في كلام عامة الطوائف، فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهو يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم » (877)، ويلاحظ وصفه لهم بأنهم هم أهل السنة في البلاد التي يغلب فيها أهل البدعة من الرافضة والمعتزلة، وهذا منتهى الإنصاف والاعتراف.

2. يقول عنهم شيخ الإسلام: إنه أقرب الطوائف إلى أهل السنة، بل دافع عنهم لما ذكر عن أبي إسماعيل الأنصاري صاحب ذم الكلام أنه من المبالغين في ذم الجهمية قال: « ويبالغ في ذم الأشعرية مع أنهم من أقرب هذه الطوائف إلى السنة» (878)، وقال في مناسبة أخرى: « وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى مذهب أهل السنة والحديث » (879). ويذكر عنهم أنهم من المتكلمين « المنتسبين إلى السنة » (880). ويصنفهم مع بقية أهل السنة ويقول عنهم أنهم « ليسوا كفاراً باتفاق المسلمين » (881)، وكثيراً ما ينعى على المعتزلة تشنيعهم عليهم ويقول: إن مذهب الأشاعرة ليس بهذه الشناعة (882).

---

(877) نقض تأسيس المطبوع (87/2).
(878) مجموع الفتاوي (230/8).
(879) المصدر السابق (55/6).
(880) الجواب الصحيح (252/1).
(881) مجموع الفتاوي (101/35).
(882) انظر: درء التعارض (40/5،36)، ويقول عن أبي الحسن البصري (42/5)، وأيضاً فجمعك بين هؤلاء الصفاتية وبين المجوس والنصارى فيه من التحامل مالا يخفى على منصف.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثانياً: تفضيله أقوالهم على أقوال غيرهم من المعتزلة والجهمية والفلاسفة:

1ـ فهو يذكر أنهم أقرب إلى السنة من غيرهم، يقول:إن الكلابية والكرامية والأشعرية أقرب إلى السنة والحق من جهمية الفلاسفة والمعتزلة ونحوهم باتفاق جماهير المسلمين » (883)، ويقول عن الأشعرية بعد ذكر مجمل عقائدهم: « فكان هؤلاء بينهم وبين أهل الوراثة النبوية قدر مشترك بما سلكوه من الطرق الصابئة في أمر الخالق وأسمائه وصفاته، فصار في مذهبهم في الرسالة تركيب من الوارثتين، لبسوا حق ورقة الأنبياء بباطل ورثة أتباع الصائبة، كما كان في مذهب أهل الكلام المحض المبتدع – كالمعتزلة – تركيب ولبس (884) بين الإثارة النبوية وبين الإثارة الصابئة، لكن أولئك أشد أتباعاً للإثارة النبوية وأقرب إلى مذهب أهل السنة من المعتزلة ونحوهم من وجوه كثيرة » (885)، ويذكر أن الأشاعرة أصلح من المعتزلة وأقرب إلى السنة (886).

2ـ يثني عليهم ويمدحهم بالمقارنة مع المعتزلة، ويرى « أن أهل الإثبات من المتكلمين – مثل الكلابية والكرامية والأشعرية – أكثر اتفاقاً وائتلافاً من المعتزلة » وأنهم خير منهم (887).

3ـ وعند ذكره للجهمية والنجارية والضرارية في مسائل الصفات والقدر يقول: « الكلابية والأشعرية خير من هؤلاء في باب الصفات، فإنهم يثبتون لله الصفات العقلية، وأئمتهم يثبتون الصفات الخبرية في الجملة » (888).

---

(883) انظر: درء التعارض (292/6).

(884) في مطبوعة الفتاوي: وليس، ولعله خطأ مطبعي.

(885) مجموع الفتاوي (32/12–33).

(886) انظر: التسعينية (ص: 256–257).

(887) انظر: درء التعارض (101/4–102)، وانظر أيضاً: (16/2).

(888) التدمرية (ص: 190–191) المحققة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

4ـ ويرى أنهم أقرب إلى السنة من المعتزلة في مسائل إثبات الرؤية، وكلام الله (889).

وهذا كله بناء على قاعدة أن كل من كان إلى السنة أقرب كان إلى الحق أقرب، ولاشك أن الأشاعرة أقرب إلى الحق والسنة من هؤلاء، فكيف بغيرهم ممن هو أشد انحرافاً كالفلاسفة وغيرهم (890).

ثالثاً: ذكره لإيجابيتهم وردودهم على الباطنية والملاحدة وغيرهم، ولاشك أن علماء الأشاعرة لهم دور عظيم في ذلك.

1ـ فالباطنية لما استفحل أمرهم كان لهم علماء أهل السنة بالمرصاد ومن أبرز علماء السنة الذين فضحوهم علماء الأشاعرة، ولذلك يقول شيخ الإسلام: « وكانت الرافضة والقرامطة- علماؤها وأمراؤها – قد استظهرت في أوائل الدولة السلجوقية، حتى غلبت على الشام والعراق، وأخرجت الخليفة القائم ببغداد إلى تكريت وحبسوه بها في فتنة البساسيري المشهورة، فجاءت بعد ذلك السلجوقية حتى هزموهم وفتحوا الشام والعراق، وقهروهم بخراسان وحجروهم بمصر، وكان في وقتهم من الوزراء مثل « نظام الملك»، ومن العلماء مثل أبي المعالي الجويني، فصاروا بما يقيمونه من السنة ويردونه من بدعة هؤلاء ونحوهم لهم من المكانة عند الأمة بحسب ذلك، وكذلك المتأخرون من أصحاب مالك الذين وافقهوه كأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي ونحوهما، لا يعظمون إلا بموافقة السنة والحديث ..» (891)، والوزير نظام الملك الذي ذكره شيخ الإسلام يعتبر من أبرز من نصر المذهب الأشعري من خلال

---

(889) انظر: منهاج السنة (2/252-268)، المحققة، وأيضاً (2/94-96-97-98)، مكتبة الرياض الحديثة.

(890) انظر: الصفدية (1/58-59)، ودرء التعارض (10-242).

(891) مجموع الفتاوي (4/18).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المدارس النظامية التي أنشأها في أنحاء متفرقة من العراق وخراسان، وهو يذكر فضله فيما قام به من دعم للسلاجقة السنة في مقابل البويهيين الشيعة، ولذلك مدح صلاح الدين الأيوبي – وقد كان يتبنى عقيدة الأشاعرة – فقال عن مصر: « ثم .. فتحها ملوك السنة مثل صلاح الدين، وظهرت فيها كلمة السنة المخالفة للرافضة » (892).

2ـ كذلك أيضاً يشيد شيخ الإسلام بجهود العلماء – ومنهم علماء الأشاعرة – في فضحهم للباطنية وكشف أسرارهم، يقول عن ابن سينا وكونه من الإسماعيلية الباطنية: « وقد صنف المسلمون في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم كتباً كباراً وصغاراً، وجاهدوهم باللسان واليد، إذ كانوا أحق بذلك من اليهود والنصارى، ولو لم يكن إلا كتاب « كيف الأسرار وهتك الأستار» للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب، وكتاب عبد الجبار بن أحمد، وكتاب أبي حامد الغزالي، وكلام أبي إسحاق، وكلام ابن فورك، والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، والشهرستاني، وغير هؤلاء مما يطول وصفه » (893)، وقد أشاد بدورهم وفضحهم لشتى أصناف الباطنية من القرامطة، والإسماعيلية والنصيرية (894).

3ـ وفي رده على ابن المطهر الحلي الرافضي، يرد عليه تشنيعه على الأشاعرة، ويعتذر لهم فيقول: « إن غالب شناعته على الأشعرية ومن وافقهم، والأشعرية خير من المعتزلة والرافضة عند كل من يدري ما يقول، ويتقي الله فيما يقول.. وإذا قيل: إن في كلامهم وكلام من قد يوافقهم أحياناً من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم ما هو ضعيف، فكثير من ذلك الضعيف إنما تلقوه عن المعتزلة فهم أصل الخطأ في هذا

---

(892) المصدر السابق (281/3).

(893) الرد على المنطقيين (ص: 142-143).

(894) انظر: درء التعارض (8/5)، والسبعينية (ص: 11).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الباب، وبعض ذلك أخطأوا فيه لإفراط المعتزلة في الخطأ، فقابلوهم مقابلة انحرفوا فيها، كالجيش الذي يقاتل الكفار فربما حصل منه إفراط وعدوان » (895).

4ـ ويمتدح جهود العلماء – من الأشاعرة وغيرهم – في ردودهم على الفلاسفة (896)، ويرى أن أقوال الأشاعرة وأدلتهم في حدوث العالم مبطلة لحجة الفلاسفة على قدم العالم (897)، ويمتدح ردود الأشاعرة وغيرهم على ملاحدة الصوفية فيقول: « ومعلوم باتفاق المسلمين أن من هو دون الأشعرية كالمعتزلة والشيعة الذين يوجبون الإسلام ويحرمون ما وراءه، فهم خير من الفلاسفة الذين يسوغون التدين بدين المسلمين واليهود والنصارى، فكيف بالطوائف المنتسبين إلى مذهب أهل السنة والجماعة كالأشعرية والكرامية والسالمية وغيرهم؟

فإن هؤلاء مع إيجابهم دين الإسلام وتحريمهم ما خالفه يردون على أهل البدع المشهورين بمخالفة السنة والجماعة كالخوارج والشيعة والقدرية والجهمية، ولهم في تكفير هؤلاء نزاع وتفصيل » (898)، ويذكر شيخ الإسلام أن ملاحدة الصوفية يتظاهرون عند أهل السنة بأنهم أشعرية (899).

رابعاً: الأشاعرة يحمدون لما لهم من مساع وجهود مشكورة:

وقد مر في الفقرة السابقة جزء من هذه الجهود في ردودهم وفضحهم للباطنية وغيرهم، أما هنا فنزيد الأمر إيضاحاً ببيان جهودهم المختلفة في الرد على أهل البدعة والدفاع عن أهل السنة، وهذه نماذج من أقوال شيخ الإسلام فيهم:

---

(895) منهاج السنة (313/1) –المحققة –.

(896) انظر: درء التعارض (279/4–281).

(897) انظر: منهاج السنة (125/1–126)، – المحققة–.

(898) الصفدية (270/1–271).

(899) انظر: المصدر السابق (285/1–286).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

1ـ يقول بعد كلام طويل عن الأشاعرة، وتحذير العلماء منهم: « ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء من المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخير الأمور أوسطها، وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين. والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات. (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر:10).

وهذه النقول لا تحتاج إلى تعليق، فهي تبين كيف أنه – رحمه الله – وهو يرد عليهم ويناقشهم لم ينسَ فضائلهم وجهودهم، بل نوه بها في مواطن كثيرة تكون لنفس البشرية فيها محبة للتقليل من شأن الخصم وتنقيصه.

خامساً: إنصافه لأعلام الأشاعرة.

أنصف شيخ الإسلام أعلام الأشاعرة، وعلى الرغم من مناقشاته الشديدة لهم إلا أنه ذكر ما عندهم من إيجابية وما لهم من جهود عظيمة في خدمة الإسلام والدفاع عنه، وما سبق في الفقرات الماضية يدل على هذا ونزيد الأمر أيضاً بذكر أقواله في بعض أعلامهم.

ويعتمد منهج ابن تيمية في ذلك على أمرين:

أحدهما: أن القاعدة عنده التي يطبقها على الأشاعرة وغيرهم هي التفريق بين العقيدة المسطرة في الكتب وبين أصحابها، فهو يحكم على ما هو مدون أو منقول من

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

عقائد هؤلاء وأدلتهم ومناقشاتهم، ويبين ما في ذلك من خطأ أو صواب، فإذا ما وصل في الحديث إلى الشخص نفسه، صاحب العقيدة فإنه ينظر إليه نظرة أخرى مبنية على:

أ . أنه قد يكون صادقاً في خدمته للإسلام، ولا يحمل غشاً لأهله، ولذلك فهو لا يتعمد الكذب والافتراء.

ب . أنه مجتهد، وأن هذا الذي قاله هو مبلغ علمه، أو أنه كان مقلداً لغيره في هذه المسائل.

جـ . ما مات عليه هذا العم، فقد يكون ممن رجع وتاب، وصرح بذلك أو أنه في آخر عمره رضي مسلك أهل الحديث.

والثاني: أن لهؤلاء الأعلام – على أخطائهم – جهوداً لا تنكر في الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن العقيدة، والرد على أعدائها من الملاحدة والمتفلسفة والرافضة وغيرهم، وهي جهود تكون في موازينهم يوم القيامة ولا يحرمون أجرها عند الله تعالى.

هذه خلاصة منهجه في ذلك، يوضح فساد الأقوال، وأحياناً بعض مواقف أصحابها، ويبين تناقضهم، وحين يصل الأمر إلى الحكم على أشخاصهم يلتفت إلى أمور أخرى ينبغي أخذها بعين الاعتبار، وهذه نماذج لمواقفه من بعض أعلام الأشاعرة.

أ . أبو الحسن الأشعري:

دافع ابن تيمية عن شيوخ الأشاعرة – وعلى رأسهم ابن كلاب (900)– وكثيراً ما يقرن الأشعري بابن كلاب والكلابية، فيقول مثلاً: « لهذا كان المتكلمة الصفاتية كابن

---

(900) سبقت الإشارة – عند الحديث عن ابن كلاب في نشأة الأشاعرة – كيف دافع ابن تيمية عن ابن كلاب فيما اتهم به من تأييد دين النصارى، وممن ذكر هذه الفرية مؤيداً لها:

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

كلاب والأشعري وابن كرام خيراً وأصح طريقاً في العقليات والسمعيات من المعتزلة، والمعتزلة خيراً وأصح طريقاً في العقليات والسمعيات من المتفلسفة، وإن كان في قول كل من هؤلاء ما ينكر عليه وما خالف فيه العقل والسمع، ولكن من كان أكثر صواباً وأقوم قيلا كان أحق بأن يقدم على من هو دونه تنزيلاً وتفصيلاً » (901)، ويقول عنهما: « لا ريب أن قول ابن كلاب والأشعري ونحوهما من المثبتة للصفات ليس هو قول الجهمية، بل ولا المعتزلة، بل هؤلاء لهم مصنفات في الرد على الجهمية والمعتزلة وبيان تضليل من نفاها، بل هم تارة يكفرون الجهمية والمعتزلة، وتارة يضللونهم » (902).

أما الأشعري نفسه فكلامه حوله كثير:

1ـ ففي معرض دفاعه عنه ذكر أنه: « ابتلى بطائفتين، طائفة تبغضه وطائفة تحبه، كل منهما يكذب عليه، ويقول: إنما صنف هذه الكتب تقية وإظهاراً لموافقة أهل الحديث والسنة من الحنبلية وغيرهم، وهذا كذب على الرجل، فإنه لم يوجد له قول باطن يخالف الأقوال التي أظهرها، ولا نقل أحد من خواص أصحابه ولا غيرهم عنه ما يناقض هذه الأقوال الموجودة في مصنفاته، فدعوى المدعي أنه كان يبطن خلاف ما يظهر دعوى مردوده شرعاً وعقلاً، بل من تدبر كلامه في هذا الباب – في مواضع – تبين له قطعاً أنه كان ينصر ما أظهره. ولكن الذين يحبونه ويخالفونه في إثبات الصفات الخبرية يقصدون نفي ذلك عنه لئلا يقال: إنهم خالفوه، مع كون ما ذهبوا إليه من السنة قد اقتدوا فيه بحجته التي على ذكرها يعولون، وعليها يعتمدون ».

السكسكي الحنبلي المتوفى سنة 682هـ، في كتابه « البرهان في معرفة عائد أهل الأديان » (ص: 19).

(901) شرح الأصفهانية (ص: 55).

(902) المسألة المصرية في القرآن، مجموع الفتاوي (202/12).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

« والفريق الآخر: دافعوا عنه لكونهم رأوا المنتسبين إليه لا يظهرون إلا خلاف هذا القول، ولكونهم اتهموه بالتقية، وليس كذلك، بل هو انتصر للمسائل المشهورة عند أهل السنة التي خالفهم فيها المعتزلة كمسألة الرؤية، والكلام، وإثبات الصفات، ونحو ذلك، لكن كانت خبرته بالكلام مفصلة، وخبرته بالسنة مجملة، فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة..» (903).

2. كما يمتدح شيخ الإسلام ما عمله من بيان تناقض المعتزلة، خاصة وأنه الخبير بأقوالهم، يقول: –في بيان تناقض أهل الكلام – : « وهذا مما مدح به الأشعري فإنه بين من فضائح المعتزلة وتناقض أقوالهم وفسادهم ما لم يبينه غيره، لأنه كان منهم، وكان قد درس الكلام على أبي علي الجبائي أربعين سنة، وكان ذكياً، ثم إنه رجع عنهم وصنف في الرد عليهم، ونصر في الصفات طريقة ابن كلاب لأنها أقرب إلى الحق والسنة من قولهم، ولم يعرف غيرها، فإنه لم يكن خبيراً بالسنة والحديث وأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم » (904). ويقول أيضاً عن المعتزلة: « والأشعري وغيره من متكلمة الإثبات انتدبوا لبيان تناقضهم في أصلهم، وأوعبوا في بيان تناقض الأقوال، وحكاية الأشعري مع الجبائي في الإخوة الثلاثة (905) مشهورة (906).

3. كما ذكر أن الأشعري كان ينتسب إلى الإمام أحمد، وأنه أقرب إليه من بعض الحنابلة، يقول: « وكان الأشعري أقرب إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة كابن

---

(903) المسألة المصرية في القرآن، مجموع الفتاوي (204/12).

(904) منهاج السنة(71/3)، وفي شرح حديث النزول – مجموع الفتاوي (556/5) ذكر أنه بين من تناقض المعتزلة ما لم يبينه غيره حتى جعلهم في قمع السمسة .

(905) سبق ذكرها (ص: 373).

(906) المصدر السابق (47/2–48)، مكتبة الرياض الحديثة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

عقيل، وصدقة بن الحسين، وابن الجوزي، وغيرهم (907)، ويقول: « والأشعري كان من أجل المتكلمين المنتسبين إلى الإمام أحمد – رحمه الله – ونحوه، المنتصرين لطريقه، كما يذكر الأشعري ذلك في كتبه ..[ثم يقول] وأما الأشعري فهو أقرب إلى أصول أحمد من ابن عقيل وأتبع لها، فإنه كلما كان عهد الإنسان بالسلف أقرب كان أعلم بالمعقول والمنقول.. [ويقول] ولما أظهرت كلام الأشعري – ورآه الحنابلة – قالوا: هذا خير من كلام الشيخ الموفق.. » (908).

ويذكر أيضاً أن الأشعري أخذ مذهب أهل الحديث والسنة من شيخه المشهور زكريا بن يحيى الساجي (909).

4ـ كما يذكر ما تميز به الأشعري من حرص على نصرة مذهب أهل الحديث، يقول عنه: « وهو دائماً ينصر في المسائل التي فيها النزاع بين أهل الحديث وغيرهم قول أهل الحديث، لكنه لم يكن خبيراً بمأخذهم، فينصره على ما يراه من الأصول التي تلقاها عن غيرها، فيقع في ذلك من التناقض ما ينكره هؤلاء هؤلاء، كما فعل في مسألة الإيمان ونصر فيها قول جهم مع نصره للاستثناء » (910)، وذكر أنه بين طريقة السلف في أصول الدين فقال: « حتى إن الأشعري نفسه وأمثاله قد بينوا طريقة السلف في أصول الدين، واستغنائها عن الطريقة الكلامية، كطريقة الإعراض ونحوها وإن القرآن نبه على الأدلة، من أهل الكلام الذين يقولون: إن الكتاب والسنة لا يدلان

---

(907) درء التعارض (270/1)، وانظر: كلاماً مشابهاً في شرح الأصفهانية (ص: 78).

(908) مجموع الفتاوي (3/227-229).

(909) شرح حديث النزول، مجموع الفتاوي (386/5).

(910) الإيمان (ص: 115) ط المكتب الإسلامي .

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

على أصول الدين بحال، وإن أصول الدين تستفاد بقياس العقل المعلوم من غيرهما » (911).

5 . يذكر شيخ الإسلام أن الأشعري من مثبتة الصفات الخبرية، ويرد على الذين يزعمون أن له فيها قولين، يقول: « وأما الأشعري نفسه وأئمة أصحابه فلم يختلف قولهم في إثبات الصفات الخبرية، وفي الرد على من يتأولها، كمن يقول: استوى بمعنى استولى، وهذا مذكور في كتبه كلها كالموجز الكبير، والمقالات الصغيرة، والكبيرة، والإبانة، وغير ذلك، وهكذا نقل سائر الناس عنه، حتى المتأخرون كالرازي والآمدي، ينقلون عنه إثبات الصفات الخبرية، ولا يحكون عنه في ذلك قولين، فمن قال: إن الأشعري كان ينفيها، وإن له في تأويلها قولين فقد افترى عليه، ولكن هذا فعل طائفة من متأخري أصحابه كأبي المعالي ونحوه فإن هؤلاء أدخلوا في مذهبه أشياء من أصول المعتزلة» (912)، كما دافع عن الأشعري فيما نسب إليه من أنه يقول: إن الله لم يكن قادراً على العل في الأزل » وبين شيخ الإسلام أن « من يبغض الأشعري ينسب إليه هذا، لتنفر عنه قلوب الناس » (913)، وكثيراً ما يشير شيخ الإسلام إلى أنه أقرب إلى السلف من كثير ممن أتى بعده (914)، وكثيراً ما ينقل من كتب الأشعري، ويستشهد بأقواله (915).

ب . الباقلاني والجويني:

---

(911) الاستقامة (6/1).

(912) المسألة المصرية في القرآن – مجموع الفتاوي (203/12).

(913) درء التعارض (264/2).

(914) انظر: شرح الأصفهانية(ص: 77–78)، ودرء التعارض (308/2).

(915) انظر مثلاً: القاعدة المراكشية (ص: 67–71)، – ط دار طيبة – ونقض التأسيس المطبوع (533/2–534)، ومجموع الفتاوي (257/4)، ودرء التعارض (256/1–261)، والتسعينية (ص: 41).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يرى شيخ الإسلام أن الباقلاني فحل الطائفة الأشعرية (916)، ويقول عنه: إنه « أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله، لا قبله ولا بعده...» (917)، ويذكر عنه أنه « أكثر إثباتاً بعد الأشعري في الإبانة » (918).

وقد امتدحه كثيراً في ردوده على الباطنية (919)، ومواقفه العظيمة من النصارى (920).

أما الجويني فيدافع عنه على الرغم من كونه ممن مال إلى المعتزلة أكثر ممن سبقه من الأشاعرة، وبعد أن نقل عنه الأقوال في الكلام ونسبته إلى أهل السنة ما ليس من مذهبهم، رد عليه ابن تيمية وقال: « وأبو المعالي وأمثاله أجل من أن يتعمد الكذب، لكن القول المحكي قد يسمع من قائل لم يضبطه، وقد يكون القائل نفسه لم يحرر قولهم» (921)، ويذكر هذا في مناسبة أخرى ويرى أنه لم يتعمد الكذب لكنه كان قليل المعرفة بحال أهل السنة (922)، ويحتج بأقواله ويصححها في معرض ردوده على الجهمية (923)، وابن رشد (924).

---

(916) انظر: التسعينية (ص:189).

(917) الحموية، مجموع الفتاوي (98/5).

(918) مجموع الفتاوي (52/5).

(919) انظر: ما سبق من ذكر إجابيات الأشاعرة في الرد على الباطنية، وانظر أيضاً، منهاج السنة (269/4-271)، وشرح حديث النزول – مجموع الفتاوي (558/5).

(920) انظر: منهاج السنة (39/2) المحققة.

(921) انظر: درء التعارض (310/2).

(922) انظر، التسعينية (ص: 249).

(923) انظر: درء التعارض (186/5-190).

(924) انظر: المصدر السابق (110/9-112).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جـ . الغزالي:

يعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية من القلائل الذين عرفوا حقيقة ما انتهى إليه الغزالي في كتبه المختلفة، وأنه كان مائلاً إلى الفلسفة التي صاغها بعبارات ومصطلحات الصوفية، فأصبح متفلسفاً صوفياً إشراقياً (925)، ومع أن شيخ الإسلام نقده كثيراً وفي مناسبات مختلفة، ونقل ردود العلماء عليه (926)، إلا أنه أنصفه ومدحه وذلك من خلال:

1ـ بيانه أن الغزالي لا يتعمد الكذب، ولذلك لما نسب إلى الإمام أحمد أنه يقول بالتأويل رد عليه ابن تيمية بأنه: « نقله عن مجهول لا يعرف، وذلك المجهول أرسله إرسالاً عن أحمد، ولا يتنازع من يعرف أحمد وكلامه أن هذا كذب مفترى عليه، ونصوصه المنقولة عنه بنقل الثقات الأثبات، المتواتر عنه برد هذا الهذيان الذي نقله عنه، بل إذا كان أبو حامد ينقل عن رسول الله ε وعن الصحابة والتابعين من الأكاذيب لا يحصيه إلا الله، فكيف ما ينقله عن مثل أحمد» ، ثم يعقب شيخ الإسلام مدافعاً عن الغزالي: « ولم يكن ممن يتعمد(927) الكذب، كان أجلّ قدراً من ذلك، وكان من أعظم الناس ذكاء وطلباً للعلم وبحثاً عن الأمور، ولما قاله كان من أعظم الناس قصداً للحق، وله من الكلام الحسن المقبول أشياء عظيمة، بليغة، ومن حسن التقسيم والترتيب ما هو به من أحسن المصنفين، لكن كونه لم يصل إلى ما جاء به

---

(925) سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمة الغزالي عند الحديث عن تطور المذهب الأشعري.

(926) ذكر ذلك مرات عديدة، انظر مثلاً: النبوات (ص: 118-119).

(927) في الأصل المخطوط يعتمد، ولعل الصواب ما أثبته.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الرسول من الطرق الصحيحة كان ينقل ذلك بحسب ما بلغه لاسيما مع هذا الأصل، إذ جعل النبوات فرعاً على غيرها (928).

2. كما أن شيخ الإسلام يعترف للغزالي بجهوده في ردوده على الفلاسفة، ويمتدحه كثيراً في ذلك، ولما احتج الفلاسفة على نفي الصفات بالتركيب وما يلزم رد عليهم الغزالي ووافقه ابن تيمية فقال: « ما ذكره أبو حامد مستقيم، مبطل لقول الفلاسفة، وما ذكره ابن رشد إنما نشأ من جهة ما في اللفظ من الإجمال والاشتراك » (929)، ثم قال مناقشاً ابن رشد: « وهذه الطريق التي سلكها أبو حامد في مناظرته إخوانك وهي طريق صحيحة، وقد تبين أن ما ذكره أبو حامد عن احتجاجهم بلفظ المركب جواب صحيح » (930)، ويقول ابن تيمية عن ابن رشد « وقد رد على أبي حامد في تهافت التهافت رداً أخطأ في كثير منه، والصواب مع أبي حامد.. وقد تكلمت على ذلك وبينت تحقيق ما قاله أبو حامد في ذلك من الصواب الموافق لأصول الإسلام، وخطأ ما خالفه من كلام ابن رشد وغيره من الفلاسفة، وإن ما قالوه من الحق الموافق للكتاب والسنة لا يرد، بل يقبل، وما قصر فيه أبو حامد من إفساد أقوالهم الفاسدة فيمكن رده بطريق أخرى يعان بها أبو حامد على قصده الصحيح » .

كما يمتدح شيخ الإسلام ردود الغزالي على الفلاسفة في مسألة إثبات الصانع وينقل ما ذكره من الطعن في طريقة ابن سينا وأمثاله، ثم يقول شيخ الإسلام معقباً: « وهذا الوجه الذي ذكره أبو حامد أحسن فيه، وكنت قد كتبت على توحيد الفلاسفة ونفيهم الصفات كلاماً بينت فيه فساد كلامهم في طريقة التركيب قبل أن أقف على

---

(928) نقض التأسيس المخطوط(100/3).

(929) انظر: درء التعارض (402/3).

(930) انظر: درء التعارض (438/3)، وانظر أيضاً (389/3).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

كلام أبي حامد، ثم رأيت أبا حامد قد تكلم بما يوافق ذلك الذي كتبته» (931)، كما يعترف له في مناسبات أخرى (932).

3. ذكره لرجوعه في آخر عمره إلى الحديث، وأنه مات وهو يشتغل بالبخاري ومسلم (933)، ويذكر أنه رجع « واستقر أمره على التلقي من طريقة أهل الحديث، بعد أن يأس من نيل مطلوبه من طريقة المتكلمين والمتفلسفة والمتصوفة أيضاً » (934).

د . الرازي وغيره:

نظراً لأن الرازي ومن جاء بعده التصقوا بالفلسفة كثيراً، وانحرفوا عن أسلافهم الأشاعرة فقد كانت ردود ابن تيمية عليهم كثيرة وقوية، وكثيراً ما يوردها بنبرة قاسية تشبه ما يستخدمه من عبارات في ردوده على الفلاسفة والباطنية ومن شابههم من أهل الكفر والإلحاد، ومع ذلك فلم تخل مناقشاته له من الإنصاف حين يجد فيكلامه ما هو حق، فهو يقول عنه بعد نقله لأحد آرائه ومناقشاته: « قلت هذا هو الصواب، فإن بطلان الدور معلوم بالضرورة » (935)، ويقول عن إحدى مناقشاته للفلاسفة: « فتبين أن الذي ألزمهم إياه أبو عبد الله الرازي إلزام لا محيد عنه » (936)، كما

---

(931) المصدر السابق (156/8).

(932) انظر مثلاً مجموع الفتاوى (49/1-50)، ودرء التعارض (16/8، 135/10-152)، وشرح الأصفهانية (ص: 132).

(933) انظر: الصفدية (212/1)، ودرء التعارض (162/1)، ومنهاج السنة (279/2)، المحققة، وجامع الرسائل (169/1)، ت رشاد سالم، ومجموع الفتاوي 72)، وشرح الأصفهانية (ص: 123).

(934) انظر: درء التعارض (210/6).

(935) انظر: درء التعارض (293/3).

(936) المصدر السابق (345/1)، وانظر أيضاً: (343/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يمتدح ما ذكره من إبطال الحلول وإلزام النصارى (937)، وكثيراً ما يذكر أن ما ذكره الرازي صحيح أو حق (938).

كما يفعل ذلك مع الآمدي (939)، ويقول عنه: « مع أنه من أفضل من تكلم من أبناء جنسه في هذه الأمور وأعرفهم بالكلام والفلسفة » (940)، كما يعترف لأثير الدين الأبهري (941)، ويقول عن – الرازي، والآمدي، والأرموي (942)– إنهم من أفضل بني جنسهم من المتأخرين (943)، بل قال عن الآمدي: « كان من أحسنهم إسلاماً وأمثلهم اعتقاداً » (944).

هـ . الأشاعرة المعاصرون لابن تيمية:

من يطلع على حياة شيخ الإسلام ابن تيمية وما جرى له من محن على يد الأشاعرة المعاصرين له وكيف أنه انتقل بسببهم من محنة إلى محنة ومن سجن إلى

---

(937) انظر، المصدر السابق (151/6).

(938) انظر: نقض التأسيس المخطوط (26/1)، ودرء التعارض (106/10).

(939) انظر: درء التعارض (62/4–65).

(940) انظر: المصدر السابق (234/4).

(941) انظر: المصدر نفسه (377/1–379)، وأثير الدين الأبهري هو: المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري السمرقندي، له عدة كتب منها هداية الحكمة، والإيساغوجي، والزيج الاختياري وغيرها، توفي سنة 663هـ، انظر: تاريخ آداب اللغة العربية (114/3)، الأعلام (279/7).

(942) الرازي والآمدي تقدمت ترجمتهما، أما الأرموي فهو سراج الدين، أبو الثناء محمود بن أبي بكر أحمد الأرموي، ولد سنة 594هـ، من كتبه لباب الأربعين، توفي سنة 682هـ، انظر: طبقات السبكي (371/8)، وابن قاضي شهبة (261/2).

(943) انظر: درء التعارض (31/3).

(944) انظر: مجموع الفتاوي (52/18).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

سجن، وما صاحب ذلك من مؤامرات وافتراءات عليه، من يطلع على تفاصيل ذلك قد يتصور أن موقف شيخ الإسلام منهم سيكون على غرار موقفهم منه من السعي فيهم والانتقام منهم، ولكن الأمر لم يكن كذلك، بل صار له معهم موقفان، دالان على أدب وخلق رفيع:

أحدهما: عملي، حيث كان يدعو لهم، ويأتي الانتصار لنفسه – في حالة تمكنه من ذلك – وقد سبق تفصيل ذلك عند الحديث عن محن ابن تيمية في ترجمته، وهي مواقف تدل على نفس كريمة وتسامح عجيب.

والثاني: موقف نظري، عند مناقشته لهم، حيث كان يعتذر لهم، ويبين أنهم كانوا يقصدون الحق وأنهم مجتهدون، انظر إلى مثل قوله فيهم: « وأكثر الطالبين للعم والدين ليس لهم قصد من غير الحق المبين، لكن كثر في هذا الباب الشبه والمقالات، واستولت على القلوب أنواع الضلالات، حتى صار القول الذي لا يشك من أولي العلم والإيمان أنه مخالف للقرآن والبرهان، بل لا يشك في أنه كفر بما جاء به الرسول من رب العالمين، قد جعله كثير من أعيان الفضلاء أنه من محض العلم والإيمان، بل لا يشك في أنه مقتضى صريح العقل والعيان، ويظنون أنه مخالف لقواطع البرهان » .

« ولهذا كنت أقول لأكابرهم لو وافقتكم على ما تقولونه لكنت كافراً مريداً (945)، لعلمي بأن هذا كفر بيّن، وأنتم لا تكفرون لأنكم من أهل الجهل بحقائق الدين، ولهذا كان السلف والأئمة يكفرون الجهمية في الإطلاق والتعميم وأما المعين منهم فقد يدعون له ويستغفرون له، لكونه غير عالم بالصراط المستقيم، وقد يكون العلم والإيمان ظاهراً لقوم دون آخرين، وفي بعض الأمكنة ولأزمنة دون بعض، بحسب ظهور دين المرسلين » (946).

---

(945) كذا ولعله: مرتداً.

(946) نقض التأسيس المخطوط (1/5-6).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد مدح شيخ الإسلام القاضي بدر الدين ابن جماعة وأيده (947)، ونقل السبكي في طبقاته أن تقي الدين ابن تيمية كان كثيراً ما يثني على والده تقي الدين السبكي، وأنه: « كان لا يعظم أحداً من أهل العصر كتعظيمه له» (948)، كما ذكر في ترجمة علاء الدين الباجي –واسمه علي بن محمد بن عبد الرحمن – أنه: « لما رآه ابن تيمية عظمه، ولم يجر بين يديه بلفظة، فأخذ الشيخ علاء الدين يقول: « تكلم نبحث معك، وابن تيمية يقول: مثلي لا يتكلم بين يديك أنا وظيفتي الاستفادة منك » (949).

هذه موقف شيخ الإسلام الإيجابية من الأشاعرة وفيها من بيان الحق والإنصاف ما يشهد له بالأمانة، ومع ذلك فهذه الجوانب لا ينبغي أن تؤخذ مجردة – وحدها – بل لابد أن يضاف إليها الجانب الثاني من منهجه في موقفه منهم، ألا وهو ردوده عليهم، وبيان ما في أقوالهم من مخالفة لعقيدة ومنهج أهل السنة، وهذا ما سنفصله في الفصلين التاليين بمباحثهما المختلفة – إن شاء الله –.

* * *

(947) انظر: مجموع الفتاوى (243/3)، وما بعدها.
(948) طبقات الشافعية للسبكي (194/10).
(949) طبقات الشافعية للسبكي (342/10).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

الفصل الثاني

« منهجه العام في الرد على الأشاعرة »

ويشمل المباحث التالية:

مقدمة:

أولاً بيان جوانبهم الإيجابية.

ثانياً الكتاب والسنة فيهما ما يغني عما ابتدعه هؤلاء، وحجية خبر الآحاد في العقيدة.

ثالثاً مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم.

رابعاً أن علم الكلام مذموم.

خامساً جهلهم بالسنة وبمذهب السلف.

سادساً إرجاع أقوالهم المخالفة لمذهب أهل السنة إلى أصول الفلاسفة والجهمية والمعتزلة.

سابعاً لا تعارض بين العقل والنقل.

ثامناً الرد على متأخري الأشاعرة بأقوال شيوخهم، وردود بعضهم على بعض.

تاسعاً تناقض الأشاعرة.

عاشراً حيرة الأشاعرة وشكهم ورجوعهم.

حـــادي تسلط الفلاسفة والباطنية على المتكلمين .

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

مقدمة

لقد كانت لشيخ الإسلام ابن تيمية مواقف إيجابية من الأشاعرة، أنصفهم فيها، وحمد ما قاموا به من الجهود الكبيرة في الدفاع عن الإسلام، ولكن هذه المواقف لم تمنعه من الرد على انحرافاتهم وأخطائهم ومناقشتها بالتفصيل، وقد بذل – رحمة الله – في ذلك جهوداً عظيمة، وألف فيه كتباً كثيرة، أرجع فيها الفروع إلى الأصول، والمسائل الصغيرة إلى أصولها الكبار، وبين الخلفيات والأسباب التي دعت هؤلاء إلى أن يقولوا بأقوال ويعتقدوا عقائدهم المخالفة للكتاب والسنة، وقد كان لخبرته بأصول أهل الضلال من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة ومعرفته بمداخل مذاهبهم، وكيف يرتبون المسائل بعضها على بعض أثر كبير في قوة منهجه، وغوصه في حجبه، وإحراج خصومه عند الرد والمناقشة، وكان من آثار ذلك أن نال منه خصومه، واعتبروه خصمهم اللدود، ولما لم يقووا على مناقشته ورد ما أتى به مما يبهر العقول وينير السبيل لطالب الهدى، لجأوا إلى أساليب أخرى تبتعد عن مناقشة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان،من استعداء للسلطة، أو رميه بما هو بريء منه كذباً وزوراً، أو تشويه لأقواله وتصويرها بصورة تنفر منها نفوس عامة الناس كما فعل أشياخهم من قبل مع أشياخ أهل السنة حين رموهم بالحشو والتشبيه وغير ذلك مما هو مسطر مشهور في كتبهم، ولكن ذلك لم يثن عزم شيخ الإسلام – كما لم يثن شيوخ أهل السنة قبله– عن أن يبين للناس الحق، ويرد الباطل الذي جاء به أهل الكلام والفلسفة من الأشاعرة وغيرهم.

وقد كان اهتمام شيخ الإسلام بالرد على الأشاعرة كبيراً، ويكفي كمثال على ذلك أن كتابين من أكبر كتبه أفردهما في الرد عليهم، وهما كتاب نقض أساس التقديس، ودرء تعارض العقل والنقل، إضافة إلى الكتب العديدة التي أفردها في ذلك – وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمة –.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وردود شيخ الإسلام عليهم ركزت على الأصول التي بنوا عليها مذهبهم، كما أنها لم تغفل الجزئيات والمسائل الفرعية العقدية، وذلك في مسائل توحيد الربوبية والألوهية، والصفات، والقدر، والإيمان، والنبوة، وغيرها.

ومن المفيد جداً قبل الدخول في مناقشاته و ردوده التفصيلية على الأشاعرة استقراء منهجه العام في الرد عليهم، لأن هذه الخطوط العريضة توضح جوانب من منهجه قد لا تتضح من خلال الردود التفصيلية المطولة، كما أها تبرز الجوانب الجوهرية والملاحظات الأساسية على مذهب الأشاعرة، والتي بسببها وقعوا في الأخطاء والانحرافات التفصيلية.

وقد كانت لشيخ الإسلام لمحات وإشارات مهمة، نظراً لطول مراسه في هذا الباب، واهتمامه الشديد به:

1. فهو الخبير بالمذهب الأشعري – بل وكل مذهب رد عليه كما سبق في منهجه – والمتتبع لما كتبه عن الأشاعرة يرى هذا بارزاً، فاطلاعه على تاريخ المذهب الأشعري نشأة وتطوراً، وتاريخ رجاله، وما جرى لهم مع خصومهم من أحداث، وكذا كتبهم التي ألفوها خدمة لمذهبهم أو رداً على خصومهم، على مختلف البلدان والأزمان التي عاشوا فيها – اطلاعه على ذلك واسع جداً، إلى حد أن أحداً من أصحاب هذا المذهب نفسه لا يجاريه في ذلك.

وشيخ الإسلام حينما يرد على مقالة أحد الأشاعرة لا يكتفي بالرد عليها ونقضها مباشرة، وإنما يأتي بالردود من وجوه عديدة، فقائل هذه المقالة إن كانت له كتب أخرى، أو لشيوخه الذين تتلمذ عليهم، أو لشيوخ المذهب عموماً اطلع عليها واستخلص منها ما يرد على صاحب المقالة ويبين عدم ثقته هو أو ثقة شيوخه بهذا الكلام الذي يقوله في المقالة أو الكتاب المردود عليه، وقد أتى شيخ الإسلام في ذلك بأعاجيب.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

2ـ وقد اختار في ردوده ومناقشاته أن تكون مشتملة على نقل كلام رؤوس الطوائف، ويعلل ذلك بقوله – في معرض بيان أن المتكلمين ضعفت ردودهم على الفلاسفة لأنهم قابلوا الفاسد بالفاسد – « وإنما يحصل النور والهدى بأن يقابل الفاسد بالصالح، والباطل بالحق، والبدعة بالسنة، والضلال بالهدى، والكذب بالصدق، وبذلك يتبين أن الأدلة الصحيحة لا تعارض بحال، وأن المعقول الصريح مطابق للمنقول الصحيح » ثم يقول: « وقد رأيت من هذا عجائب فقل أن رأيت حجة عقلية هائلة لمن عارض الشريعة قد انقدح لي وجه فسادها وطريق حلها، إلا أن رأيت بعد ذلك من أئمة تلك الطائفة من قد تفطن لفسادها وبيّنه، وذلك لأن الله خلق عباده على الفطرة، والعقول السليمة مفطورة على معرفة الحق لولا المعارضات، ولهذا أذكر من كلام رؤوس الطوائف في العقليات ما يبيّن ذلك، لا لأننا محتاجون في معرفتنا إلى ذلك، لكن ليعلم أن أئمة الطوائف معترفون بفساد هذه القضايا، التي يدعي إخوانهم أنها قطعية، مع مخالفتها للشريعة، لأن النفوس إذا علمت أن ذلك القول قاله من هو من أئمة المخالفين استأنست بذلك واطمأنت به، ولأن ذلك يبيّن أن تلك المسألة فيها نزاع بين تلك الطائفة فتنحل عقد الإصرار والتصميم على التقليد، فإن عامة الطوائف– وإن ادعوا العقليات – فجمهورهم مقلدون لرؤوسهم فإذا رأوا الرؤوس قد تنازعوا واعترفوا بالحق انحلت عقدة الإصرار على التقليد» (950).

فشيخ الإسلام يذكر ثلاثة أسباب دعته إلى النقل عن رؤساء الطوائف هي:

أ . بيان أن أئمة الطوائف معترفون بفساد هذه القضايا التي يدعي هؤلاء المردود عليهم أنها قطعية.

ب . ناحية نفسية تتمثل في أن هؤلاء إذا علموا أن ذلك القول قد قال به أئمتهم من قبل أنسوا واستأنسوا.

---

(950) درء التعارض (1/376-377).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جـ . إزالة عقدة الإصرار والتصميم على هذه المقالة الباطلة حين يتبيّن لهم أن فيها نزاعاً بين رؤسائهم.

3ـ وكثيراً ما يرد الأقوال الفاسدة بعضها ببعض، لبيان أن صاحب هذا القول الفاسد– الذي يدور حوله الرد – ينكر على منازعه ما هو أقرب إلى الصحة من قوله، فإذا كان قول منازعه فاسداً فقوله هو أحق بالفساد منه، يقول شيخ الإسلام في رده على الآمدي حين ذكر دليله الثالث على نفي التجسيم عن الله تعالى، وخلاصته: أنه لو كان جسماً لكان له بعد وامتداد، ووجوب تناهي الأبعاد (951) فرد عليه شيخ الإسلام، وكان مما قاله في معرض رده: « مع أن ما ذكره من وجوب تناهي الأبعاد قد أبطل فيه مسالك الناس كلها، وأنشأ مسلكاً آخر ذكر أنه لم يسبقه إليه أحد، وإذا حرر الأمر عليه وعليهم في تلك المسالك كان القدح فيها أقوى من مسالكهم في النفي، فلو قدر أن اثنين أثبت أحدهما موجوداً قائماً بنفسه لا يتناهى، وأثبت الآخر موجوداً لا يكون متناهياً ولا غير متناهٍ، كان قول الثاني أفسد، والأول أقرب إلى الصواب، وما من مقدمة يدعون بها إفساد قول الأول إلا وفي أقوالهم ما هو أفسد منها » (952)، ثم يعقب شيخ الإسلام بقاعدة معينة يضرب لها المثال فيقول: « والمناظرة تارة تكون بين الحق والباطل، وتارة بين القولين الباطلين لتبيين بطلانهما، أو بطلان أحدهما، أو كون أحدهما أشد بطلاناً من الآخر، فإن هذا ينتفع به كثيراً في أقوال أهل الكلام والفلسفة وأمثالهم ممن يقول أحدهم القول الفاسد وينكر على منازعه ما هو أقرب منه إلى الصواب، فيبين أن قول منازعه أحق بالصحة إن كان قوله صحيحاً، وإن قوله أحق بالفساد إن كان قول منازعه فاسداً، لتنقطع بذلك حجة الباطل

---

(951) أبكار الأفكار للآمدي (1/142-أ-ب).

(952) درء التعارض (4/205-206).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

» (953)، ويضرب المثال بالمسألة المطروحة وهي وجود الله وبينونته عن خلقه التي قال عنها الآمدي: إنه لو كان جسماً لكان له بعد وامتداد، والأبعاد لا بد أن تتناهى، ولم قيل: إن الله تعالى لا يتناهى للزم منه أن لا يوجد جسم غيره من المخلوقات، أو أن يخالط القاذورات وهو محال، والآمدي يحل المشكلة بأن يقول إن الله موجود وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، فشيخ الإسلام يأتي بالقول الآخر وهو قول الحلولية أو ما يلزم منه الحلول فيقول: « حكى الأشعري وغيره عن طوائف أنهم يقولون: إنه لا يتناهى، وهؤلاء نوعان، نوع يقول: هو جسم، ونوع يقول: ليس بجسم، فإذا أراد النفاة أن يبطلوا قول هؤلاء لم يمكنهم ذلك، فإنهم إذا قالوا، يلزم منه أن يخالط القاذورات والأجسام، قالوا: كما أثبتم موجوداً لا يشار إليه، ولا هو داخل ولا خارج، فنحن نثبت موجوداً هو داخل، ولا يخالط غيره. فإذا قالوا: هذا لا يعقل، قالوا: وذلك لا يعقل » – ثم يقول شيخ الإسلام– « ومذهب النفاة في العقل من مذهب الحلولية، ولهذا إذا ذكر القولان لأهل الفطر السليمة نفروا عن قول النفاة أعظم من نفورهم عن قول الحلولية » (954)، مع أن كلاً منها قول باطل، لكن رد باطل أولئك بباطل هؤلاء.

هذه إشارات سريعة يحسن بعدها الانتقال إلى المنهج التفصيلي:

أولاً: بيان جوانبهم الإيجابية وما عندهم من حق:

وقد سبق شرحها في الفصل السابق، والإشارة إليها هنا للتذكير ولتصور منهج الرد بمجمله.

ثانياً: الكتاب والسنة فيهما ما يغني عما ابتدعه هؤلاء:

وهذه المسألة يركز عليها شيخ الإسلام دائماً، ولا تكاد تخلو مسألة من المسائل التي يناقشها مما خالف فيه الأشاعرة وغيرهم إلا ويعول على بيان أن الكتاب والسنة

---

(953) درء التعارض (206/4) وقد سبق نقل هذا النص (ص: 302).

(954) درء التعارض (206/4–207).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جاءا بالدين الكامل والهدى النافع لجميع الناس، وأن المسلمين سابقاً ولاحقاً لم يكونوا بحاجة إلى شيء مما ابتدعه المبتدعون، ويقرر أن الناس « متى تركوا الاعتصام بالكتاب والسنة فلابد أن يختلفوا، فإن الناس لا يفصل بينهم إلا كتاب منزل من السماء، كما قال تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة:213)، وكما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) (النساء:59) (955)، ويقرر شيخ الإسلام أن نفاة الصفات لا يمكن أن يعتمدوا في أقوالهم الفاسدة على الشرع، وأن يقولوا: إنها مستمدة من الكتاب والسنة، فيقول: « ولا تجد أحداً من نفاة الصفات يعتمد في ذلك على الشرع، ولا يدعي أن أصل اعتقاده لذلك من جهة الكتاب والسنة، ولا ينقل قوله عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ...» (956)،ويأمر بعرض أقوال الناس على الكتاب والميزان الذي أنزله الله تعالى، ليميز صحيحها من فاسدها، فيقول في مسألة حوادث لا أول لها على اعتراض القائل بأن المانعين لها كثيرون: « وإذا كان كذلك فانظر في هذا الأصل الذي اتبع فيه متأخرهم لمتقدميهم من إثباتهم حدوث العالم والأجسام بهذه الطريق: هل هي طريقة صحيحة في العقل أم لا؟ وهل هي موافقة للشرع أم لا؟ فاعرضها على الكتاب والميزان فإن الله تعالى يقول: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا

(955) المصدر السابق (284/5).
(956) درء التعارض (51/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد:25)، فاعرض [ما (957)] يذكرونه بما ثبت من كتاب الله والسنة رسوله وما ثبت عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين، وزنه أيضاً بالميزان الصحيحة (958) العادلة العقلية واستعن على ذلك بما يذكره كل من النظار في هذه الطريقة وأمثالهم، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، ولا تتبع الظن فإنه لا يغني من الحق شيئاً، وسل الله أن يلهمك ويهديك، فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح الإلهي أن الله تعالى قال: « يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم(959)...» (960)، ويقرر أيضاً أن من أصول الإسلام « إن تميز ما بعث الله به محمداً ε من الكتاب والسنة والحكمة ولا تخلطه بغيره، ولا تلبس الحق بالباطل، كفعل أهل الكتاب فإن الله سبحانه أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً، وقد قال النبي ε : « تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي لا هالك(961)..» (962).

---

(957) في الأصل [عما] والتصويب من إحدى النسخ في الحاشية.

(958) الميزان مذكر، ولعل الصواب [الموازين الصحيحة].

(959) قطعة من حديث قدسي مشهور، رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ورقمه (2577) ورواه أيضاً الإمام أحمد في المسند (154/5).

(960) درء التعارض (275/8-276).

(961) رواه الإمام أحمد عن العرباض بن سارية رضي الله عنه (26/5)، وابن ماجه في المقدمة رقم (43)، والحاكم (96/1)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (49، 50)، كما رواه عن أبي الدراء ابن ماجه في المقدمة رقم (5)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (48)، وحديث العرباض قال فيه المنذري في الترغيب (86/1)، ت الهراس: « رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بإسناد حسن » وصححه الألباني في صحيح الترغيب (27/1)، ورقمه (58)، وفي تخريج السنة لابن أبي عاصم – بروايته – الأرقام السابقة، وفي صحيح ابن ماجه رقم (5، 41)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (688-937).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد جاء تقرير شيخ الإسلام لهذه المسألة العظيمة التي تقوم على أن الكتاب والسنة فيهما ما يغني عن كل ما ابتدعه المبتدعون بالطرق التالية:

أ . أن الرسول ε بلغ البلاغ المبين، وأوضح أصول الدين كلها حتى ترك أمته على البيضاء، ليلها كنهارها،م يقول شيخ الإسلام في أول الحموية – وهي في العلو والصفات الخبرية، وجرت له بسببها مع الأشاعرة محنة عظيمة – « من المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته، محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله، والعلم به ملتبساً مشتبهاً، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه، فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبه القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً؟ » (963)، ويقول في درء التعارض: « وبذلك يتبين أن الرسول عليه الصلاة والسلام نص على كل ما يعصم من المهالك نصاً قاطعاً للعذر، وقال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) (التوبة:115)، وقال رسول الله ε: [اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكَمْ نِعْمَتي وَرضَيْتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيْناً] ، وقال تعالى(

---

(962) مجموع الفتاوى (155/15).

(963) الحموية، مجموع الفتاوي (6/5)، وانظر أيضاً: نقض التأسيس المخطوط (198/3_)، ودرء التعارض (73/1-8،406/74-407)، والنبوات (ص: 58، 227، 237).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (النساء:165)، وقال تعالى: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (النور:54)، وقال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (الاسراء:9) ، وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً *وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً *وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) (النساء:66-68)، وقال تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ) (المائدة:15-16)، وقال أبو ذر: « لقد توفي رسول الله ε وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً » (964)، وفي صحيح مسلم: إن بعض المشركين قالوا لسلمان: « لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى القراءة » (965)، وقال صلى الله عليه وسلم: [تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك...(966)] (967).

فهذه النصوص – وغيرها كثير – تدل دلالة قاطعة على أن الرسول ε قد بلغ هذا الدين كاملاً، وأن تبليغه كان بأوضح بيان وأقوم حجة.

ب . أن القرآن جاء بالدلائل الواضحة لمسائل العقيدة، ومن ذلك أنه جاء بالأدلة العقلية الواضحة، لا كما يزعم المعتزلة والأشاعرة أن دلالة السمع مجرد الخبر، فقط، وأن قبوله موقوف على تصديق المخبر، وتصديق المخبر – عندهم – موقوف على الأصول العقلية التي تنتهي بهم إلى نفي الصفات عن الله تعالى، يقول شيخ الإسلام

---

(964) رواه الإمام أحمد في مسنده (5/153-162)، والطبراني في الكبير، رقم (1647)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1803)، وهو مروي عن أبي الدرداء –رضي الله عنه – رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده رقم (9/5109-46)، ت حسين سليم أسد، وقال المحقق اسناده صحيح.

(965) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، ورقمه (262).

(966) سبق تخريجه قريباً.

(967) درء التعارض (1/73-74).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

راداً على هؤلاء: « إن القرآن ضرب الله فيه الأمثال، وهي المقاييس العقلية التي يثبت بها ما يخبر به من أصول الدين، كالتوحيد، وتصديق الرسل، وإمكان المعاد، وإن ذلك مذكور في القرآن على أكمل الوجوه، و.. عامة ما يثبته النظار من المتكلمين والمتفلسفة في هذا الباب يأتي القرآن بخلاصته، وبما هو أحسن منه على أتم الوجوه، بل لا نسبة بينها لعظم التفاوت » (968)، وشيخ الإسلام يوضح مسألة خطيرة طالما وقع في الانحراف فيها أناس كثيرون ممن تشبعوا بعلم الكلام والفلسفة حيث يظنون أن القرآن كتاب عظيم، لاشك في ثبوته، ولكنه كتاب إيمان وتسليم، وقد وصل الأمر بأحد أعلام الأشاعرة – وهو أبو الحسن الطبري المعروف بالكيا الهراسي (969)– أو بعض نظرائه من تلاميذ الجويني أن يقول: « وفي القرآن حجاج، وإن لم يكن فيه الغلبة والفلج، غير أن العامي يكتفي به، كقوله تعالى: (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) (قّ:15)،وليس من أنكر الحشر ينكره لأجل العياء، وكذلك قوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) (النحل:62)، (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى) (لنجم:21)، وليس هذا يدل على نفي الولد قطعاً، فمبادئ النظر كافية لهم» (970)، ويتعجب الإنسان أشد العجب من

---

(968) التسعينية (ص: 273).

(969) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الهراسي، المعروف بالكيا – ومعناه في اللغة العجمية الكبير القدر – والهراسي بمعنى الذعر، الأعلام (329/4)، ولد سنة 450هـ، وتوفي سنة 504هـ= =وكان من أبرز تلاميذ الجويني بعد الغزالي، درس بالنظامية، وله أحكام القرآن ، مطبوع –وشفاء المسترشدين، نقد مفردات الإمام أحمد، وغيرها، انظر: تبين كذب المفتري (ص:288–289)، المنتظم (167/9)، سير أعلام النبلاء (350/19)، والوافي في الوفيات (82/22)– مطبوع – وطبقات السبكي (231/7)، وغيرها.

(970) هذا النص نقله ابن تيمية عن الكيا الهراسي أو أحد تلاميذ الجويني، درء التعارض (360/7)، وانظر: درء التعارض أيضاً (94/8).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

هذا الكلام، ولذلك يرد عليه شيخ الإسلام بقوله: « وأما [ما(971)] ذكره من أن الحجاج الذي في القرآن يكتفي به العامي، وإن لم يكن فيه الغلبة والفلج فهذا الكلام يقوله مثل هذا الرجل وأمثاله من أهل الكلام الجاهلين بحقائق ما جاء به التنزيل، وما بعث به الرسول، حتى يقول بعضهم: إن الطريقة البرهانية ليست في القرآن، وهؤلاء جهلهم بمعاني الأدلة البرهانية التي دل عليها القرآن كجهلهم بحقائق ما أخبر به القرآن، بل جهلهم بحقائق ما دل عليه الشرع من الدلائل العقلية والمطالب الخبرية أعظم من جهلهم بما سلكوه من الطرق البدعية التي سموها عقلية، وقد رأيت في كلام هذا الرجل وأمثاله من ذلك عجائب يخالفون بها صريح المعقول، مع مخالفتهم لصحيح المنقول، ونقص علمهم وإيمانهم بما جاء به الرسول ε (972)، ثم بين شيخ الإسلام في معرض الرد « أن الطرق التي جاء به القرآن هي الطرق البرهانية التي تحصل العلم في المطالب الإليهة »، ثم ذكر عدة أمثلة تدل على هذا:

1. منها دلالة قياس الأولى على نفي الولد عن الله تعالى، يقول: « مثال ذلك أنه يستدل بقياس الأولى البرهاني، لا يستدل بقياس التمثيل والتعديل، وذلك أن الله تعالى ليس مماثلاً لشيء من الموجودات، فلا يمكن أن يستعمل في حقه قياس شمولي منطقي تستوي أفراده في الحكم، كما لا يستعمل في حقه قياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع، فإنه سبحانه لا مثل له، وإنما يستعمل في حقه من هذا وهذا قياس الأولى، مثل أن يُقال: كل نقص ينزه عنه مخلوق من المخلوقات فالخالق تعالى أولى بتنزيهه عنه، وكل كمال مطلق ثبت لموجود من الموجودات فالخالق تعالى أولى بثبوت الكمال المطلق الذي لانقص فيه بوجه من الوجوه، لأنه سبحانه واجب الوجود، فوجوده أكمل من الوجود الممكن من كل وجه، ولأنه مبدع الممكنات وخالقها، فكل

---

(971) زيادة يقتضيها السياق، ولعلها ساقطة طباعة.

(972) انظر: درء التعارض (361/7).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

كمال لها فهو منه، وهو معطيه، والذي خلق الكمال وأبدعه وأعطاه أحق بأن يكون له الكمال، كما يقولون: كل كمال في المعلول فهو من العلة» ثم يطبق هذا على المسألة التي ذكرها الكيا الهراسي وهي أن الآيات الواردة لا تدل على نفي الولد عن الله تعالى فيقول: « وكان المشركون يقولون: إن الملائكة بنات الله، كما حكى الله ذلك عنهم بقوله: (وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً) (الزخرف:19)، وهم مع هذا يجعلون البنات نقصاً وعيباً، ويرون الذكر كمالاً، فقال لهم: كيف تصفون ربكم بأنقص الوصفين، وأنتم مع هذا لا ترضون هذا لأنفسكم؟ فهذا احتجاج عليهم بطريق الأولى في بطلان قولهم: إن له البنات، ولهم البنين، لم يحتج بذلك على نفي الولد مطلقاً كما يقول من يفتري على القرآن » (973)، ثم يشرح الآيات الواردة في الرد على ادعاء المشركين إن لله البنات، ثم يقول « وإذا أراد أن يحتج سبحانه على نفي الولد مطلقاً لم يذكر هذه الحجة التي لم يفهم وجهها من لم يعرف ما في القرآن من الحجاج، وظن هو وأمثاله من أهل الضلال إن حجاجهم أكمل من حجاج القرآن، وأنهم حققوا أصول الدين أعظم من تحقيق الصحابة والتابعين، بل يذكر سبحانه الحجة المناسبة للمطلوب، كقوله تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (974)،

(البقرة: 116-117) ، ويستشهد بآيات أخرى يذكر ما فيها من دلالات (975).

2. ثم يذكر مثالاً آخر على مجيء القرآن بالأدلة البرهانية، وهو دليل إثبات المعاد، يقول في معرض رده على الكلام السابق – للكيا الهراسي أو أحد تلاميذ الجويني : «

---

(973) انظر: درء التعارض (7/362-363).

(974) انظر: المصدر السابق (7/367-368).

(975) انظر: المصدر السابق (7/368-374).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وأما ما ذكره من قوله تعالى (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) (ق:15) وقول ذلك القائل: من أنكر الخلق فلم ينكره لأجل كونه عيي بالخلق الول، فيقال له: مثل هذا الكلام إذا قاله ملحد طاعن في القرآن، كان فيه من الدلالة على جهله وضلاله، مالا يقدر على وصفه الإنسان، وذلك أن الله تعالى في كتابه ذكره من دلائل المعاد وبراهينه مالا يقدر أحد على أن يأتي بقريب منه، وذكر فيه من أصناف الحجج ما ينتفع به عامة الخلق » (976)، ثم شرح أدلة القرآن التي جاءت بطريق الوجود والعيان، وبطريق الاعتبار والبرهان، وشرح هذين الطريقين شرحاً وافياً (977).

3. ثم ذكر مثالاً ثالثاً وهو ما ذكره تعالى من نفي الشركاء معه(978).

ثم يقول شيخ الإسلام معقباً على ما سبق: « ولما كان الطريق إلى الحق هو السمع والعقل، وهما متلازمان، كان من سلك الطريق العلي دله على الطريق السمعي، وهو صدق الرسول، ومن سلك الطريق السمعي بين له الأدلة العقلية، كما بين ذلك القرآن، وكان الشقي المعذب من لم يسلك لا هذا ولا هذا، كما قال أهل النار في قوله تعالى: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (الملك:10) (979).

جـ . كثيراً ما يناقش شيخ الإسلام استدلال الأشاعرة الفاسد ببعض النصوص القرآنية، ومن أمثلة ذلك:

1 . ما وقع فيه أهل الكلام – من الأشاعرة وغيرهم – في تقريرهم للعقائد الإيمانية حين يبدأون في إثبات الصانع أولاً بدليل حدوث الأجسام، ثم إثبات الصفات لله

---

(976) انظر: المصدر السابق (374/7).
(977) درء التعارض (375/7-389).
(978) انظر: المصدر السابق (389/7-394).
(979) انظر: المصدر السابق (394/7).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

بالأدلة العقلية، ثم يتكلمون في السمعيات من المعاد والجنة والنار والإمامة وغيرها، وهذا منهجهم في جميع كتبهم تقريباً، يقول شيخ الإسلام في « قاعدة أولية » مبيناً منهج القرآن في تقرير العقيدة، مستشهداً بصدر سورة البقرة، فبعد أن صنف الخلق إلى ثلاثة أصناف قال بعد ذلك: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) (البقرة:21) ، ثم اتبع ذلك بتقرير النبوة في قوله: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) (البقرة:23) . قال ابن تيمية بعد ذلك: « والمتكلم يستحسن مثل هذا التأليف ويستعظمه، حيث قررت الربوبية ثم الرسالة، ويظن أن هذا موافق لطريقته الكلامية، في نظره في القضايا العقليات أولاً، من تقرير الربوبية، ثم تقرير النبوة، ثم تلقي السمعيات من النبوة كما هي الطريقة المشهورة الكلامية للمعتزلة، والكرامية، والكلابية، والأشعرية ومن سلك هذا الطريق في إثبات الصانع أولاً، بناء على حدوث العالم، ثم إثبات صفاته نفياً وإثباتاً بالقياس العقلي – على ما بينهم منم اتفاق واختلاف إما في المسائل وإما في الدلائل– ثم بعد ذلك يتكلمون في السمعيات من المعاد والثواب والعقاب والخلافة والتفضيل والإيمان بطريق مجملة، وإنما عمدة الكلام عندهم ومعظمه مقاييس تستلزم رج كثير مما جاءت به السنة فلحقهم الذم من جهة الضعف المقاييس التي بنوا عليها، ومن جهة ردهم لما جاءت به السنة » (980)، ثم بين بعد كلامه عن الفرق بين المعتزلة الأشاعرة في هذا الموضوع أن المتكلم أخطأ في ظنه أن طريقة القرآن توافق طريقته ممن وجوه ذكر منمها وجهين عظيمتين:

أحدهما: أن إثبات الصانع في القرآن بنفس آياته، التي يستلزم العلم بها العلم به، وهذه هي الطريقة الفطرية بخلاف الطرق التي أتى بها أهل الكلام من دليل الحدوث أو الإمكان أو غيرها (981).

---

(980) مجموع الفتاوى (7/2).

(981) انظر المصدر السابق (9/2-12).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والوجه الثاني: « أن الله أمر بعبادته التي هي كمال النفوس، وصلاحها، وغايتها، ونهايتها، لم يقتصر على مجرد الإقرار به، كما هو غاية الطريقة الكلامية » (982)، ثم قال عنهم: « فلا وافقوا، لا في الوسائل ولا في المقاصد، فإن الوسيلة القرآنية قد أشرنا إلى أنها فطرية قريبة، موصلة إلى عين المقصود، وتلك [أي طرق أهل الكلام في إثبات الصانع] قياسية بعيدة، ولا توصل إلا إلى نوع المقصود لا إلى عينه، وأما المقاصد: فالقرآن أخبر بالعلم به والعمل له، فجمع بين قوتي الإنسان العلمية والعملية، الحسية والحركية، الإرادية الإدراكية والاعتمادية القولية والعملية، حيث قال: (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) (البقرة:21)، فالعبادة لابد فيها من معرفته، والإنابة إليه والتذلل له، والافتقار إليه وهذا هو المقصود، والطريقة الكلامية إنما تفيد مجرد الإقرار والاعتراف بوجوده » (983). وكلام الله لا يقاس بكلام الخلق، ولولا أن المسلمين ابتلوا بمثل هذا الكلام الذي يقوله هؤلاء، ويقدمونه على كتاب الله وسنة رسوله ε لما كان هناك حاجة إلى تقرير مثل هذه الأصول التي هي من أول مسلمات كل مؤمن ينتسب إلى هذا الدين.

2ـ ومن الأمثلة أيضاً احتجاجهم غير الدقيق ببعض الآيات القرآنية، مثل احتجاجهم بقوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) (الواقعة: 58–59)، على دليل حدوث الأعراض الذي يقولون به، يقول شيخ الإسلام: « وكثير من أهل الكلام يجعل دلالة القرآن والأحاديث من جهة الخبر المجرد، ومعلوم أن ذلك لا يوجب العلم إلا بعد العلم بصدق المخبر، فلهذا يضطرون إلى أن يجعلوا العلوم العقلية أصلاً، كما يفعل أبو المعالي، وأبو حامد، والرازي، وغيرهم، وأئمة المتكلمين يعترفون بأن القرآن بين الأدلة العقلية كما يذكر ذلك الأشعري وغيره، وعبد الجبار بن أحمد وغيره من المعتزلة ».

---

(982) المصدر نفسه (12/2).

(983) مجموع الفتاوى(12/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

« ثم هؤلاء يذكرون أدلة يجعلونها أدلة القرآن، ولا تكون هي إياها كما فعل الأشعري في « اللمع » وغيره حيث احتج بخلق الإنسان، وذكر قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) (الواقعة: 58-59)، لكنم هو يظن أن النطفة فيها جواهر باقية، وأن نقلها في الأعراض يدل على حدوثها، فاستدل على حدوث جواهر النطفة (984). وليست هذه طريقة القرآن ولا جمهور العقلاء، بل يعرفون أن النطفة حادثة بعد أن أن لم تكن، مستحيلة عن دم الإنسان، بالاستحالة، وبعدم المادة الأولى لا تبقى جواهرها بأعيانها دائماً » (985)، ثم يقسم ابن تيمية النظار في نظرتهم إلى دلائل القرآن إلى ثلاث درجات:

- منهم من يعرض عن دلائله العقلية.
- ومنهم من يقر بها، لكن يغلط في فهمها.
- ومنهم من يعرفها على وجهها.

كما أنهم ثلاث طبقات في دلالته الخبرية:

- منهم من يقول: لم يدل على الصفات الخبرية.
- ومنهم من يستدل به على غير ما دل عليه.
- ومنهم من يستدل به على ما دل عليه (986).

3ـ ومن الأمثلة أيضاً احتجاجهم بقصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وما ذكر عنه تعالى أنه قال: (لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) (الأنعام:76)، احتجاجهم بهذه الآية على

---

(984) انظر: اللمع للأشعري (ص: 7)، ت مكارثي، والرسالة إلى أهل الثغر (ص: 35).

(985) مجموع الفتاوي (16/470-471).

(986) مجموع الفتاوي (16/471).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أن دليل حدوث الأجسام جاء في القرآن، وقد رد عليهم ابن تيمية في ذلك طويلاً (987).

د . وشيخ الإسلام وهو يرد على الأشاعرة يفضل مصطلحات القرآن على غيره فيقول – في المناظرة حول الواسطية لما ذكر أن مذهب السلف إثبات الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل – « إني عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحريت في هذه العقيدة [أي الواسطية اتباع الكتاب والسنة، فنفيت ما ذمه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات لأنه لفظ له عدة معان .. وقلت أيضاً: ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى:11)، وقال: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً) (مريم:65)، وكان أحب إلى من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ε وإن كان قد يعني بنفيه معنى صحيح، كما قد يعني به معنى فاسد » (988)، وهذا الكلام الذي يقوله هنا إنما هو في مناظرته مع خصومه الأشاعرة وغيرهم، حول العقيدة الواسطية التي كتبها لعموم المسلمين، ولذلك راعى فيها السهولة والشمول، مع الحرص الشديد على استعمال الألفاظ والمصطلحات الواردة في الكتاب والسنة، فلما ناظروه حولها بين منهجه وأسلوبه فيها، ولما ذكر شيخ الإسلام مسألة المعجزات ذكر أن تسميتها بآيات الأنبياء أولى وأدل على المقصود (989). هـ . خبر الآحاد وإفادته للعلم إذا تلقته الأمة بالقبول، وحجيته في مسائل العقيدة، ومذهب جمهور الأشاعرة في هذه المسألة مشهور، ويتلخص في أن أخبار

---

(987) انظر مثلاً: درء التعارض (310/1، 73/2، 76/4)، وغيرها، وسيأتي لهذه المسألة مزيد إيضاح إن شاء الله تعالى.

(988) مناظرة حول الواسطية، مجموع الفتاوي (166/165/3).

(989) انظر: الجواب الصحيح (67/4).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الآحاد – وهي ما عدا المتواتر – إنما تفيد الظن دون العلم، ومن ثم فلا يحتج بها في العقائد إذا عارضها الدليل العقلي (990)، والأشاعرة كثيراً ما ينسبون إلى جمهور العلماء القول بأن أخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن، ويذكرون هذا عندما يتطرقون إلى هذا الموضوع في مباحث أصول الفقه (991)، ويلاحظ هنا أمور:

الأول: أن الأشاعرة مع قولهم بأن أخبار الآحاد لا تفيد العلم إلا أنهم يحتجون بها في المسائل العملية التي هي مسائل الأحكام والفروع واهتمامهم بالحديث والفقه وأصوله مشهور ومعروف.

الثاني: أنهم يحتجون بأخبار الآحاد ويقررون بها بعض مسائل العقيدة، مثل المعجزات الثابتة للنبي محمد ε غير القرآن، والرؤية، والشفاعة وعذاب القبر، والحساب والميزان والصراط، والإمامة، والتفضيل وغيرها، وهو وإن قالوا إن هذه من قبيل المستفيض المشهور، إلا أنهم يعترفون بأنها دون المتواتر.

لذلك فهم يتناقضون حين يقولون: إن أخبار الآحاد لا تفيد العلم، أو إنها لا يحتج بها في العقيدة، وهو إنما يلجأون إلى هذا حين تورد عليهم الأحاديث الواردة في إثبات الصفات لله تعالى مما يظنون أنها تقضي تشبيهاً أو تجسيماً.

الثالث: أن علماء مصطلح الحديث بحثوا هذه المسألة عند تقسيمهم الحديث إلى متواتر وآحاد، وعند كلامهم عن صحيحي البخاري ومسلم وتلقى الأمة لها بالقبول:

---

(990) انظر مثلاً: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ص: 22)، والتمهيد للباقلاني (ص: 381–386)، ت مكارثي، وأصول الدين للبغدادي (ص: 12، 18)، والإرشاد للجويني (ص: 161، 359، 416)، والشامل (ص: 100، 557)، وأساس التقديس للرازي (ص:168)، وغيرها.

(991) انظر مثلاً: البرهان للجويني (606/1)، والمستصفى للغزالي (ص: 170)، ط الجندي، والتبصرة للشيرازي (ص: 298)، والعدة للقاضي أبي يعلى (898/3)، والمحصول للرازي (جـ 2 ق 1 ص:632)، والأحكام للآمدي (32/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

1ـ فابن الصلاح – رحمه الله – يقول عن المتفق عليه بين البخاري ومسلم: « وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته، والعلم اليقيني النظري واقع به، خلافاً لقول من نفي ذلك محتجاً بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن وإنما تلقته الأمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظن، والظن قد يخطئ، وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قوياً، ثم بان لي أن المذهب الذي اخترناه أولاً هو الصحيح ..» (992)، ثم بين أن حكمة هذا يشمل أيضاً ما انفرد به أحدهما (993).

2ـ تعقب النووي ابن الصلاح فقال في التقريب: « وذكر الشيخ تقي الدين [أي ابن الصلاح] أن ما رواياه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته، والعلم القطعي حاصل فيه، وخالفه المحققون الأكثرون، فقالوا يفيد الظن ما لم يتواتر» (994)، كما وافق النووي وخالف ابن الصلاح عزُّ الدين بن عبد السلام (995).

وكثير من العلماء الذين جاءوا بعد النووي أيدوا ابن الصلاح، ومنهم الحافظ ابن كثير (996)، وسراج الدين البلقيني (997)، وابن حجر (998)، وغيرهم.

فهذا الخلاف إنما ورد على ما في الصحيحين من الأحاديث، وهذا منسحب على ما ورد في غيرهما من الأحاديث الثابتة التي تلقتها الأمة بالقبول.

---

(992) علوم الحديث لابن الصلاح (ص: 24)، وانظر: صيانة صحيح مسلم (ص:85-86-115).

(993) انظر: علوم الحديث (ص: 25).

(994) التقريب للنووي (ص: 40)، وانظر: شرحه لصحيح مسلم (20/1).

(995) انظر: التقييد والإيضاح للعراقي (ص:41).

(996) انظر: الباعث الحثيث (ص: 33)، وانظر: تعليق أحمد شاكر في الحاشية.

(997) انظر: محاسن الاصطلاح (ص: 101).

(998) انظر: النكت على ابن الصلاح (371/1)، وما بعدها، ونزهة النظر (ص: 39)، مع لقط الدرر.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد جاءت مناقشة شيخ الإسلام ابن تيمية لهذه المسألة كما يلي:

1 . التحقيق في المقصود من خبر الواحد حيث يقال: إنه يفيد العلم، لأن البعض يظن أن من قال بهذا القول فإنه يقول بإفادته العلم في كل خبر، وهذا غير صحيح يقول شيخ الإسلام، « إن أحداً من العقلاء لم يقل إن خبر كل واحد يفيد العلم، وبحث كثير من الناس إنما هو في رد هذا القول » (999)، ويقول أيضاً: « ولا يقول عاقل من العقلاء: إن مجرد خبر الواحد أو خبر كل أحد يفيد العلم » (1000) ، وهذا بيان وتحقيق لموطن الخلاف، لأن الذين يقولون إنه يفيد الظن بنوا قولهم على أن خبر الواحد قد يصدق وقد يكذب فكيف يقال: إنه بمجرده يفيد العلم؟ وهذا صحيح بعمومه، ولكن الذين قالوا إنه قد يفيد العلم قيدوه بقيود معلومة كأن تحفة القرائن المؤيدة، أم تتلقاه الأمة بالقبول، أو يرويه الحفاظ الذي عرف عنهم الضبط والإتقان، وغيرها، وهذا الغلط على العلماء الذي بينه شيخ الإسلام ابن تيمية أغضب شيخ الإسلام ابن القيم – رحمه الله – فقال وهو يعرض لهذا الموضوع بعد تفصيل وافٍ مشبعٍ بلغ قرابة المائة صفحة: « المقام التاسع والعاشر: وهو أن قولهم خبر الواحد لا يفيد العلم قضية كاذبة باتفاق العقلاء إن أخذت كلية عامة، وقضية لا تفيد إن أخذت جزئية أو مهملة، فإن عاقلاً لا يقول: كل خبر لا يفيد العلم حتى تنتصبوا للرد عليه كأنكم في شيء وكأنكم قد كسرتم عدو الإسلام فسودتم الأوراق بغير فائدة، حتى كذب بعض الأصوليين كذباً صريحاً لم يقله أحد قط فقال: مذهب أحمد ابن حنبل في إحدى الروايتين عنه: أن خبر الواحد يفيد العلم من غير قرينة، وهو مطرد عنده في خبر كل واحد، فيالله العجب، كيف لا يستحي العاقل من المجاهرة بالكذب على أئمة الإسلام،

---

(999) المسودة (ص:244).

(1000) شرح الأصفهانية (ص:92).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

لكن عذر هذا وأمثاله أنهم يستجيزون نقل المذاهب عن الناس بلازم أقوالهم، ويجعلون لازم المذهب في ظنهم مذهباً » (1001).

2ـ يعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية من أبرز العلماء الذين نبهوا إلى خطأ وقع فيه كثير من المتأخرين – قبل ابن تيمية – وذلك حين نسبوا إلى جمهور العلماء القول بأن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول لا تفيد إلا الظن، وأن القول بإفادته العلم لم يقل به إلا فئة قليلة من الحنابلة وغيرهم، يقول –رحمه الله –: « الصحيح أن خبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم، وعلى هذا فكثير من متون الصحيحين متواتر اللفظ عند أهل العلم بالحديث، وإن لم يعرف غيرهم أنه متواتر، ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم علماء الحديث علماً قطعياً أن النبي ε قاله: تارة لتواتره، وتارة لتلقي الأمة له بالقبول. وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالاسفراييني وابن فورك » (1002)، ويقول أيضاً: « الخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف، وهذا في معنى التواتر (1003)، لكن من الناس من يسميه المشهور والمستفيض، ويقسمون الخبر إلى متواتر ومشهور وخبر واحد، وإذا كان كذلك فأكثر متون

(1001) مختصر الصواعق (445/2)، وكأن ابن القيم يقصد بكلامه الآمدي، لأن ما نقله هو كلامه بحروفه في الأحكام (32/2)، مع تقديم وتأخير.

(1002) مجموع الفتاوي (40/18-41).

(1003) يرد شيخ الإسلام على الذين يقولون، إن التواتر يحصل بالعدد فقط فيقول: « من الناس من لا يسمى متواتراً إلا ما رواه عدد كثير يكون العلم حاصلاً بكثرة عددهم فقط، ويقولون: إن كل عدد أفاد العلم في قضية أفاد مثل ذلك العدد العلم في كل قضية، وهذا ضعيف..» ثم رد عليهم، انظر: مجموع الفتاوي (48/18)، وانظر مناقشة أو في المسودة (ص: 236-237).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

الصحيحين معلومة متقنة تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق وأجمعوا على صحتها، وإجماعهم معصوم من الخطأ » (1004)، وقد أعاد هذا الكلام مرة أخرى، وذكر أن أكثر متون الصحيحين مما يعلم صحته عند علماء الطوائف وعد منه الأشعرية (1005).

بل إن شيخ الإسلام يذكر أن هذا لقول جمهور علماء أصول الفقه، فيقول: « ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، تصديقاً له، أو عملاً به، أنه يوجب العلم، وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة، ومالك والشافعي وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك، ولكن كثيراً من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف في ذلك، وهو قول أكثر الأشعرية كأبي إسحاق وابن فورك.

وأما ابن الباقلاني فهو الذي أنكر ذلك، واتبعه مثل أبي المعالي، وأبي حامد، وابن عقيل، وابن الجوزي، وابن الخطيب، والآمدي، ونحو هؤلاء، والأول هو الذي ذكره الشيخ أبو حامد، وأبو الطيب، وأبو إسحاق، وأمثاله من أئمة الشافعية، وهو الذي ذكره القاضي عبد الوهاب وأمثاله، وهو الذي ذكره أبو يعلى وأبو الخطاب وأبو الحسن بن الزاغوني، وأمثالهم من الحنابلة، وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به، فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم بالحديث، كما أن الاعتبار في الاجتماع على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة » (1006).

(1004) مجموع الفتاوي (18/48-49).

(1005) انظر المصدر السابق (18/70).

(1006) مقدمة في أصول التفسير (ص: 67-68)، ت زرزور، وممن صرح بأنه قد يفيد خبر الآحاد العلم ممن ذكرهم ابن تيمية أبو إسحاق الأسفراييني كما في النكت لابن

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ويذكر شيخ الإسلام رأي ابن الصلاح واعتراض المعترضين فيقول بعد ذكره لنماذج عديدة من أحاديث الآحاد مما تلقته الأمة بالقبول عملا به أو تصديقا له، يقول:« فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين، أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة، والمسألة منقولة في كتب الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، مثل السرخسي وأبي بكر الرازي من الحنفية، وابن خواز منداد وغيره من المالكية، ومثل القاضي أبي يعلي وابن أبي موسى وأبي الخطاب وغيرهم من الحنبلية، ومثل أبي إسحاق الأسفراييني وابن فورك وأبي إسحاق النظام من المتكلمين، وإنما نازع في ذلك طائفة كابن الباقلاني ومن تبعه مثل أبي المعالي والغزالي وابن عقيل، وقد ذكر أبو عمرو بن الصلاح القول الأول وصححه واختاره، ولكنه لم يعلم كثرة القائلين به ليتقوى بهم، وإنما قاله بموجب الحجة الصحيحة، وظن من اعتراض عليه من المشايخ (1007)الذي لهم علم ودين، وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة أن هذا الذي قاله الشيخ أبو عمرو انفرد به عن الجمهور، وعذرهم أنهم يرجعون في هذه المسائل إلى ما يجدونه من كلام ابن الحاجب، وإن ارتفعوا درجة صعدوا إلى السيف الآمدى، وإلى ابن الخطيب، فإن علا سندهم صعدوا إلى الغزالي والجويني والباقلاني» (1008)، ثم ذكر ابن تيمية دليل الجمهور وهو الإجماع (1009).

حجر (377/1)، والشيرازي في اللمع الذي ألفه بعد التبصرة (ص: 40)، والسرخسي في أصوله (291/1-293).

(1007) كالنووي والعز بن عبد السلام –كما تقدم تقريباً –.

(1008) نقله ابن القيم مختصر الصواعق (373/2-374).

(1009) انظر: المصدر السابق (374/2-377)، وهو بحث مهم جداً.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والدليل على أن شيخ الإسلام من أبرز العلماء الذين حققوا هذه المسألة وبينوا خطأ المتكلمين من الأشاعرة الذين حكوا الخلاف زاعمين أن قول الجمهور: أنها تفيد الظن، أن علماء أصول الحديث المحققين لما حققوا في الأمر استشهدوا ونقلوا كلام شيخ الإسلام في تحقيق ذلك، فابن كثير يقول بعد سياق الخلاف بين ابن الصلاح والنووي: « قلت: وأنا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وأرشد إليه، والله أعلم» (1010)، ثم يقول: « –حاشية – ثم وقفت بعد هذا على كلام لشيخنا العلامة ابن تيمية مضمونه أنه نقل القطع بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول عن جماعات من الأئمة [وذكرهم ثم قال بعد نهاية كلام شيخ الإسلام]: « وهو معنى ما ذكره ابن الصلاح استنباطا، فوافق فيه هؤلاء الأئمة» (1011)، ومثله البلقيني في شرحه لمقدمة ابن الصلاح، فإنه قال بعد ذكر الخلاف: « وما قاله ابن عبد السلام والنووي ومن تبعهما ممنوع، فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين– رحمهم الله– [وساق أسماءهم بما يقارب ما في الباعث الحثيث] أنهم يقطعون بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول» (1012)، والبلقيني يقصد ابن تيمية، والكلام الذي نقله هو كلام شيخ الإسلام، وممن نبه إلى هذا ابن حجر حيث قال بعد تلخيص كلام البلقيني: « قلت وكأنه عنى بهذا الشيخ تقي الدين ابن تيمية» (1013)، ثم ساق الحافظ ابن حجر كلاما أطول عن شيخ الإسلام ابن تيمية– نقله عن بعض ثقات أصحابه (1014)– ثم رد ابن حجر

(1010) الباعث الحثيث (ص: 33).

(1011) المصدر السابق (ص: 34).

(1012) محاسن الاصطلاح للبلقيني (ص:101).

(1013) النكت على كتاب ابن صلاح (374/1).

(1014) لعله يقصد ابن القيم، لأنه ذكر في مختصر الصواعق (372/2–374)، ما هو قريب مما ذكره ابن حجر.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

على النووي من عدة وجوه (1015)، وكذا الفتوحي في شرح الكوكب المنير نقل عن ابن تيمية (1016)، فهؤلاء العلماء اعتمدوا في بيان حقيقة الخلاف في هذه المسألة على ما حققه وبينه ابن تيمية رحمه الله تعالى.

3- بقيت مسألة حجية خبر الآحاد في العقيدة، وأصرح من يمثل اعتقاد جمهور الأشاعرة في ذلك الرازي الذي يقول: « أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله تعالى فغير جائز يدل عليه وجوه: الأول: أن أخبار الآحاد مظنونة، فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته، وإنما قلنا إنها مظنونة لأنا أجمعنا على أن الرواة ليسوا معصومين...» ثم ساق أدلة منكري حجية خبر الآحاد التي ذكرها علماء أصول الفقه، ثم قال عن الصحابة في الوجه الثاني « إلا أنا قلنا إن الله تعالى أثنى على الصحابة رضي الله عنهم في القرآن على سبيل العموم، وذلك يفيد ظن الصدق، فلهذا الترجيح قبلنا روايتهم في فروع الشريعة، أما الكلام في ذات الله تعالى وصفاته فكيف يمكن بناؤه على هذه الرواية الضعيفة ؟(1017) » ثم ذكر الرازي من الأسباب الوصع في الحديث وطعن في رواة الحديث بأن الملاحدة قد يروجون عليهم بعض الأحاديث الموضوعة، كما طعن في ضبط الرواة مستشهدا بنقلهم الحديث بالمعنى (1018).

(1015) انظر: النكت (1/377-379).

(1016) انظر: شرح الكوكب المنير (2/249)، المحققة.

(1017) أساس التقديس للرازي (ص: 167-170)، وانظر حول مذهب الأشاعرة في هذا: التسعينة لابن تيمية (ص: 242).

(1018) انظر: المصدر السابق (ص: 170-171).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والأدلة التي ذكرها الرازي هي نفسها أدلة الذين لا يوجبون العمل بخبر الآحاد في الأحكام، وما يجيبهم به الرازي في كتبه الأصولية يجاب به هنا، وكلامه عن أهل الحديث وروايتهم كلام من ليس خبيرا بأحوالهم ومناهجهم.

ولاشك أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد ناقش الرازي في أقواله هذه في نقض التأسيس كما يدل عليه منهجه فيما وصل إلينا من هذا الكتاب الذي تتبع في كلام الرازي كلمة كلمة وجملة جملة، وللأسف لم يصل إلينا على حد علمي- الجزء الخاص بهذه المسألة-، علما بأنه قد وصل جزء من رده على كلام الرازي بعد كلامه في خبر الآحاد، وهو القسم الثالث من أساس التقديس، ورد عليه شيخ الإسلام في الجزء الثاني من نقضه المخطوط (1019). وليس في كتب شيخ الإسلام كلام مطول حول هذا الموضوع، وإنما فيها إشارات سبق نقل بعضها، ولعل ابن القيم- كعادته- لخص كلام شيخ الإسلام مع إضافات وتحقيقات فيما كتبه مطولا حول أخبار الآحاد (1020).

والأدلة التي أوردها شيخ الإسلام ردا على الرازي وغيره هي كما يلي:

أ- نقل ابن تيمية عن ابن عبد البر الخلاف في خبر الآحاد هل يوجب العمل دون العلم أو العلم والعمل جميعا، وبعد ذكر أقوال العلماء في ذلك قال: « وكلهم يروى خبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادى ويوالي عليها، ويجعلها شرعا وحكما ودينا في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة، ولهم في الأحكام ما ذكرنا» . قال ابن تيمية معلقا على هذا: « قلت: هذا الإجماع الذي ذكره في خبر الواحد العدل في

(1019) سبقت الإشارة إلى الجزء الثاني من مخطوط نقض التأسيس حقه أن يكون هو الثالث وأن يقدم عليه الثالث ليصبح الثاني، قارن بين أساس الرازي (ص: 173)، ونقضه المخطوط (199/2).

(1020) انظر: مختصر الصواعق (332/2-446).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الاعتقادات يؤيد قول من يقول: إنه يوجب العلم، وإلا فما لا يفيد علما ولا عملا كيف يجعل شرعا ودينا يوالي عليه ويعادي؟» (1021)، والعجيب أن ابن عبد البر نفسه رجح أنه يوجب العمل دون العلم، فكيف يحتج به في العقائد ولا يوجب علما؟. ويقول شيخ الإسلام أيضا: « مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات» (1022)، ونقل شيخ الإسلام عن ابن عقيل الحنبلي حكاية الخلاف في أحاديث الآحاد الدالة على الصفات هل يقال بظاهرها، أو ترد، أو تقبل وتؤول، ثم رجح القول الثالث وقال: « هذا هو اعتقادنا» ، قال ابن تيمية معلقا: « قلت هذا خلاف ما قرره في انتصاره لأصحاب الحديث، وإن كان كلامه في هذا الباب كثير الاختلاف، وخلاف ما عليه عامة أهل السنة المتقدمين من السلف» (1023).

ب- أن الاعتبار في إفادة أخبار الآحاد العلم إجماع أهل الحديث دون من عداهم، وقد سبقت نقول من كلام شيخ الإسلام في ذلك، وقد أشار شيخ الإسلام إلى إعتراض أوردة ابن الباقلاني ونصه: « فإن قيل: أما الجزم بصدقة فلا يمكن منهم، وأما العمل به [فهو (1024)] الواجب عليهم وإن لم يكن صحيحا في الباطن، وهذا سؤال ابن الباقلاني ». أجاب شيخ الإسلام بقوله: « وأما الجزم بصدقه فإنه يحتف به من القرائن ما يوجب العلم إذ القرائن المجردة قد تفيد العلم بمضمونها، فكيف إذا احتفت بالخبر، والمنازع بنى على هذا أصله الواهي: أن العلم بمجرد الأخبار لا يحصل إلا من جهة العدد، فلزمه أن يقول: ما دون العدد لا يفيد أصلا. وهذا غلط خالفه فيه

(1021) المسودة (ص: 245).

(1022) المسودة (ص: 248).

(1023) المصدر السابق (ص: 249).

(1024) في مختصر الصواعق – مصورة الطبعة الأولى [وهو] وكذا في طبعتي زكريا يوسف – الأولى عام 1380هـ (483/2)، والثانية عام 1400هـ (583/2)، ولعل الصواب ما أثبته.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

حذاق أتباعه. وأما العمل به فلو جاز أن يكون في الباطن كذبا وقد وجب علينا العمل به لا نعقد(1025) الإجماع على ما هو كذب وخطأ في نفس الأمر، وهذا باطل، فإذا كان تلقي الأمة له بالقبول يدل على صدقه لأنه إجماع منهم على أنه صدق مقبول فإجماع(1026) السلف و الصحابة أولى أن يدل على صدقه، فإنه لا يمكن أحدا أن يدعي إجماع الأمة إلا فيما أجمع عليه سلفها من الصحابة والتابعين، وأما بعد ذلك فقد انتشرت انتشارا لا تضبط جميعها» (1027)، ثم ذكر تلقي العلماء لجمهور أحاديث الصحيحين بالقبول ثم قال: « فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم، مفيد لليقين، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين، فإن الاعتبار في الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم، كما لم يعتبر في الإجماع على الأحكام الشرعية إلا العلماء بها دون المتكلمين والنجاة والأطباء، كذلك لا يعتبر في الإجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلله، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم الضابطون لأقواله وأفعاله، المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعيهم، فكما أن العلم بالتواتر يتقسم إلى عام وخاص، فيتواتر عند الخاصة ما لايكون معلوما لغيرهم، فضلا أن يتواتر عندهم، فأهل الحديث لشدة عنايتهم بسنة نبيهم، وضبطهم لأقواله وأفعالع وأحواله، يعلمون نت ذلك علما لا يشكون فيه، مما لا شعور لغيرهم به البتة، فخبر أبي بكر وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وابن مسعود ونحوهم يفيد العلم الجازم الذي يلتحق عندهم بقسم الضروريات. وعند الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام لا يفيد علما، وكذلك يعلمون بالضرورة أن رسول الله

(1025) في مصورة الطبعة الأولى (ولا نعقد) والتصويب من طبعتي زكريا يوسف.
(1026) في المصورة بإجماع والتصويب من طبعتي زكريا يوسف.
(1027) عن مختصر الصواعق (2/374-375)، مصورة الطبعة الأولى 1348هـ.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

ε أخبر أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وعند الجهمية: رسول الله ε أخبر عن خروج قوم من النار بالشفاعة وعند المعتزلة والخوارج لم يقل ذلك، وبالجملة فهم جازمون بأكثر الأحاديث الصحيحة، قاطعون بصحتها عنه، وغيرهم لا علم عنده بذلك» (1028).

فشيخ الإسلام من خلال هذا النص يناقش أهل الكلام ببيان المنهج الصحيح في طريقة طرح الموضوع، لأن هؤلاء المتكلمين يعاملون أنفسهم وكأنهم مثل- بل أفضل- من علماء الحديث الذين هيأهم الله تعالى لحفظ دينه وتبليغ شريعة نبيه محمد ε ، فأفنوا أعمارهم في دراسة السنة وتمحيص أسانيدهم ومتونها، والغوص في عللها ودقائق رواياتها، فيأتي الواحد من هؤلاء المتكلمين ومبلغ علمه ما في كتب ابن سينا والفارابي وابن رشد، أو كتب أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة، وغيرهم، فيقول: خبر الآحاد لا يفيد العلم، ويحتج بأن هذا قول أمثاله- من أهل الكلام – بل ويقلب الموضوع ليدعي أن قوله هو قول الجمهور، وأن القول بأنه يفيد العلم هو قول فئة قليلة ممن يسميهم حشوية أهل الحديث وبعض الحنابلة، فشيخ الإسلام يقرر أن المنهج الحق أن يرجع في كل فن إلى أهله، فكما أن الطب يرجع فيه إلى أهل الطب، فكذلك في المسألة المطروحة يرجع فيها إلى أهل الحديث فينظر في أقوالهم ورأيهم هل يفيد عندهم خبر الآحاد العلم أم لا؟ فإذا أجمعوا على أنه يفيد العلم إذا تلقته الأمة بالقبول فلا يلتفت إلى خلاف من سواهم ممن هم كالعوام في علم الحديث.

وهذا منهج تأصيلي مهم لمن أراد أن يدرس هذا الموضوع، لأن هناك جوانب ينبغي الانطلاق منها، وهو ما فعله ابن القيم – رحمه الله – مما وصل إلينا من مختصر الصواعق.

(1028) المصدر السابق (2/375-376).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جـ . ومن المنهج التأصيلي الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ما نقله عنه ابن القيم، في تحقيق مذهب السلف في هذا الباب وبيان المداخل المهمة فيه، يقول شيخ الإسلام: « وأهل الحديث لا يجعلون حصول العلم بمخبر هذه الأخبار الثابتة من جهة العادة المطردة في حق سائر المخبرين » (1029)، وهذا رد لدعوى أهل الكلام الذين يقولون عن السلف إنهم يرون حصول العلم في خبر كل مخبر، وهذا غلط شنيع عليهم، وقد شرح شيخ الإسلام قولهم بقوله: « بل يقولون ذلك: – وأما ما يرجع إلى المخبر فإن الصحابة الذين بلغوا الأمة سنة نبيهم كانوا أصدق لهجة، وأعظمهم أمانة، وأحفظهم لما يسمعونه، وخصهم الله من ذلك بما لم يخص به غيرهم، فكانت طبيعتهم قبل الإسلام الصدق والأمانة، ثم ازدادوا بالإسلام قوة في الصدق والأمانة، وكان صدقهم عند الأمة وعدالتهم وضبطهم وحفظهم عن نبيهم، أمراً معلوماً لهم بالاضطرار، كما يعلمون إسلامهم وإيمانهم وجهادهم مع رسول الله ε، وكل من له أدنى علم بحال القوم يعلم أن خبر الصديق وأصحابه لا يقاس بخبر من عداهم، وحصول الثقة واليقين بخبرهم فوق الثقة واليقين بخبر من سواهم من سائر الخلق بعد الأنبياء، فقياس خبر الصديق على خبر آحاد المخبرين من أفسد قياس في العالم، وكذلك الثقات العدول الذين رووا عنهم هم أصدق الناس لهجة وأشدهم تحرياً للصدق والضبط، حتى لا تعرف في جميع طوائف بني آدم أصدق لهجة ولا أعظم تحرياً للصدق منهم، وإنما المتكلمون أهل ظلم وجهل يقيسون خبر الصديق والفاروق وأبي بن كعب بأخبار آحاد الناس، مع ظهور الفرق المبين بين المخبرين، فمن أظلم ممن سوى بين خبر الواحد من الصحابة وخبر الواحد من الناس في عدم إفادة العلم، وهذا بمنزلة من سوى بينهم في العلم والدين والفضل » .

(1029) مختصر الصواعق (377/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

- « وأما ما يرجع إلى المخبر عنه: فإن الله سبحانه تكفل لرسولهε ، بأن يظهر دينه على الدين كله، وأن يحفظه حتى يبلغه الأول لمن بعده، فلابد أن يحفظ الله سبحانه حججه وبيناته على خلقه لئلا تبطل حججه وبيناته، ولهذا فضح الله من كذب على رسوله في حياته وبعد مماته وبين حاله للناس..».

- « وأما ما يرجع إلى المخبر به: فإنه الحق المحض، وهو كلام رسول الله ε الذي كلامه وحي، فهو أصدق الصدق، وأحق الحق بعد كلام الله فلا يشتبه بالكذب والباطل على ذي عقل صحيح، بل عليه من النور والجلالة والبرهان ما يشهد بصدقه، والحق عليه نور ساطع يبصره ذو البصيرة السليمة، فبين المخبر الصادق عن رسول الله ε وبين المخبر الكاذب عنه من الفرق كما بين الليل والنهاء والضوء والظلام، وكلام النبوة متميز بنفسه عن غيره من الكلام الصدق، فكيف نسبته (1030)، ولكن هذا إنما يعرفه من له عناية بحديث رسول الله ε وأخباره وسنته، ومن سواهم في عمى عن ذلك، فإذا قالوا أخباره وأحاديثه الصحيحة لا تفيد العلم فهم مخبرون عن أنفسهم إنهم لم يستفيدوا بها العلم، فهم صادقون فيما يخبرون به عن أنفسهم، كاذبون في أخبارهم أنها لا تفيد العلم لأهل الحديث والسنة» ..

- « وأما ما يرجع إلى المُخبر [المُبلغ] فالمخبر نوعان: نوع له علم ومعرفة بأحوال الصحابة وعدالتهم، وتحريهم للصدق والضبط، وكونهم أبعد خلق الله عن الكذب وعن الغلط والخطأ فيما نقلوه إلى الأمة، وتلقاه بعضهم عن بعض بالقبول وتلقته الأمة عنهم كذلك، وقامت شواهد صدقهم فيه، فهذا المخبر يقطع بصدق المخبر ويفيده خبر العلم واليقين لمعرفته بحاله وسيرته، ونوع لا علم لهم بذلك وليس عندهم من المعرفة بحال المخبرين ما عند أولئك، فهؤلاء قد لا يفيدهم خبرهم اليقين».

(1030) كذا في المختصر (379/2)، وطبعة زكريا يوسف الأولى (486/2)، والثانية (586/2)، ولعل الصواب (يشتبه).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثم يعقب شيخ الإسلام بقوله: « فإذا انضم عمل المخبر وعلمه بحال المخبر وإنصاف إلى ذلك معرفة المخبر عنه ونسبة ذلك الخبر إليه أفاد ذلك علماً ضرورياً بصحة تلك النسبة، وهذا في إفادة العلم أقوى من خبر رجل معدم فقير ما يغنيه فأعطاه ذلك، وظهرت شواهد تلك العطية على الفقير، فكيف إذا تعدد المخبرون عنه وكثرت رواياتهم وأحادثيهم بطرق مختلفة، وعطايا متنوعة في أوقات متعددة؟ » (1031).

وحينما تفيد أخبار الآحاد العلم فإنه يحتج بها في العقائد، ومع ذلك فالتفريق بين الأحكام والعقائد أمر استجد في وقت متأخر، أما السلف من الصحابة والتابعين فكانوا يتلقون الأحاديث كلها دون تفريق، ويؤمنون بما جاءت به ويصدقون، ويعملون بما فيها من أحكام، والإسناد الصحيح الذين يروون به حكماً من أحكام الصلاة أو الزكاة أو الحدود أو النكاح فيعملون بمقتضاه هو نفسه الإسناد الذي يروون بطريقه حديثاً في الصفات أو الرؤية أو القدر أو غيره.

دون أن يفرقوا بين هذه الأحاديث المروية التي جاءت بهذا الإسناد.

وحجية خبر الآحاد في العقيدة وإفادته العلم إذا تلقى بالقبول من المسائل التي اهتم بها العلماء، ولابن تيمية إشارات سريعة في بعض كتبه (1032)، وقد أفردت فيه بعض الرسائل والكتب(1033).

(1031) مختصر الصواعق (2/377-380).

(1032) انظر مثلاً: نقض التأسيس المخطوط (2/311-312)، والرد على المنطقيين (ص:37-38)، ومجموع الفتاوي (16/18)، ورفع الملام – مجموع الفتاوي (20/257).

(1033) من أجمعها كتاب أخبار الآحاد في الحديث النبوي للشيخ عبد الله بن جبرين، ورسالة: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام للشيخ ناصر الدين الألباني، وأصل الاعتقاد للدكتور عمر الأشقر، والأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد تأليف سليم الهلالي وغيرها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

و. ولابن تيمية لمحات ووقفات حول السنة والاستدلال بالأحاديث الواردة، وما وقع فيه بعض الناس من أخطاء سواء في الرواية أو الدراية، ويمكن أن نشير إلى الأمثلة التالية:

1ـ حرص شيخ الإسلام مع احتجاجه بالسنة في العقائد(1034) على تمييز الضعيف والموضوع منها، والتنبيه إلى غلط من احتج بها، ومن ذلك قوله: « وآخرون من الزنادقة والملاحدة كذبوا أحاديث مخالفة لصريح العقل لينهجوا بها الإسلام ويجعلوها قادحة فيه، مثل حديث عرق الخيل الذي فيه أنه خلق خيلاً فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق (1035)، فإن هذا وأمثاله لا يكذبه من يعتقد صدقه لظهور كذبه، وإنما كذبه من مقصوده إظهار الكذب بين الناس، كما يقولون: إنه وضعه بعض أهل الأهواء ليقول: إن أهل الحديث يروون مثل هذا، ومع هذا فكل أهل الحديث، متفقون على لعنة من وضعه، ومما يشبه هذا حديث الجمل الأورق وأنه ينزل عشية عرفة على جمل أورق، فيصافح المشاة ويعانق الركبان .(1036).»

(1034) انظر مثلاً: الواسطية، مجموع الفتاوي (3/138-140)، وانظر: المناظرة حولها (3/168).

(1035) حديث موضوع كما نبه إليه شيخ الإسلام، وانظر: الموضوعات لابن الجوزي (1/105)، واللآلئ المصنوعة للسيوطي (1/3).

(1036) هو حديث موضوع، وانظر: الموضوعات لابن الجوزي (1/124)،وأحاديث مختارة من موضوعات الجوزقاني وابن الجوزي للذهبي (ص:40)، واللآلئ المصنوعة (1/27/28)، والفوائد المجموعة (ص:447)، وتنزيه الشريعة المرفوعة (1/138-139).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(1037)، فشيخ الإسلام يثبت حديث النزول الصحيح، وله كتاب مشهور في شرحه، أما مثل هذه الأحاديث الموضوعة فإنه يبين حالهم ويحذر الناس منها(1038).

2ـ يعتبر شيخ الإسلام من أوائل العلماء الذين ألفوا في الرسائل المتعلقة بأحاديث القصاص الموضوعة والضعيفة (1039)، وقد وصلت إلينا رسالة في ذلك ذكر فيها مجموعة من الأحاديث الموضوعة المشتهرة بين الناس في العقائد والعبادات والفضائل وغيرها. كما أنه في كتبه ورسائله كثيراً ما يبين حال بعض الأحاديث التي يتناقلها أهل الكلام والتصوف، ومن أمثلة ذلك:

أ ـ حديث العقل: « إن الله عزوجل لما خلق العقل قال له أقبل، فأقبل ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أشرف منك، فبك آخذ وبك أعطي(1040) » ،قال شيخ الإسلام" « هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم،

(1037) درء التعارض (92/7-93)، وانظر أيضاً (148/1-149)، ومناهج السنة (422/2)، المحققة.

(1038) انظر: منهاج السنة (508/2-510)، المحققة، ودرء التعارض (106/1-108)،وانظر: ابن تيمية وموقفه من التأويل للجلنيد (ص: 330-333).

(1039) انظر: مقدمة تحقيق أحاديث القصاص (ص:15).

(1040) موضوع كما حكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد أورده الغزالي في مواضع من كتبه منها: المعارف العقلية (ص: 28)، وفيصل التفرقة (ص: 182)، وميزان العمل (ص: 331)، وإحياء علوم الدين (83/1)، وحديث العقل رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة بلفظ لما خلق الله العقل، المعجم الأوسط (503/2)، ورقمه (1866)، وأبو نعيم في الحلية (318/7)، عن عائشة بلفظ أول ما خلق الله العقل، والديلمي في الفردوس رقم (4) (46/1)، وأسانيده ضعيفة جداً، وانظر: المقاصد الحسنة (ص: 198)، ت الخشت رقم (233)، وكشف الخفاء (236/1)، والمنار المنيف (ص: 66)، وتسديد القوص لابن حجر، حاشية الفردوس (46/1)، وانظر: الفوائد الموضوعة لمرعي الكرمي الحنبلي (ص: 88)، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدين (231/1)، جمع محمود بن الحداد.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والذين يروونه ذكروه في فضل عقل الإنسان، وأما ما يظن بعض الناس المراد به العقل الفعال فهذا قول من يقول من المعتزلة والملاحدة الذين يقولون بأن العقل الفعال هو المبدع لهذا العالم، وهذا مما هو مخالف لما اتفقت [عليه الرسل] (1041)، وقد بسط شيخ الإسلام الكلام حول هذا الحديث وتكلم في معناه، ورد على الذين يحتجو به من وجوه عديدة (1042).

ب . وحديث: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله، فإذا ذكريوه لم ينكره إلا أهل الغرة بالله تعالى » (1043)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وهذا الحديث وإن لم يكن له إسناد صحيح، فقد ذكره شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي، وأبو حامد الغزالي (1044) وغيرهما، لكن ذكر شيخ الإسلام عن شيخ الهروي يحيى بن عمار أن من هذا أحاديث الصفات الموافقة لقول أهل الإثبات، وأبو حامد قد يحمل هذا – إذا تفلسف – على ما يوافق أقوال الفلاسفة النفاة » (1045).

فحكم عليه شيخ الإسلام بأن ليس له إسناد صحيح.

(1041) أحاديث القصاص (ص: 57–58)، ط الثانية، وانظر أيضاً: جامع الرسائل (168/1)، والرد على المنطقيين (ص: 196–275)، والجواب الصحيح (118/3)، ودرء التعارض (224/5–386)، ومجموع الفتاوي (336/18–338).

(1042) السبعينية (ص: 5–44)، والصفدية (237/1–241).

(1043) رواه الديلمي في مسند الفردوس (258/1)، ورقمه (799)، قال ابن حجر في تسديد القوس – حاشية الفردوس – « أسنده عن أبي هريرة وهو من أربعين السملى في التصوف ، وسنده ضعيف»، وانظر: الترغيب والترهيب (111/1)، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدين (102/1) رقم (83)، وكنز العمال (181/10).

(1044) انظر: الأحياء (21/1).

(1045) انظر: درء التعارض (85/5–86).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جـ . ومن ذلك ما يرويه الصوفية عن عمر – رضي الله عنه – أنه قال: « كان رسول الله ε إذا تكلم مع أبي بكر كنت بينهما كالزنجي الذي لا يفهم » (1046)، قال شيخ الإسلام، « هذا كذب ظاهر لم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث ولا يرويه إلا جاهل أو ملحد » (1047).

وغيرها من الأحاديث 1048.

3ـ رد شيخ الإسلام على أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم في فهمهم لبعض الأحاديث وما فيها من توجيه وبيان حول الإيمان بالله تعالى، ومن ذلك أحاديث الوسوسة كحديث أبي هريرة رض الله عنه قال: قال رسول الله ε :« لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله » ، وفي لفظ « يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك، فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته » (1049)، وكحديث أنس بن مالك يقول قال رسول الله ε لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله

(1046) ذكره في تنزيه الشريعة (407/1)، والأسرار المرفوعة (476)، والفوائد المجموعة (ص:335)، ونقلوا عن ابن تيمية أنه موضوع.

(1047) أحاديث القصاص (ص:61)، وانظر أيضاً: درء التعارض (27/5)، والسبعينية (ص: 56)، ومجموع الفتاوي (109/11،77، 168، 253/13).

(1048) انظر مثلاً: السبعينية (ص: 62–63)، حيث رد على رواية لحديث الافتراق وأن فيها « كلهم في الجنة إلا الزنادقة وقد ذكر هذا الحديث الغزالي في فيصل التفرقة (ص: 193)، وقال فيه شيخ الإسلام إنه كذب موضوع.

(1049) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، ورقمه (134) وما بعده.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

خالق كل شيء، فمن خلق الله؟» (1050)، فإن الرازي ونحوه ظنوا أن هذه الأحاديث ليس فيها برهان وإنما فيها طلب الاستعاذة بالله تعالى، ومثل لذلك بمثال، وهذا جواب من الرازي لسؤال ورد عليه فقيل له: لمَ لم يأمر النبي ε عند هذا الوسواس بالبرهان المبين لفساد التسلسل والدور، بل أمر بالاستعاذة؟ وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: « وهذا خطأ من وجوه، بل النبي ε أمر بطريقة البرهان حيث يؤمر بها، ودل على مجاميع البراهين التي يرجع إليها غاية نظر النظار، ودل من البراهين على ماهو فوق استنباط النظار، والذي أمر به في دفع هذا الوسواس ليس هو الاستعاذة فقط، بل أمر بالإيمان، وأمر بالاستعاذة، وأمر بالانتهاء، ولا طريق إلى نيل المطلوب من النجاة والسعادة إلا بما أمر به لا طريق غير ذلك، وبيان ذلك من وجوه.. » (1051)، وقدبين في هذه الوجوه كيف أن السنة جاءت بأكمل الحجج وأوضحها.

ومما سبق يتبين كيف كان شيخ الإسلام واثقاً من منهج القرآن والسنة وأن فيهما ما يغني ويكفي، وأن الهداية التامة والسير على الصراط المستقيم والأمن من الانحراف لا يحصل ببراهين الفلاسفة والمتكلمين القاصرة والناقصة وإنما يحصل باتباع الوحي والسير على المنهاج النبوي.

ثالثاً: مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم.

وهذا من الأصول العامة في منهج شيخ الإسلام في رده على الأشاعرة، الذين ابتدعوا أموراً لم تكن عند السلف، بل خالفت مذهبهم وعقيدتهم، فانحرفوا عن المنهج

(1050) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال ورقمه (1296)، (فتح الباري 265/13)، ورواه مسلم في الإيمان باب بيان الوسوسة ورقمه (136)، لكن بلفظ « قال الله عزوجل إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا وما كذا حتى يقولوا: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟».

(1051) درء التعارض (308/3-309)، وانظر ما بعدها إلى (ص: 318).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الحق، ووقعوا في كثير من الباطل، والتزموا لوازم كثير من بدع المعتزلة والمتفلسفة، فبين شيخ الإسلام أن مذهب السلف هو الحق والموافق للكتاب والسنة، وأنهم أعرف الناس وأحسنهم فهما للنصوص، وأن كل ما خالف عقيدتهم، أو عارض ما كانوا عليه أو ما فهموه من الكتاب والسنة فهو باطل يجب رده وتحذير أمة الإسلام منه. كما بين أنه إذا كان في الكتاب والسنة ما يغني ويكفي، فالمرجع في تمييز هذه القاعدة المسلمة وتحقيقها هو ما أجمع عليه السلف أو قالوه بياناً وتفسيراً وشرحاً.

ولما كان أهل الكلام – وفيهم الأشاعرة – قد ابتدعوا بعض الأصول والقواعد العقلية المخالفة لمذهب السلف – اضطروا وهم يواجهون معارضة علماء أهل السنة والجماعة إلى أن يبرروا مخالفتهم لمذهب السلف، فجاءت لهم بعض المقالات الغريبة، مثل ما حكاه ابن تيمية عن بعض النفاة أنه قال: « إن طريقة الخلف أعلمن وأحكم، وطريقة السلف أسلم (1052)، لأن طريقة الخلف فيها معرفة النفي، الذي هو عنده الحق، وفيها طلب التأويل لمعاني نصوص الإثبات، فكان في هذه عندهم علم بمعقول، وتأويل لمنقول، ليس في الطريقة التي ظنها السلف، وكان فيه أيضاً رد على من يتمسك بمدلول النصوص، وهذا عنده من إحكام تلك الطريق، ومذهب السلف عنده عدم النظر في فهم النصوص، لتعارض الاحتمالات، وهذا عنده أسلم، لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معانٍ، فتفسيره ببعضها دون بعض فيه مخاطرة، وفي الإعراض عن ذلك سلامة من هذه المخاطرة» (1053).

فهذا ظن أن مذهب السلف هو الإيمان المجرد بألفاظ النصوص، دون فهم لمعانيها ومدلولاتها، ولذلك علّق شيخ الإسلام على هذا بقوله: « فلو كان قد بين وتبين لهذا وأمثاله أن طريقة السلف إنما هي إثبات ما دلت عليه النصوص من الصفات، وفهم

(1052) انظر: حول هذه المقولة إتحاف السادة المتقين (112/2).

(1053) درء التعارض (378/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ما دلت عليه، وتدبره وعقله، وإبطال طريقة النفاة، وبيان مخالفتها لصريح المعقول وصحيح المنقول، علم أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم، وأهدى إلى الطريق الأقوم، وأنها تتضمن تصديق الرسول فيما أخبر به، وفهم ذلك ومعرفته، وأن ذلك هو الذي هو الذي يدل عليه صريح المعقول، ولا يناقض ذلك إلا ما هو باطل وكذب، وأن طريقة النفاة المنافية لما أخبر به الرسول طريقة باطلة شرعاً وعقلاً، وأن من جعل طريقة السلف عدم العلم بمعاني الآيات، وعدم إثبات ما تضمنته من الصفات فقد قال غير الحق، إما عمداً، وإما خطأ، كما أن من قال على الرسول أنه لم يبعث بإثبات الصفات، بل بعث بقول النفاة كان مفترياً عليه » (1054)، فشيخ الإسلام يبين أول سبب أدى إلى مثل هذه المقالة وهو جهل هؤلاء بحقيقة مذهب السلف، وأنهم لو عرفوه حق معرفته على الوجه الحق لعلموا أن مذهب السلف أعلم وأحكم وأسلم وأهدى، ولكن لما جهلوا حقيقة مذهبهم ظنوا أن الخلف جاءوا بالحقائق العقلية المقنعة، وأن السلف كان مذهبهم مجرد التسليم.

ثم هناك مسألة أخرى هي أن الصحابة رضي الله عنهم ما عرف عنهم تلك المقدمات العقلية التي يوردها أهل الكلام في كتبهم، وقد حكى شيخ الإسلام عن الجويني أنه علل ذلك بأمور فيها نوع تجهيل للصحابة وإنقاص من منزلتهم في الإيمان والعلم، يقول شيخ الإسلام: « وقد رأيت أبا المعالي في ضمن كلامه يذكر ما ظاهره الاعتذار عن الصحابو، وباطنه جهل بحالهم مستلزم – إذا طرد – الزندقة والنفاق، فإنه أخذ يعتذر عن كون الصحابة لم يمهدوا أصول الدين، ولم يقرروا قواعده، فقال لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد والقتال عن ذلك، هذا مما في كلامه »

(1054) درء التعارض (5/378-379).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(1055)، وقد بين شيخ الإسلام الدافع لهؤلاء أن يقولوا مثل هذا الكلام، فيقول: « وهذا إنما قالوه لأن هذه الأصول والقواعد التي يزعمون أنها أصول الدين قد علموا أن الصحابة لم يقولوها، وهم يظنون أنها أصول صحيحة، وأن الدين لا يتم إلا بها، وللصحابة رضي الله عنهم أيضاً من العظمة في القلوب ما لم يمكنهم دفعه حتى يصيروا بمنزلة الرافضة القادحين في الصحابة، ولكن أخذوا من الرفض شعبة، كما أخذوا من التجهم شعبة، وذلك دون ما أخذته المعتزلة من الرفض والتجهم حين غلب على الرافضة التجهم وانتقلت عن التجسيم إلى التعطيل والتجهم، إذ كان هؤلاء نسجوا على منوال المعتزلة لكن كانوا أصلح منهم وأقرب إلى السنة وأهل الإثبات في أصول الكلام، ولهذا كان المغاربة الذين اتبعوا محمد بن التومرت المتبع لأبي المعالي أمثل وأقرب إلى الإسلام من المغاربة الذين اتبعوا القرامطة وغلوا في الرفض والتجهم، حتى انسلخوا من الإسلام، فظنوا أن هذه الأصول التي وضعوها هي أصول الدين، الذي لا يتم الدين إلا بها، وجعلوا الصحابة حين تركوا أصول الدين كانوا مشغولين عنه بالجهاد، وهم في ذلك بمنزلة كثير من جندهم ومقاتلتهم الذين قد وضعوا قواعد وسياسية للملك والقتال فيها الحق والباطل، ولم نجد تلك السيرة تشبه سيرة الصحابة، ولم يمكنهم القدح فيهم، فأخذوا يقولون: كانوا مشغولين بالعلم والعبادة عن هذه السيرة وأبهة الملك الذي وضعناه، وكل هذا قول من هو جاهل بسيرة الصحابة، وعلمهم، ودينهم، وقتالهم، [ومن (1056)] كان لا يعرف حقيقة أحوالهم، فلينظر إلى آثارهم، فإن الأثر يدل على المؤثر، هل انتشر عن أحد المنتسبين إلى القبلة أو عن أحد من

(1055) لم أجد هذا الكلام فيما هو مطبوع من كتب الجويني، ولعله في كتاب الشامل الذي لم يطبع إلا جزء منه، أو في أحد كتبه الأخرى المخطوطة أو المفقودة، وقد سبق عند الحديث عن الجويني وعقيدته ومنهجه نقل نص قريب من هذا. انظر (ص:619).

(1056) في المطبوعة من التسعينية « ومن » .

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأمم المتقدمين والمتأخرين من العلم والدين ما انتشر وظهر عنهم، أم هل فتحت أمة البلاد وقهرت العباد كما فعلته الصحابة رضوان الله عليهم، ولكن كانت علومهم وأعمالهم وأقوالهم وأفعالهم حقاً، باطناً وظاهراً، وكانوا أحق الناس بموافقة قولهم لقول الله، وفعلهم لأمر الله... والأدلة الدالة على تفضيل القرن الأول ثم الثاني أكثر من أن تذكر، ومعلوم أن أم الفضائل العلم والدين والجهاد، فمن ادعى أنه حقق من العلم بأصول الدين أو من الجهاد ما لم يحققوه كان من أجهل الناس وأضلهم، وهو بمنزلة من يدعي من أهل الزهد والعبادة والنسك أنهم حققوا من العبادات والمعارف والمقامات والأحوال ما لم يحققه الصحابة » (1057). فشيخ الإسلام يذكر ثلاث طوائف ادعت كل طائفة أنها حققت ما لم يحققه الصحابة:

- المتكلمون: في مقدماتهم العقلية وأصولهم الفلسفية.
- وأهل السياسات في سياساتهم في الملك والجهاد المشتملة على الحق والباطل.
- وأهل التصوف في أحوالهم ومقاماتهم.

والعجيب أن المتكلمين يقولون: إن الصحابة كانوا مشغولين بالجهاد والقتال في سبيل الله، وأهل السياسات البدعية يقولون: إن الصحابة كانوا مشغولين بالعلم والعبادة عن أبهة الملك وسياستهم فيه. أما أهل التصوف والأحوال فقد بلغ بهم ما هو أشد حين فضل غلاتهم نفوسهم وطرقهم على الأنبياء وطرقهم (1058).

ولما كانت مسألة مزية السلف من الصحابة وغيرهم من أهل القرون المفضلة، وكونهم أحق الناس بوصف الاتباع والإيمان، وأكثر الناس فهماً عن الله وعن رسوله ε ركز شيخ الإسلام ابن تيمية على تقرير ذلك بالطرق التالية:

(1057) التسعينية (ص: 256-257).

(1058) أشار إلى ذلك شيخ الإسلام في المصدر السابق (ص:257).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

1ـ بيان عظم منزلة الصحابة – رضي الله عنهم – ولقد صار هذا شعاراً واضحاً لأهل السنة، يذكرونه في عقائدهم، ويبينون فيها منزلتهم، وأن كل من تنقص أحداً منهم فقيه شعبة من شعب الرفض، كما صار علماء أهل السنة يرجعون إلى أقوالهم ويتمسكون بها في العقائد، وينقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد أنه قال في رسالة عبدوس بن مالك العطر – أحد رفقاء الإمام أحمد الذين يأنس بهم ويقدمهم – « أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ε (1059)ويقول شيخ الإسلام في معرض الرد على الغزالي، مبيناً منزلة الصحابة: « وكل من له لسان صدق من مشهور بعلم أو دين معترف بأن خير هذه الأمة هم الصحابة، وأن المتبع لهم أفضل من غير المتبع لهم، ولم يكن في زمنهم أحد من هذه الصنوف الأربعة (1060)، ولا تجد إماماً في العلم والدين كمالك، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، ومثل الفضيل، وأبي سليمان، ومعروف الكرخي، وأمثالهم، إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدي بعلم الصحابة، وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة، وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب، والذين اتبعوهم من أهل الآثار النبوية، وهم أهل الحديث والسنة العالمون بطريقتهم، المتبعون لها، وهم أهل العلم بالكتاب والسنة في كل عصر، فهؤلاء الذين هم أفضل الخلق من الأولين والآخرين لم يذكرهم أبو حامد » (1061). ونقل شيخ الإسلام عن الشيخ أبي الحسن محمد بن

(1059) مجموع الفتاوي (155/4)، وانظر النص في رسالة عبدوس بن مالك – مع ترجمته في طبقات الحنابلة (241/1).

(1060) الذين ذكر الغزالي أن فرق الطالبين للحق انحصرت فيهم، وهم: المتكلمون والباطنية، والفلاسفة والصوفية، انظر المنقذ من الضلال (ص:89).

(1061) شرح الأصفهانية (ص: 89).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

عبد الملك الكرجي الشافعي في كتابه الذي سماه « الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاماً لذوي البدع والفضول » لما تحدث عن التأويل الذي قد يرد عن السلف، مثل استوى: استقر :(وهو معكم) أي علمه، قال: « إن كان السلف صحابياً فتأويله مقبول، متبع، لأنه شاهد الوحي والتنزيل، وعرف التفسير والتأويل، وابن عباس من علماء الصحابة، وكانوا يرجعون إليه في علم التأويل.. فأما إذا لم يكن السلف صحابياً نظرنا في تأويله فإن تابعه عليه الأئمة المشهورن (1062) من نقله الحديث والسنة ووافقه الثقات الإثبات تابعناه، وقبلناه ووافقناه، فإنه لم يكن إجماعاً حقيقة إلا أن فيه مشابهة الإجماع، إذ هو سبيل المؤمنين، وتوافق المتقين، الذين لا يجتمعون على الضلالة» (1063).

وفي مكان آخر يبين شيخ الإسلام أن الصحابة كانوا أعلم الناس بالقرآن ومعانيه (1064)، وأنهم كانوا يجادلون أهل الأهواء ويفحمونهم بالحجة والبرهان (1065)، وأنهم كانوا يسألون عما يشكل عليهم، ويذكر نماذج عديدة لذلك (1066)، كما بين الصحابة إذا تنازعوا فإنهم يردون ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة، ويذكر لذلك بعض الأمثلة المشهورة (1067)، والصحابة كان منهجهم التسليم ولم تكن تلك

(1062) في المخطوطة: المشهورين.

(1063) نقض التأسيس المخطوط (3/216-217).

(1064) انظر: نقض التأسيس المخطوط (2/71-71).

(1065) انظر: تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، لابن تيمية، قطعة منه نقلها ابن عبد الهادي في العقود الدرية (ص: 31).

(1066) انظر: درء التعارض (7/45-55).

(1067) انظر: المصدر السابق (1/272-273).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

النصوص والأخبار التي يتلقونها عن الله ورسوله تعارض معقولاتهم، ولو وقع شيء من ذلك لأوجب الحيرة والألم والفساد (1068).

2ـ أن السلف عموماً – وفيهم الصحابة – أكمل الناس علماً، وأدقهم نظراً، وأبرهم قلوباً، وأقلهم تكلفاً، وإذا كانوا كذلك فإليهم وإلى أقوالهم يجب الرجوع:

أ . يقول شيخ الإسلام : « ومن تدبر كلام أئمة السنة والمشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظراً، وأعلم الناس في هذا الباب بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأن أقوالهم هي الموافقة للمنصوص والمعقول، ولهذا تأتلف ولا تختلف، وتتوافق ولا تتناقض، والذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة، فلم يعرفوا حقيقة المنصوص والمعقول، فتشعبت بهم الطرق، وصاروا مختلفين في الكتاب مخالفين للكتاب، وقد قال تعالى: (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (البقرة:176) ، ولهذا قال الإمام أحمد في أول خطبته فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهمية: « الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه؟ وكم من ضال تائه قد هدوه؟ فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب .. »

(1068) انظر: الفرقان بين الحق والباطل، مجموع الفتاوي (29/13)، وانظر درء التعارض (44/7-45).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(1069)، وقد قام هؤلاء – وفيهم الإمام أحمد – بواجبهم في الدفاع عن مذهب السلف، ومقاومة أهل البدع فرحمهم الله جميعاً.

ب . ويقول شيخ الإسلام في معرض رده الطويل على الرازي حول المحكم والمتشابه: « أهل السنة وأهل المعرفة بحديث رسول الله ε والطائفة المتبعون لذلك هم أكمل علماً وعملاً من غيرهم، فهم أعلم الناس يقيناً ومعرفة لاتباعهم، متابعة الرسول لهم بكلامه، وعلمهم بذلك ونطقهم به » (1070).

جـ . ويقول أيضاً: « وكل من أمعن نظره وفهم حقيقة الأمر علم أن السلف كانوا أعمق من هؤلاء علماً، وأبر قلوباً، وأقل تكلفاً، وأنهم فهموا من حقائق الأمور ما لم يفهمه هؤلاء الذين خالفوهم، وقبلوا الحق وردوا الباطل » (1071).د . ويشرح شيخ الإسلام سبب كونهم أعلم وأحكم فيقول: « وأما كونهم أعلم ممن بعدهم وأحكم، وأن مخالفهم أحق بالجهل والحشو، فنبين ذلك بالقياس المعقول من غير احتجاج بنفس الإيمان بالرسول، كما قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) (فصلت:53)، فأخبر أنه سيريهم الآيات المرئية المشهودة حتى يتبين لهم أن القرآن حق، ثم قال: (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت:53)، أي بإخبار الله ربك في القرآن وشهادته بذلك فنقول: من المعلوم أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال، ويمتازون عنهم بما ليس عندهم، فإن المنازع لهم لابد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريقاً أخرى، مثل المعقول والقياس والرأي والكلام والنظر والاستدلال والمحاجة والمجادلة، والمكاشفة

(1069) انظر: درء التعارض (2/301–302)، وكلام الإمام أحمد في أول الرد على الزنادقة والجهمية (ص: 52)، ضمن عقائد السلف ، (ص:85) ت عميرة.

(1070) نقض التأسيس المخطوط (2/319).

(1071) انظر:درء التعارض (3/454)، وانظر أيضاً (7/387).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والمخاطبة والوجد والذوق، ونحو ذلك، ونحو ذلك، وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها، فهم أكمل الناس عقلاً، وأعدلهم قياساً، وأصوبهم رأياً، وأسدهم كلاماً، وأصحهم نظراً، وأهداهم استدلالاً، وأقومهم جدلاً، وأتمهمن فراسةً، وأصدقهم إلهاماً، وأحدّهم بصراً ومكاشفةً، وأصوبهم سمعاً ومخاطبةً، وأعظمهم وأحسنهم وجداً وذوقاً، وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمم، ولأهل السنة والحديث بالنسبة إلى سائر الملل، فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحد وأسد عقلاً، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال، وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك ممتعين؛ وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً) (محمد:17)، وقال: (فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً* وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً* وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) (النساء: 66-68) (1072)، ثم بين شيخ الإسلام أن ذلك يعلم بعدة أمور:

- تارة بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم حيث يتبين أن الحق معهم.
- وتارة بإقرار واعتراف مخالفيهم: إما برجوعهم إلى مذهب السلف أو بشهادتهم على مخالفي مذهب السلف بالضلال.
- وتارة بشهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض.
- وتارة باعتصام كل طائفة بهم فيما خالفت فيه الطائفة الأخرى (1073).

3ـ أن أهل الحديث من السلف قاموا بمهمة كبرى، وتحملوا مسؤولية عظمى كان من آثارها أن تميزت هذه الأمة بميزة لم تكن لغيرها من الأمم، وذلك بما صار للمسلمين من خاصية الإسناد والرواية، التي حفظت بها معاني القرآن من أن يدخل

(1072) نقض المنطق (ص:7-8).

(1073) انظر:المصدر السابق (ص:8) وما بعدها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فيها بالتحريف والتبديل، وحفظت بها السنة من أن يدخل فيها بالزيادة أو النقص، فنشأ علم الجرح والتعديل، وصدقهم أو كذبهم، ومعرفة الرواة ونقد الرجال أو فسقهم، بل فوق ذلك فيما يتعلق بقوة ضبطهم وحفظهم أو خفة ضبطهم ونسيانهم التي يتفاوت فيها حتى أهل الصلاح والتقوى، والعمل الصالح، فأهل الحديث بهذه الميزة صاروا – بتوفيق الله لهم – هم الأمناء على تبليغ وحي الله تعالى وحفظه، وإذا كانوا كذلك فهل من المعقول أن يعاملوا كغيرهم من الناس أو أن ينظر إلى علمهم وفقههم في دين الله كما ينظر إلى من عداهم ممن ليس له في تلك الجهود العظيمة نصيب، يقول شيخ الإسلام: « أقام الله تعالى الجهابذة النقاد، أهل الهدى والسداد، فدحروا حزب الشيطان، وفرقوا بين الحق والبهتان، وانتدبوا لحفظ السنة ومعاني القرآن من الزيادة في ذلك والنقصان..

وقام علماء النقل والنقاد بعلم الرواية والإسناد، فسافروا في ذلك إلى البلاد، وهجروا فيها لذيذ الرقاد، وفارقوا الأموال والأولاد، وأنفقوا فيه الطارف والتلاد، وصبروا فيه على النوائب، وقنعوا من الدنيا بزاد الراكب، ولهم في ذلك من الحكايات المشهورة والقصص المأثورة، ما هو عن أهله معلوم، ولمن طلب معرفته معروف مرسوم، بتوسد أحدهم التراب، وتركهم لذيذ الطعام والشراب، وترك معاشرة الأهل والأصحاب، والتصبر على مرارة الاغتراب، ومقاساة الأهوال الصعاب، أمر حببه الله إليهم وحلاه ليحفظ بذلك دين الله كما جعل البيت مثابة للناس وأمناً، يقصدونه من كل فج عميق، ويتحملون فيه أموراً مؤلمة تحصل في الطريق، وكما حبب إلى أهل القتال الجهاد بالنفس والمال، حكمة من الله يحفظ بها الدين، ليهدي المهتدين، ويظهر به الهدى ودين الحق الذي بعث به رسوله ولو كره المشركون» (1074)، ثم يقول: « وأهل العلم المأثور عن الرسول أعظم الناس قياماً بهذه الأصول لا تأخذ أحدهم في الله لومة لائم، ولا يصدهم

(1074) مجموع الفتاوي (1/7-8).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

عن سبيل الله العظائم، بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه، ويتكلم في أحب الناس إليه.. ولهم من التعديل والتجريح، والتضعيف والتصحيح من السعي المشكور والعمل المبرور، ما كان من أسباب حفظ الدين، وصيانته عن أحداث المفترين، وهم في ذلك على درجات: منهم المقتصر على مجرد النقل والرواية، ومنهم أهل المعرفة بالحديث والدراية، ومنهم أهل الفقه فيه والمعرفة بمعانيه.. ولم يزل أهل العلم في القديم والحديث يعظمون نقلة الحديث حتى قال الشافعي رضي الله عنه: إذا رأيت رجلاً من أهل الحديث فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي ε (1075)، وإنما قال الشافعي هذا لأنهم في مقام الصحابة من تبليغ حديث النبي ε (1076)». فهذا الإمام العظيم – الشافعي –الذي تنتسب إليه طوائف عظيمة من الأشعرية هو الذي يحمل لأهل الحديث هذه المنزلة، بل إنه يقول فيهم: « لولا أصحاب الحديث لكنا بياع القول » (1077)، وهو الذي يقول لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل وأصحابه: « أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني إن شاء يكون كوفياً أو بصرياً أو شامياً، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً » (1078)، وهؤلاء الذين يقول

(1075) رواه البيهقي في المدخل (ص: 391)، ورقمه (689)، وفي مناقب الشافعي (477/1)، كما رواه أبو نعيم في الحلية (109/9)، ورواه أيضاً الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: 46)، لكن بلفظ: « إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيت النبي ε حياً ».

(1076) مجموع الفتاوي (10/1-11).

(1077) مناقب الشافعي (477/1).

(1078) المدخل للبيهقي (ص: 172-173)، ورقمه (173-174)، ومناقب الشافعي (47641)، وآداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي (94-95)، وأبو نعيم في الحلية (170/9)، وابن عبد البر في الانتقاء (ص: 75)، وتذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (ص: 29)، وانظر أعلام الموقعين (288/2)، ت الوكيل.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فيهم الشافعي هذا الكلام ويعترف لهم هذا الاعتراف هم الذي يصمهم بعض الأشعرية بأنهم حشوية.

وأهل الحديث لاشتغالهم بخدمة السنة وروايتها فهم: « أخص بمعرفة ما جاء به الرسول، ومعرفة أقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فإليهم المرجع في هذا الباب، لا إلى من هو أجنبي عن معرفته، ليس له معرفة بذلك، ولولا أنه قلد في الفقه لبعض الأمثلة لكان في الشرع مثل آحاد الجهّال من العامة» (1079). والسلف المتقدمون أعظم تحقيقاً ممن جاء بعدهم، « ومن أتاه الله علماً وإيماناً علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلا ما هو دون تحقيق السلف، لا في العلم، ولا في العلم، ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات والعمليات علم أن مذهب الصحابة دائماً أرجح من قول من بعدهم، وأنه لا يبتدع أحد قولاً في الإسلام إلا كان خطأ وكان الصواب قد سبق إليه من قبله » (1080).

فهؤلاء هم أهل الحديث وهم أعلام السلف، نقلوا السنة وفهموها، وكان علمهم بها بلغ منزلة لا يمكن أن يصل إليها من جاء بعدهم، وهذا في كل ما نقلوه من أحاديث الأحكام والعقائد والآداب وغيرها.

4. وجوب الرجوع إلى كلام الصحابة والسلف في فهمهم للعقيدة وشرحهم لها، وهذه من القضايا الأساسية في باب العقائد، لأن القرآن الكريم وصل إلينا دون تحريف، وسنة رسول الله ε وصلت إلينا، وميز الصحيح منها عن الضعيف، ولكن من الذي يشرح نصوص الكتاب والسنة ويفسرها، ويوضحها للناس، ويستخلص منها ما يجب اعتقاده، هل يترك هذا لكل متكلم برأيه وهواه وفهمه القاصر أن يقول فيها ما يراه حقاً

(1079) انظر: درء التعارض (32/7).

(1080) الإيمان (ص: 417)، ط المكتب الإسلامي.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وصواباً؟ ثم حين يقع الاختلاف بين الناس في فهم بعض النصوص فمن الذي يرجع إليه في بيان الحق من الباطل؟.

لقد أولى شيخ الإسلام وهو يرد على أهل الكلام – من الأشاعرة وغيرهم – هذه المسألة اهتماماً كبيراً، فبين أن تفسير النصوص – خاصة ما وقع فيه خلاف بين المتأخرين، – يجب الرجوع فيه إلى فهم الصحابة والسلف، وإلا انفتح لكل متأوّل وفيلسوف وقرمطي وصوفي غال أن يفسر كتاب الله وسنة رسوله ε بما يشاء، وقد جاء تقرير شيخ الإسلام لذلك كما يلي:

أ- بيانه أن الصحابة والسلف كانوا عالمين بتفسير النصوص، عارفين بدلالاتها، وأنهم بلغوها وعلموها من جاء بعدهم، يقول شيخ الإسلام في الحموية: « ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة – القرن الذي بعث رسول الله ε ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم– كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك: إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع:

« أما الأول: فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم، أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه، ومعرفة الحق فيه، أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه، أعني بيان ما يجب اعتقاده، لا معرفة كيفية الرب وصفاته، وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى – الذي هو من أقوى المقتضيات – أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة، في مجموع عصورهم؟ هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضاً عن الله، وأعظمهم إكباباً على طلب الدني والغفلة عن ذكر الله تعالى، فكيف يقع في أولئك؟ ».

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

« وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه، فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم » (1081).

وقد واجه شيخ الإسلام بهذا الكلام أشاعرة عصره الذين كانوا في وقتهم يعولون على تأويلات الجويني والغزالي والرازي والآمدي في كتبهم الكلامية، التي خالفوا فيها مذهب الصحابة والسلف، وأتوا بتأويلات لنصوص الصفات وغيرها لم يعرفها السلف وخير القرون.

ب . أنه يجب الرجوع إلى ما قاله الصحابة والسلف حول النصوص، لأن أقوالهم هي التي تفصل الخلاف في هذا الباب، يقول شيخ الإسلام – في معرض الرد على الرازي – : « والطريق إلى معرفة ما جاء به الرسول أن تعرف ألفاظه الصحيحة، وما فسرها به الذي تلقوا عنه اللفظ والمعنى، ولغتهم التي كانوا يتخاطبون بها، وما حدث من العبارات وتغير من الاصطلاحات » (1082). ومعنى ذلك أنه لابد من ثلاثة أمور :

- معرفة الألفاظ الصحيحة الثابتة عن النبي ε وتمييزها عن الأحاديث والألفاظ الضعيفة والباطلة.
- ثم بمعرفة ما فسرها به الصحابة الذين تلقوا عن النبي ε ألفاظ النصوص ومعانيها، فهم أعرف الخلق بها.
- ثم ونحن نتلقى ما قالوه في تفسيرهم وشرحهم للنصوص لابد من معرفة اللغة والمصطلحات التي كانوا يتخاطبون، حتى لا تختلط بالمصطلحات الحادثة التي جاءت عند المتأخرين وهي تحمل معاني ودلالات خاصة.

(1081) الحموية، مجموع الفتاوي (5/7–8).

(1082) نقض التأسيس المطبوع (1/159).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وبهذا الفهم والتدرج في تلقي عقيدة السلف، وتفسيرهم لنصوص الكتاب والسنة، نأمن من الخطأ والزلل في تفسير النصوص، أو تحميل أقوالهم وعباراتهم ملا تتحمله من المعاني الفاسدة.

جـ . ولما كان شيخ الإسلام في مصر – إبان محنته المشهورة – سنة 712هـ، حصل نزاع بين بعض المغاربة المالكين حول صفات الله والعلو على العرش: هل يجب معرفة هذا والبحث عنه، أو أنه يكره، والقائل به مجسم حشوي، وما الدليل على أنه يجب على الناس أن يعتقدوا إثبات الصفات والعلو على العرش؟ (1083).

وقد أجاب شيخ الإسلام بجواب عظيم سمي بالقاعدة المراكشية، وهي من القواعد المهمة والنادرة لشيخ الإسلام، وقد بين فيها أن الصحابة والتابعين تلقوا العلم والعمل جميعاً، وأنهم كانوا أشد الناس حرصاً على تفهم كتاب الله وسنة رسوله ε والعمل بهما، وكيف لا يكونون كذلك وأبو عبد الرحمن السلمي يقول: « لقد حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله ابن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ε عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قال: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً » (1084)،وأقام عبد الله بن عمر في تعلم البقرة ثماني سنين (1085).؟

(1083) انظر: القاعدة المراكشية (ص: 23–24) ، محققة.

(1084) رواه الإمام أحمد في مسنده (410/5)، والحاكم في المستدرك (557/1)، والطبري في تفسيره (80/1)، ط شاكر، كلهم من طريق عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، كما صححه أحمد شاكر في حاشية الطبري، ولكن الهيثمي قال في مجمع الزوائد (165/1)، : « في إسناده عطاء بن السائب اختلط في آخر عمره (انظر في ترجمة عطاء الكامل 1999/5، وميزان الاعتدال 70/3، والكاشف 265/2، وتهذيب التهذيب 203/7)، ومما يلاحظ أن الذين رووا عن عطاء عند أحمد والحاكم والطبري هم شريك، وجرير، وابن فضيل، وهؤلاء ذكر ابن حجر وغيره أنخم رووا عن

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

ثم قال شيخ الإسلام: « وهذا معلوم من وجوه:

« أحدهما: أن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم، لفظاً ومعنى، بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد، فإنه قدعلم أنه من قرأ كتاباً في الطب أو الحساب أو النحر أو الفقه، أو غير ذلك فإنه لابد أن يكون راغباً في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن قرأوا كتاب الله المنزل إليهم الذي به هداهم الله، وبه عرفهم الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والرشد والغي، فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات، بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثاً فإنه يرغب في فهمه، فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه؟ بل ومن المعلوم أن رغبة رسول الله ε في تعريفهم معاني القرآن العظيم أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه، فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تحصل المقصود إذ اللفظ إنما يراد للمعنى » .

« الوجه الثاني: أن الله قد حضهم على تدبره وتعقله واتباعه في غير موضع كما قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) (صّ:29)، وقال تعالى : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:24)، وقال تعالى: (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ) (المؤمنون:68)، وقال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) (النساء:82)، فإذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره على أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين فهمها

عطاء بعد اختلاطه – انظر التهذيب – حيث نص على ذكر جرير وابن فضيل، وأدخل معهما من كان في طبقتهما، وشريك من طبقتهما، والحديث يتقوى بالطريق الآخر الذي رواه ابن جرير، قبل الحديث السابق – عن الأعمش عن شقيق عن ابن سعود – وقد صححه أحمد شاكر.

(1085) رواه مالك في الموطأ كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن (205/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومعرفتها، فكيف لا يكو ذلك ممكناً للمؤمنين، وهذا يبين أن معانيه كانت معروفة بينة لهم» .

« الوجه الثالث: أنه قال تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف:2)، وقال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الزخرف:3)، فبين أنه أنزله عربياً لأن يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه».

« الوجه الرابع: أن ذم من لا يفهمه: فقال تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً) (الاسراء:45-46)، وقال تعالى: (فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً)(النساء:78)، فلو كان المؤمنون لا يفقهوه أيضاً لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله به » .

« الوجه الخامس: أنه ذم من لم يكن حظه من السماع إلا سماع الصوت دون فهم المعنى واتباعه، قال تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ) (البقرة:171)، وقال تعالى: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) (الفرقان:44)، وقال: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) (محمد:16)، وأمثال ذلك، وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت الرسول ε ولم يفهموا، وقالوا: ماذا قال آنفاً؟ أي الساعة، وهذا كلام من لم يفقه قوله، فقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) (محمد: 16)، فمن جعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان غير عالمين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين فيما ذمهم الله عليه».

« والوجه السادس: أن الصحابة رضي الله عنهم فسروا للتابعين القرآن، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره أوقفه عند كل آية

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وأسأله عنها (1086)، ولهذا قال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به (1087)، وكان ابن مسعود يقول: « لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته » (1088)، وكل واحد من أصحاب ابن مسعود وابن عباس نقلوا عنه من التفسير ما لم يحصه إلا الله، والنقول في ذلك عن الصحابة والتابعين معروفة عند أهل العلم بها » (1089). فهذه الوجوه دالة على أن الصحابة كانوا أعلم الناس بما دلت عليه النصوص ولذلك فإليهم المرجع في تفسير النصوص وفهمها.

د . أن ما وجد من خلاف بين الصحابة في تفسر القرآن لم يكن من اختلاف التباين الذي تتعارض فيه الأقوال، وإنما هو من اختلاف التنوع حيث يصدق الأقوال بعضها بعضاً، يقول شيخ الإسلام: « عامة تفاسير السلف ليست متباينة، بل تارة يصفون الشيء والواحد بصفات متنوعة، وتارة يذكر كل منهم من المفسِّر نوعاً، أو شخصاً على سبيل المثال لتعريف السائل، بمنزلة الترجمان الذي يقال له ما الخبر فيشير إلى شيء معين على سبيل التمثيل » (1090)، ويقول أيضاً جواباً لاعتراض يقول: أن الصحابة اختلفوا في تفسير القرآن اختلافاً كثيراً ولو كان ذلك معلوماص عندهمن عن رسول الله ε – لم يختلفوا فيه – يقول شيخ الإسلام: « يقال: الاختلاف الثابت عن الصحابة، بل وعن أئمة التابعين في القرآن أكثره لا يخرج عن وجوه:

« أحدهما: أن يعبر كل منهم عن معنى الإسلام بعبارة غير عبارة صاحبه..

(1086) رواه الطبري في تفسيره (90/1) رقم 108.

(1087) رواه الطبري في تفسيره (91/1)رقم 109.

(1088) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ε ورقمه 5002، فتح الباري (47/9).

(1089) القاعدة المراكشية (ص: 29–32).

(1090) نقض التأسيس المخطوط (67/2)، وانظر أيضاً (347/2–352).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومثال هذا في التفسير كلام العلماء في تفسير الصراط المستقيم، فهذا قول: هو الإسلام، وهذا يقول: هو القرآن أي اتباع القرآن، وهذا يقول: هو السنة والجماعة، وهذا يقول طريقة العبودية، وهذا يقول: طاعة الله ورسوله (1091)، ومعلوم أن الصراط يوصف بهذه الصفات كلها، ويسمى بهذه الأسماء كلها، ولكن كل منهم دل المخاطب على النعت الذي يعرف به الصراط وينتفع بمعرفة ذلك النعت » .

« والوجه الثاني: أن يذكر كل منهم من تفسير الاسم بعض أنواعه أو أعيانه على سبيل التمثيل للمخاطب، لا على سبيل الحصر والإحاطة..» .

« الوجه الثالث: أن يذكر أحدهم لنزول الآية سبباً، ويذكر الآخر سبباً آخر لا ينافي الأول.. » (1092)، وبعد أن فصل شيخ الإسلام الكلام حول هذا الموضوع في مكان آخر (1093)، يقول معقباً: « وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جداً، فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين، ومع هذا فلابد من اختلاف مخفف بينهم، كما يوجد مثل ذلك في الإحكام » (1094).

هؤلاء هم السلف من الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان، وهذه حالهم علماً وفهماً، وحرصاً على تبليغ هذا الدين لمن بعدهم، فكيف لا يكونون هم الأعلم والأحكم، وكيف لا يكون طريقهم هو الطريق الأسلم، بل كيف يجرؤ أن يقول قائل: إنه قد يأتي أحد ممن جاء بعدهم يكون أعلم في دين الله وبما يجب لله منهم؟.

(1091) انظر: تفسير « الصراط المستقيم » من سورة الفاتحة في تفسير الطبري، وابن أبي حاتم، مطبوع على الآلة الكاتبة، وابن الجوزي، وابن كثير، والدر المنثور للسيوطي.

(1092) القاعدة المراكشية (ص: 32-34).

(1093) انظر: مقدمة في أصول التفسير (ص: 38-54).

(1094) مقدمة في أصول التفسير (ص:54).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

رابعاً: أن علم الكلام(1095) مذموم.

من أصول منهج ابن تيمية الكبرى في الرد على الأشاعرة أنه وصمهم بنهم قد اتبعوا أهل الكلام المذموم في أقوالهم التي خالفوا فيه الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، وكان من أهم المسائل الكلامية التي خاض فيها الأشاعرة مخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة.

- مسألة إيجاب النظر، وأنه أول واجب على المكلف.
- ومسألة دليل حدوث الأجسام على إثبات الصانع.
- نفي ما عدا الصفات السبع عن الله تعالى من الصفات الفعلية والخبرية. وقولهم بنفي التجسيم الذي رتبوا عليه نفي الصفات.
- تقديم العقل على الشرع عند توهم تعارضهما.
- الميل في باب القدر إلى مذهب الجهمية، وفي باب الإيمان إلى مذهب المرجئة.
- دعوى أن أخبار الآحاد لا تفيد العلم فلا يحتج بها في العقائد.
- وضع المقدمات العقلية والفلسفية في كتبهم ومباحثهم العقدية.

(1095) ذكر المتأخرون عدة أقوال في سبب تسميته بعلم الكلام، منها: أن مبناه على الكلام في المناظرات، أو لشبهه بالمنطق، أو أن العلماء بوبوا لهم بقولهم: الكلام في كذا، أو لأن أهم قضية في مباحثه مسألة كلام الله، انظر في ذلك: مقدمة ابن خلدون (ص: 429)، – ط الشعب، وشرح المواقف (60/1)، وشرح المقاصد (6/1)، ورسالة التوحيد لمحمد عبده (ص/ 21)، – ت أبو ريه، وتمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرزاق (ص: 265)، والفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة لعلي المغربي (ص: 15)، ودراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، (ص: 136–137)، وتاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان (ص: 130)، وغيرها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد تفرعت عن هذه الأصول الكبار مسائل متعددة متفرقة كانوا في كل واحدة منها سالكين ومتابعين لأقوال طائفة أو فرقة من الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة.

وقد ركز شيخ الإسلام في مناقشاته الكثيرة المتعددة على هذه المسألة وبين أن ما جاءوا به مما هو مخالف لدين الإسلام فإنما هو من الكلام المذموم والبدع المحرمة التي نهى عنها رسول الله ε وحذر منها، كما حذر منها الصحابة وأئمة أهل السنة، ويمكن عرض موقف شيخ الإسلام من هذه المسألة كما يلي:

أ . تحقيقه في نشأة مصطلح « المتكلمون » أو « أهل الكلام » فقد ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أن المعتزلة طالعوا كتب الفلاسفة « حين نشرت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام؛ إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام، فسمي هذا النوع باسمها، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان» (1096)،وقد استشهد صفي الدين الهندي في مناظرته – مع أصحابه الأشاعرة – لابن تيمية بكلام الشهرستاني، فحين قال: « أول مسألة اختلف فيها المسلمون: مسألة الكلام، وسمي المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك، وكان أول من قالها عمرو بن عبيد» (1097).

عقب شيخ الإسلام بقوله في المناظرة: « قلت: الناس مختلفون في مسألة الكلام في خلافة المأمون وبعدها في أواخر المائة الثانية، وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير، في زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانيةن ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ولا تنازعوا فيها، وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والإحكام والوعيد » – فاعترض صفي الدين الهندي قائلاً: – «

(1096) الملل والنحل (30/1).

(1097) مناظرة حول الواسطية: مجموع الفتاوي (183/3)، العقود الدرية (ص: 235).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هذا ذكره الشهرستاني في كتاب الملل والنحل » فرد شيخ الإسلام بقوله: « الشهرستاني ذكر ذلك في اسم المتكلمين لم سموا متكلمين لم يذكره في اسم المعتزلة.. وأيضاً فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين، فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل تنازعهم في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء: إنه متكلم ويصفونه بالكلام ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام» (1098).

وإذا فعلم الكلام الذي ذمه السلف شامل لكل الانحرافات التي وجدت منذ عهد التابعين، وأبرز فرسانه أهل التهجم والاعتزال.

ب . بيانه أن السلف رحمهم الله تعالى مجمعون على ذم الكلام وأهله (1099)، ويقول شيخ الإسلام عنهم في ذلك طويلة جداً – وهي مشهورة – وقد نقل عن الإمام الشافعي –وذمه الكلام مشهور – أنه قال: « البدعة بدعتان: بدعة خالفت كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً عن بعض أصحاب رسول الله ε فهذه بدعة ضلالة، وبدعة لم تخالف شيئاً من ذلك فهذه قد تكون حسنة لقول عمر: « نعمت البدعة هذه » (1100)، هذا الكلام أو نحوه رواه البيهقي بإسناده الصحيح في المدخل (1101).. » (1102)، ولا شك أن من أعظم البدع المخالفة للكتاب والسنة ما جاء به أهل

(1098) مناظرة حول الواسطية: ومجموع الفتاوي (183/3–184)، العقود الدرية (ص:235–236).

(1099) انظر عن مواقف بعض السلف من علم الكلام ما سبق (ص:47–49).

(1100) رواه البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب فضل فضل قيام رمضان، ورقمه 2010، فتح الباري (250/4).

(1101) المدخل للبيهقي (ص: 206)، ورواه أيضاً في مناقب الشافعي (468/1–469)، ورواه مختصراً أبو نعيم في الحلية (113/9).

(1102) انظر: درء التعارض (249/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الكلام في مسألة الصفات والقدر والإيمان، ولذلك اشتد نكير السلف عليهم، بل وجعلوه من أبواب الإلحاد والزندقة.

وقد حرص شيخ الإسلام وهو يرد على الأشاعرة أن يقرر أن ما ابتدعوه هو من علم الكلام الذي ذمه السلف، وتعددت نقوله عن أئمتهم كالشافعي، وأحمد وأبي حنيفة ومالك وأبي يوسف (1103)، بل ذكر أن بعض العلماء أفردوا كتاباً في ذم الكلام، منهم أبو عبد الرحمن – محمد ابن الحسين – السلمي والشيخ أبو إسماعيل الأنصاري، ونقل من كتابيهما نصوصاً عديدة (1104)، كما نقل أقوال غيرهما كابن عبد البر (1105)، وأبي العباس بن سريج (1106)، والخطابي (1107)، وأبي المظفر السمعاني (1108)، بل وعرض أحياناً لحكم الرواية عن أهل البدع (1109)، وحكم شهادتهم (1110)، ومنهج أهل السنة في هجرهم (1111).

(1103) انظر مثلاً: نقض التأسيس المخطوط (347/2)، ومجموع الفتاوي (261/5-243/6، 472/16-476)، والنبوات (ص:298)، ودرء التعارض (218/5-277/8)، والتسعينية (ص: 204-207) وغيرها.

(1104) ذكرهما في منهاج السنة (490/2)، المحققة، وفي درء التعارض (145/7)، ونقل عن كتاب الهروي في نقض التأسيس المطبوع (269/1-280)، والسبعينية (ص: 11)، كما نقل عن كتاب السلمي في التسعينيى (ص: 204-206).

(1105) انظر: التسعينية (ص: 206).

(1106) انظر: المصدر السابق الصفحة نفسها.

(1107) انظر: درء التعارض (316/7-317).

(1108) انظر: نقض التأسيس المطبوع (132/1).

(1109) انظر: منهاج السنة (40/1-41)، المحققة.

(1110) انظر: التسعينية (ص: 67).

(1111) انظر: مجموع الفتاوي (376/10-377).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وهذا كله يدل على أجماع السلف على ذم الكلام المبتدع، وأن أحداً منهم لم يقل: إن شيئاً مما ابتدعه هؤلاء في باب العقائد موافق للسنة أو ليس كلاماً مذموماً، والمطلع على أحوال المتكلمين بعلم: « أن جميع ما ابتدعه المتكلمون وغيرهم مما يخالف الكتاب والسنة فإنه باطل، ولا ريب أن المؤمن يعلم من حيث الجملة أن ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل » (1112).

جـ . أن الأشاعرة قد خالفوا أئمتهم –وأئمة أهل السنة – الذين ثبت عنهم أنهم نهوا عن الكلام، ولابن تيمية في ذلك نص منهم، أظهر فيه غاية الإنصاف حين ضرب المثل بالشافعية والمالكية الحنابلة الذين خالفوا هؤلاء الأئمة الذين ينتسبون إليهم: يقول شيخ الإسلام – بعد كلامه عن الآراء المحدثة والفرق بين البدعة والسنة، وأن الخوارج المارقين هم أول من ضل في هذا الباب، يقول: « وليس المقصود هنا ذكر البدع الظاهرة التي تظهر للعامة أنها بدعة، كبدعة الخوارج والروافض ونحو ذلك، لكن المقصود التنبيه على ما وقع من ذلك في أخص الطوائف بالسنة، وأعظمهم انتحالاً لها، كالمنتسبين [إلى الحديث مثل مالك والشافعي وأحمد، فإنه لا ريب أن هؤلاء أعظم..] اتباعاً للسنة، وذماً للبدعة من غيرهم، والأئمة كمالك وأحمد وابن المبارك وحماد بن زيد والأوزاعي، وغيرهم، يذكرون من ذم المبتدعة وهجرانهم وعقوبتهم ما شاء الله تعالى، وهذه الأقوال سمعها طوائف ممن اتبعهم وقلدهم، ثم إنهم [يخلطون] في مواضع كثيرة السنة بالبدعة، حتى قد يبدلون الأمر، فيجعلون البدعة التي ذمها أولئك في السنة، والسنة التي حمده أولئك هي البدعة، ويحكمون بموجب ذلك، حتى يقعوا في البدع والمعاداة لطريق أئمتهم السنية، وفي الحب والموالاة لطريق المبتدعة،

(1112) انظر: النبوات (ص:191).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

التي أمر أئمتهم بعقوبتهم، ويلزمهم تكفير أئمتهم ولعنهم والبراءة منهم ..» (1113)، ثم قال شيخ الإسلام ممثلاً لذلك: « واعتبر ذلك بأمور:

« أحدهما: أن كلام مالك في ذم المبتدعة وهجرهم كثير، ومن أعظمهم عندهم الجهمية، الذين يقولون: إن الله ليس فوق العرش، وأن الله لم يتكلم بالقرآن كله، وإنه لا يرى، كما وردت به السنة، وينفون نحو ذلك من الصفات. ثم إنه كثير في المتأخرين من أصحابه من ينكر هذه الأمور، كما ينكرها فروع الجهمية، ويجعل ذلك هو السنة، ويجعل القول الذي يخالفها – وهو قول مالك وسائر أئمة السنة – هو البدعة، ثم إنه مع ذلك يعتقد في أهل البدعة ما قاله مالك، فبدل هؤلاء الدين، فصاروا يطعنون في أهل السنة».

« الثاني: أن الشافعي من أعظم الناس ذماً لأهل الكلام ولأهل التغيير، ونهياً عن ذلك، وجعلاً له من البدعة الخارجة عن السنة، ثمن إن كثيراً من أصحابه عكسوا الأمر حتى جعلوا الكلام الذي ذمه الشافعي هو السنة وأصول الدين الذي يجب اعتقاده وموالاة أهله، وجعلوا موجب الكتاب والسنة الذي مدحه الشافعي هو البدعة التي يعاقب أهلها».

« الثالث: أن الإمام أحمد في أمره باتباع السنة ومعرفته بها ولزومه لها، ونهيه عن البدع، وذمه لها ولأهلها، وعقوبته لأهلها بالحال التي لا تخفى.

ثم إن كثيراً مما نص على أنه من البدع التي يذم أهلها صار بعض اتباعه يعتقد أن ذلك من السنة، وأن الذي يذم من خالف ذلك، مثل كلامه في مسألة القرآن من مواضع: منها تبديعه من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وتجهيمه لمن قال: مخلوق. ثم إن أصحابه من جعل ما بدعه الإمام أحمد هو السنة، فتراهم يحكمون على ماهو من صفات العبد – كألفاظهم وأصواتهم وغير ذلك بأنه غير مخلوق، بل يقولون: هو

(1113) انظر: الاستقامة (1/13-14).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

قديم، ثم إنهم يبدعون من لا يقول بذلك، ويحكمون في هؤلاء بما قاله أحمد في المبتدعة، وهو فيهم، وكذلك ما أثبته من الصفات التي جاءت بها الآثار واتفق عليها السلف، كالصفات الفعلية من الاستواء والنزول والمجيء والتكلم إذا شاء، وغير ذلك، فينكرون ذلك بزعم أن الحوادث لا تحل به، ويجعلون ذلك بدعة، ويحكمون على أصحابه بما حكم به أحمد في أهل البدع، وهمن من أهل البدعة الذين ذمهم أحمد، لا أولئك. ونظائر هذا كثيرة، بل قد يحكي عن واحد (1114)، من أئمتهم إجماع المسلمين على أن الحوادث لا تحل بذاته، لينفي بذلك ما نص أحمد وسائر الأئمة عليه من أنه يتكلم إذا شاء، ومن هذه الأفعال المتعلقة بمشيئته، ومعلوم أن نقل الإجماع على خلاف نصوصه ونصوص الأئمة من أبلغ ما يكون، وهذا كنقل غير واحد من المصنفين في العلم إجماع المسلمين على خلاف نصوص الرسول، وهذه المواضع من ذلك أيضاً، فإن نصوص أحمد والأئمة مطابقة لنصوص الرسول ε (1115).

ومعلوم أن بعض الحنابلة انحرفوا عن الإمام أحمد وأقواله، إما بميل إلى التشبيه بالاحتجاج بالأحاديث الضعيفة، أو ميل إلى الاعتزال والمذهب الأشعري، ومع ذلك فاتباع الإمام أحمد على العموم أكثر إثباتاً وإتباعاً للإمام أحمد من غيرهم من أتباع المذاهب الأربعة.

د . ولكن الأشاعرة يجيبون عما هو ثابت من ذم الشافعي وغيره لأهل الكلام بأن ذمهم إنما هو منصب على بدع القدرية ونحوهم أو أن فائدة علم الكلام حراسة عقيدة العوام فقط. وغرضهم من ذلك أن لا يدخل في الذم الذين يقولون بدليل حدوث

(1114) كذا ولعل صحة العبارة: عن غير واحد.

(1115) الاستقامة (1/14-16).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأجسام، أو نفي حلول الحوادث وغير ذلك. وقد عرض شيخ الإسلام ابن تيمية لأقوالهم وتعليلاتهم وناقشها، ومن هؤلاء:

1 . البيهقي الذي قال بعد ذكره لبعض الروايات عن الشافعي في ذك الكلام: « إنما أراد الشافعي بهذا الكلام حفصا الفرد وأمثاله من أهل البدع، وهكذا مراده بكل ما حكي عنه من ذم الكلام وذم أهله، غير أن بعض الرواة أطلقه وبعضهم قيده » [ثم روى البيهقي بإسناده إلى ابن الجارود قال] : « دخل حفص الفرد على الشافعي، فكلمه، ثم خرج إلينا الشافعي فقال لنا: لأن يلقي الله العبد بذنوب مثل جبال تهامة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرف مما عليه هذا الرجل وأصحابه، وكان يقول بخلق القرآن » (1116).

وقال البيهقي أيضاً: « وإنما ذم الشافعي مذهب القدرية، ألا تراه قال: بشيء من هذه الأهواء، واستحب ترك الجدال فيه، وكأنه سمع ما رويناه عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عن النبي ε أنه قال: لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم – الحديث (1117)، أو غير ذلك من الأخبار الواردة في معناه، وعلى مثل ذلك جرى

(1116) مناقب الشافعي للبيهقي (454/1)، وقد نقله عنه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص: 341)، ونقله شيخ الإسلام في درء التعارض (249/7–250).

(1117) رواه أحمد (30/1)، ورقمه عند أحمد شاكر (206)، ورواه أبو داود عن الإمام أحمد، كتاب السنة، باب في القدر ورقمه (4710–4720)، ط الدعاس، والبيهقي في السنن الكبرى (204/10)، والحاكم في المستدرك – شاهداً – (85/1)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (230)، وابن حبان في صحيحه رقم (79)، انظر صحيح ابن حبان (148/1)، تحقيق الحوت، وأيضاً (246/1)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين أسد، وضعفاه، كما ضعفه الألباني في تخريج السنة، وضعيف الجامع رقم (6306)، لأن في سنده شريك بن حزام مجهول، أما أحمد شاكر فقد صحح الحديث في تحقيق للمسند، كما أنه وثق الحكيم ابن شريك في تحقيقه لصحيح ابن حبان (237/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

أئمتنا في قديم الدهر عند الاستغناء عن الكلام فيه، فإذا احتاجوا إليه أجابوا بما في كتاب الله ثم في سنة رسول الله ε من الدلالة على إثبات القدر لله تعالى، وإنه لا يجري في ملكوت السموات والأرض شيء إلا بحكم الله وبقدرته وإرادته، وكذلك في سائر مسائل الكلام اكتفوا بما فيها من الدلالة على إثبات القدر لله تعالى، وإنه لا يجري في ملكوت السموات والأرض شيء إلا بحكم الله وبقدرته وإرادته، وكذلك في سائر مسائل الكلام اكتفوا بما فيها من الدلالة على صحة قولهم..» (1118)، ثم يقول البيهقي: « وفي كل هذا دلالة على أن الكلام المذموم إنما هو كلام أهل البدع الذي يخالف الكتاب والسنة، فأما الكلام الذي يوافق الكتاب والسنة، ويبين بالعقل والعبرة فإنه محمود مرغوب فيه عند الحاجة، تكلم فيه الشافعي وغيره من أئمتنا رضي الله عنهم » (1119)، وغير الشافعي كأبي الحسن الأشعري، وللبيهقي رسالة مشهورة في الدفاع عنه وعن خوضه في المعقولات وأنه قصد الدفاع عن عقيدة أهل السنة (1120).

2 . ابن عساكر الذي قال في تبيين كذب المفتري: « فإن قيل: غاية ما تمدحون به أبا الحسن أن تثبتوا أنه متكلم، وتدلونا على أنه بالمعرفة برسوم الجدل متوسم، ولا فخر في ذلك عند العلماء من ذوي التسنن والاتباع، لأنهم يرون أن من تشاغل بذلك من أهل الابتداع، فقد حفظ عن غير واحد من علماء الإسلام عيب المتكلمين وذم الكلام، ولو لم يذمهم غير الشافعي رحمه الله لكفى، فإنه قد بالغ في ذمهم وأوضح

(1118) مناقب الشافعي للبيهقي (1/260-261)، ونقله عن ابن عساكر في التبيين (ص: 344) ونقله ابن تيمية في درء التعارض (7/250-252).

(1119) مناقب الشافعي للبيهقي (1/467)، والتبيين (ص: 351)، ودرء التعارض (7/253).

(1120) سبقت الإشارة إلى هذه الرسالة مع ذكر مصادرها (ص: 621)، وانظر: درء التعارض (7/78-101).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

حالهم، وأنتم تنتسبون إلى مذهبه، فهلا اقتديتم في ذلك به » (1121)، ثم ساق ابن عساكر روايات ذم الكلام عن أبي يوسف وعن الشافعي نقلها عن ابن أبي حاتم في كتابه مناقب الشافعي، ثم روى ابن عساكر عن ابن أبي حاتم « ثنا الربيع، قال رأيت الشافعي وهو نازل من الدرجة وقوم في المجلس يتكلمون بشيء من الكلام فصاح فقال: إما أن تجاورونا بخير، وإما أن تقوموا عنا » (1122). قال ابن عساكر معلقاً على هذه الرواية: « وقد بين زكريا بن يحيى الساجي في روايته هذه الحكاية عن الربيع: أنه أراد بالنهي عن الكلام قوماً تكلموا في القدر (1123)، ولذلك حكم بالتبديع، ويدل عليه ما أخبرنا [وساق بإسناده إلى يونس بن عبد الأعلى قال:] جئت الشافعي بعد ما كلم حفصا الفرد فقال: غبت عنا أبا موسى، لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء والله ما توهمته قط، ولأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام » (1124)، قال ابن عساكر: « فالشافعي إنما عني بمقالته كلام حفص القدري وأمثاله » (1125)، ثم أيّد هذا بنقول عن البيهقي في مناقب الشافعي – سبق نقل بعضها –.

فالبيهقي وابن عساكر يريان أن ذم الشافعي لأهل الكلام إنما عنيّ به القدرية، وسيأتي بعد قليل مناقشة ابن تيمية لهم.

(1121) تبيين كذب المفتري (ص: 333)، ودرء التعارض (242/7-243).

(1122) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي (ص: 182)، والتبيين (ص: 336)، درء التعارض (245/7).

(1123) ذكر هذه الرواية عن الساجي البيهقي في مناقب الشافعي (460/1).

(1124) تبيين كذب المفتري (ص: 336)، ودرء التعارض (245/7-246)، وانظر: آداب الشافعي ومناقبه (ص: 182).

(1125) التبين (ص: 237)، ودرء التعارض (246/7).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

3 . الغزالي: وقد نقل في إحياء علوم الدين كلاماً طويلاً عن ذم السلف لأهل الكلام، وقد ذكر أولاً الخلاف فيه وأن الناس من قال: إنه بدعة محرم، ومنهم من قال: إنه واجب على الكفاية، والأعيان، وقال: « وإلا التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف .. » (1126)، ثم ذكر نماذج عديدة من أقوالهم في ذمه، وبعد أن ذكر رأي الطائفة الأخرى المجوزة وحججها (1127) قال: فإن قلت فما المختار فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ.. فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل، فنعود إلى علم الكلام ونقول: إن فيه منفعة وفيه مضرة، فهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام.

أما مضرته: فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مما يحصل في الابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص، فهذا ضرره في الاعتقاد الحق، وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة، وتثبيته في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم، ويشتد حرصهم على الإصرار عليه.

وأما منفعته : فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه (1128)، وهيهات، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد الغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم

(1126) إحياء علوم الدين (1/94-95)، وانظر: درء التعارض (7/146).

(1127) انظر الإحياء (1/94-95)، وانظر: درء التعارض (7/146-162).

(1128) يلاحظ أن الغزالي يقول هذا الكلام بعد عزلته التي ارتضى فيها وبعدها طريق أهل الكشف والتصوف.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أخرى تناسب نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود، ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام، بل منفعته شيء واحد وهو:حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام، وحفظها عن تشويهات المبتدعة بأنواع الجدل » (1129).

هذه خلاصة أقوال بعض أئمة الأشعرية في علم الكلام المذموم، وقد ناقشهم شيخ الإسلام بما يلي:

1 . أما البيهقي وابن عساكر فقد علق على أقوالهم ببيان أمرين:

« أحدهما: أن الذين يعظمون الأشعري وأمثاله من أهل الكلام – كالبيهقي وابن عساكر، وغيرهما – وقد عرفوا ذم الشافعي وغيره من الأئمة للكلام– ذكروا أن الكلام المذموم هو كلام أهل البدع، وقالوا: إنما كان يعرف في عصرهم بكلام أهل البدع، وأنه أراد بذلك كلام مثل حفص الفرد وأمثاله، وإنه لما حدثت طائفة سمت ما في كتاب الله من الحجة عليهم متشابهاً، وقالوا بترك القول بالأخبار التي رواها أهل الحديث، وزعموا أن الأخبار التي حملت إليهم لا تصح في عقولهم، قام جماعة من أئمتنا، وبينوا أن جميع ما ورد في الأخبار صحيح في المعقول، وما ادعوه في الكتاب من التشابه باطل في العقول، وكانوا في القديم إنما يعرفون بالكلام أهل الأهواء، فأما أهل السنة والجماعة فمعولهم فيما يعتقدون الكتاب والسنة.. » (1130)، ثم قال شيخ الإسلام: « وهذا اتفاق من علماء الأشعرية – مع غيرهم من الطوائف المعظمين للسلف – على أن الكلام المذموم عند السلف، كلام من يترك الكتاب والسنة، ويعول

(1129) الإحياء (1/96-97)، وانظر: درء التعارض (7/162-164).

(1130) درء التعارض (7/273-274)، وقد سبق نقل هذه العبارات عنهم (ص: 252)، وهي في مناقب الشافعي للبيهقي (1/461-462)، والتبيين (ص: 344-345).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

في الأصول على عقله، فكيف بمن يعارض الكتاب والسنة بعقله؟ وهذا هو الذي قصدنا إبطاله، وهو حال أتباع صاحب الإرشاد الذي وافقوا المعتزلة في ذلك، وأما الرازي وأمثاله، فقد زادوا في ذلك على المعتزلة، فإن المعتزلة لا تقول: إن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين، بل يقولون: إنها تفيد اليقين، ويستدلون بها أعظم مما يستدل بها هؤلاء » (1131).

ولاشك أن متأخري الأشاعرة كان خوضهم في علم الكلام ومخالفتهم للكتاب والسنة أعظم وأشد من متقدميهم، وشيخ الإسلام بين أن هؤلاء قرروا أمرين: أحدهما: اتفاق السلف على أن علم الكلام مذموم، والثاني: أن من الكلام المذموم الاعتماد على أدلة العقول والقول بأن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين.

والأمر الثاني: أن البيهقي وابن عساكر زعما أن الشافعي قصد في ذم أهل الكلام حفصا الفرد لأنه قدري، وقد رد عليهم شيخ الإسلام بقوله: « قلت: حفص الفرد لم يكن من القدرية، وإنما كان على مذهب ضرار بن عمرو الكوفي، وهو من المقبتين للقدر، لكنه من نفاة الصفات، وكان أقرب إلى الإثبات من المعتزلة والجهمية » (1132)- ثم نقل عن مقالات شيخ الأشاعرة أبي الحسن الأشعري مذهب الضرارية، قال: « والذي فارق ضرار بن عمرو به المعتزلة قوله: إن أعمال العباد مخلوقة، وأن فعلاً واحداً لفاعلين: أحدهما خلقه وهو الله، والآخر اكتسبه وهو العبد، وإن الله فاعل لأفعال العباد في الحقيقة، وهو فاعلون لها.. وكان يزعم أن معنى أن الله عالم قادر: أنه ليس بجاهل ولا عاجز، وكذلك كان يقول في سائر صفات الباري لنفسه» قال

(1131) درء التعارض (7/274-275).

(1132) درء التعارض (7/246).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأشعري:« وقد تابعه على ذلك حفص الفرد وغيره » (1133)، وقال شيخ الإسلام معلقاً: « قلت: فهذا الذي ذكره الأشعري من قول ضرار وحفص الفرد في القدر هو مخالف لقول المعتزلة، بل هو من أعدل الأقوال وأشبهها، وقوله إلى قول الأشعري وأصحابه في القدر والرؤية أقرب من قوله إلى قول المعتزلة، بل هو في القدر أقرب إلى قول أهل الحديث والفقهاء وسائل أهل السنة، وأعدل من قول الأشعري، حيث جعل العبد فاعلاً حقيقي، وأثبت استطاعتين، ونحو ذلك مما أثبته أئمة الفقهاء وأهل الحديث » (1134)، ثم شرح شيخ الإسلام حقيقة عقيدة حفص الفرد الذي ذمه الشافعي فقال: « حفص الفرد كما هو معروف عند أهل العلم بمقالات الناس بإثبات القدر، فهو من نفاة الصفات القائلين بأن الله تعالى لا تقوم به صفة ولا كلام ولا فعل، وأصل حجتهم في ذلك هو دليل الأعراض.. فإن القرآن كلام، والكلام عندهم كسائر الصفات والأفعال لا يقوم إلا بجسم، والجسم محدث، فكان إنكار الشافعي عليه لأجل الكلام الذي دعاهم إلى هذا، لم تكن مناظرته له في القدر، ومن ظن أن الشافعي ناظره في القدر فقد أخطأ مبيناً، فإن الناس كلهم نقلوا مناظرته له في القرآن: هل هو مخلوق أم لا ؟ (1135)، ثم أعاد شيخ الإسلام توضيح ذلك فيما بعد (1136).

(1133) مقالات الإسلاميين (ص: 281-282)، - ت ريتر (10/313-314)، عبد الحميد، ودرء التعارض (7/246-247).

(1134) درء التعارض (7/247-248).

(1135) انظر: درء التعارض (7/250).

(1136) انظر: المصدر نفسه (7/275-278)، وفي النبوات (ص: 216)، يقول شيخ الإسلام: « من الناس من يظن أنهم (أي السلف) إنما أنكروا كلام القدرية فقط كما ذكره البيهقي وابن عساكر في تفسير كلام الشافعي ونحوه - ليخرجوا أصحابهم من الذم - وليس كذلك، بل الشافعي أنكر كلام الجهمية كلام حفص الفرد، وأمثال هؤلاء كانت منازعتهم في الصفات والقرآن والرؤية لا في القدر» .

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فشيخ الإسلام بين أن ذم الشافعي لأهل الكلام ومناظرته ليس لأجل القدر – كما زعمه هؤلاء – وإنما لأجل بدعهم وتجهمهم في نفي الصفات، كما فعل ذلك الإمام أحمد وغيره، والجهمية والمعتزلة نفوا الصفات، وتبعهم الأشعرية في نفي ما يتعلق بمشيئة الله من صفات الأفعال، والخلاصة أن الشافعي ذم علم الكلام وأهله الذي تلبس به شيوخ الاشاعرة كابن كلاب والأشعري ومن سايرهم.

2 . أما كلام الغزالي في الإحياء حول ذم الكلام، ورأي الغزالي في علم الكلام وهل فيه منفعة أو مضرة – فجاء تعليق شيخ الإسلام عليه من جانبين:

الجانب الأول: ما في شهادة الغزالي – على إجماع السلف على ذم الكلام – من الحق. يقول شيخ الإسلام: « فهذا كلام أبي حامد – مع معرفته بالكلام والفلسفة، وتعمقه في ذلك – بذكر اتفاق سلف أهل السنة على ذم الكلامن ويذكر خلاف من نازعهم، ويبين أنه ليس فيه فائدة إلا الذب عن العقائد الشرعية التي أخبر بها الرسول ε لأمته، وإذا لم يكن فيه فائدة إلا الذب عن هذه العقائد، امتنع أن يكون معارضاً لها، فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها، فامتنع أن يكون الكلام العقلي المقبول مناقضاً للكتاب والسنة وما كان من ذلك مناقضاً للكتاب والسنة وجب أن يكون من الكلام الباطل المردود الذي لا ينازع في ذمه أحد من المسلمين، لا من السلف والأئمة، ولا من الخلف المؤمنين أهل المعرفة بعلم الكلام والفلسفة، وما يقبل من ذلك وما يرد، وما يحمد وما يذم، وأن من قبل ذلك وحمده كان من أهل الكلام الباطل المذموم باتفاق هؤلاء» (1137)، وكلام الغزالي – الذي سبق نقل بعضه قريباً – فيه شهادة كما يقول ممن خبر الكلام وغاص فيه وبلغ منتهى درجة المتكلمين وشهادته لها وزنها وأهميتها.

(1137) انظر: درء التعارض (165/7).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أما الجانب الثاني: فشيخ الإسلام يعلق على قول الغزالي: « بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام » (1138)؛ بقوله: « وأما حراسة عقيدة العوام فيقال: أولاً: لابد أن يكون المحروس هو نفس ما ثبت عن الرسول ε أنه أخبر به لأمته، فأما إذا كان المحروس فيها ما يوافق خبر الرسول وفيه ما يخالفه كان تمييزه قبل حراسته أولى من الذب عما يناقض خبر الرسول ε ؛ فإن حاجة المؤمنين إلى معرفة ما قاله الرسول وأخبرهم به ليصدقوا به، ويكذبوا بنقيضه، ويعتقدوا موجبه، قبل حاجتهم إلى الذب عن ذلك، والرد على من يخالفه، فإذا كان المتكلم الذي يقول: أنه يذب عن السنة، قد كذب هو بكثير مما أخبر به الرسول ε واعتقد نقيضه؛ كان مبتدعاً مبطلاً، متكلماً بالباطل فيما يخالف خبر الرسول ε كما أن ما وافق فيه خبر الرسول فهو فيه متبع للسنة، محق متكلم بالحق، وأهل الكلام الذين ذمهم السلف لا يخلو كلام أحد منهم عن مخالفة السنة، ورد لبعض ما أخبر به الرسول، كالجهمية، والشمبهة، والخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة » .

« ويقال بأنها لابد أن تُحرس السنة بالحق والصدق والعدل، ولا تُحرس بكذب ولا ظلم، فإذا رد الإنسان باطلاً بباطل، وقابل بدعة ببدعة كان هذا مما ذمه السلف والأئمة، وهؤلاء – كما ذكره أبو حامد – يدخلون في هذا وكلام السلف في ذم الكلام متناول لما ذمه الله في كتابه، والله سبحانه قد ذم في كتابه الكلام بالباطل، والكلام بغير علم، والأول كثير، وأما الثاني فقد قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) (لأعراف:33)، وقال تعالى: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ)(آل عمران:66)، وقال:(

(1138) سبق نقل كلامه قريباً.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)(الإسراء:36) (1139).

والعقيدة التي أشار أبو حامد الغزالي إلى أنها عقيدة العوام وأنه ترجمها لهم هي التي ذكرها في الإحياء باسم « الرسالة القدسية » أو «قواعد العقائد»، وفيها كثير مما يخالف مذهب أهل السنة والجماعة، مما هو موافق لمذهب جمهور الأشاعرة، ولذلك قال شيخ الإسلام: يجب تمييز ما يوافق خبر الرسول مما يخالفه قبل حراسته التي ادعى الغزالي أنها مهمة علم الكلام.

هـ . أن السلف ذموا من الكلام الكلام المخالف للكتاب والسنة ولم يذموا جنس الكلام، كما لم يذموه لما فيه من الاصطلاحات الحادثة، وكثيراً ما يشير شيخ الإسلام إلى أن القرآن الكريم جاء بالدلائل العقلية والأمثلة المضروبة، وأن الصحابة والسلف ناظروا أهل الباطل، وبينوا ما في كلامهم من الفساد، كما أنهم قاموا بدعهم بمختلف الوسائل من منع وهجر، وتحذير للناس، ومناظرة.

يقول شيخ الإسلام: « وقد ظن بعض الناس أن ذم السلف والأئمة للكلام وأهل الكلام كقول أبي يوسف.. [ونقل أقوال السلف المشهورة] .. وأمثال هذه الأقوال المعروفة عن الأئمة؛ ظن بعض الناس أنهم إنما ذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثة، كلفظ الجوهر والجسم والعرض، وقالوا: إن مثل هذا لا يقتضي الذم، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها، أو سلاحاً يحتاجون إليه لمقاتلة العدو، وقد ذكر هذا صاحب الإحياء (1140)، وغيره – وليس الأمر كذلك، بل ذمهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث ألفاظه، فذموه لاشتماله على معانٍ باطلة مخالفة للكتاب والسنة، ومخالفته للعقل الصريح، ولكن علامة بطلانها

(1139) انظر: درء التعارض (7/182-183).

(1140) انظر إحياء علوم الدين (1/95).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

مخالفتها للكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل قطعاً، ثم من الناس من قد يعلم بطلانه بعقله، ومنهم من لا يعلم ذلك » (1141)، ويقول أيضاً: والكلام الذي ذموه نوعان:

أحدهما: أن يكون في نفسه باطلاً وكذباً، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل وكذب، فإن أصدق الكلام كلام الله.

والثاني: أن يكون فيه مفسدة، مثل ما يوجد في كلام كثير منهم من النهي عن مجالسة أهل البدع، ومناظرتهم ومخاطبتهم، والأمر بهجرانهم، وهذا لأن ذلك قد يكون أنفع للمسلمين من مخاطبتهم، فإن الحق إذا كان ظاهراً قد عرفه المسلمون وأراد بعض المبتدعة أن يدعو إلى بدعته، فإنه يجب منعه من ذلك، فإذا هجر وعزر كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بصبيغ بن عسل التميمي (1142)، وكما كان المسلمون يفعلونه .. » (1143)، وبعد أن ضرب أمثلة أخرى يقول\ شيخ الإسلام: « والمقصود أنهم نهوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة، أو فيها مفسدة راجحة، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال، وأما جنس المناظرة بالحق فقد تكون واجبة تارة ومستحبة أخرى، وفي الجملة: جنس المناظرة والمجادلة: فيها محمود ومذموم، ومفسدة ومصلحة، وحق وباطل » (1144)، ومناظرات السلف لأهل البدع مشهورة وإمام أهل السنة « أحمد – رضي الله عنه – قد رد على الجهمية وغيرهم بالأدلة السمعية

(1141) درء التعارض (232/1).
(1142) سبق التعريف به وبقصته (ص: 56).
(1143) درء التعارض (172/1).
(1144) المصدر السابق (174/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

والعقلية، وذكر من كلامهم وحججهم ما لم يذكره غيره، بل استوفى حكاية مذهبهم وحججهم أتم استيفاء، ثم أبطل ذلك بالشرع والعقل » (1145).

وكثيراً ما يردد شيخ الإسلام في كتبه أن السلف ذموا الكلام لما فيه من الباطل المخالف للكتاب والسنة، أو لأن فيه رد بدعة ببدعة (1146).

ومسألة المصطلحات الحادثة سبق بيان منهج شيخ الإسلام فيها(1147)، والذي تعلق بالموضوع هنا ما يذكره بعض أهل الكلام من الأشاعرة ونحوهم من أن السلف من الصحابة وغيرهم وما واجهوا البدع الحادثة والمصطلحات التي جاء بها أهل الفلسفة ومن سلك سبيلهم، وأنهم لو أدركوا هذه المصطلحات لتكلموا فيها كما تكلم فيها المتأخرون، وهذا فيه مغالطة واضحة، ولذلك ناقشه شيخ الإسلام مفصلاً فقال: « قول القائل: « إن الصحابة – رضي الله عنهم – ماتوا وما عرفوا ذلك » (1148)،

(1145) درء التعارض (149/7)، ذكر أن عبد العزيز الكناني من مشاهير متكلمي أهل السنة.

(1146) انظر مثلاً: الصفدية (163/1)، ودرء التعارض (178/1، 205/2-170/207،7 /176، 181، 183، 408/184،8)، ومجموع الفتاوي (306/3)، والكيلانية، مجموع الفتاوي (460/12-461)، والفرقان بين الحق والباطل، مجموع الفتاوي (147/13)، وغيرها.

(1147) انظر: (ص: 297)، وما بعدها من هذه الرسالة.

(1148) القائل هو ابن عقيل الحنبلي في جواب سؤال حول قراءة علم الكلام، حيث ذكر الجواهر الفرد، والطفرة، والأحوال، والخلاء والملاء والجوهر والعرض.. ثم قال: « فإني أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا ذلك ولا تذاكروه..» انظر درء التعارض (48/8)، وانظر: كلامه في تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: 82)، ط منيرية، وقد ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوي (105/4)، عن الرازي أنه يزعم في مواضع أن الصحابة لم يعلموا شبهات الفلاسفة وما خاضوا فيها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فيه تفصيل: وذلك أن هذا الكلام فيه حق وباطل، فأما الباطل فهو مثل إثبات الجوهر الفرد، وطفرة النظام، وامتناع بقاء العرض زمانين، ونحو ذلك، فهذا لا يخطر ببال الأنبياء والأولياء من الصحابة وغيرهم، وإن خطر ببال أحدهم تبين له أنه كذب، فإن القول الباطل الكذب هو من باب مالا ينقض الوضوء، ليس له ضابط، وإنما المطلوب معرفة الحق والعمل به، وإذا وقع الباطل أنه باطل ودفع، وصار هذا كالنهي عن المنكر، وجهاد العدو، فليس كل شيء من المنكر رآه كل من الصحابة وأنكروه، ومع هذا فلا يقطع على كل صحابة بأنهم لم يعرفوا أمثال هذه الأقاويل، ويعرفوا بطلانها، فإنهم فتحوا أرض الشام ومصر والمغرب والعراق وخراسان، وكان بهذه البلاد من الكفار والمشركين والصابئين وأهل الكتاب من كان عنده من كتب أهل الضلال من الفلاسفة وغيرهم ما فيه هذه المعاني الباطلة، فربما خوطبوا بهذه المعاني بعبارة من العبارات، وبينوا بطلانها لمن سألهم، والواحد منا قد يجتمع بأنواع من أهل الضلال، ويسألونه عن أنواع من المسائل، ويوردون عليه أنواعاً من الأسئلة والشبهات الباطلة فيجيبهم عنها، وأكثر الناس لا يعلمون ذلك ولا ينقلونه » .

« والشافعي وأحمد وغيرهم من الأئمة قد ناظروا أنواعاً من الجهمية أهل الكلام، وجرى بينهم من المعاني ما لم ينقل، ولكن من عرف طرق المناظرين لهم والمسائل التي ناظروهم فيها، علم ما كانوا يقولونه »، ثم يقول شيخ الإسلام – بعد مناقشة – « ففي الجملة: المعاني الصحيحة الثابتة كان الصحابة أعرف الناس بها، وإن كان التعبير عن تلك المعاني يختلف بحسب اختلاف الاصطلاحات. والمعاني الباطلة قد لا تخطر ببال أحدهم، وقد تخطر بباله فيدفعها أو يسمعها من غيره فيردها فإن ما يلقيه الشيطان من الوساوس والخطرات الباطلة ليس له حد محدود، وهو يختلف بحسب أحوال الناس » (1149).

(1149) انظر: درء التعارض (8/51-54).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وشيخ الإسلام – مما سبق – بين أنه يجب التفريق بين:

- الكلام المذموم، والكلام الحق الموافق للكتاب والسنة.
- المصطلح الحادث المخالف للكتاب والسنة، والمصطلح الحادث الذي لا يخالفهما.
- الجدال والمناظرة المذمومة التي ذمها السلف، والجدال والمناظرة التي أثرت عن السلف.

كما أنه يجب أن يعلم أن الحق واحد، واضح، ولذلك فهو معلوم، وأن الباطل متعدد، متنوع، يلتبس بالحق أحياناً، ولذلك فلا يمكن حصر أنواعه ومصطلحاته ووسائله في زمن أو مكان محدد.

و . نعى شيخ الإسلام على المتكلمين من الأشاعرة حين ظنوا أن الفقه من باب الظنون، وأن علم الكلام من باب القطعيات، يقول: « إن طوائف كبيرة من أهل الكلام من المعتزلة.. كأبي علي، وأبي هاشم، وعبد الجبار، وأبي الحسين وغيرهم، ومن اتبعهم من الأشاعرة، كالقاضي أبي بكر، وأبي المعالي، وأبي حامد، والرازي، ومن اتبعهم من الفقهاء يعظمون أمر الكلام الذي يسمونه أصول الدين، حتى يجعلون مسائله قطعية، ويوهنون من أمر الفقه الذي هو معرفة أحكام الأفعال، حتى يجعلوه من باب الظنون لا العلوم، وقد رتبوا على ذلك أصولاً انتشرت في الناس، حتى دخل فيها طوائف من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث، لا يعلمون أصلها ولا ما تؤول إليه من الفساد، مع أن هذه الأصول التي أدعوها في ذلك باطلة واهية.. ذلك أنهم لم يجعلوا الله في الأحكام حكماً معيناً، حتى ينقسم المجتهد إلى مصيب ومخطئ، بل الحكم في حق كل شخص ما أدى إليه اجتهاده، وقد بينا.. ما في هذا من السفسطة والزندقة، فلم يجعلوا لله حكماً في موارد الاجتهاد أصلاً، ولا جعلوا له على ذلك دليلاً

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أصلاً، بل إن ابن الباقلاني، وغيره يقول » (1150)، ثم ناقش بعض المسائل التي يوردونها في أصول الفقه ثم يقول: « والمقصود هنا ذكر أصلين هما: بيان فساد قولهم: الفقه من باب الظنون، وبيان أنه أحق باسم العلم من الكلام الذي يدعون أنه علم، وأن طرق الفقه أحق بأن تسمى أدلة من طريق الكلام. والأصل الثاني في بيان أن غالب ما يتكلمون فيه من الأصول ليس بعلم ولا ظن صحيح، بل ظن فاسد، وجهل مركب » (1151).

فأهل الكلام جعلوا أصولهم الكلامية – الخاطئة والتي يعارض فيها بعضهم بعضاً – أصولاً قطعية، وجعلوا أحكام الشرع من باب الظنون، وهذا قلب للحقائق. كما أن إدخالهم للمسائل الكلامية في أصول الفقه هو من الانحراف الذي ابتدعه أهل الكلام (1152).

ز . وأخيراً فإن من أهم ردود شيخ الإسلام على أهل الكلام وبيان ما فيه هذا العلم من الباطل أن شيوخه وأعلامه رجعوا عنه وحذروا منه، وهذه مسألة مهمة سيأتي تفصيلها في فقرة مستقلة ضمن منهجه العام في الرد على الأشاعرة.

خامساً: جهلهم بالسنة، وبمذهب السلف.

كثيراً ما يحكم شيخ الإسلام ابن تيمية على أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم بأن معرفتهم بالسنة وأحاديث الرسول ε قليلة، وأن خبرتهم بمذهب السلف وأهل السنة والجماعة ضعيفة، ولم يكن شيخ الإسلام يطلق أحكامه تلك بناءً على ظن، أو إلزام، وإنما كان منطلقاً من معرفة تامة بكتب الأشاعرة وغيرهم، واستيعاب عجيب لأقوالهم

(1150) الاستقامة (1/47-49).

(1151) انظر: المصدر السابق (1/54).

(1152) انظر: المصدر السابق (1/50-69)، وانظر: « تنبيه الرجل العاقل » عن العقود الدرية لابن عبد الهادي (ص:33-35).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومقالاتهم، وتتبع دقيق لكتبهم في المقالات والملل والفرق، وكان شيخ الإسلام قبل هذا كله على دراية بأحكام الكتاب والسنة، واطلاع واسع على حديث الرسول ε مع تمييز صحيحه من ضعيفه، كما أن معرفته بأقوال أهل السنة وأحوالهم ورواياتهم ورسائلهم وردودهم وكتبهم، كانت قوية ومتمكنة.

ولذلك جاء نقد شيخ الإسلام للأشاعرة مبيناً على وثائق من كتبهم مع مقارنتها بما في كتب السلف، كما أن مناظرته لخصومه في حياته لا تخلو من بيان مثل هذه الحقائق (1153).

وقد جاءت تعليقات شيخ الإسلام كما يلي:

- تعليق مجمل يبين حال أهل الكلام في ذلك، وأحياناً يضرب الأمثلة بأكثر من واحد منهم.
- نقد مفصل لكل واحد من أعلام الأشاعرة.

أ . أما النقد المجمل، فإن شيخ الإسلام أشار إلى جهل كثير منهم بالسنة وأحاديث الرسولε ، يقول عن المتكلمين : « فإن فرض أن أحداً نقل مذهب السلف كما يذكره،

(1153) ذكر ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (23/2)، في معرض ترجمته لعبد الغني المقدسي وإشارت إلى مناظرته لخصومه، قال – أي ابن رجب – « لقد عقد مرة مجلس لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية، فتكلم فيه بعض أكابر المخالفين، وكان خطيب الجامع، فقال شيخ شرف الدين عبد الله –أخو الشيخ– كلامنا مع أهل السنة، وأما أنت، فأنا أكتب لك أحاديث من الصحيحين وأحاديث من الموضوعات – وأظنه قال: وكلاماً من سيرة عنتر– فلا تميز بينهما – أو كما قال –فسكت الرجل » وذكر شيخ الإسلام في درء التعارض (89/8)، في معرض بيانه لجهل الأشاعرة بأقوال ومذهب السف فقال: « حتى أن من قضاتهم وأكابرهم من يحكي أقوال الأئمة الأربعة في مسألة من المسائل الكبار، فإذا قيل له: أهذا نقله أحد عن الشافعي، أو فلان، أو فلان؟ قال: لا، ولكن هذا قاله العقلاء، والشافعي لا يخالف العقلاء، أو نحو هذا الكلام..».

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فإما أن يكون قليل المعرفة بآثار السلف كأبي المعالي، وأبي حامد الغزالي، وابن الخطيب، وأمثالهم، ممن لم يكن لهم من المعرفة بالحديث ما يعدون به من عوام أهل الصناعة، فضلاً عن خواصها، ولم يكن الواحد من هؤلاء يعرف البخاري ومسلماً وأحاديثهما إلا بالسماع، كما يذكر ذلك العامة، ولا يميزون بين الحديث المفتري المكذوب، وكتبهم أصدق شاهد بذلك ففيها عجائب » (1154).

وفي كتبهم المصنفة في أصول الدين – يحكون الإجماع أو النزاع – ويجهلون مذهب السلف، يقول شيخ الإسام وقد بين بالأدلة وجوب معرفة أقوال السلف في العلم والدين وأن معرفتها أنفع من معرفة أقوال المتأخرين، وإن الاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم – يقول: « وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتهم وسلوك سبيلهم، ولا لهم خبرة بأقوالهم وأفعالهم، بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون به لا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك – من أهل الكلام والرأي والزهد والتصوف – فهؤلاء تجد عمدتهم في كثير من الأمور المهمة في الدين إنما هو عما يظنونه من الإجماع، وهم لا يعرفون في ذلك قوال السلف البتة، أو عرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرهان فتارةً يحكون الإجماع ولا يعلمون إلا قولهم وقول من ينازعهم من الطوائف المتأخرين، طائفة، أو طائفتين، أو ثلاث، وتارة عرفوا أقوال بعض السلف، والأول كثير في مسائل أصول الدين وفروعه، كما تجد كتب أهل الكلام مشحونة بذلك، يحكون إجماعاً ونزاعاً ولا يعرفون ما قال السلف في ذلك البتة، بل قد يكون قول السلف خارجاً عن أقوالهم، كما تجد ذلك في مسائل أقوال الله وأفعاله وصفاته، مثل مسألة القرآن والرؤية والقدر وغير ذلك » (1155)، ويقول – بعد نقده لكتب المقالات –: مثل كتب الأشعري والشهرستاني والنوبختي وأبي عيسى الوراق، وأنهم

(1154) مجموع الفتاوي (4/71–72).

(1155) الفرقان بين الحق والباطل ، مجموع الفتاوي (13/25).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ينقلون أقوال مختلف الطوائف؛ « والقول الذي جاء به الرسول، وكان عليه الصحابة والتابعون أئمة المسلمون لا يعرفونه ولا يذكرونه، بل وكذلك في كتب الأدلة والحجج التي يحتج بها المصنف للقول الذي يقول: إنه الحق، تجدهم يذكرون في الأصل العظيم قولين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر من ذلك، وينصرون أحدها، ويكون كل ما ذكروه أقوالاً فاسدة، مخالفة للشرع والعقل، والقول الذي جاء به الرسول – وهو الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول – لا يعرفونه، ولا يذكرونه، فيبقى الناظر في كتبهم محائراً ليس فيما ذكروه ما يهديه ويشفيه، ولكن قد يستفيد من رد بعضهم على بعض علمه ببطلان تلك المقالمات كلها، وهذا موجود في عامة كتب أهل الكلام والفلسفة، متقدميهم ومتأخريهم إلى كتب الرازي والآمدي ونحوهما » (1156).

والعبارة الأخيرة تدل على أن شيخ الإسلام يعمم حكمه على جميع كتبهم، الفلسفية والكلامية، وليس في هذا مبالغة، فإن كتبهم – ومناهجهم فيها – لا تحمل روح مذهب السلف الصافي، ويكفي المطلع على كتب أهل السنة، وما ألفوه من العقائد الواضحة المبنية على الكتاب والسنة – أن يطلع على واحد من كتب هؤلاء – كالتمهيد، أو الشامل، أو الإرشاد، أو نهاية الإقدام، أو الاقتصاد في الاعتقاد، أو غاية المرام، أو الأربعين للرازي ، أو المواقف – ليجد هذا الحكم عادلاً غير جائز.

ويقول شيخ الإسلام– في موضع آخر – جامعاً في الحكم بين كتبهم في المقالات والملل وكتبهم الكلامية: « وقد تدبرت كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات الناس، إما نقلاً مجرداً، مثل كتاب المقالات لأبي الحسن الأشعري وكتاب الملل والنحل للشهرستاني، ولأبي عيسى الوراق، أو مع انتصار لبعض الأقوال – كسائر ما صنفه أهل الكلام على اختلاف طبقاتهم – فرأيت عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم، وأما الحق الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه، وكان عليه سلف الأمة،

(1156) درء التعارض (9/67–68)، وانظر أيضاً (7/35–36).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فلا يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف، بل يذكر أحدهم في المسألة عدة أقوال، والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لا يذكرونه، وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا يذكرونه، بل لا يعرفونه، ولهذا كان السلف والأئمة يذمون هذا الكلام، ولهذا يوجد الحاذق المصنف الذي غرضه الحق في آخر عمره يصرح بالحيرة والشك، إذ لم يجد في الاختلافات التي نظر فيها وناظر ما هو حق محض، وكثير منهم يترك الجميع ويرجع إلى دين العامة الذي عليه العجائز والأعراب، كما قال أبو المعالي وقت السياق: لقد خضت البحر الخضم..وكذلك أبو حامد.. والشهرستاني » (1157)، وشيخ الإسلام – مع نقده الشديد لهم – يعتذر لهم بأنهم لم يكن قصدهم مخالفة الحق وعدم ذكره، وإنما عدم معرفتهم به هي السبب ولذلك يقول: في موضع آخر من هذا الكتاب: « إن غالب كتب أهل الكلام والناقلين للمقالات ينقلون في أصول الملل والنحل من المقالات ما يطول وصفه، ونفس ما بعث الله به رسوله وما يقوله أصحابه والتابعون لهم في ذلك الأصل الذي حكوا فيه أقوال الناس؛ لا ينقلونه، لا تعمداً منهم لتركه، بل لأنهم لم يعرفوه، بل ولا سمعوه، لقلة خبرتهم بنصوص الرسول وأصحابه والتابعين » (1158).

وأهل الكلام إذا نصروا ما هو شائع من أصول أهل السنة والجماعة، – مثل القرآن كلام الله غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، وأن أهل القبلة لا يكفرون بالذنب ولا يخلدون في النار، والشفاعة، وعذاب القبر،والحوض، والخلفاء الأربعة، وغير ذلك – إذا نصروا مثل هذه العقائد لا يكونون منطلقين من منطلق أصول ومنهج السلف، يقول شيخ الإسلام عنهم: « وكثير من أهل الكلام في كثير مما ينصره لا يكون عارفاً بحقيقة دين الإسلام في ذلك، ولا ما جاءت به السنة، ولا ما كان عليه السلف،

(1157) منهاج السنة(68/3).

(1158) المصدر السابق (208/3).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فينصر ما ظهر من قولهم بغير المآخذ التي كانت مآخذهم في الحقيقة، بل بمآخذ آخر قد تلقوها عن غيرهم من أهل البدع، فيقع في كلام هؤلاء من التناقض والاضطراب والخطأ ما ذم به السلف مثل هذا الكلام وأهله..» (1159).

ومن الأمثلة الواضحة التي ذكرها شيخ الإسلام – دليلاً على جهل هؤلاء بمذهب السلف مسألة « القرآن » والخلاف فيها، وقد قدم لذلك بقوله: بعد ذكره للخلاف بين المعتزلة والأشاعرة، « فأخذ هذا بعض صفة الكلام وهذا بعضها، والمتكلم المعروف من قام به الكلام، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته، ولهذا يوجد كثير من المتأخرين المصنفين في المقالات والكلام يذكرون في أصل عظيم من أصول الإسلام الأقوال التي يعرفونها، وأما القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل فلا يعرفونه، ولا يعرفون قائله، فالشهرستاني صنف الملل والنحل وذكر فيها من مقالات الأمم ما شاء الله، والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه ولم يذكره، والقاضي أبو بكر، وأبو المعالي، والقاضي أبو يعلى، وابن الزاغوني، وأبو الحسين البصري، ومحمد ابن الهيصم، ونحو هؤلاء من أعيان الفضلاء المصنفين، تجد الواحد منهم يذكر في مسألة القرآن أو نحوها عدة أقوال للأمة، ويختار واحداً منها، والقول الثابت عن السلف والأئمة كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لا يذكره الواحد منهم » (1160).

ثم ذكر شيخ الإسلام أن الجويني في الإرشاد لم يذكر في مسألة كلام الله إلا أربعة أقوال: قول المعتزلة، والكرامية، والكلابية – الذي يرجحه – وقولاً رابعاً نسبه إلى الحشوية وأهل الظاهر، زعم فيه أنهم يقولون إن المسموع من أصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى، وأن القرآن إذا كتب بجسم صار المداد عين كلام الله القديم

(1159) الإيمان (ص: 416)، ط المكتب الإسلامي.

(1160) درء التعارض (307/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(1161)، قال شيخ الإسلام معلقاً على ما ذكره في هذا القول: « ومعلوم أن هذا القول لا يقوله عاقل يتصور ما يقول » (1162)، فلم يذكر الجويني القول عن أئمة السلف، فلما جاء الشهرستاني – وهو أعلم بالمقالات من أخوانه (1163)– ذكر قولاً سادساً نسبه إلى السلف والحنابلة وفصل القول فيه، وذكر فيه قولهم: إن القرآن حروف وأصوات أزلية كما ذكر تفريقهم بين صوت القارئ وكلام الباري (1164)، قال ابن تيمية: « قلت فهذا القول الذي ذكره الشهرستاني وحكاه عن السلف والحنابلة ليس هو من الأقوال التي ذكرها صاحب الإرشاد وأتباعه، فإن أولئك لم يحكوا إلا قول من يجعل القديم عين صوت العبد والمداد، وهذا القول لا يعرف به قائل له قول أو مصنف في الإسلام، وأما القول الذي ذكره الشهرستاني فقال به طائفة كبيرة، وهو أحد القولين لمتأخري أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم من الطوائف، وهو المذكور عن أبي الحسن بن سالم وأصحابه السالمية» (1165)، ثم قال شيخ الإسلام: « فبعض هذا القول الذي ذكره الشهرستاني عن السلف منقول بعينه عن السلف، مثل إنكارهم على من زعم إن الله خلق الحروف، وعلى من زعم أن الله لا يتكلم بصوت ومثل تفريقهم بين صوت القارئ وبين الصوت الذي يسمع من الله، ونحو ذلك فهذا كله موجود عن السلف والأئمة، وبعض ما ذكره من هذا القول ليس هو معروفاً عن السلف والأئمة، مثل إثبات القدم والأزلية لعين اللفظ المؤلف، ولكن القول الذي أطبقوا

(1161) انظر: كلام الجويني في الإرشاد (ص:128–130)، ونقله شيخ الإسلام في درء التعارض (310/2–311).

(1162) انظر: درء التعارض (311/2).

(1163) انظر: المصدر السابق (315/2).

(1164) انظر: كلام الشهرستاني في نهاية الإقدام(ص: 309–310، 313، 317)، ونقل أغلبه ابن تيمية في درء التعارض (315/2–321).

(1165) انظر: درء التعارض (321/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

عليه: هو أن كلام الله غير مخلوق، ولكن تنازعوا في مرادهم بذلك، والنزاع في ذلك موجود في عامة الطوائف من أصحاب أحمد وغيرهم.. والنزاع في ذلك مبني على هذا الأصل، أنه لم يزل متكلماً – هل يتعلق بقدرته ومشيئته أم لا؟ فهذا القول السابع لم يذكره الشهرستاني ونحوه، إذا الأقوال المعروفة للناس في مسألة الكلام سبعة أقوال » (1166)، أي من غير قول أهل الحق.

فالجويني والشهرستاني لم يعرفا حقيقة مذهب السلف ليحكموا على الوجه الصحيح.

ب . أما نقد شيخ الإسلام المفصل لبعض أعلام الأشاعرة لجهلهم باسنة ومذهب السلف فكثير، ويمكن الإشارة إلى النماذج التالية:

1ـ قال عن أبي الحسن الأشعري: « لا ريب أن الأشعرية إنما تعلموا الكتاب والسنة من أتباع الإمام أحمد ونحوه بالبصرة وبغداد، فإن الأشعري أخذ السنة بالبصرة عن زكريا بن يحيى الساجي، وهو من علماء أهل الحديث المتبعين لأحمد ونحوه، ثم لما قدم بغداد أخذ عمن كان بها، ولهذا يوجد أكثر ألفاظه التي ذكرها عن أهل السنة والحديث إما ألفاظ زكريا بن يحيى الساجي التي وصف بها مذهب أهل السنة، وإما ألفاظ أصحاب الإمام أحمد وما ينقل عن أحمد ورسائله الجامعة في السنة، وإلا فالأشعري، لم يكن له خبرة بمذهب أهل السنة وأصحاب الحديث، وإنما يعرف أقوالهم من حيث الجملة، لا يعرف تفاصيل أقوالهم وأقوالهم أئمتهم، وقد تصرف فيما نقله عنهم باجتهاده في مواضع يعرفها البصير، وأما خبرته بمقالات أهل الكلام فكانت خبرة تامة على سبيل التفصيل، ولهذا لما صنف كتابه في مقالات الإسلاميين ذكر مقالات أهل الكلام واختلافهم على التفصيل، وأما أهل السنة والحديث فلم يذكر عنهم إلا جملة مقالات مع أن لهم في تفاصيل تلك من الأقوال أكثر مما لأهل الكلام، وذكر الخلاف بين أهل الكلام في الدقيق فلم يذكر النزاع بين أهل الحديث في الدقيق

(1166) انظر: درء التعارض (323/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

» (1167)، ويقول شيخ الإسلام – في موضع آخر – « ومن أجمع الكتب التي رأيتها في مقالات الناس المختلفين في أصول الدين كتاب أبي الحسن الأشعري، وقد ذكر فيه من المقالات وتفصيلها ما لم يذكره غيره، وذكر فيه مذهب أهل الحديث والسنة بحسب ما فهمه عنهم، وليس في جنسه أقرب إليهم منه، ومع هذا نفس القول الذي جاء به الكتاب والسنة وقال به الصحابة والتابعون له بإحسان في القرآن والرؤية والصفات والقدر وغير ذلك من مسائل أصول الدين ليس في كتابه.

وقد استقصى ما عرفه من كلام المتكلمين، وأما معرفة ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وآثار الصحابة فعلم آخر لا يعرفه أحد من هؤلاء المتكلمين المختلفين في أصول الدين، ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها متفقين على ذم أهل الكلام... » (1168). والأشعري – كما هو معلوم – أقرب بني طائفته إلى مذهب أهل السنة.

2ـ ابن فورك، والقاضي أبو يعلى، والقشيري، وقد انتقد هؤلاء لخلطهم في كتبهم بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، يقول عن ابن فورك وغيره: « ولكن هؤلاء يقرنون بالأحاديث الصحيحة أحاديث كثيرة موضوعة، ويقولون بتأويل الجميع، كما فعل بشر المريسي، ومحمد بن شجاع الثلجي وأبو بكر ابن فورك في كتابه « مشكل الحديث» حتى أنهم يتأولون حديث عرق الخيل (1169)، وأمثاله من الموضوعات » (1170)، ويقول عن القاضي أبي يعلى الحنبلي – الذي يميل إلى الأشاعرة – « وقد صنف القاضي أبو يعلى كتابه في أبطال التأويلات رداً لكتاب ابن

(1167) التسعينية (ص: 286–287).

(1168) منهاج السنة (70/3)، وانظر أيضاً (71/3–208)، ومجموع الفتاوي (308/16)، ودرء التعارض (36/7).

(1169) سبق بيان حاله (ص:751).

(1170) درء التعارض (236/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فورك، وهو وإن كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها، ففيها عدة أحاديث موضوعة » (1171)، ويقول عن القشيري « إن ما يوجد في « الرسالة » وأمثالها من كتب الفقهاء والصوفية وأهل الحديث من المنقولات عن النبي ε وغيره من السلف فيه الصحيح والضعيف والموضوع.. وغالب أبواب الرسالة فيها الأقسام الثلاثة » (1172). وهؤلاء مع جهلهم بالسنة فهم أيضاً يشاركون عموم أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم في جهلهم بمذهب أهل السنة.

3ـ أبو المعالي الجويني، وقد سبق نقل كلام شيخ الإسلام عنه وعن الشهرستاني وغيرهما من أهل الكلام في جهلهم بمذهب أهل السنة، وقد بين في التسعينية جهل الجويني بالسنة وأقوال سلف الأمة فيقول في معرض مناقشته له حول الصفات الخبرية وغيرها: « وأبو المعالي يتكلم بمبلغ علمه في هذا الباب وغيره، وكان بارعاً في فن الكلام الذي يشترك فيه أصحابه والمعتزلة – وإن كانت المعتزلة هم الأصل فيه – لكثرة مطالعته لكتب أبي هاشم ابن الجبائي، فأما الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وقول أئمتها فكان قليل المعرفة بها جداً، وكلامه في غير موضع يدل على ذلك، ولهذا تجده في عامة مصنفاته في أصوله وفروعه إذا اعتمد على قاطع فإنما هو ما يدعيه من قياس عقلي أو إجماع سمعي، وفي كثير من ذلك ما فيه، فأما الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها فهو قليل الاعتماد عليها والخبرة بها » (1173)، ثم ذكر مثالاً في رده على الآجري، وبيان أبي عبد الله القرطبي ما في رد الجويني على الآجري من التحامل، ثم ناقش شيخ الإسلام كلام الجويني من وجوه عديدة (1174)،

(1171) المصدر السابق (237/5).

(1172) مجموع الفتاوي (680/10)، والكلام نفسه في الاستقامة (69/2).

(1173) التسعينية (ص: 243-244).

(1174) انظر: المصدر السابق (ص: 244-251).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثم قال: « ومن العجب أن الآجري يروي في كتاب الشريعة له من طريق مالك والثوري والليث وغيرهم، فلو تأمل أبو المعالي وذووه الكتاب الذي أنكروه لوجدوا فيه مايخصهم، ولكن أبو المعالي مع فرط ذكائه وحرصه على العلم وعلو قدره في فنه، كان قليل المعرفة بالآثار النبوية، ولعله لم يطالع الموطأ بحال حتى يعلم ما فيه، فإنه لم يكن له بالصحيحين –البخاري ومسلم – وسنن أبي داود والنسائي والترمذي، وأمثال هذه السنن علم أصلاً، فكيف بالموطأ ونحوهن وكان مع حرصه على الاحتجاج في مسائل الخلاف في الفقه إنما عمدته سنن أبي الحسن الدارقطني، وأبو الحسن مع تمام إمامته في الحديث فإنه إنما صنف هذه السنن كي يذكر فيها الأحاديث المستغربة في الفقه، ويجمع طرقها، فإنها هي التي يحتاج فيها إلى مثله، فإما الأحاديث المشهورة في الصحيحين وغيرهما فكان يستغني عنها في ذلك، فلهذا كان مجرد الاكتفاء بكتابه في هذا الباب يورث جهلاً عظيماً بأصول الإسلام، واعتبر ذلك بأن كتاب أبي المعالي الذي هو نخبة عمره : « نهاية المطلب في دراية المذهب » ليس فيه حديث واحد معزو إلى صحيح البخاري إلا حديث واحد في البسملة، وليس ذلك الحديث في البخاري كما ذكره، ولقلة علمه وعلم أمثاله بأصول الإسلام اتفق أصحاب الشافعي على أنه ليس لهم وجه (1175) في مذهب الشافعي، فإذا لم يسوغ أصحابه أن يعتد بخلافهم في مسألة منم فروع الفقه، كيف يكون حالهم في غير هذا؟ وإذا اتفق أصحابه على أنه لا يجوز أن يتخذ إماماً في مسألة واحدة من مسائل الفروع، فكيف

(1175) الوجه والأوجه عند فقهاء الشافعية: ما نسب إلى أصحاب الشافعي من كل مجتهد متقيد بمذهب الإمام، يخرجونها على أصوله، ويستنبطونها من قواعده، ويجتهدون في بعضها وأن لم يأخذوه من أصله، واختلفت الشافعية هل ينسب الوجه إلى الشافعي، قال النووي وغيره: الأصح أنه لا ينسب. انظر: المجموع للنووي (1/111،78)، – ت المطيعي، ونهاية المحتاج (1/48).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يتخذ إماماً في أصول الدين، مع العلم بأنه إنما نيل قدره عند الخاصة والعامة بتبحره في مذهب الشافعي – رضي الله عنه – لأن مذهب الشافعي مؤسس على الكتاب والسنة، وهذا الذي ارتفع به عند المسلمين، غايته فيه أنه يوجد منه نقل جمعه، أو بحث تفطن له، فلا يجعل إماماً فيه كالأئمة الذين لهم وجوه (1176)، فكيف بالكلام الذي نص الشافعي وسائر الأئمة على أنه ليس بعد الشرك بالله ذنب أعظم منه، وقد بينا أن ما جعله أصل دينه في الإرشاد والشامل وغيرهما هو بعينه من الكلم الذي نصت عليه الأئمة » (1177). والجويني – كما سبق بيانه في ترجمته وبيان منهجه – من أعظم الأشاعرة أثراً في نقل المذهب الأشعري إلى التأويل في الصفات والقرب من مذاهب المعتزلة.

4ـ الغزالي: قال الغزالي عن نفسه: « بضاعتي في علم الحديث مزجاة » (1178)، وكثيراً ما يشير شيخ الإسلام إلى هذه الشهادة التي شهد بها على نفسه، ويقول عنه : « وأبو حامد ليس له من الخبرة بالآثار النبوية والسلفية ما لأهل المعرفة بذلك، الذين يميزون بين صحيحه وسقيمه، ولهذا يذكر في كتبه من الأحاديث والآثار الموضوعة والمكذوبة ما لو علم أنها موضوعة لم يذكرها» (1179)، ويقول عنه أيضاً: – بعد ذكره لطريقة الصحابة وأن التابعين لهم بإحسان من أهل الحديث والسنة وكانوا معظمين لهم – « فهؤلاء الذين هم أفضل الخلق من الأولين والآخرين لم يذكرهمن أبو حامد، وذلك لأن هؤلاء لا يعرف طريقهم إلا من كان خبيراً بمعاني

(1176) التسعينية (ص: 250–251).

(1177) قانون التأويل (ص: 246)، في ذيل معارج القدس.

(1178) انظر مثلاً: نقض التأسيس المخطوط (3/99–100)، ودرء التعارض (1/5)، ومجموع الفتاوي (35–176).

(1179) درء التعارض (7/149)،

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

القرآن خبيراً بسنة رسول الله ε خبيراً بآثار الصحابة، فقيهاً في ذلك عاملاً بذلك، وهؤلاء هم أفضل أهل الخلق منم المنتسبين إلى العلم والعبادة، وأبو حامد لم ينشأ بين من كان يعرف طريقة هؤلاء، ولاتلقى عن هذه الطبقة، ولا كان خبيراً بطريقة الصحابة والتابعين، بل كان يقول عن نفسه: أنا مزجى البضاعة في الحديث، ولهذا يوجد في كتبه من الأحاديث الموضوعة والحكايات الموضوعة ما لا يعتمد عليه من له علم بالآثار » (1180)، ولجهل الغزالي والرازي بمذهب السلف اعتمد عليه الأخير في نقل مذهب السلف في الصفات وأنه إما التأويل وإما التفويض (1181).

5ـ الشهرستاني: وقد سبقت الإشارة إلى نقد ابن تيمية له، وقد قال فيه: « والشهرستاني لا خبرة له بالحديث وآثار الصحابة والتابعي، ولهذا نقل في كتابه هذا ما ينقل من اختلاف غير المسلمين واختلاف المسلمين، ولم ينقل مع هذا مذهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في الأصول الكبار، لأنه لم يكن يعرف هذا وهو وأمثاله من أهل الكلام» (1182).

6. الفخر الرازي: يقول عنه شيخ الإسلام : « ليس في كتبه – وكتب أمثاله – في مسائل أصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول، الذي بعث الله به الرسول، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها، بل يذكر بحوث المتفلسفة الملاحدة » (1183)، ويقول عنه أيضاً: « والرازي لم يكن له خبرة بأقوال طوائف المسلمين »

(1180) شرح الأصفهانية (ص: 128).
(1181) انظر: نقض التأسيس المخطوط (358/2).
(1182) منهاج السنة (214/3)، وانظر أيضاً (208/3–209).
(1183) تفسير سورة الإخلاص، مجموع الفتاوي (247/17).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

(1184)، بل إنه يذكر في تفسيره أحياناً أقوالاً كلها باطلة ولا يذكر القول الحق(1185).

سادساً: إرجاع أقوالهم المخالفة لمذهب أهل السنة إلى أصول الفلاسفة والجهمية والمعتزلة.

مما سبق تبينت بعض الأصول في نقد ابن تيمية للأشاعرة وهي:

- عدم اعتمادهم أساساً على الكتاب والسنة.
- خوضهم في علم الكلام المذموم.
- اعتقادهم أن مذهب الخلف أعلم وأحكم من مذهب السلف.
- جهلهم بالسنة وبمذهب السلف وبعدهم عنه.

ولا شك أن تحقق هذه الأمور فيهم يدل على أنهم في أقوالهم وكتبهم قد اعتمدوا على أصول ومناهج وطرق بعيدة عن الكتاب والسنة ومذهب أهل السنة والجماعة، ولذلك ركز شيخ الإسلام –في نقده لهم – على إرجاع أقوالهم إلى أصولها الفلسفية والاعتزالية والجهمية.

وقد كان منهج شيخ الإسلام في ذلك كما يلي:

أ . بيان الأصول المختلفة التي ترجع إليها أقوال هؤلاء، وقد بنى هذا على التطور الذي حدث للمذهب الأشعري، حين بدأ متأثراً ببعض أصول المعتزلة، ثم زاد ليشمل أصولاً أخرى لهم، ثم زاد ليكون التأثر بالفلاسفة أيضاً، يقول شيخ الإسلام – مرتباً هذا التأثر من الأعلى إلى الأدنى – وهو يتكلم عن الفخر الرازي: « ولهذا يوجد في كلام

(1184) انظر: منهاج السنة (306/2)، المحققة.

(1185) انظر: منهاج السنة (110/3)، وانظر أيضاً: درء التعارض (254/9، 260-262)، نقض التأسيس المخطوط (357/2-358)، مجموع الفتاوي (62/4-63)، منهاج السنة (68/3-109،69).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هذا وأبي حامد ونحوهما من الفلسفة ما لا يوجد في كلام أبي المعالي وذويه، ويوجد في كلام هذا وأبي المعالي وأبي حامد من مذهب النفاة المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي الحسن الأشعري وقدماء أصحابه، ويوجد في كلام أبي الحسن من النفي الذي أخذه من المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي محمد بن كلاب الذي أخذ أبو الحسن طريقه، ويوجد في ابن كلاب من النفي الذي قارب فيه المعتزلة مالا يوجد في كلام أهل الحديث والسنة والسلف والأئمة، وإذا كان الغلط شبراً صار في الاتباع ذراعاً ثم باعاً، حتى آل هذا المآل، فالسعيد من لزم السنة » (1186)، ويقول عن ابن كلاب وإثباته العلو وقوله عن النفاة: « إذا قالوا ليس هو فوق وليس هو تحت فقد أعدموه، لأن ما كان لا تحت ولا فوق فعدم »، قال شيخ الإسلام معلقاً: « وهذا كله يناقض قول هؤلاء الموافقين للمعتزلة والفلاسفة من متأخري الأشعرية ومن وافقهم من الحنبلية والمالكية والحنفية والشافعية وغيرهم من طوائف الفقهاء الذين يقولون: ليس هو تحت وليس هو فوق » (1187)، وأحياناً يعرض للمصادر المختلفة للعلم الواحد من أعلامهم، يقول عن الرازي: « أبو عبدالله الرازي غالب مادته في كلام المعتزلة ما يجده في كتب أبي الحسن البصري وصاحبه محمود الخوارزمي، وشيخه عبد الجبار الهمذاني ونحوهم، وفي كلام الفلاسفة: ما يجده في كتب ابن سينا وأبي البركات ونحوهما، وفي مذهب الأشعري: يعتمد على كتب أبي المعالي كالشامل ونحوه، وبعض كتب القاضي أبي بكر وأمثاله، وهو ينقل أيضاً من كلام الشهرستاني وأمثاله » (1188)، وفي موضع آخر يذكر أن مادته الكلامية من كلام أبي المعالي

(1186) السبعينية (ص: 108).

(1187) درء التعارض (122/6)، وانظر: شرح الأصفهانية (ص: 78).

(1188) درء التعارض (159/2).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والشهرستاني، وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني أيضاً (1189)، ويذكر أيضاً أن فيه تجهماً قوياً وميلاً للدهرية والفلاسفة (1190).

ب . إرجاع أقوالهم تفصيلاً إلى طائفة من الطوائف المنحرفة ومنها:

1. الجهمية:

يقوم مذهب الجهمية على عدة أصول منحرفة أبرزها: نفي الأسماء والصفات، والجبر، والإرجاء (1191)، وتأثر الأشاعرة بهم جاء في هذه الأمور، أما بالنسبة لمسألة القدر والإيمان فواضح، وأما الصفات فمن المعلوم أن المعتزلة تأثروا فيها بالجهمية، ولذلك يسمون – في هذا الباب – بالجهمية، والأشاعرة تأثروا بالمعتزلة في نفيهم لكثير من الصفات.

يقول شيخ الإسلام عن الأشاعرة: « والأشعري وأمثاله، برزخ بين السلف والجهمية، أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً، ومن هؤلاً أصولاً عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة، فمن الناس من مال إليه من الجهة السلفية، ومن الناس من مال إليه من الجهة البدعية الجهمية كأبي المعالي وأتباعه » (1192)، وفي موضع آخر يحدد شيخ الإسلام هذه الأصول، فيقول عن الجويني: « والأصول التي يقررها هي أصول

(1189) انظر: السبعينية (ص: 107).

(1190) انظر: نقض التأسيس المطبوع (122/1).

(1191) انظر في أقوال ومذهب الجهمية: مقالات الإسلاميين (ص: 279) – ريتر، والتنبيه للملطي (ص:96)، والفرق بين الفرق (ص: 211)، والملل والنحل للبغدادي (ص: 145)، وللشهرستاني (86/1)، والتبصير بالدين للأسفراييني (ص: 96)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص: 68)، النشار، والبرهان للسكسكي (ص: 17)، والمنية والأمل (ص: 107)، ت جواد مشكور، والفرق الإسلامية، ذيل شرح المواقف للكرماني (ص: 89)، وغيرها.

(1192) مجموع الفتاوي (471/16).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جهمن بن صفوان في الصفات والقدر والإرجاء، وقد ظهر ذلك في اتباعه كالمدعي المغربي في مرشدته وغيره، فإن هؤلاء في القدر يقولون بقول جهم يميلون إلى الجبر، وفي الإرجاء بقول جهم أيضاً، لأن الإيمان هو المعرفة، وأما الصفات فيهم يخالفون جهماً والمعتزلة، فهم يثبتون الصفات في الجملة، لكن جهم والمعتزلة حقيقة قولهم نفي الذات والصفات وإن لم يقصدوا ذلك ولم يعتقدوه، وهؤلاء حقيقة قولهم إثبات صفات بلا ذات، وإن يعتقدوا ذلك ويقصدوه، ولهذا هم متناقضون لكن هم خير من المعتزلة، ولهذا إذا حقق قولهم لأهل الفطر السليمة يقول أحدهم، فيكون الله شبحاً، وشبحه خيال الجسم، مثل ما يكون من ظله على الأرض، وذلك هو عرض، فيعلمون أن من وصف الرب بهذه الأسلوب، مثل قولهم: لا داخل العالم ولا خارجه ونحوه، فلا يكون الله على قوله شيئاً، قائماً بنفسه، موجوداً، بل يكون كالخيال الذي يشبحه الذهن من غير أن يكون ذلك الخيال قائماً بنفسه، ولا ريب أن هذا حقيقة قول هؤلاء الذين يزعمون أنهم ينزهون الرب بنفي الجسم وما يتبع ذلك، ثم إنهم مع هذا النفي، إذا نفوا الجسم وملازيمه وقالوا: لا داخل العالم ولا خارجه، فيعلم أهل العقول أنهم لم يثبتوا شيئاً قائماً بنفسه موجوداً» (1193)، ويلاحظ في هذا النص لشيخ الإسلام كيف بين أن متأخري الأشعرية نفاة العلو، والصفات الخبرية، يؤول قولهم إلى قول الجهمية نفاة الأسماء والصفات، لأنهم إذا قالوا: إن الله ليس بجسم، ثم قالوا: إنه لا داخل العالم ولا خارجه، فكأنهم أعدموه وهذا وجه شبههم بالجهمية.

أما في المسألة القدر: فيقول شيخ الإسلام عن الصوفية وموافقتهم للجهمية في القدر والميل إلى الجبر – « وهو قول الأشعري وأتباعه، وكثير من الفقهاء أتباع الأئمة الأربعة، ومن أهل الحديث والصوفية، فإن هؤلاء أقروا بالقدر موافقة للسلف وجمهور الأئمة، وهم مصيبون في ذلك، وخالفوا القدرية من المعتزلة وغيرهم في نفي

(1193) التسعينية (ص: 255-256).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

القدر، ولكن سلكوا في ذلك مسلك الجهم بن صفوان وأتباعه » (1194)، ولكنهم مع موافقتهم له» نازعوه في بعض ذلك نزاعاً لفظياً أتوا بما لا يعقل» (1195)، كما أن الأشاعرة وافقوا الجهمية في الحسن والقبح وكونه مأموراً أو محظوراً (1196)، كما وافقوهم في نفي التعليل (1197)، وفي مسألة المشيئة والإرادة وهل هي بمعنى المحبة فإن الجهمية قالت: « هو يشاء ذلك فهو يحبه ويرضاه، وأبو الحسن وأكثر أصحابه وافقوا هؤلاء، فذكر أبو المعالي الجويني أن أبا الحسن أول من خالف السلف في هذه المسألة، ولم يفرق بين المشيئة والمحبة والرضا » (1198).

وأما الإيمان فيقول شيخ الإسلام: « الإيمان مجرد تصديق القلب، وإن لم يتكلم به هذا قول جهم ونصره الأشعري وأصحابه، ولكن قالوا مع ذلك: إن كل من حكم الشارع بكفره حكمنا بكفره، واستدللنا بتكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة » (1199)، وفي موضع آخر يوضح مدى تأثر الأشاعرة بالجهمية في الإيمان فيقول: « وأما الأشعري فالمعروف عنه وعن أصحابه أنهم يوافقون جهماً في قوله في الإيمان، وأنه مجرد التصديق القلب أو معرفة القلب، لكن قد يظهرون مع ذلك قول أهل الحديث ويتأولونه ويقولون بالاستثناء على الموافاة، فليسوا موافقين لجهم من كل وجه» (1200)، ويذكر أن الباقلاني نصر قول جهم في مسألة الإيمان متابعة للأشعري،

(1194) مجموع الفتاوي (8/339-340).
(1195) منهاج السنة (1/326)، المحققة، وانظر: مجموع الفتاوي (8/230).
(1196) انظر: مجموع الفتاوي (8/231).
(1197) انظر: منهاج السنة(1/94-95)، المحققة.
(1198) مجموع الفتاوي (8/474-475)، وانظر أيضاً (8/230).
(1199) الفرقان بين الحق والباطل، مجموع الفتاوي (13/47).
(1200) النبوات (ص: 199).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وكذلك أكثر أصحابه (1201)، ويذكر في شرح الأصفهانية أن المتأخرين من أصحاب الأشعري وافقوا الجهم في مسألة الإيمان (1202).

والسؤال الذي يرد هنا هو أنه قد يلحظ أن الأشعرية يوافقون الجهمية في بعض الأصول كالإيمان والقدر وكثير من فروع مسائله فلماذا؟ ويمكن أن يقال في الجواب بأن الأشعري – وقد فرّ من مذهب المعتزلة بعد أن اعتنقه زمناً طويلاً – كان هارباً من المعتزلة ومن كل ما جاؤوا به من عقائد، فصار يعارضهم في جميع عقائدهم، فلما كانوا في الإيمان وعيدية يخلدون في النار مرتكب الكبيرة، فرّ إلى المرجئة ظناً منه أنه قول السلف، وكذلك لما كانوا قدرية ينكرون القدر قال بضد قولهم فمال إلى الجبر. والله أعلم.

2. المعتزلة:

يقوم مذهب المعتزلة على الأصول الخمسة المعروفة، وقد تفرعت عنها الأقوال التي اشتهروا بها كنفي القدر، ونفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وإنكار الرؤية، وغيرها (1203)، والأشعري وأصحابه خالفوا المعتزلة في كثير من أصولهم، وردوا

(1201) انظر: الإيمان (ص:114)، –ط المكتب الإسلامي، وانظر أيضاً (ص: 385).

(1202) انظر: شرح الأصفهانية(ص: 143).

(1203) لابد من الانتباه إلى أن هناك تداخلاً بين مذهبي المعتزلة والجهمية نظراً لاتفاقهما في مسألة خلق القرآن وإنكار الصفات والرؤية، وكثير من السمعيات، واختلافهما في مسألة: القدر، والإيمان، ولتوضيح هذه المسألة يمكن الإشارة إلى ما يلي:

1– كانت بدعة القدرية من أوائل البدع ظهوراً، حيث ظهرت في عهد الصحابة وأول من قال بها معبد الجهني الذي قتله الحجاج سنة 80هـ تقريباً، وكان قد نشأ في المدينة المنورة ثم انتقل إلى البصرة، وقد رد الصحابة كابن عمر وابن عباس على هؤلاء ثم جاء بعد الجعد غيلان الدمشقي الذي توفي بعد سنة 105هـ، وكان من قوله بالقدر على مذهب المرجئة

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

(انظر: مقالات الأشعري ص: 136-137، سنة 105هـ، وهؤلاء القدرية هم شيوخ المعتزلة في باب القدر، وذلك أنه لما حدثت بدعتهم أوائل المئة الثانية وكانت تقوم على مسألة الإيمان والمنزلة بين المنزلتين وإنفاذ الوعيد، ضموا إلى ذلك القول بالقدر لتناسبه مع التكليف وانفاذ الوعيد، ويلاحظ أن غيلان الدمشقي من شيوخ المعتزلة في القدر فقط أما الإيمان فهم على الضد منه.

2. أول من قال بخلق القرآن وإنكار الصفات الجعد بن درهم، قتل نحو سنة 118هـ، وتبعه على ذلك الجهم بن صفوان الذي قتل أيضاً سنة 128هـ، وعاش بسمرقند وترمذ، وقد ضم الجهم إلى قوله بذلك القول الجبر، والإرجاء الغالي، وقوله في هذين الأمرين على الضد من قول المعتزلة.=

=3. نشأت المعتزلة على يد واصل بن عطاء – ت 131هـ، وعمرو بن عبيد ت 144هـ، وكان ذلك زمن الحسن البصري الذي توفي سنة 110هـ، ومعنى ذلك أن نشأتهم كان أوائل المئة الثانيةن وقد أورد البعض أن هناك نوع مراسلات بين واصل والجهم، ولم يلتقيا، وقد ذكر الإمام أحمد في الرد على الزنادقة (ص:66-67 ضمن عقائد السلف) أن ممن تبع الجهم في أقواله في نفي الصفات أصحاب عمرو بين عبيد بالبصرة، وقد كان واصل يقول أيضاً بالقدر، إضافة إلى مسألة المنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، ولكن مصطلح الأصول الخمسة لم يوجد إلا في عهد بشر بن المعتمر المعتزلي ت 210 تقريباً، (كما أشار إلى ذلك الملطي في التنبيه ص38).

4. مما سبق يلاحظ كيف أن غيلان الدمشقي شيخ المعتزلة في القدر. أما في الإيمان فهو مرجئ موافق للجهم، وأن الجهم بن صفوان تأثر به المعتزلة في الصفات، حتى غلب عليهم اسم الجهمية، بينما هم مخالفون له في القدر والإيمان، ومما يوضح هذا أن بشراً المريس ت 218هـ، الذي رد عليه أئمة السنة، والذي تأثر بتأويلاته وتجهمه المعتزلة وبعض الأشاعرة كان في مسألة الإيمان على مذهب المرجئة (انظر: مقالات الأشعري ص: 140-149)، ومثله أحمد بن أبي داؤد فإنه جمع في المحنة أنصاره الجهمية من المعتزلة وغيرهم.

5. كانت محنة الإمام أحمد وأهل السنة مع جنس الجهمية –ومنهم المعتزلة، وليست مع المعتزلة فقط – ولذلك رد عليهم الإمام أحمد والدارمي وغيرهما وسموهم بالجهمية، لأن كل

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

عليهم ردوداً طويلة، وصات مخالفة المعتزلة عندهم من الأمور التي يوردونها ويركزون عليها في جميع كتبهم تقريباً.

وشيخ الإسلام مع تسليمه بهذا يقر في كتبه أن الأشاعرة تتلمذوا وتأثروا بالمعتزلةن وسلموا لهم بعض الأصول المخالفة لمذهب أهل السنة، وليس في هذا تناقض لأن الأصول التي سلموها غير الأصول التي ردوها، وقد أوضح شيخ الإسلام هذا الأمر فقال تعليقاً على قول خلف المعلم المالكي: « أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال، ثم أظهر التوبة، فرجع عن الفروع، وثبت على الأصول»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « قلت: ليس مراده بالأصول ما أظهروه من مخالفة السنة، فإن الأشعري مخالف لهم فيما أظهروه من مخالفة السنة، كمسألة الرؤية، والقرآن، والصفات. ولكن أصولهم الكلامية العقلية التي بنوا عليها الفروع المخالفة للسنة، مثل هذا الأصل الذي بنوا عليه حدوث العالم وإثبات الصانع، فإن هذا أصل من أصولهم، كما قد بينا كلام أبي الحسن البصري وغيره في ذلك، وأن الأصل الذي بنت عليه المعتزلة كلامها في أصول الدين، هو هذا الأصل الذي ذكره الأشعري، لكنه مخالف لهم في كثير من لوازم ذلك وفروعه، وجاء كثير من أتباعه المتأخرين كأتباع صاحب الإرشاد، فأعطوا الأصول – التي سلمها للمعتزلة– حقها في اللوازم، فوافقوا المعتزلة على موجبها، وخالفوا شيخهم أبا الحسن وأئمة أصحابه، فنفوا الصفات الخبرية، ونفوا العلو، وفسروا الرؤية بمزيد علم لا ينازعهم فيه المعتزلة، وقالوا: ليس بيننا وبين المعتزلة خلاف في

معتزلي فهو جهمي في الصفات، وليس كل جهمي معتزلياً (انظر: رسالة القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة – رسالة ماجستير (ص؟: 160–166) ط على الآلة الكاتبة.

(وانظر: فيما سبق أيضاً: المنية والأمل ص 122 وما بعدها، ت مشكور، ونشأة الفكر الفلسفي للنشار 314/1، وما بعدها، وعمرو بن عبيد وآراؤه الكلامية ص 88 وما بعدها، وانظر أيضاً: الحسنة والسيئة لشيخ الإسلام ابن تيمية –مجموع الفتاوي 347/14 وما بعدها .)

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المعنى، وإنما خلافهم مع المجسمة، وكذلك قالوا في القرآن: إن القرآن الذي قالت المعتزلة: إنه مخلوق نحن نوافقهم على خلقه، ولكن ندعي ثبوت معنى آخر وأنه واحد قديم، والمعتزلة تنكر تصور هذا بالكلية، وصارت المعتزلة والفلاسفة مع جمهور العقلاء يشنعون عليهم بمخالفتهم لصريح العقل، ومكابرتهم للضروريات وسبب ذلك تسليمهم لهم صحة تلك الأصول، التي ذكر الأشعري أنها مبتدعة في الإسلام» (1204)، فقد أوضح شيخ الإسلام عدة حقائق في هذه المسألة:

ـ أن الأشعري خالف المعتزلة في مسائلهم الكبار التي خالفوا فيها أهل السنة وأهمها: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإثبات الصفات، والرؤية، وغيرها من السمعيات كالشفاعة في أهل الكبائر وعذاب القبر ونعيمه وغيرها.

. أن الأِشعري مع ذلك مسلم لهم بعض الأصول العقلية مثل دليل حدوث الأجسام الذي جاءوا بهن ولكن الأشعري مع قوله بصحة هذا الدليل إلا أنه خالف المعتزلة في أمرين:

أحدهما: بيانه أنه يمكن الاستغناء عن هذا الدليل لإثبات الصانع وحدوث العالم، وأن الرسل لم يدعوا إلى هذا الدليل لغموضه ووعورة مسلكه.

والثاني: أنه لم يلتزم لوازمه وفروعه، مثل إنكار العلو، ونفي كل صفة دلت على التجسيم حسب مصطلحهم، بل خالفهم الأشعري في ذلك فأثبت لله صفة العلو، والاستواء، كما أثبت الصفات الخبرية كالوجه واليد والعين.

. أن متأخري الأشعرية خالفوا إمامهم الأشعري وأصحابه،ووافقوا المعتزلة وذلك من خلال أمرين:

(1204) انظر: درء التعارض (7/236-238).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أحدهما: حصرهم دليل إثبات الصانع وحدوث العالم بدليل حدوث الأجسام الذي جاءت به المعتزلة، وقولهم بأن بطلانه يؤدي إلى بطلان دليل حدوث العالم، فيؤدي هذا إلى القول بقدم العالم وهو قول الفلاسفة والدهرية وهو كفر صراح.

الثاني: وهو مرتب على الأول، أن هؤلاء المتأخرين أعطوا أصول المعتزلة التي سلموها لهم حقها من اللوازم، فنفوا العلو والصفات الخبرية، وفسروا الرؤية بما يتوافق مع نفي العلو، وكذلك القرآن قالوا فيه قولاً لا يناقض قول المعتزلة القائلين بخلق القرآن.

وهؤلاء بذلك يكونون قد قربوا من المعتزلة كثيراً.

وقد أورد شيخ الإسلام في نقض التأسيس سؤالاً مهماً حول هذا الموضوع ومضمونه: إنه إذا كانت مسألة العلو– ودلائلها من الكتاب والسنة والإجماع، والفطرة والعقل – أظهر من أدلة « الرؤية » فلماذا أقر متأخرو الأشعرية بهذه وأنكروا تلك، مع أن المسألتين من مقالات المعتزلة التي خالفوا فيها أهل السنة؟ وقد أجاب شيخ الإسلام– بعد إن أورد السؤال مختصراً – بقوله: « قيل: سببه أن الجهمية كانت متظاهرة بدعوى خلق القرآن، وإنكار الرؤية، ولم تكن متظاهرة بإنكار العلو.. فكان الذين يناظرونهم من متكلمة إثبات الصفة كأبي سعيد ابن كلاب، وأبي الحسن الأشعري وأصحابهما، فظهر من مخالفتهم لهم في هاتين المسألتين (1205)، بسبب ظهور الخلاف فيهما ما لا يظهر فيما يخفونه من المسائل، ومع هذا فقد كان أولئك يخالفونهم أيضاً في إنكار أن الله فوق العرش.. لكن لم يأتوا في مناظرتهم بما يقطع مادة التجهم ويقلع عروقه، بل سلموا لهم بعض الأصول التي بنوا عليها التجهم، ومباحثهم في مسألة حدوث العالم، والكلام في الأجسام والأعراض، وهو من الكلام الذي ذمه السلف والأئمة، حتى قال محمد بن حويز منداد: أهل البدع والأهواء عند

(1205) أي مسألة: خلق القرآن، وإنكار الرؤية.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

مالك وأصحابه هم أهل الكلام، فكل متكلم في الإسلام فهو من أهل البدع والأهواء؛ أشعرياً كان أم غير أشعري (1206)، وذكر ابن خزيمة وغيره أن الإمام أحمد كان يحذر مما ابتدعه عبد الله بن سعيد بن كلاب وعن أصحابه كالحارث، وذلك لما علموه في كلامهم من المسائل والدلائل الفاسدة، وإن كان في كلامهم من الأدلة الصحيحة ما لا يوجد في كلام عامة الطوائف، فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث..».

« فلما كان الأمر كذلك جاء بعض المتأخرين من أتباعهمن فنظروا في الأصول التي وافقوا فيها الجهمية، وأخذوا لوازمها.. وكان أبو المعالي كثير المطالعة لكتب أبي هاشم، فصار هو وغيره يقودون الأصول التي وافق قدماؤهم فيها المعتزلة فرأوا أن من لوازمها نفي أن يكون الله على العرش، فتظاهروا بإنكار ذلك موافقة للمعتزلة، ولم يكن الخلاف في ذلك مع المعتزلة من المسائل المشهورة لما قدمناه، وأما مسألة الرؤية والقرآن فهي من شعائر المذهبين، فجعلوا ينصبون الخلاف مع المعتزلة في مسألة الرؤية، ويسلمون لهم نفي علو الله على العرش، وهذا عكس الواجب » (1207).

فمن هذا التحليل الدقيق الذي بناه شيخ الإسلام على التفريق بين متقدمي الأشاعرة ومتأخريهم، وأن المتقدمين لما ردوا على المعتزلة في المسائل المشهورة لم ينطلقوا من منهج السلف الخالص، وإنما ردوا عليهم ببعض الأصول الكلامية التي سلموها لهم، فلما جاء المتأخرون – وكان تأثرهم ومطالعتهم لكتب المعتزلة أقوى– التزموا لوازم تلك الأصول الفاسدة فنفوا العلو والصفات الخبرية ووافقوا المعتزلةفي كثير من المسائل، أو على الأقل لم يصبح الخلاف كبيراً وقوياً كما كان في السابق.

(1206) نقض التأسيس – مطبوع – (2/86-88).

(1207) نقض التأسيس –مطبوع – (2/86-88).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد شرح شيخ الإسلام بعض هذه الأصول التي تبعوا فيها المعتزلة فقال مخاطباً الأشاعرة: « وبالجملة فعامة ما ذمه السلف والأئمة وعابوه على المعتزلة من الكلام المخالف للكتاب والسنة والإجماع القديم، لكم منه أوفر نصيب، بل تارة تكونون أشد مخالفة لذلك من المعتزلة، وقد شراكتموهم في أصول ضلالهم التي فارقوا بها سلف الأمة وأئمتها ونبذوا بها كتاب الله وراء ظهورهم، فإنهم لا يثبتون شيئاً من صفات الله تعالى، ولا ينزهونه عن شيء بالكتاب والسنة. والإجماع موقوف على العلم وبذلك، والعلم بذلك لا يحصل به لئلا يلزم الدور، فيرجعون إلى مجرد رأيهم في ذلك، وإذا استدلوا بالقرآن كان ذلك على وجه الاعتضاد والاستشهاد لا على وجه الاعتماد والاعتقاد، وما خالق قولهم تأولوه على مقتضى آرائهم، واستخفوا بالكتاب والسنة، وسموها ظواهر، وإذا استدلوا على قولهم بمثل قوله: (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (الأنعام:103)، وقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى:11)، أو قوله(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد:4)، ونحو ذلك، لم تكن هذه النصوص هي عمدتهم، ولكن يدفعون بها عن أنفسهم عند المسلمين، وأما الأحاديث فلا حرمة لها عندهم، بل تارة يردونها بكل طريق ممكن، وتارة يتأولونها، ثم يزعمون أن ما وضعوه برأيهم قواطع عقلية، وأن هذه القواطع العقلية ترد لأجلها نصوص الكتاب والسنة إما بالتأويل وإما بالتفويض وإما بالتكذيب » – قال شيخ الإسلام بعد ذكره لهذه الأصول الاعتزالية، مخاطباً الأشاعرة: « وأنتم شركاؤهم في هذه الأصول كلها، ومنهم أخذتموها، وأنت فروخهم فيها، كما يقال: الأشعرية مخانيث المعتزلة، والمتعزلة مخانيث الفلاسفة (1208)،

(1208) هذه العبارات ترد كثير. شيخ الإسلام ليس هو أول من استخدمهان بل استخدمها قبله شيخ الإسلام الأنصاري المتوفى سنة 481هـ، الذي قال: « الأشعرية الأناث هم مخانيث المعتزلة» –مجموع الفتاوي (227/8)، كما أن الشهرستاني المتوفى سنة 548هـ، قال عن المعتزلة: « الخناثي من المعتزلة لا رجال ولا نساء » نهاية الإقدام (ص:

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

لكن لما شاع بين الأمة فساد مذهب المعتزلة ونفرت القلوب عنه صرتم تظهرون الرد عليهم في بعض المواضع مع مقاربتكم أو موافقتكم لهم في الحقيقة » (1209)، ثم يذكر شيخ الإسلام بعض الأمور التي شابه فيها الأشاعرة المعتزلة فيقول: « وهم سموا أنفسهم أهل التوحيد لاعتقادهم أن التوحيد هو نفي الصفات، وأنتم وافقتموهم على تسمية أنفسكم أهل التوحيد، وجعلتم نفي بعض الصفات من التوحيد، وسموا ما ابتدعوه من الكلام الفاسد إما في الحكم وإما في الدليل أصول الدين، وأنتم شاركتموهم في ذلك، وقد علمتم ذم السلف والأئمة لهذا الكلام، بل علم من يعرف دين الإسلامن وما بعث الله به نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ما فيه من المخالفة لكتب الله وأنبيائه ورسله، وقد.. بينا أن دلالة الكتاب والسنة التي يسمونها السمع ليست مجرد الخبر، كما تظنونه أنتم وهم، حتى جعلتم ما دل عليه السمع إنما هو بطريق الخبر الموقوف على تصديق المخبر، ثم جعلتم تصديق المخبر – وهو الرسول – موقوفاً على هذه الأصول التي سميتموها أنتم وهم عقليات وجعلوا منها نفي (1210) الصفات والتكذيب بالقدر، ووافقتموهم على أن منها نفي كثير من الصفات » (1211). ولاشك

---

159)، وعبارة المعتزلة مخنثة الفلاسفة وردت في نفخ الطيب (307/5)، وشيخ الإسلام ابن تيمية يصدر عبارته غالباً بقوله – قيل أو يقال، انظر مجموع الفتاوي (13/12)، والنبوات (ص: 79)، وأحياناً يورد العبارة فيقول: « فالمعتزلة في الصفات مخانيث الجهمية» مجموع الفتاوي (227/8–348/14)، وقال مرة عن السهروردي –عمر بن محمد – ت 632هـ، لما ذكر نفيه للعلو: « وهؤلاء مخانيث الفلاسفة ليست دقيقة لأنه جهماً سبقهم إلى هذه الأصول، إلا أن يقال أن يقال: إنهم مخانيثهم من بعض الوجوه. انظر: مجموع الفتاوي (227/8–349/14).

(1209) التسعينية (ص: 272).

(1210) في المطبوعة: نفس، وهو تحريف أو خطأ مطبعي.

(1211) التسعينية (ص: 272–273).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أن متأخري الأشاعرة هم على هذه الصفة التي ذكرها، ولذلك فكثيراً ما يقررها شيخ الإسلام في مناسبات مختلفة(1212)، ويربط التأثر أحياناً بأعلام الأشاعرة كالجويني (1213)، وابن تومرت (1214)، والرازي (1215)، وغيرهم.

وتأثر الأشاعرة بالمعتزلة شهد به أساطين الأشاعرة، حتى قال تاج الدين السبكي في كتابه الذي جرده للدفاع عن الأشاعرة: في ترجمة أبي بكر الصيرفي المتوفى سنة 330هـ، بعد ذكره لمناظرة بينه وبين الأشعري: قال السبكي: « قلت: وفي المناظرة دلالة على ما قاله القاضي أبو بكر في كتاب التقريب، والأستاذ أبو إسحاق في التعليقة، من أن الطوائف من الفقهاء ذهبت إلى مذهب المعتزلة في بعض المسائل، غافلين عن تشعبها عن أصولهم الفاسدة» (1216)، وقال في ترجمة محمد بن علي بن إسماعيل الشاش – القفال الكبير – ت 365– :« وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: « بلغني أنه كان مائلاً عن الاعتدال، قائلاً بالاعتزال في أول مرة ثم رجع إلى مذهب الأشعري» (1217)، قلت: وهذه فائدة جليلة انفرجت بها كربة، وحسيكة

(1212) انظر: التسعينية (ص: 207)، ودرء التعارض (135/9)، والحموية – مجموع الفتاوي (23/5).

(1213) انظر: نقض التأسيس مطبوع (86/1) حيث قال عنه: « وإنما هو كثير الاستغراق في كلام المعتزلة» وانظر أيضاً: السبعينية (ص: 107).

(1214) انظر: شرح الأصفهانية (ص: 23).

(1215) انظر: نقض التأسيس المخطوط (409/3).

(1216) طبقات السبكي (187/3).

(1217) نص كلام ابن عساكر في التبيين (ص: 183)، وبلغني أنه كان في أول مرة مائلاً عن الاعتدال، قائلاً بمذاهب أهل الاعتزال، والله أعلم ».

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

(1218) في الصدر جسيمة، وذلك في مذاهب تحكي عن هذا الإمام في الأصول لا تصح إلا على قواعد المعتزلة، وطالما وقع البحث في ذلك حتى توهم أنه معتزلي » (1219)، والسبكي يقول في تردد:« ولا يخفي أن الأشاعرة إنما هم نفس أهل السنة أو هم أقرب الناس إلى أهل السنة» (1220).

(1218) الحسك: نبات له ثمرة خشنة تعلق بصوف الغنم، وكل ثمرة تشبها كالسعدان فهو حسك، واحدته حسكة، انظر: لسان العرب مادة « حسك ».

(1219) طبقات السبكي (201/3).

(1220) المصدر السابق (144/6).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

3. الفلاسفة:

وقد تأثر بهم كثيراً متأخرو الأشاعرة، لكثرة مطالعتهم لكتبهم، وأبرزهم الغزالي والرازي والآمدي، فإنهم وإن ردوا عليهم وأبطلوا كثيراً من الباطل الموجود عندهم إلا أنهم تأثروا بأقوالهم كثيراً، ولذلك يقول شيخ الإسلام عن الغزالي – بعد أن ذكر أقوال الفلاسفة في النبوات كالفارابي وابن سينا ونحوهما– قال: « وقد ذكر الغزالي ذلك عنهم، تعريفاً بمذهبهم، وربما حذر عنه، ووقع في كلامه طائفة من هذا في الكتب المضنون بها على غير أهلها، وفي غير ذلك، حتى في كتاب الإحياء يقول: الملك، والملكوت، والجبروت، ومقصوده، ' الجسم، والنفس، والعقل الذي أثبته الفلاسفة، ويذكر اللوح المحفوظ ومراده به النفس الفلكية، إلى غير ذلك، وهو في التهافت يكفرهم، وفي المضمون به يذكر ما هو حقيقة مذهبهم، حتى يذكر في النبوات عين ما قالوه، وكذلك في الإلهيات» (1221)، ويذكر شيخ الإسلام في معرض رده على الرازي وابن سينا اللذين استدلا على حدوث الأجسام بالأفول في قول إبراهيم عليه السلام: (لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) (الأنعام:76)، قال: « وقد ابتدعت القرامطة الباطنية تفسيراً آخر كما ذكره أبو حامد في بعض مصنفاته كمشكاة الأنوار وغيرها:أن الكواكب، والشمس، والقمر، هي النفس، والعقل الفعال، والعقل الأول، ونحو ذلك » (1222)، ثم قال شيخ الإسلام: « والكلام على فساد هذا طويل، ليس هذا موضعه، لولا أن هذا وأمثاله هو من أسباب ضلال كثير من الداخلين في العلم والعبادة، إذ صاحب كتاب « مشكاة الأنوار » إنما بنى كلامه على أصول هؤلاء الملاحدة، وجعل ما يفيض على النفوس من المعارف من جنس خطاب الله عزوجل لموسى بن عمران النبي ε ، كما تقوله القرامطة الباطنية ونحوهم من المتفلسفة، وجعل خلع النعلين الذي

(1221) النبوات (ص: 249)، وانظر: درء التعارض (10/189-205).
(1222) درء التعارض (1/315).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

خوطب به موسى صلوات الله عليه وسلامه، إشارة إلى ترك الدنيا والآخرة، وإن كان يقرر خلع النعلين حقيقة، لكن جعل هذا إشارة إلى أن خلع الدنيا والآخرة فقد حصل له ذلك الخطاب الإلهي، وهو من جنس من يقول: إن النبوة مكتسبة » (1223)، والغزالي في كلامه مادة فلسفية بسبب اطلاعه على كتب ابن سينا ورسائل إخوان الصفا وغيرها (1224).

ومن أخطر القضايا التي تأثر بها بعض الأشاعرة، وهي من مقالات الفلاسفة الإلحادية المشهورة، القول بأن الرسل – عليهم الصلاة والسلام – أظهروا للناس في الإيمان بالله واليوم الآخر، خلاف ما الأمر عليه في نفسه، لينتفع الجمهو، يقول شيخ الإسلام – هنا – عن الغزالي: « وأبو حامد – في مواضع – يرى هذا الرأي، ونهيه عن التأويل في إلجام العوام، والتفرقة بين الإيمان والزندقة مبني على هذا الأصل، وهؤلاء يرون: إقرار النصوص على ظواهرها هو المصلحة التي يجب حمل الناس عليها مع اعتقادهم أن الأنبياء لم يبينوا الحق، ولم يورثوا علماً ينبغي للعلماء معرفته.. » (1225)، ويذكر شيخ الإسلام في موضع آخر أن هذا قوله وقول الرازي أيضاً، فيقول: « فالفارابي يقول إن خاصة النبوة جودة تخييل الأمور المعقولة في الصور المحسوسة(1226)، أو نحو هذه العبارة. وابن سينا يذكر هذا المعنى في مواضع

(1223) المصدر السابق (1/317-318).

(1224) انظر: مجموع الفتاوي (6/54)، وانظر: الرد على المنطقيين (509-511)،حيث قيل أمرضه الشفاء.

(1225) درء التعارض (10/270)، وانظر(10/282-283)، والصفدية (1/237-237).

(1226) للفارابي – واسمه محمد بن أوزلغ بن طرخان- ولد سنة 257هـ، وتوفي سنة 339هـ، رأى في النبوة، فهو لم ينكرها كما أنكرها معاصره أبو بكر الرازي، ولكنه فسرها بما في النفس من قوى تجعلها تتصل بالعقل الفعال،فتقوم المخيلة بحفظ الصور الذهنية وتحويلها

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

(1227)، ويقول: ما كان يمكن موسى ابن عمران مع أولئك العبرانيين، ولا يمكن محمداً مع أولئك العرب الجفاة أن يبينا لهم الحقائق على ما هي عليه، فإنهم كانوا يعجزون عن فهم ذلك، وإن فهموه على ما هو عليه انحلت عزماتهم عن أتباعه، لأنه لا يرون فيه من العلم ما يقتضي العمل (1228)...» (1229)، قال ابن تيمية معلقاً: « وهذا المعنى يوجد في كلام أبي حامد الغزالي وأمثاله ومن بعده، طائفة منه في الإحياء وغير الإحياء، وكذلك في كلام الرازي » (1230)، وفي مناسبة أخرى يدخل الشهرستاني مع الرازي في التأثر بالمعتزلة والفلاسفة (1231)، وأحياناً يجمع

إلى واقع محسوس، وللاتصال بالعقل الفعال عنده طريقان: طريق النظر العقلي، وهو للفلاسفة، وطريق المخيلة وكمال النفس وهو للأنبياء: انظر تحصيل السعادة (ص: 90-94)، والسياسة المدنية (ص: 79-80) كلاهما للفارابي، وانظر أيضاً: الفارابي: جوزيف الهاشم (ص: 37-142)، ومع الفارابي المدن الفاضلة، فاروق سعد (ص: 53-56)، وفيلسوفان رائدان: جعفر آل ياسين (ص: 133-141)، والفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة، فوزي عطوى (ص: 119).

(1227) سار ابن سينا – الحسين بن عبدالله – ولد سنة 370هـ، وتوفي سنة 428هـ، على طريقة الفارابي في النبوات، انظر: الشفاء (6) في النفس (ص:177-178-212-220)، والتعليقات (ص:82)، وانظر: نظرية المعرفة عند ابن سينة (ص: 210)، وما بعدها، والفلسفة الإسلامية في المشرق، فيصل عون (ص: 273)،وفي الفلسفة الإسلامية (105/1).

(1228) قارن هذا الكلام لابن سينا بما في الأضحوية له (ص: 101-102)،ت حسن عامر.

(1229) مجموع الفتاوي (99/4).

(1230) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(1231) انظر: شرح حديث النزول، مجموع الفتاوي (560/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بين الرازي والآمدي في تأثرهم بالفلاسفة وكتب ابن سينا خاصة (1232)، وذكر أنهما تأثرا بالفلاسفة في الاستدلال على حدوث العالم، وفي أن سعادة النفس إنما يكون بتخلصها من الهيولي والمادة (1233).

سابعاً: لا تعارض بين العقل والنقل.

سبقت الإشارة إلى أن هذا من أصول منهجه العام (1234)، وهذا الأصل المنهجي الذي أصله شيخ الإسلام دفاعاً عن عقيدة السلف، يعبر عنه أحياناً بعبارة أدق وأعمق وهي: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، وميزتها أنها قيدت العقل بكونه صريحاً، والنقل بكونه صحيحاً، فهذان لا يمكن تعارضهما في أي حال.

وهذا الأصل جاء رداً على القانون الذي ابتدعه أهل الكلام، وعلى رأسهم الأشاعرة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الكلام على تطور المذهب الأشعري (1235)، وقد جاء واضحاً جداً عند الفخر الرازي الذي يقول: « الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية، فكيف يكون الحال فيها؟ أعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة.

- إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقضين، وهو محال.
- وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقضين، وهو محال.

(1232) انظر: شرح الأصفهانية – ت العودة (ص:272) – ط على الآلة الكاتبة، وهذا النص ضمن الزيادات الكثيرة التي حفلت بها هذه النسخة المحققة.

(1233) انظر: المصدر السابق (ص: 240–245)، – ط على الآلة الكاتبة.

(1234) انظر: (ص: 319).

(1235) انظر: (ص: 629–630)، وانظر: الإرشاد (ص: 358–360)، وقانون التأويل للغزالي وقانون التأويل لابن العربي (ص: 452–576–646).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

- وإما أن يصدق الظواهر النقلية، ويكذب الظواهر العقلية، وذلك باطل لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق رسول الله ε وظهور المعجزات على يد محمد ε و لو جاورنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهماً غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً وأنه باطل.

- ولما بطلت الأقسام الأربعة (1236)، لم يبقَ إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية: إما أن يقال أنها غير صحيحة، أو يقال أنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها.

ثم إن جوازنا التأويل: اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم نجوز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات » (1237).

هذا هو القانون الذي اشتهر عند الأشاعرة، وأصبح عندهم من القضايا المسلمة، وقد نقضه شيخ الإسلام وزيفه في مواضع عديدة من كتبه، ولأهميته وخطورته إفرد له كتابه الكبير المشهور، وتتبع ما قاله في ذلك مما يحتاج إلى رسالة مستقلة والمقام لا يحتمل سوى الإشارة إلى خطوط عامة في منهجه في هذا. ومما ينبغي التذكير به هنا أن ابن القيم رحمه الله في الصواعق المرسلة قد أفرد له قسماً كبيرا من كتابه هذا، والحمد لله أن هذا القسم المتعلق بهذا الموضوع قد وصل إلينا كاملاً، وقد قال في أوله

(1236) كذا في طبعتي أساس التقديس ولعل الصواب الثلاثة.

(1237) أساس التقديس للرازي (ص: 172-173)، ط الحلبي ، و (ص: 220-221)، ت السقا.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

– حيث جعله « الطاغوت الثاني » : « قد أشفى شيخ الإسلام في هذا الباب بما لا مزيد عليه، وبين بطلان هذه الشبهة، وكسر هذا الطاغوث في كتابه الكبير، ونحن نشير إلى كلمات يسيرة هي قطرة من بحره، يتضمن كسره ودحضه » (1238)، ثم ذكر ما يقارب الأربعين ومائتي وجه في ذلك، وقد استقى معظم هذه الأوجه من كتاب شيخ الإسلام « درء تعارض العقل والنقل » ، وكثيراً ما يسوق عباراته بحروفها كما يلاحظ ذلك من قرأ الكتابين وقان وبينهما في هذا الموضوع.

وهذا القانون غالباً ما يأتي به الأشاعرة في موضعين: أحدهما: نفي العلو عن الله تعالى، والثاني: نفي الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله تعالى كالاستواء والنزول والمجيء، وكلام الله إذا شاء متى شاء، وغيرها، وأيضاً نفي الصفات الخبرية كالوجه واليدين وغيرها، وقد بنوا هذا المانع العقلي – المعارض للنصوص – على دليل حدوث الأجسام، فإنهم قالوا إنه لا يمكن إثبات الصانع وحدوث العالم إلا بطريق حدوث الأجسام، وحدوث الأجسيام دليله أنها مستلزمة للأعراض، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث – قالوا: والقابل للشيء لا يخلو منه ومن ضده، والأعراض لا تبقى زمانين، فيلزم أن تكون الأجسام حادثة بناءً على امتناع حوادث لا أول لها.

(1238) الصواعق المرسلة – الأصل – (3/796–797)، حقق القسم الأول – الموجود – من هذا الكتاب العظظيم الأخ الدكتور علي بن محمد الدخيل الله، وقد بذل في تحقيقه جهداً مشكوراً، ثم طبعه في أربع مجلدات، طباعة ممتازة تليق بمكانة الكاتب وأهميته، فجزاه الله خير الجزاء.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والنتيجة أن كل ما دل على التجسيم كإثبات العلو، أو الصفات الفعلية، أو الخبرية (1239)– فيجب نفيه أو تأويله حتى يسلم دليل حدوث العالم، لأن إثبات هذه الصفات لله يقتضي أن يكون الله حادثاً، وهو باطل.

ثم قال هؤلاء: « إن القول بما دل عليه السمع من إثبات الصفات والأفعال يقدح في أصل الدليل الذي به علمنا صدق الرسول، وقالوا: إنه لا يمكن تصديق الرسول – لو قدر أنه يخبر بذلك – لأن صدقه لا يعلم إلا بعد أن يثبت العلم بالصانع، ولا طريق إلى إثبات العلم بالصانع إلا القول بحدوث الأجسام » (1240).

فـ « هذه هي أعظم القواطع العقلية التي يعارضون بها الكتب الإلهية، والنصوص النبوية، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها » (1241).

ويقوم منهج شيخ الإسلام – في نقض هذا القانون – على مقدمات ثم الردود التفصيلية.

أما المقدمات:

1 . فقد بين الإسلام ثقته المطلقة بما في كتاب الله وسنة رسول الله ε وأن فيهما الهدى والبيان الكامل، ولذلك فهو يقول: « ففي الجملة: النصوص الثابتة في الكتاب

(1239) يلاحظ أ هذا الدليل – دليل حدوث الأجسام – جاء به المعتزلة قبل الأشاعرة، ولذلك نفوا لأجله جميع الصفات عن الله تعالى ، الصفات السبع وغيرها، وقالوا هي أعراض والأعراض لا تبقى زمانين وهي لا تقوم إلا بجسم.=

=أما الأشاعرة فنفوا صفات الأفعال ونفوا أن تقوم بالله، أما سائر الصفات فأثبتوها وقالوا لا نسميها أعراضاً لأنها باقية، والأعراض لا تبقى، فجاء متأخرو الأشعرية فنفوا كل ما اقتضى تجسيماً أو تركيباً أو تحيزاً، مما هو من صفات الأجسام، فنفوا العلو والصفات الخبرية أيضاً.

(1240) درء التعارض (306/1).

(1241) المصدر السابق (308/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والسنة لا يعارضها معقول بين قط، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب، وما علم أنه حق لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق. بل تقول قولاً عاماً كلياً: إن النصوص الثابتة عن الرسول ε لم يعارضها قط صريح معقول، فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها، وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات، مبناها على معانٍ متشابهة وألفاظ مجملة » (1242).

فهو يقرر أنه حين يناقش هؤلاء وما عندهم من عقليات لم يشك لحظة واحدة في أن هذه العقليات شبه وخيالات، ولا يمكن أن تعارض نصوص الوحي.

2ـ كما بين أيضاً أنه حينما يخوض في مناقشة هؤلاء وبيان فساد ما عندهم من العقليات التي يعارضون بها نصوص الوحي، إنما يفعل ذلك بطريق التنزيل لهم، يقول: « إنا في هذا المقام نتكلم معهم بطريق التنزيل إليهم، كما نتنزل إلى اليهودي والنصراني في مناظرته، وإن كنا عالمين ببطلان ما يقوله، اتباعاً لقوله تعالى: (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل:125)، وقوله(وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (العنكبوت:46)، وإلا فعلمنا ببطلان ما يعارضون به القرآن والرسول ويصدون به أهل الإيمان عن سواء سبيل – وإن جعلوه من المعقول بالبرهان– أعظم من أن يبسط في هذا المكان » (1243)، ثم يبين حقيقة الإيمان بالرسول وتصديقه وأنه يقوم على التسليم المطلق له ولما جاء به فيقول: « وقد تبين بذلك أنه لا يمكن أن يكون تصديق الرسول فيما أخبر به معلقاً بشرط، ولا موقوفاً على انتفاء مانع، بل لابد من تصديقه في كل ما أخبر به تصديقاً جازماً، كما في أصل الإيمان به، فلو قال الرجل: أنا أؤمن به إن أذن لي أبي أو شيخي، أو: إلا أن ينهاني أبي أو شيخي لم يكن مؤمناً به بالاتفاق، وكذلك من قال: أؤمن به إن ظهر لي صدقه، لم يكن بعد

(1242) درء التعارض (1/155-156).

(1243) المصدر السابق (1/188).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

قد آمن به، ولو قال: أؤمن به إلا أن يظهر لي كذبة لم يكن مؤمناً، وحينئذٍ فلابد من الجزم بأنه يمتنع أن يعارض خبره دليل قطعي، لا سمعي ولا عقلي، وإن ما يظنه الناس مخالفاً له إما أن يكون باطلاً، وإما أن لا يكون مخالفاً، وأما تقدير قول مخالف لقوله وتقديمه عليه: فهذا فاسد في العقل، كما هو كفر في الشرع، ولهذا كان من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه يجب على الخلق الإيمان بالرسول إيماناً مطلقاً، جازماً، عاماً: بتصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أوجب أمر، وأن كل ما عارض ذلك فهو باطل» (1244). فمن كانت لديه هذه الثقة المطلقة، وهذا الإيمان الصادق بما جاء به الرسول – وهو من أوليات وبديهيات الإيمان – فلا يمكن أن يظن بأخبار الوحي الظنون، ولا أن يخطر له خاطر أنه يمكن أن يعارضه عقل أو غيره.

3ـ بين شيخ الإسلام الخطوط العامة اللازمة لنقض هذه القوانين التي ابتدعها هؤلاء، يعارضون بها الكتاب والسنة، وكان من آثارها: قولهم بأن الاستدلال بالأدلة السمعية مبني على مقدمات ظنية، وأن أخبار الآحاد لا يحتج بها في العقيدة، ومن ثم فالعقل مقدم على النقل، وهذه الخطوط العامة هي:

- بيان أن الأدلة السمعية حجة بنفسها، وأنها تفيد اليقين والقطع، وقد ذكر شيخ الإسلام أنه أفرد في ذلك مصنفاً قديماً، وأنه ذكر طرفاً من بيان ذلك في شرح أول المحصل للرازي (1245).

- أن الرسول بلغ البلاغ المبين، وبين مراده، « وأن كل ما في القرآن والحديث من لفظ يقال فيه: إنه يحتاج إلى التأويل الاصطلاحي الخاص الذي هو صرف اللفظ

(1244) درء التعارض (1/188-189).

(1245) لم يصل إلينا – فيما أعلم – هذان الكتابان – وقد وصل – والحمد لله – كلام طويل لشيخ الإسلام حول هذا الموضوع، وهو في مخطوطة نقض التأسيس (2/303-357)

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

عن ظاهره، فلابد أن يكون الرسول قد بين مراده بذلك اللفظ بخطاب آخر، لا يجوز أن يتكلم بالكلام الذي مفهومه ومدلوله باطل، ويسكت عن بيان المراد الحق، ولا يجوز أن يريد من الخلق أن يفهموا من كلامه ما لم يبينه لهم ويدلهم عليهم، لإمكان معرفة ذلك بعقولهم، وأن هذا قدح في الرسول الذي بلغ البلاغ المبين..» (1246).

- بيان انتفاء المعارض العقلي، وإبطال قول من زعم تقديم الأدلة العقلية مطلقاً، وقد ألف ذلك كتابه الكبير درء التعارض العقل والنقل (1247)، وقال فيه: « ولما كان بيان مراد الرسول ε في هذه الأبواب لا يتم إلا بدفع المعارض العقلي، وامتناع تقديم ذلك على نصوص الأنبياء، بينا في هذا الكتاب فساد القانون الفاسد الذي صدوا به الناس عن سبيل الله وعن فهم مراد الرسول، وتصديقه فيما أخبر، إذ كان أي دليل أقيم على بيان مراد الرسول لا ينفع إذا قدر أن المعارض العقلي القاطع ناقضه، بل يصير ذلك قدحاً في الرسول، وقدحاً فيمن استدل بكلامه، وصار هذا بمنزلة المريض الذي به أخلاط فاسدة تمنع انتفاعه بالغذاء، فإن الغذاء لا ينفعه مع وجود الاخلاط الفاسدة التي تفسد الغذاء، فكذلك القلب الذي اعتقد قيام الدليل العقلي القاطع على نفي الصفات أو بعضها، أو نفي عموم خلقه لكل شيء، أو نفي أمره ونهيه، أو امتناع المعاد، أو غير ذلك لا ينفعه الاستدلال عليه بذلك الكتاب والسنة إلا مع بيان فساد ذلك المعارض » .

(1246) درء التعارض _1/22-23)، وقد شرح ذلك في جواب سؤال وجه إليه، وقد ذكر نصه كاملاً في مقدمة درء التعارض (1/25-78)، وهو في مجموع الفتاوي (3/293-326)، لكنه ناقص الآخر، كما أنه شرح ذلك في رسالته معارج الوصول في بيان أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول. وهي ضمن مجموع الفتاوي (19/155-202).

(1247) انظر: درء التعارض (1/22).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وكثيراً ما يشير شيخ الإسلام إلى منهجه، يقول في درء التعارض في الوجه الثالث والأربعين:

« وأما طريق الرد عليهم فلنا فيه مسالك:

الأول: أن نبين فساد ما ادعوه معارضاً للرسول ε من عقلياتهم.

الثاني: أن نبين أن ما جاء به الرسول ε معلوم بالضرورة من دينه، أو معلوم بالأدلة اليقينية، وحينئذٍ فلا يمكن مع تصديق الرسول أن نخالف ذلك، وهذا ينتفع به كل من آمن بالرسول.

الثالث: أن نبين أن المعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل لا يناقضه، إما بأن ذلك معلوم بالضرورة العقل، وإما بأنه معلوم بنظرة، وهذا أقطع لحجة المنازع مطلقاً، سواء كان في ريب من الإيمان بالرسول، وبأنه أخبر بذلك، أو لم يكن كذلك، فإن هؤلاء المعارضين منهم خلق كثير في قلوبهم ريب في نفس الإيمان بالرسالة، وفيهم من في قلبه ريب في كون الرسول أخبر بهذا. وهؤلاء الذين تكلمنا على قانونهم، الذي قدموا فيه عقلياتهم على كلام الله ورسوله، عادتهم يذكرون ذلك في مسائل العلو لله ونحوها» (1248).

ويلاحظ أنه هنا زاد وجهاً وهو بيانه أن المعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل، وهذا مثل إثبات العلو لله حيث دل عليه أيضاً العقل والفطرة.

ولما تحدث شيخ الإسلام – عن هذه المسألة – مسألة ما يدعي من تعارض العقل والنقل، في غير كتابه درء تعارض العقل والنقل، أشار إلى المنهج الصحيح في ذلك (1249)، ومن ذلك قوله تعليقاً على انحراف المنحرفين: أهل التخييل والتجهيل،

(1248) انظر: درء التعارض (4/6-5).

(1249) انظر مثلاً: نقض التأسيس – المطبوع – (247/1-248)، والمخطوط (330/2-331)، ومجموع الفتاوي (245/6-246)، وأيضاً (643/16) وغيرها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والتأويل، قال: « إن الذي دعاهم إلى ذلك ظنهم أن المعقول يناقض ما أخبر به الرسول ε، أو ظاهر ما أخبر به الرسول، وقد بسط الكلام على رد هذا في مواضع، وبين أن العقل لا يناقض السمع، وأن ما ناقضه فهو فاسد، وبين بعد هذا أن العقل موافق لما جاء به الرسول، شاهد له، ومصدق له، لا يقال: إنه غير معارض فقط، بل هو موافق مصدق، فأولئك كانوا يقولون: هو مكذب مناقض:

- بين أولاً أنه لا يكذب ولا يناقض.
- ثم بين ثانياً أنه مصدق موافق.

وأما هؤلاء:

- فبين أن كلامهم الذي يعارضون به الرسول باطل [لا يعارض به(1250)] ولا يكفي كونه باطلاً لا يعارض.
- بل هو أيضاً مخالف لصريح العقل، فهم كانوا يدعون أن العقل يناقض النقل.

فبين أربع مقامات:

1. أن العقل لا يناقضه.
2. ثم بين أن العقل يوافقه.
3. وبين أن عقلياتهم التي عارضوا بها النقل باطلة.
4. وبين أيضاً أن العقل الصريح يخالفهم.

ثم لا يكفي أن العقل يبطل ما عارضوا به الرسول، بل يبين أن ما جعلوه دليلاً على إثبات الصانع إنما يدل على نفيه، فهم أقاموا حجة تستلزم نفي الصانع، وإن كانوا يظنون أنه يثبتون بها الصانع.. ولهذا كان يقال في أصولهم: « ترتيب الأصول في تكذيب الرسول» ، ويقال أيضاً: « ترتيب الأصول في مخالفة الرسول والمعقول»،

(1250) في المطبوع [لا تعارض فيه] ولعل الصواب ما أثبت كما يدل عليه الكلام الذي بعده.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جعلوها أصولاً للعلم بالخالق، وهي أصول تناقض العلم به، فلا يتم العلم بالخالق إلا مع اعتقاد نقيضها» (1251)، وقد ضرب شيخ الإسلام لذلك بمثالين – عن الأشاعرة –لا يدلان على إثبات الصانع، بل هي تؤدي إلى التكذيب به: أحدهما: قول الرازي بالإمكان تبعاً لابن سينا، وزعمه أنه لا يمكن إثبات واجب الوجود إلا بإثبات ممكن قديم، وهذا باطل، والثاني: دليل حدوث الأعراض ولزومها للأجسام، حيث أدى بهم هذا إلى أنهم ادعوا امتناع كون الرب يفعل بمشيئته وقدرته وعطلوه عن الصفات، فلم يثبتوا الصانع القديم (1252).

4. وشيخ الإسلام لا يلغي العقل – كما قد يفهمه عنه بعض خصومه أو الجاهلين بمنهجه – بل يقرر دائماً أن القرآن جاء بالأدلة العقلية والأمثلة المضروبة، وقد سبق شرح ذلك عند الحديث عن منهجه العام (1253)، ولذلك يقول في كتابه درء التعارض: « والمقصود في هذا المقام أنه يمتنع تقديم العقل على الشرع، وهو المطلوب.. ونحن لم ندع أن أدلة العقل باطلة، ولا أن ما به العلم صحة السمع باطل، ولكن ذكرنا أنه يمتنع معارضة الشرع بالعقل وتقديمه عليه.. [ثم يقول] : « إن مسمى الدليل العقلي – عندما يطلق هذا اللفظ – جنس تحته أنواع، فمنها ما هو حق، ومنها ما هو باطل، باتفاق العقلاء » (1254)، وشيخ الإسلام يحدد موطن النزاع في المقصود بالعقل أو الدليل العقلي، إذ ليس كل دليل عقلي، مرفوضاً، بل إن القرآن الكريم والسنة النبوية جاءا بالأدلة العقلية في إثبات الربوبية، والألوهية، والنبوة، والمعاد. وغيرها..

(1251) مجموع الفتاوي (16/442-443).
(1252) المصدر السابق (16/452-455).
(1253) انظر: (ص: 252)، وما بعدها من الباب الأول.
(1254) انظر: درء التعارض (1/191).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

أما الردود التفصيلية على هذا القانون فقد ذكر شيخ الإسلام في كتابه درء التعارض أربعة وأربعين وجهاً رئيسياً، وتخلل أكثر هذه الأوجه أوجه فرعية ومناقشات تفصيلية تبلغ أحياناً أكثر من مجلد، كما هو الحال في الوجه التاسع عشر (1255)، والثالث والأربعين (1256)، ولتداخل بعض هذه الأوجه مع البعض الآخر، فيمكن عرض منهج ابن تيمية فيها كمايلي:

أولاً: مناقشة صياغة الدليل أو القانون الذي وضعوه ومناقشة ما حوى من عبارات أو مصطلحات وما ترتب على ذلك من النتائج الباطلة، وقد بين ذلك من خلال الأوجه: الأول، والثاني، والثالث، والخامس عشر.

أ . فصياغة القانون تقول: إذا تعارض العقل والنقل، فما المراد بالعقل والنقل. هل المراد القطعيان أو الظنيان،أو ما كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً، فك هذه الأمور محتملة ولابد من البيان، أما الإطلاق الأمر وإجماله فليس بسديد، وهنا يوضح شيخ الإسلام هذه الاحتمالات بقوله: « إما أن يريد به القطعيين، فلا نسلم بإمكان التعارض حينئذٍ » لأن القطعي لا يمكن أن يعارضه قطعي آخر. « وإما أن يريد به الظنيين، فالمقدم هو الراجح مطلقاً » سواء كان العقل أو النقل، وحينئذٍ فتقديمه لرجحانه فقط لا لكونه عقلاً أو نقلاً، « وإما أن يريد به ما أحدهما قطعي، فالقطعي هو المقدم مطلقاً، وإذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعياً لا لكونه عقلياً » ، ثم ينتهي شيخ الإسلام بهذه النتيجة بقوله: « فعلم أن تقديم العقلي مطلقاً خطأ، كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقلياً خطأ » (1257).

(1255) الذي بدأ من (320/1)، إلى نهاية المجلد الرابع.

(1256) بدأ في بداية المجلد السادس إلى (140/7).

(1257) درء التعارض (86/1-87).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد يعجب المرء في هذا الكلام الذي يقوله شيخ الإسلام وما يحمل في ظاهره من إعلاء لشأن العقل وكأنه قد يصل إلى منزلة النقل، وشيخ الإسلام يقول هذا قاصداً تفتيت هذا القانون الذي وضعوه، وأن المنطق السليم يقتضي أن يفصل الأمر فيه وأن يقسم كل من العقلي والنقلي إلى مقطوع ومظنون سواء من ناحية الثبوت أو الدلالة، ومع ذلك كله فلا يمكن أن يتعارض العقل الصريح والنقل الصحيح أبداً.

وينتج من هذا أن حصر الاحتمالات بأربعة – وهي تقديم السمعي مطلقاً أو تقديم العقلي مطلقاً، والجمع بين النقضين، أو رفع النقيضين – غير سديد إذ هناك قسم آخر وهو أنه « يقدم العقلي تارة، والسمعي أخرى، فأيهما كان قطعياً قدم –وإن كانا جميعاً قطعين فيمتنع التعارض – وإن كانا ظنيين فالراجح هو المقدم » (1258) وهذا هو التقسيم الصحيح، أن يفصل الأمر والله تبارك وتعالى أنزل الميزان بالحق.

ب . يقول قانونهم: « وإما أن يقدم السمع، وهو محال؛ لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل » (1259) فيقال: ماذا تقصدون بقولكم: إن العقل أصل النقل؟

فإن أريد به أنه أصل في ثبوته في نفس الأمر، فهذا لا يقوله عاقل لأن الشيء الثابت في نفس الأمر هو ثابت، سواء علم دليل ثبوته أو لم يعلم فهو في نفسه ثابت، فلو فرض أنا جهلنا الدليل، فعدم العلم بالدليل لا يعني عدم المدلول يقول شيخ الإسلام: « فما أخبر به الصادق المصدوق ε هو ثابت في نفس الأمر، سواء علمنا صدقه أو لم نعلمه، ومن أرسله الله إلى الناس فهو رسوله، سواء علم الناس أنه رسول أو لم يعلموا، وما أخبر به فهو حق وإن لم يصدقه الناس ...» (1260).

(1258) المصدر السابق (87/1).
(1259) المصدر نفسه (4/1).
(1260) درء التعارض (88/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

أما إن أُريد به أن العقل أصل في معرفتنا بالسمع ودليل لنا على صحته – وهذا هو الذي أرادوه – فيرد شيخ الإسلام متسائلاً عن المقصود بالعقل: هل هو الغريزة التي تميز الإنسان من الحيوان، أم المقصود العلوم التي تستفاد من تلك الغريزة، أما العقل بمعنى الغريزة فلا يمكن أن يراد « لأن تلك الغريزة ليست علماً يتصور أن يعارض النقل، وهي شرط في كل علم عقلي أو سمعي كالحياة وما كان شرطاً في الشيء امتنع أن يكون منافياً له » (1261)، أما إن أراد بالعقل العلوم الحاصلة بالعقل فالجواب من وجوه:

- أن المعارف العقلية كثيرة جداً، وهذه ليست كلها أصلاً للسمع بل الدليل على صحتها منها ما يعلم به صدق الرسولε .
- ثم إن الأدلة العقلية ليست كلها يعلم بها صدق الرسول ε بل الذي يعلم به صدقه منها قليل.
- أن أعلام الأشاعرة يقولون: إن العلم بصدق الرسول ε عند ظهور المعجزات منها قليل.
- بل إن دلائل صدق الرسول ε لها طرق كثيرة متنوعة، وهي لا تتوقف على المعجزات وحدها.

والنتيجة أن« ما يتوقف عليه العلم بصدق الرسول من العلم العقلي سهل يسير.. وحينئذٍ فإذا كان المعارض للسمع من المعقولات مالا يتوقف العلم بصحة السمع عليه لم يكن القدح فيه قدحاً في جميعها، كما أنه ليس القدح في بعض السمعيات قدحاً في جميعها، ولا يلزم من صحة بعض العقليات صحة جميعها كما لا يلزم من صحة بعض السمعيات صحة جميعها، وحينئذٍ فلا يلزم من صحة المعقولات التي تبني

(1261) المصدر نفسه (89/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

عليها معرفتنا بالسمع صحة غيرها من المعقولات، ولا من فساد هذه فساد تلك، فضلاً عن صحة العقليات المناقضة للسمع» (1262).

والخطأ الذي وقع فيه هؤلاء أنهم جعلوا المعقولات نوعاً واحداً، وأنهم جعلوا المعقول الذي قد يحتاج إليه في إثبات صدق الرسول، دليلاً على تقديم جميع المعقولات وهذا باطل.

ثم يورد شيخ الإسلام اعتراضاً لهم، ويجيب عليه من عدة أوجه، سنذكر تفصيل كثير منها فيما بعد. إن شاء الله (1263).

جـ . ومن الوجوه التي يناقش فيها شيخ الإسلام قانونهم الفاسد الوجه الخامس عشر، وخلاصته أن الدليل الشرعي لا يقابل بكونه عقلياً، وإنما يقابل بكونه بدعياً، لأن البدعة تقابل الشرعة، ويوضح هنا شيخ الإسلام أن الدليل الشرعي ليس هو خبر الصادق فقط، بل – مع هذا – هناك أدلة شرعية قد تكون سمعية وقد تكون عقلية، كأدلة توحيد الله والمعاد التي ذكرها الله في كتابه فهي أدلة شرعية، وهي أيضاً عقلية يعلم صحتها بالعقل، وخطأ هؤلاء في قانونهم ظنهم أن أدلة أصول الدين نوعان: سمعيات: وعقليات، ومن ثم توهموا التعارض بينها ظناً منهم أن السمعيات فقط هي الخبر المجرد (1264).

ثانياً: مناقشة مضمون القانون وبيان خطئه وتناقضه:

وهذا تابع للوجه السابق ومكمل له، إلا أنه لما لم يتعلق بنفس صياغة القانون وترتيب قضاياه بعضها على بعض كما هو واضح في الوجه السابق – أفرد هنا لأنه

(1262) انظر: درء التعارض (90/1).

(1263) انظر: المصدر السابق (91/1-100).

(1264) انظر: المصدر نفسه (198/1-200).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يناقش دلالات هذا القانون ويبين ما فيه من خطأ وتناقض وقد فصل شيخ الإسلام ذلك من خلال ما يلي:

أ . يقال لهم: « العقل إما أن يكون عالماً بصدق الرسول، وثبوت ما أخبر به في نفس الأمر، وإما أن لا يكون كذلك.

فإن لم يكن عالماً امتنع التعارض عنده إذا كان المعقول معلوماً له، لأن المعلوم لا يعارضه المجهول، وإن لم يكن المعقول معلوماً له لم يتعارض مجهولان.

وإن كان عالماً بصدق الرسول امتنع مع هذا أن لا يعلم ثبوت ما أخبر به في نفس الأمر، غايته أن يقول: هذا لم يخبر به، والكلام ليس هو فيما لم يخبر به، بل إذا علم أن الرسول أخبر بكذا فهل يمكنه – مع علمه بصدقه فيما أخبر وعلمه أنه أخبر بكذا – أن يدفع عن نفسه علمه بثبوت المخبر، أم يكون علمه بثبوت مخبره لازماً له لزوماً ضرورياً، كما تلزم سائر العلوم لزوماً ضرورياً لمقدماتها » (1265)، وهذا القانون يؤدي إلى التناقض لأنه يقول: لا تعتقد بثبوت ما علمت أنه أخبر به لأن هذا الاعتقاد ينافي ما علمت به أنه صادق، فكأن يقول له: لا تصدقه في هذا الخبر لأن تصديقه يستلزم عدم تصديقه. « فهكذا حال من أمر الناس أن لا يصدقوا الرسول فيما علموا أنه أخبر به، بعد علمه أنه رسول الله؛ لئلا يفضي تصديقهم له إلى عدم تصديقهم لهم، بل إذا قيل له: لا تصدقه في هذا، كان هذا أمراً له بما يناقض ما علم به صدقه، فكان أمراً له بما يوجب أن لا يثق بشيء من خبره، فإنه متى جوز كذبه أو غلطه في خبر جوز في غيره » (1266)، وفعلاً فقد آل ببعضهم إلى أن لا يستفيدوا من جهة الرسول شيئاً من الأمور الخبرية المتعلقة بصفات الله وأفعاله.

(1265) درء التعارض (134/1).

(1266) المصدر السابق (135/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ب . وهناك وجه آخر، مترتب على الوجه السابق، وهو أن يقال: إذا علم صدق الرسول وصحة السمع، فهل يعلم أنه أخبر بمحل النزاع، أو يظن، أو لا يعلم ولا يظن.

أما الأول: فإنه إذا علم وتيقن يمتنع أن يعارضه المعقول الصريح.

أما الثاني: وهو ما إذا كان مظنوناً، وحينئذٍ فإذا عارضه العقل الصريح وجب تقديم العلم على الظن، لا لكونه معقولاً.

وأما الثالث: فلا تقع فيه المعارضة.

وبهذا يتبين أن ما جزموا به من تقديم العقل مطلقاً باطل (1267).

جـ . أن يقال لهم « العقل ملزوم لعلمنا بالشرع ولازم له، ومعلوم أنه إذا كان اللزوم من أحد الطرفين، لزم من وجود الملزوم وجود اللازم، ومن نفي اللازم نفي الملزوم، فكيف إذا كان التلازم من الجانبين.. وبيان ذلك هاهنا: أنه إذا كان العقل هو الأصل الذي به عرف صحة الشرع، كما قد ذكروا هم ذلك، وقد تقدم أنه ليس المراد بكونه أصلاً له أنه أصل في ثبوته في نفسه وصدقه في ذاته، بل هو أصل في علمنا به، أي دليل لنا على صحته، فإذا كان كذلك فالدليل يجب طرده، وهو ملزوم للمدلول عليه، فيلزم من ثبوت الدليل ثبوت المدلول عليه، ولا يجب عكسه، فلا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول عليه، وهذا كالمخلوقات، فإنها آية للخالق، فيلزم من ثبوتها ثبوت الخالق، ولا يلزم من وجود الخالق وجودها، وكذلك الآيات الدالات على نبوة النبي .. (1268). » .

وهذه أهم المناقشات التي أفحم فيها شيخ الإسلام أصحاب هذا القانون الفاسد، وينبغي أن يلاحظ أن أصحاب هذا القانون قد ثبت عندهم صدق الرسول ε في نبوته،

(1267) درء التعارض (137/1).

(1268) المصدر السابق (268/5-269).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومعنى ذلك أن صدق الرسول عندهم وعند غيرهم من أهل الإسلام ثابت في نفس الأمر، لكن هؤلاء يقولون: إن دليل ثبوته جاء بالدليل العقلي، ثم ركبوا قانونهم وقالوا: العقل أصل السمع، ويستنتج من ذلك أنهم يقولون:

- إن العقل أصل في علمنا بصحة الشرع ودليل عليه، وليس أصلاً في ثبوته في نفس الأمر.

- وكذلك هم يقولون صدق الرسول ثابت في نفس الأمر، أي أنهم وهم يقولون بهذا القانون لا ينكرون صحة نبوة الرسول، فهي ثابتة عندهم بدليلها العقلي.

فشيخ الإسلام يقول لهم: على فرض أن صحة الشرع لا تعلم إلا بالدليل العقلي – والواقع أنها تعلم بطرق كثيرة وأئمتهم معترفون بذلك – فإن النتيجة ضدهم، لأنه يلزم من علمنا بصحة الشرع علمنا بصحة الدليل العقلي الدال عليه، كما يلزم من علمنا بذلك الدليل العقلي علمنا بصحة الشرع، أما مسألة ثبوته في نفس الأمر فإنه يلزم من ثبوت ذلك الدليل، وهذا كما أن المخلوقات دالة على وجود الله، فيلزم من وجودها في نفس الأمر وجود الله، لكن لا يلزم من وجود الخالق سبحانه وتعالى وجود المخلوقات، ومثله ثبوت النبوة فإنه يلزم من وجود دلالة النبوة – كالمعجزة – صدق النبي ، لكن لا يلزم من عدم وجود هذه الدلالة عدم صدق النبي، لأن نبوته قد تثبت بطرق أخرى.

وحينئذٍ فإذا كان الشرع ثابتاً في نفس الأمر، فلا يلزم من ثبوته ثبوت الدليل العقلي الدال عليه، لأنه قد يكون ثبت بأدلة أخرى، وإذا افترض ثبوت الدليل العقلي في نفس الأمر، وثبوت المدلول الشرعي في نفس الأمر لم يكونا بمنزلة واحدة – كما فعلوا في قانونهم الفاسد – لأن الشرع أقوى حيث يلزم من ثبوته ثبوت الدليل العقلي؛ لا العكس، وهذا على فرض أن الدليل الشرعي قد يعلم بأدلة أخرى.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أما إذا حصروا صحة الدليل الشرعي بهذا الدليل العقلي لا غير، كان غاية الأمر أن يكونا متلازمين، وحينئذٍ فالقدح في الشرع قدح في دليله العقلي ولا يستلزم القدح في الدليل العقلي القدح في الشرع، فثبت تميز الشرع على كل حال (1269).

د . يقول شيخ الإسلام في الوجه الرابع والثلاثين: « إن الذين يعارضون الشرع بالعقل، ويقدمون رأيهم على ما أخبر به الرسول، ويقولون: إن العقل أصل للشرع، فلو قدمناه عليه للزم القدح في أصل الشرع؛ إنما يصح منهم هذا الكلام إذا أقروا بصحة الشرع بدون المعارض، وذلك بأن يقروا:

- بنبوة الرسول.
- وبأنه قال هذا الكلام.
- وبأنه أراد به كذا.

وإلا فمع الشك في واحد من هذه المقدمات لا يكون معهم عن الرسول من الخبر ما يعلمون به تلك القضية المتنازع فيها بدون معارضة العقل، فكيف مع معارضة العقل » (1270).

فهذا رجوع إلى أصل القضية التي بنوا عليها قانونهم الفاسد، فإنهم حينما يقولون بتعارض العقل والنقل، يقال لهم: ما النقل الذي تقولون إن العقل عارضه: هل هو النقل المبنيس على أن محمداً رسول الله الصادق، وأن هذا النقل ثبت عنه بلا ريب، وأنه قصد وأراد به أمراً محدداً واضحاً، لأنه بلغ البلاغ المبين، وهو معصوم من أن يقره الله على خطأ فيما بلغه وأخبر به؟ إن كان الأمر كذلك فإن من ثبت هذا الإيمان في قلبه امتنع أن يعارضه بدليل عقلي فضلاً عن أن يقدم الدليل العقلي عليه.

(1269) انظر: درء التعارض (5/269-271، 275)، وانظر: (5/277-280) ففيه مناقشات مهمة. وانظر: الوجه الثلاثين (5/286-288).

(1270) انظر: درء التعارض (5/340-341).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أما حين يكون هذا النقل جاء إلى رجل يطعن في نبوة الرسول ε بأن يزعم مثلاً أن الرسول لم يعلم بهذه المسألة التي أخبر بها، أو أنه غير معصوم في تبليغه البلاغ المبين، أو بطعن في صحة الأخبار وفي ثبوتها، أو يقول: إن الأدلة السمعية لا يستفاد منها العلم بمراد المتكلم – كما يقوله الرازي ومتبعوه – فهذا لم يثبت عنده الدليل النقلي الذي عارضه العقل عندهمن ليس نقلاً ثابتاً في نفس الأمر – لأنه إما أخبار آحاد، أو غير معروف مراد المتكلم به، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يقال: إن العقل عارضه، والمعارضة إنما تكون لنقل صادر عن رسول الله الصادق، ثابت عنه بطرق صحيحة، معروف مراده به لأنه بينه أتم البيان وأوضحه، ومن ثبت لديه هذا النقل بهذه الصفة لم يقدم عليه غيره لا دليلاً عقلياً ولا غيره.

ثالثاً: مقابلة هذا القانون الفاسد بقانون شرعي مستقيم

وكثيراً ما يستخدم شيخ الإسلام هذا المنهج، يقابل الأقوال الفاسدة التي يدعي الخصوم صحتها، بأقوال أخرى صحيحة تكون أكثر إحكاماً وأقوى دلالة، وأكثر إقناعاً، فمثلاً يقول في مقابلة هذا القانون الفاسد: « إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع؛ لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر بهن ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل، ومعلوم أن هذا إذا قيل أوجه من قولهم» (1271)، ويضرب شيخ الإسلام لذلك مثلاً بالعامي إذا علم عين المفتي، ثم دل غيره وبين أنه علم أنه مفتٍ، فإذا اختلف العامي الدال، والمفتي، فيجب على المستفتي أن يقدم قول المفتي، فإذا قال العامي أنا الأصل في علمك بأنه مفتٍ، فيقول له أنت لما شهدت بأنه مفت ودللت عليه شهدت بوجوب تقليده، دون تقليك (1272).

(1271) انظر: درء التعارض (138/1).

(1272) انظر: درء التعارض (138/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ويقول شيخ الإسلام في وجه آخر: « تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو يمكن مؤتلف، فوجب الثاني دون الأول » (1273)، وذلك لأن الشرع واحد، مستقيم وهو قول الصادق فلا يختلف باختلاف أحوال الناس، أما العقول فمختلفة متفاوته، فقد يعلم زيد بعقله ما لا يعلمه عمرو، بل إن زيداً نفسه يعلم بعقله في وقت ما يجهله في وقت آخر.

وقد ضرب شيخ الإسلام لذلك بعدة أمثلة واقعية بين العقلاء في أمور عقدية، هذا يدعي بعقله شيئاً وذلك يدعي بعقله شيئاً مخالفاً لهذا الذي ادعاه الأول، ومن ذلك أن أكثر العقلاء يقولون: نحن نعلم بضرورة العقل وامتناع رؤية مرئى بلا مقابلة ولا جهة، وبعض العقلاء يقولون: إن هذا ممكن.. وهكذا (1274). د

وقد صاغ شيخ الإسلام معارضة قانونهم في موضع آخر بقوله: « يعارض دليلهم بنظير ما قالوه، فيقال: إذا تعارض العقل والنقل، وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع للنقيضين، وتقديم العقل ممتنع؛ لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ε، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقلن وإذا أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل ؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح؛ فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن حبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون هذه الأدلة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العق دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يجز أن يتبع

(1273) انظر: درء التعارض (138/1).
(1274) درء التعارض (145/1-146).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

بحال، فضلاً عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل بانتفاء لوازمه ومدلوله.. » (1275).

والعقل إنما دل على صدق النقل، وثبوت ما جاء به في نفس الأمر، فإذا قيل: إن العقل عارض هذا النقل كان ذلك قدحاً في العقل الدال على النقل من باب أولى، وقد أورد شيخ الإسلام اعتراضات كثيرة وأجاب عنها(1276).

رابعاً: أن أمور السمع – التي يقال: إن العقل عارضها – معلومة بالاضطرار وذلك كإثبات الصفات والمعاد ونحو ذلك، فإن هذه « مما علم الاضطرار أن الرسول ε جاء بها، وما كان معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام امتنع أن يكون باطلاً، مع كون رسول الله حقاً، فمن قدح في ذلك وادعى أن الرسول لم يجيء به كان قوله معلوم الفساد بالضرورة من دين المسلمين » (1277)، يوضح ذلك أن أهل العلم الذين عنوا بعلم الرسول، العالمين بالقرآن وتفسيره وبسنة الرسول ε ، والعالمين بأخباره وأخبار الصحابة « عندهم من العلوم الضرورية بمقاصد الرسول ومراده مالا يمكن دفعه عن قلوبهم، ولهذا كانوا متفقين على ذلك من غير تواطؤ ولا تشاعر، كما اتفق أهل الإسلام على نقل حروف القرآن، ونقل الصلوات الخمس، والقبلة، وصيام شهر رمضان، وإذا كانوا قد نقلوا مقاصده ومراده عنه بالتواتر، كان ذلك كنقلهم حروفه وألفاظه بالتواتر، ومعلوم أن النقل المتواتر يفيد العلم اليقيني، سواء كان التواتر لفظياً أو معنوياً، كتواتر شجاعة خالد وشعر حسان..» (1278). ولا يقول عاقل: إن الصحابة والتابعين لم يكونوا عالمين بالكتاب والسنة ولا عارفين بمراد الرسول ε

(1275) المصدر السابق (1/170-171).
(1276) المصدر نفسه (1/173-192).
(1277) انظر: درء التعارض (1/195).
(1278) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

ومقاصده، إلا أن يكون من أهل الإلحاد والزندقة، لأن من سير أحوال الصحابة والتابعين علم أنهم كانوا أفقه الناس وأعلم الناس، وهو الذين نقلوا إلينا الشرع فهم أعلم الناس بما ينقلونه معرفة وفهماً، وإذا كان الأمر كذلك فيمتنع أن يعارض هذا المعلوم المشهور المتواتر عنهم عقلي أو غيره.

ولاشك أهل الحديث والسنة، الذين يعنون بحديث رسول الله ε رواية ودراية، لديهم من الموازين والمعايير الدقيقة التي توصلهم إلى العلم اليقيني، مالا يوجد عند أصحاب هذا القانون من أهل الكلام، ولذلك ففي الوقت الذي يصرّ هؤلاء على الطعن بكتاب الله وسنة رسوله لقانون عقلي طرأ عليهم – وفي الغالب أنهم قلدوا فيه غيرهم – نجد أهل السنة لا يخطر ببالهم خاطر من ذلك لمعرفتهم وثقتهم المطلقة بما في الكتاب والسنة، بل يرون أن معارضتهما من صفات المنافقين وأهل البدع والكلام المذموم.

خامساً: أن هذا القانون مخالف لما هو معلوم من أن مهمة الرسل والبيان والهدى، ولذلك فهو من فعل المكذبين لهم، وقد شرح شيخ الإسلام ذلك من خلال الأوجه التالية:

أ . أن معارضة أقوال الرسول بأقوال غيرهم هو من فعل الكفار، قال الله تعالى: (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) (غافر:4)، وقال: (لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) (الكهف:56)، وغيرها، « ومن المعلوم أن كل من عارض القرآن وجادل في ذلك بعقله ورأيه فهو داخل في ذلك، وإن لم يزعم تقديم كلامه على كلام الله ورسوله، بل إذا قال ما يوجب المرية والشك في كلام الله فقد دخل في ذلك، فكيف بمن يزعم أن ما يقوله بعقله ورأيه مقدم على نصوص الكتاب والسنة؟ » (1279)، ومعارضة الكتب الآلهية بأقوال الرجال من أصول الكفر، والمعارضة قد تكون أحياناً صريحة، وأحياناً مبطنة كما يفعل كثير من أهل الإلحاد والكلام المذموم.

(1279) درء التعارض (206/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ب . « إن الله سبحانه ذم من ذمه من أهل الكفر على أنهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً كما قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (آل عمران:98-99) ، ومعلوم أن سبيل الله هو ما بعث به رسله مما أمر به وأخبر عنه، فمن نهى الناس نهياً مجرداً عن تصديق رسل الله وطاعتهم، فقد صدهم عن سبيل الله، فكيف إذا نهاهم عن التصديق بما أخبرت به الرسل، وبين أن العقل يناقض ذلك، وأنه يجب تقديمه على ما أخبرت به الرسل » (1280)، ومن فعل ذلك فقد بغى سبيل الله عوجاً، وقدم عليها ما يرى أنه مستقيم من دليله العقلي المبتدع.

جـ . أن الله أرسل رسوله بالهدى والبينات ليخرج الناس من الظلمات إلى النور – ودلائل هذا من القرآن كثيرة لا تحصى – وقول هؤلاء مناقض لهذه الحقيقة مناقضة تامة لأنهم يزعمون أن ما جاء به الرسول من إثبات الصفات لله معارض بالعقول فيجب تأويله، وأن النصوص بعد تأويلها تأويلات من عندهم لم يذكرها رسول الله تكون واضحة مفهومة صحيحة المعنى، ونتيجة هذا أن النصوص التي بلغتنا عن رسول الله –ε – ليس فيها الهدى والبيان، وهذا محادة لله ولرسوله ومناقضة لدعوة الرسول (1281).

د. « إنّا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرجل لو قال للرسول: هذا القرآن أو الحكمة الذي بلغته إلينا قد تضمن أشياء كثيرة تناقض ما علمنا بعقولنا، ونحن إنما علمنا صدقك بعقولنا، فلو قبلنا جميع ما تقوله – مع أن عقولنا تناقض ذلك لكان ذلك قدحاً فيما علمنا به صدقك، فنحن نعتقد موجب الأقوال المناقضة لما ظهر من

(1280) المصدر السابق (210/5).

(1281) انظر: درء التعارض (211/5-214)، وانظر أيضاً (357/5-358).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

كلامك، وكلامك نعرض عنهن لا نتلقى منه هدى ولا علم (1282)– لم يكن مثل هذا الرجل مؤمناً بما جاء به الرسول لم يرضَ الرسول منه بهذا » (1283)، ولاشك أن هذا القانون الفاسد متضمن لمثل مقالة هذا الرجل فحكمهما واحد.

هـ . أن معارضة الأنبياء بمثل هذه الأمور هو من فعل الشياطين المعادين للأنبياء، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً) (الأنعام:112)، وهذا منطبق على هؤلاء الذين ابتدعوا كلاماً محدثاً صدوا به عن كتاب الله وسنة رسول الله –ε – ولهذا قال أحد زعماء الجهمية: « ليس شيء أنقض لقولنا من القرآن، فأقروا به في الظاهر، ثم صرفوه بالتأويل، ويقال: إنه قال: إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل» (1284)، فهذا مما يوحي به هؤلاء لغيرهم زخرف القول غروراً.

و . أن الله تعالى ذم أهل الكتاب على ما فعلوه من عدة وجوه:

- كتمانهم ما أنزل الله.
- والكذب فيه.
- وتحريفه.
- وعدم فهمه.

وأهل الكلام مشابهون لهم في هذه الوجوه:

- فهم تارة يعرضون عن كتاب الله وسنة رسول الله ε ويعارضونهما بآرائهم وأهوائهم فيكتمون الأحاديث المخالفة لأقوالهم.

(1282) كذا ولعل الصواب ولا علما.

(1283) درء التعارض (5/214–215).

(1284) المصدر السابق (5/218).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

- وأحياناً يضعون بعض الأحاديث التي توافق بدعهم.
- وهم أيضاً يحرفون النصوص بأنواع التأويلات الفاسدة.
- وهم أيضاً لا يفهمون النصوص لأنهم إما أن يؤولوها إلى معانٍ أخرى، أو يفوضونها فيصيرون مثل أهل الكتاب الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني (1285).

وهذا واضح من التطبيق العملي لأحوال أهل الكلام فهم معرضون عن الكتاب، أما السنة فهم أجهل الناس بها – كما سبق بيانه –.

ز. أن من المقطوع به أن الرسول أوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر به ومن لم يكن كذلك لم يكن مؤمناً به، وإذا كان كذلك كانت أقوال هؤلاء التي يعارضون بها أقواله معلومة الفساد بالضرورة (1286).

ح. أن الله ذكر في كتابه أنه ضمن الهدى والفلاح لمن اتبعه، قال تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة:2)، وقال تعالى:)(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) (طه:123–127)، والآيات في ذلك كثيرة جداً دالة على أن ما جاء به القرآن فيه الهداية التامة وأن من اتبعه وصدقه فقد اهتدى إلى الصراط المستقيم، ومن أعرض عنه فقد ضل وغوى فكيف بمن قال بنقيض ما جاء به؟

ومعلوم أن « للضلال تشابهاً في شيئين:

أحدهما: الإعراض عما جاء به النبي ε.

والثاني: معارضته بما يناقضه » (1287).

(1285) انظر: درء التعارض (5/223–227).

(1286) انظر: المصدر السابق (5/338–339).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وأهل الكلام لهن نصيب وافر من هذين (1288).

سادساً: النتائج الفاسدة التي تنتج عن هذا القانون الذي أتى به هؤلاء، وقد بين شيخ الإسلام أن هذا القانون فتح أبواباً عديدة من الشر، وكانت له آثاره السيئة في الأمة الإسلامية، وهذه الآثار أدت إما إلى ضعف ثقة المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيه محمد -ε- حيث أصبحت عند كثير من أتباع هؤلاء لا يستفاد منها علم يقيني بل هي ظواهر يجب تأويلها أو تفويضها، وإما إلى تسلط أهل الباطل من أهل الفلسفة والباطنية على المسلمين حين سوغوا لأنفسهم تأويل النصوص التي لم يخالف فيها أحد حتى من أهل الكلام؛ احتجاجاً بتأويل أهل الكلام لنصوص أخرى مشابهة لتلك في الدلالة.

أ . فقد بين شيخ الإسلام أن غاية ما ينتهي إليه هؤلاء إما إلى التأويل وإما إلى التفويض، وهذا من أعظم الضلال والقدح في الكتاب والسنة، وقد شرح ذلك شيخ الإسلام (1289).

ب . أن منهج هؤلاء في رد نصوص الصفات وغيرها، هو نفسه الذي سلكه ملاحدة الفلاسفة والباطنية الذين أنكروا ما أخبر الله به من أمور الآخرة فأولوها تأويلات أخرى، وكذلك فعلوا فيما يتعلق بأركان العبادات كالصلاة والزكاة والحج والصيام حيث جعلوها للعامة دون الخاصة، أوأولوها تأويلات أخرى كما فعلت الباطنية.

وهذه الاستطالة من هؤلاء الملاحدة على المتكلمين من أخطر الأمور التي كانت من آثار سلوك المتكلمين هذا القانون الفاسد. وقد اهتم شيخ الإسلام بهذه القضية و

(1287) انظر: درء التعارض (376/5).

(1288) انظر: المصدر السابق (378/5-379).

(1289) انظر: المصدر نفسه (201/1-208).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أطال فيها الكلام (1290)، ولأهمية ذلك في منهج شيخ الإسلام العام في الرد على الأشاعرة فسنفرده إن شاء الله في فقرة مستقلة ضمن هذه الخطوط العامة في منهجه في الرد على الأشاعرة.

ج . ومن الآثار السيئة أن مآل هؤلاء الذين يعارضون كلام الله وكلام رسوله بعقولهم إلى أحد حالين:

1. إن كانوا من ملاحدة الفلاسفة والقرامطة، فمآل كلامهم إلى إبطال الشرائع وذلك بإسقاط الواجبات واستحلال المحرمات.

2. وإما إن كانوا من أهل الكلام فلابد لهم من التأويل الفاسد، وهؤلاء قد أدى بهم هذا إلى التناقض، إما بفهم فاسد حيث ظنوا أنه لابد من تأويل مثل قوله: الحجر الأسود يمين الله في الأرض (1291)، وعبدي جعت فلم تطعمني (1292)، حيث يظنون أن المعنى الفاسد هو الظاهر لهذه النصوص، وهذا فهم فاسد، وإما بتأويلهم لنصوص صريحة واضحة في الصفات أو غيرها فيتأولونها على وجوه أخرى فاسدة، ومعلوم أن نصوص الكتاب والسنة واضحة الدلالة مفهومة المعنى، ولكن هؤلاء بسبب قانونهم الفاسد لم يكن لهم قانون واضح مستقيم يفرقون به بين النصوص التي تحتاج إلى تأويل والنصوص التي لا تحتاج إلى تأويل(1293).

د . ومن الآثار الفاسدة أن هؤلاء المتكلمين لم يبقَ معهم من الطرق التي يسلكونها إلا طريقان:

- إما طريق النظار وهي الطريق القياسية العقلية.

(1290) انظر: درء التعارض (5/3-203).

(1291) سبق تخريجه (ص: 563-564).

(1292) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل عبادة المريض ، ورقمه (2569).

(1293) انظر: درء التعارض (5/234-241).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

- وإما طريق الكشف والتصوف.

ومعلوم أن في هذين الطريقين من التناقض والمخالفة للكتاب والسنة ما هو معروف مشهور، ومن المعلوم أن النتيجة التي ينتهي إليها من سلك الطريق الأول: الحيرة والشك كما حدث لكثير من أهل الكلام، ومن سلك الطريق الثاني: انتهى به الأمر إلى الشطح المؤدي إلى الإلحاد (1294).

سابعاً: وهناك أيضاً لوازم فاسدة تلزم من قال بهذا القانون ومن ذلك:

أ . أن قول هؤلاء يؤدي إلى الاعتقاد بأن الرسول -ε- لم يبين للناس أصول دينهم، ولا عرفهم علماً يهتدون به، وإنما بين لهم الأمور العملية فقط كالعبادات والمعاملات وغيرها، فيلزم من هذا أن تكون عقولهم ومشايخهم الذين بينوا لهم أشرف العلوم وهي علوم أصول الدين، أفضل من الأنبياء الذين لم يبينوا إلا الأضعف وهو الأمور العملية، وفعلاً أدى هذا ببعض الملاحدة إلى أن يفضلوا الفيلسوف أو الولي على النبي، « ومن لم يصل إلى هذا الحد من ملاحدة المتكلمين والمتعبدين ونحوهم، فقد شاركهم في الأصل، وهو تفضيل أئمته وشيوخه على الأنبياء، ومن لم يقر منهم بتفضيل أئمته وشيوخه على الأنبياء لزمه ذلك لزوماً لا محيد عنه.. إذا جعل العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والمعاد لا يستفاد من خطاب الأنبياء وكلامهم وبيانهم وطريقهم التي بينوه، وإنما يستفاد من كلام شيوخه وأئمته» (1295).

ب . أنه يلزم -إذا كانوا يعتقدون أنه لا يستفاد من كلام الله ورسوله شيء في بيان أصول الدين - يلزم من هذا أن الأنبياء قد لبسوا على الناس ودلسوا، بل أضلوهم وجهلوهم، أو حيروهم وشككوهم وجعلوهم مذبذبين لا يعرفون الحق من الباطل، « فعند

(1294) انظر: درء التعارض (5/245-246)، وانظر مثلاً على ذلك من كلام الغزالي (5/346-357).

(1295) انظر: درء التعارض (5/363).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هؤلاء: كلام الأنبياء وخطابهم في أشرف المعارف وأعظم العلوم، يمرض ولا يشفى، ويضل ولا يهدي، ويضر ولا ينفع، ويفسد ولا يصلح، ولا يزكي النفوس ويعلمها الكتاب والحكمة، بل يدسي(1296) النفوس ويوقعها في الضلال والشبهة، بل يكون كلام من يسفسط تارة ويبين أخرى، كما يوج في كلام كثير من أهل الكلام والفلسفة كابن الخطيب وابن سينا، وابن عربي، وأمثالهم، خيراً من كلام الله وكلام رسله، فلا يكون خير الكلام كلام الله، ولا أصدق الحديث حديثه.. » (1297)، يقول شيخ الإسلام: « وإنما ذكرنا هذا لأن كثيراً من الجهمية النفاة يقولون: فائدة إنزال هذه النصوص المثبته للصفات، وأمثالها من الأمور الخبرية التي يسمونها هم المشكل والمتشابه، فائدتها عندهم: اجتهاد أهل العلم في صرفها عن مقتضاها بالأدلة المعارضة لها، حتى تنال النفوس كد الاجتهاد، وحتى تنهض إلى التفكير والاستدلال بالأدلة العقلية المعارضة لها، الموصلة إلى الحق، فحقيقة الأمر عندهم أن الرسل خاطبوا الخلق بما لا يبين الحق، ولا يدل على العلم، ولا يفهمن منه الهدى، بل يدل على الباطل، ويفهم منه الضلال » (1298). ثم ضرب لذلك بمثال (1299).

ج . أنه يلزم أيضاً على قولهم أن يكون الرسل تكلموا في غاية الجهل والضلال أو في غاية الإفك والبهتان والإضلال، وذلك لأن هؤلاء يزعمون أن الرسل لما تكلموا في

(1296) لعل التعبير جاء من قوله تعالى (وقد خاب من دسها) [سورة الشمس]، وانظر تهذيب اللغة للأزهري 280/12، وتفسير هذه الآية في الطبري وابن كثير وفتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان وغيرها، وانظر حاشية محقق درء التعارض في هذا الموضع، وخلاصة معنى الآية، قد خسر من أخفاها وأخملها ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح.

(1297) درء التعارض (364/5).

(1298) درء التعارض (365/5).

(1299) المصدر نفسه (366/5-368).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأمور الإلهية كان كلامهم غير دال على الحق في الأمور الإلهية ولا أفاد علماً فيها: « بل دلالته الظاهرة نقيض الحق والعلم والعرفان مفهمّة لضد التوحيد والتحقيق الذي يرجع إليه ذووا الإيقان » (1300)، وهذا لازم قول هؤلاء. ومن المعلوم أن الرسول – ε – كان من أعلم الخلق بربه وبأسمائه وصفاته وملائكته ومعاده.

وأنه أحرص الناس على تعليم الخلق وبيان الحق لهم وأدلة ذلك كثيرة جداً (1301).

فهذه لوازم فاسدة وخطيرة تلزم على قول هؤلاء الذين جاءوا بهذا القانون الفاسد يقدمون فيه عقولهم على الكتاب والسنة.

ثامناً: أن حقيقة قول هؤلاء – الذين يعارضون النقل والعقل – « أن لا يحتج بالقرآن والحديث على شيء من المسائل العلمية، بل ولايستفاد التصديق بشيء من أخبار الله ورسوله، فإنه إذا جاز أن يكون فيما أخبر الله به ورسوله في الكتاب والسنة أخبار يعارضها صريح العقل، ويجب تقديمه عليها من غير بيان من الله ورسوله للحق الذي يطابق مدلول العقل، ولا لمعاني تلك الأخبار المناقضة لصريح العقل (1302)، لزم أن لا يستفاد من نصوص الوحي شيء.

ومعلوم أن العقول مختلفة ومتفاوتة، وأهل الطوائف كلٌ يدعي أن معقوله يعارض النصوص أو طائفة منها، فإذا كانت الطوائف متباينة في أقوالها ومذاهبها، فقد عورضت النصوص بمعقولات متباينة مختلفة، والنتيجة أن نصوص الوحي أصبحت لا حرمة لهان بل ولا حجة فيهان بل من جوز على خبر الله وخبر رسوله أن يناقضه

(1300) المصدر السابق (370/5).
(1301) درء التعارض (371/5–374).
(1302) درء التعارض (242/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المعقول لم يمكنه أن يصدق بشيء من أخبار الوحي عن الأمور الغائبة، وهذا إبطال للوحي وللرسالات.

وأهل الإيمان يعلمون أن خبر الله ورسوله حق وصدق « موافق لما الأمر عليه في نفسه، لا يجوز أن يكون شيء من أخباره باطلاً ولا مخالفاً لما هو الأمر عليه في نفسه، ويعلمن من حيث الجملة أن كل ما عارض شيئاً من أخباره وناقضه فإنه باطل من جنس حجج السوفسطائية، وإن كان العالمن بذلك قد لا يعلم وجه بطلان تلك الحجج المعارضة لأخباره، وهذه حال المؤمنين للرسول، الذين علموا أنه رسول الله الصادق فيما يخبر به، يعلمون من حيث الجملة أن ما ناقض خبره فهو باطل، وأنه لا يجوز أن يعارض خبره دليل صحيح، لا عقلي ولا سمعي » (1303). وقد شرح شيخ الإسلام هذا في موضع آخر (1304)، وذكر أن حذاق المتكلمين التزموا القول بهذه النتيجة الباطلة، ومنهم الرازي الذي قال بعد أن ذكر في التمسك بالسمعيات أن المطالب ثلاثة أقسام: منها ما يستحيل حصول العلم بها بواسطة السمع، ومنها ما يستحيل العلم بها إلا بالسمع، ومنها ما يصح العلم بها من السمع تارة ومن العقل أخرى »،وبعد أن شرح الرازي ذلك قال: « إذا عرفت ذلك فنقول: أما أن الأدلة السمعية لا يجوز استعمالها في الأصول في القسم الأول فهو ظاهر..وأما القسم الثالث ففي جواز استعمال الأدلة السمعية فيه إشكال: وذلك لأننا لو قدرنا قيام الدليل القاطع العقلي على خلاف ما أشعر به ظاهر الدليل السمعي، فلا خلاف بين أهل التحقيق بأنه يجب تأويل الدليل السمعي، لأنه إذا لم يمكن الجمع بين ظاهر النقل وبين مقتضى الدليل العقلي، فإما نكذب العقل، وإما نؤول النقل، فإن كذبنا العقل، مع أن النقل لا يمكن إثباته إلا بالعقل، فإن الطريق إلى إثبات الصانع ومعرفة النبوة ليس

(1303) انظر: المصدر السابق (255/5).

(1304) انظر: المصدر نفسه (320/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

إلا العقل، فحينئذٍ تكون صحة النقل متفرعة على ما يجوز فساده وبطلانه، فإذن لا يكون النقل مقطوع الصحة، وما أدى ثبوته إلى انتفائه كان باطلاً، فتعين تأويل النقل » (1305)- وهذا هو مضمون القانون الذي سبق نقله عن الرازي في أساس التقديس، والكلام الخطير قول الرازي بعد هذا مباشرة: « فإذن الدليل السمعي لا يفيد اليقين بوجود مدلوله إلا بشرط أن لا يوجد دليل عقلي على خلاف ظاهره، فحينئذٍ لا يكون الدليل النقلي مفيداً للمطلوب إلا إذا بينا أنه ليس في العقل ما يقتضي خلاف ظاهره، ولا طريق لنا إلى إثبات ذلك الأمر إلا من وجهين: إما أن نقيم دلالة عقلية على صحة ما أشعر به ظاهر الدليل النقلي – وحينئذٍ يصير الاستدلال بالنقل فضلاً غير محتاج إليه – وإما أن نزيف أدلة المنكرين لما دل عليه ظاهر النقل، وذلك ضعيف لما بينا من أنه لا يلزم من فساد ما ذكروه أن لا يكون هناك معارض أصلاً، اللهم إلا أن نقول: إنه لا دليل على هذه المعارضات فوجب نفيه، ولكنا زيفنا هذه الطريقة، أو نقيم دلالة قاطعة على أن المقدمة الفلانية غير معارضة لهذا النص، ولا المقدمة الفلانية الأخرى، وحينئذٍ يحتاج إلى إقامة الدلالة على أن كل واحدة من هذه المقدمات التي لا نهاية لها غير معارضة لهذا الظاهر » – يقول الرازي -: « فثبت أنه لا يمكن حصول اليقين بعدم ما يقتضي خلاف الدليل النقلي، وثبت أن الدليل النقلي يتوقف إفادته اليقين على ذلك، فإذا الدليل النقلي تتوقف إفادته على مقدمة غير يقينية وهي عدم دليل عقلي، فوجب تأويل ذلك النقل..» ، ثم قال: « فخرج مما ذكرناه أن الدلالة النقلية لا يجوز التمسك بها في المسائل العلمية..» (1306).

(1305) نهاية العقول – مخطوط – (14 –أ–ب)، ونقله شيخ الإسلام في درء التعارض (5/330–331).

(1306) نهاية العقول (14 – ب) ونقله في درء التعارض (331–333).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

قال شيخ الإسلام معلقاً على كلام الرازي هذا « قلت فليتدبر المؤمن العاقل هذا الكلام ، مع أنه قد ينزل فيه درجة، ولم يجعل عدم إفادته اليقين إلا لتجويز المعارض العقلي، وإلا فهو وغيره في موضع آخر –ينفون أن يكون الدليل السمعي مفيداً لليقين لكون موقوفاً على مقدمات ظنية كنقل اللغة والنحو التصريف، وعدم المجاز، والاشتراك، والنقل والإضمار، والتخصيص وعدم المعارض السمعي أيضاً مع العقلي (1307)، وبهذا دفع الآمدي (1308)، وغيره الاستدلال بالأدلة السمعية في هذا الباب.. والمقصود هنا أن نبين اعترافهم بما ألزمناهم به، وإذا كان كذلك فيقال: نحن نعلم بالاضطرار من دين الرسول أن النبي ε إذا أخبر أمته بما أخبرهم به من الغيب من أسماء الله وصفاته وغير ذلك، فإنه لم يرد منهم ألا يقروا بثبوت شيء مما أخبر به إلا بدليل منفصل غير خبره، فإذا كان القول مستلزماً لكون الرسول أراد أن لا يثبت شيء بمجرد خبره، وهذا مما يعلم بالاضطرار أنه كذب على الرسول، علم أن هذا القول معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام » (1309).

بقي إن يقال أن الرازي لما قسم المطالب إلى ثلاثة أقسام، جعل منها قسماً لا يعلم إلا بالسمع وهو ما ترجع فيه أحد طرفي الممكن على الآخر (1310)، فهل يتمشى هذا مع ما قاله سابقاً عن الظواهر النقلية أنها مظنونة وأنها لا تفيد اليقين؟

الحق أن هذا تناقض، يقول شيخ الإسلام: « ومعلوم أن ما ذكروه ينفي أن يكون الدليل السمعي حجة في هذا القسم أيضاً، وذلك لأن الشيء الذي يمكن وجوده وعدمه، إذا دل الدليل السمعي على أحد طرفيه، وجوزنا أن لا يكون مدلول الدليل

(1307) انظر: أساس التقديس للرازي (ص: 182).

(1308) انظر: أبكار الأفكار (41–ب).

(1309) انظر: درء التعارض (5/335–336).

(1310) انظر: نهاية العقول (14– أ) ، ودرء التعارض (5/329).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

السمعي ثابتاً، أمكن هنا أيضاً أن لا يكون ذلك المخبر به ثابتاً في نفس الأمر، وأن يكون الشارح لم يرد ما دل عليه قوله، ولا يحتاج ذلك إلى تجويز قيام دليل عقلي يعارض ذلك.. وحينئذٍ فلا يستدل بالسمع على مالا مجال للعقل فيه من الأمور الأخروية، وهذا نهاية الإلحاد » (1311).

ومن خلال ما سبق يتبين كيف أن هذا القانون مؤداه إبطال السمع والاقتصار على أدلة العقول، وهذا منتهى قانونهم الفاسد.

تاسعاً: أن المسائل التي يقولون –إنه تعارض فيها العقل والسمع – هي من المسائل المشتبهة، ولذلك فإن أهل الكلام حيالها مختلفون لأن كل طائفة منهم بنت أقوالهم في هذه الأمور المجملة المشتبهة على ما عندها من المعقولات التي تدعي أنها قطعية تفصل في الأمر المراد.

وبيان ذلك كما يلي:

أ . أن عامة موارد التعارض « هي من الأمور الخفية المشتبهة التي يحار فيها كثير من العقلاء، كمسائل أسماء الله وصفاته وأفعاله، وما بعد الموت من الثواب والعقاب والجنة والنار والعرش والكرسي، وعامة ذلك من أنباء الغيب التي تقصر عقول أكثر العقلاء عن تحقيق معرفتها بمجرد رأيهم، ولهذا كان عامة الخائضين فيها بمجرد رأيهم:

- إما متنازعين مختلفين.
- وإما حيارى متهوكين.

وغالبهم يرى أن إمامة أحذق في ذلك منه، ولهذا تجدهم عند التحقيق مقلدين لأئمتهم فيما يقولون إنه من العقليات المعلومة بصريح العقل» (1312)، ويستشهد

(1311) انظر: درء التعارض (388/5).

(1312) انظر: درء التعارض (151/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

شيخ الإسلام لذلك بنماذج تبين أن هؤلاء يعتقدون أن أئمتهم أعلم وأحذق، ولذا فهم يحيلون عليهم في الأمور التي لا يفهمونها، وربما يرون أن عقولهم تعارضها لكنه يهاب مخالفة إمامه، يقول شيخ الإسلام: « تجد أتباع أرسطو ليس يتبعونه فيما ذكره من المنطقيات والطبيعيات والإليهات، مع أن كثيراً منهم قد يرى بعقله نقيض ما قاله أرسطو، وتجده لحسن ظنه به يتوقف في مخالفته، أو ينسب النقص في الفهم إلى نفسه.ز» ، ثم يقول شيخ الإسلام: « بل هذا موجود في أتباع أئمة الفقهاء وأئمة شيوخ العبادة، كأصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وغيرهم، تجد أحدهم دائماً يجد في كلامهم ما يراه هو باطلاً، وهو يتوقف في رد ذلك، لاعتقاده أن إمامه أكمل منه عقلاً وعلماً وديناً، هذا مع علم كل من هؤلاء أن متبوعه ليس بمعصوم، وأن الخطأ جائز عليه؟ » (1313).

والعجيب أن هؤلاء المقلدين لأئمتهم لا يقول أحدهم أبداً: إذا تعارض قولي مع قول إمامي قدمت قولي على قوله، فكيف يقول: إذا تعارض عقلي أو عقل فلان مع الكتاب والسنة وجب تقديم العقل عليه؟

ب . أن كل طائفة تدعي أن ما عندها معلوم بالأدلة العقلية القطعية ومن نظر في أقوال وأدلة الفلاسفة، والجهمية، والمعتزلة، والرافضة، وغيرهم فسيجد أن كل طائفة من هؤلاء تدعي أن قولها ومذهبها قائم على الأدلة العقلية أو السمعية الصحيحة، وأن من خالفها من سائر الطوائف متناقضون مخالفون لصريح العقل أو السمع، بل الأمر أشد من ذلك فإن الطائفة الواحدة يقع بين أئمتها وأصحابها من الاختلاف والتباين ما هو معلوم مشهور وكل واحد من هؤلاء يدعي أن ما عنده قائم على الأدلة الصحيحة، وكل ما كانت الطائفة أبعد عن السلف كان اختلاف أقوالها أكثر.

(1313) انظر: المصدر السابق (1/151-155).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فمثلاً إذا نظرت إلى مسألة الصفات أو الرؤية، أو خلق أفعال العباد فستجد طائفة تقول: إن إثبات هذه الأمور معلوم بالأدلة العقلية القطعية، وتقابلها طائفة أخرى تقول: إن نفي هذه الأمور معلوم العقلية والقطعية، وهكذا بقية المسائل، وكل من الطائفتين فيهم من الذكاء والمعرفة ما هم متميزون به عن بقية الناس (1314)، فما هو المعقول الذي يرجع إليه ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه؟

ولقد كان من نتائج هذا القانون – مع تباين عقول الناس – أن انتهى الأمر بكثير من أهل الكلام إلى الشك والحيرة، كما حصل للجويني، والشهرستاني والرازي وغيرهم (1315)– وسيرد تفصيل ذلك إن شاء الله – يقول شيخ الإسلام معقباً: « فإذا كان فحول النظر وأساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر إلى الغاية، وهم ليلهم ونهارهم يكدحون في معرفة هذه العقليات، ثم لم يصلوا فيها إلى معقول صريح يناقض الكتاب، بل إما إلى حيرة وارتياب، وإما إلى اختلاف بين الأحزاب، فكيف غير هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في الذهن والذكاء ومعرفة ما سلكوه من العقليات.

فهذا وأمثاله مما يبين أن من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه لم يعارضه إلا بما هو جهل بسيط أو جهل مركب..» (1316)، ويفسر أهل الجهل البسيط بأنهم أهل الشك والحيرة، وأهل الجهل المركب بأنهم أرباب الاعتقادات الفاسدة(1317).

ج . أن دلالة السمع متفق عليها:

- أما عند أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فهو أمر واضح متواتر.

(1314) انظر: درء التعارض (156/1).
(1315) انظر: المصدر السابق (166/1).
(1316) انظر: المصدر نفسه (169/1).
(1317) انظر: المصدر نفسه (170/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

- وأما عند أهل الكلام فإن هؤلاء لم يتنازعوا في أن السمع من الأدلة، وإنما اختلفوا هل عارضه العقل أم لا؟ وإلا فكلهم متفقون على أن الكتاب والسنة مثبتان للأسماء والصفات، والمعاد. وغيرها.

أما أدلة العقول – التي جاء بها هؤلاء يعارضون بها السمع – فهي أدلة مختلف فيها، غير متفق عليها، والدليل على ذلك ما سبق من أن كل طائفة تقول، إن أدلة خصومها باطلة.

وإذا كانت دلالة السمع متفقاً عليها، ودلالة العقول مختلفاً فيها فإنه يمتنع أن يقدم ما هو مختلف فيه على ما هو متفق عليه (1318).

د . أن ما جاء به هؤلاء مبني على الألفاظ المجملة، ولذلك فهو من البدع المحرمة في الدين « والبدعة لو كانت باطلة محضاً لظهرت وبانت، وما قبلت، ولو كانت حقاً محضاً، لاشوب فيه، لكانت موافقة للسنة، فإن السنة لا تناقض حقاً محضاً لا باطل فيه، ولكن البدعة تشتمل على حق وباطل » (1319)، ثم استشهد شيخ الإسلام بقوله تعالى لبني إسرائيل: (يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ* وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ* وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: 40–42)، وبين شبه المتكلمين بهؤلاء (1320)، وقد ضرب شيخ الإسلام للألفاظ المجملة التي لبسوا بها بين الحق والباطل، بعدة أمثلة منها:

(1318) انظر: درء التعارض (1/192–194).

(1319) انظر: المصدر السابق (1/209).

(1320) انظر: المصدر نفسه (1/209–219، 211–220).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

1. لفظ « التوحيد » وكيف قصدوا به نفي الصفات عن الله (1321).

2. لفظ الجسم والتركيب، حيث نفوا لأجلهما الصفات (1322).

3. الرؤية (1323).

4. الجهة (1324).

5. الجبر (1325).

6. ومسألة اللفظ بالقرآن (1326).

وقد بين كيف وقع اللبس بهذه الألفاظ، وموقف أهل السنة من الأقوال المبتدعة التي لبس أصحابها بها بين الحق والباطل(1327).

عاشراً: بيان فساد العقليات التي يدعون أنها معارضة للأدلة الشرعية:

في الوجوه السابقة ناقش شيخ الإسلام هذا القانون الفاسد بطرق متعددة تبين تناقضهم، ومخالفتهم للكتاب والسنة، وتكشف ما في قانونهم من المحادة لله ولرسوله، وما لزم عليه من اللوازم الباطلة، وما انتهى إليه من النهايات الفاسدة.. الخ أما في هذا الوجه فقد انتقل فيه شيخ الإسلامن إلى مجال آخر وطريقة أخرى في نقض قولهم وبيان ما فيه من الباطل.

(1321) انظر: المصدر نفسه (224/1).

(1322) انظر: المصدر نفسه (238/1).

(1323) انظر: درء التعارض (250/1).

(1324) انظر: المصدر السابق (253/1).

(1325) المصدر نفسه (254/1).

(1326) انظر: المصدر نفسه (256-269).

(1327) انظر: المصدر نفسه (271/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد سبق في المقدمات – قبل ذكر هذه الردود التي فيها التفصيل في مسألة تعارض العقل والنقل – نقل بعض النصوص لشيخ الإسلام تبين منهجه في ذلك، ونزيد هنا نصاً آخر يوضح المراد. يقول: – رحمه الله–:

« إن الكلام هنا أربعة أنواع:

أحدهما: أن نبين أن ما جاء به الكتابم والسنة فيه الهدى والبيان.

والثاني: أن نبين أن ما يقدر من الاحتمالات فهي باطلة، قد دل الدليل الذي به يعرف مراد المتكلم على أنه لم يردها.

والثالث: أن نبين أن ما يدعي أنه معارض لها من العقل فهو باطل.

والرابع: أن نبين أن العقل موافق لها معاضد، لا مناقض لها معارض» (1328).

أما الأول: فقد سبق في المقدمات بيان أن شيخ الإسلام أحال على كتابين من كتبه، كما أنه بين ذلك في ثنايا ردوده ومناقشاته في هذا الكتاب.

وأما الثاني: فتدخل فيه الوجوه السابقة، ومن ذلك بحوثه المتعددة حول الألفاظ المجملة.

وأما الثالث: فتفصيل القول فيه في هذا الوجه – وسيأتي بيانه بعد قليل –.

وأما الرابع: فسيأتي في الوجه الذي يلي هذا الوجه.

فإذا كان من الخطوط العامة لمنهج شيخ الإسلام هنا أن يبين بطلان هذه المعقولات التي صدوا بها عن الكتاب والسنة.

وهنا لا بد من وقفة قصيرة لأن شيخ الإسلام خاض في المناقشات العقلية والفلسفية والكلامية، ونقل أقوال الفلاسفة والمتكلمين، وأطال في النقول، وعلّق عليها وناقشها، حتى أن القارئ لكتابه هذا يمل من كثرة نقوله ومناقشاته، واستطراداته، وقد يتوقف عن الاستمرار في القراءة لهذا السبب، ويعتب على شيخ الإسلام بعض محبيه،

(1328) انظر: درء التعارض (279/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ظناً منهم أنه خاض في علم الكلام والفلاسفة كما خاض أولئك لكن الفارق بينه وبينهم أنه لم يتلبس بشيء من أقوالهم الفاسدة، وأن نيته في ذلك كانت حسنة، وهذا – مع ما فيه من الاعتذار لشيخ الإسلام – إلا أنه مجانب لكامل الحقيقة لأمور:

الأول: أن شيخ الإسلام أجاب عن ذلك من خلال مناقشاته، ومن خلال أسئلة بعض محبيه كالحافظ البزار، وقد سبق ذكر عدة وجوه في ذلك عند الكلام على منهجه (1329).

والثاني: أن شيخ الإسلام لم يخص فيها خوض الذين يظنون أن فيها فائدة، فضلاً عن أن يكون من المعجبين بها، فهو – رحمه الله – لم تتغير قناعته لحظة واحدة في أن الكتاب والسنة فيهما ما يغني كل الغنى عن أقوال وترهات الفلاسفة والمتكلمين (1330)، ولذلك فإنه وهو يخوض غمار هذه المناقشات لبيان ما فيها من الباطل لا ينفك عن الإشارة إلى ما في القرآن والحديث من البيان والهدى التام.

الثالث: أن هذه الأقوال التي ينقلها ويناقشها لم تبقِ في دائرة ضيقة ككتب الفلاسفة وما شابهها حتى يقال: إن جماهير المسلمين ينكرون هذه الكتب وتأثرهم بها ضعيف، وإنما انتشرت وتناقلها وتبناها عدد كبير من أعيان الفقهاء الذين هم قدوة لكثير من الناس في الفقه وأصوله، والعقيدة والتفسير وغير ذلك من أنواع العلوم التي برزوا فيها، لذلك فكتبهم وأقوالهم وتحقيقاتهم معتمدة عند هؤلاء الأتباع الذين لا يفرقون في الاقتداء بشيوخهم بين أصول الدين وفروعه، ولذلك صار الضلال الناتج عن هذا كبيراً جداً، فرأى شيخ الإسلام أنه لا يمكن رد هذا الباطل وإقناع هؤلاء الأتباع إلا ببيان فساد أقوال شيوخهم وتهافتها، فنقل أقوال هؤلاء، كما نقل أقوال شيوخهم من أهل الاعتزال والفلسفة، وبين ما فيها من الضلال والانحراف.

(1329) انظر: ما سبق في الباب الأول (ص: 226–231).

(1330) سبق شرح هذا ضمن هذا الفصل.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد كان بيان شيخ الإسلام لفساد العقليات التي يزعمون أنها معارضة للشرع من خلال ثلاثة أوجه في كتابه هي: الوجه الثاني عشر (1331)- وهو مختصر جداً - والثامن عشر(1332) والتاسع عشر الذي أطال فيه بحيث شمل بقية المجلد الأول (1333)، والمجلد الثاني والثالث والرابع بكاملها.

وقد كانت مناقشته لذلك كما يلي:

أ . ذكر شيخ الإسلام أن الشبه التي يعارضون بها نصوص الشرع في الأسماء والصفات أهمها شبهتان:

إحداهما: شبهة التركيب والتجسيم، وأنه يلزم من إثبات الصفات لله أو العلو التركيب أو أن يكون الله جسماً، وإذا كان كذلك كان مشاركاً لغيره في الوجود، وهذا ينافي ما يجب لله من التوحيد، قالوا والمركب مفتقر إلى جزئه، وهذه الشبهة في الأصل هي حجة الفلاسفة والجهمية الذين نفوا جميع الصفات والأفعال عن الله تعالى.

والشبهة الثانية:حجة الأعراض، حيث استدلوا بحدوث الأجسام على حدوث العالم، وعلى حدوث الأجسام بملازمتها للأعراض، وهذه في الأصل حجة المعتزلة، ولأجلها نفوا جميع الصفات عن الله، مع ملاحظة أن هؤلاء قد يحتجون بالحجة الأولى التي هي شبهة التركيب والتجسيم (1334).

وقد تلفق الأشاعرة هاتين الحجتين الداحضتين وبنوا عليهما ما نفوا من العلو والصفات.

ب . ثم بين شيخ الإسلام بطلان هاتين الشبهتين:

(1331) درء التعارض (194/1).

(1332) المصدر السابق (280/1-320).

(1333) المصدر نفسه (320/1).

(1334) انظر: درء التعارض (301/1-302).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أما شبهة التركيب والتجسيم: فقد بين فيها تناقض الفلاسفة والمتكلمين، كما بين ما في مثل هذه الألفاظ من الاشتباه (1335)، وقال: « إن إثبات المعاني القائمة التي توصف بها الذات لا بد منه لكل عاقل، وإنه لا خروج عن ذلك إلا بجحد وجود الموجودات مطلقاً، وأما من يجعل وجود العلم هو وجود القدرة، ووجود القدرة هو وجود الإرادة، فقود هذه المقالة يستلزم أن يكون وجود كل شيء هو عين وجود الخالق تعالى، وهذا منتهى الإلحاد، وهو مما يعلم بالحس والعقل والشرع أنه في غاية الفساد، ولا مخلص من هذا إلا بإثبات الصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، وهو دين الذين آمنوا وعملوا الصالحات» (1336).

ثم رد على زعمهم أن نفي الصفات توحيد، وناقشهم في ذلك، وبين أن مآل أقوالهم إلى أقوال المتصوفة أصحاب وحدة الوجود (1337).

وأما شبهة دليل الأعراض وحدوث الأجسام: فقد ناقشها طويلاً- وسيأتي إن شاء الله تعالى توضيح ردوده على هذه الشبهة – ولكن الذي يناسب المقام هنا الإشارة إلى الأمور التالية:

1ـ رد على هذه الشبهة بصورة مجملة، وبين أن السلف والصحابة لم يتوقف إيمانهم على هذا الطريق (1338).

(1335) انظر: المصدر السابق (1/280-283).

(1336) انظر: المصدر نفسه (1/283).

(1337) انظر: درء التعارض (1/283-291)، وحول شبهة التجسيم، انظر أيضاً: (4/134-290)، وقد بين أن فحول النظار والفلاسفة بينوا فساد طرق من نفى الصفات أو العلو بناء على نفي التجسيم، انظر: (4/282).

(1338) انظر: درء التعارض (1/308-320).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

2. لما كان الهدف الأساسي من هذا الدليل عندهم أن يثبتوا به حدوث العالم ليردوا على الفلاسفة القائلين بقدم العالم، ذكر شيخ الإسلام أن هؤلاء الملاحدة أوردوا على المتكلمين سؤالهم المشهور حول حدوث العالم، وأنهم ألزموهم بأحد أمرين:

- إما القول بالترجيح بلا مرجح تام.
- أو القول بالتسلسل والدور (1339).

وهما ممتنعان عند المتكلمين، وقد استقصى شيخ الإسلام أجوبة المتكلمين كما ذكرها الرازي، الذي ذكر أجوبة الناس عليها، ثم بين فسادها وعدل إلى الإلزام للفلاسفة وهو أن لا يحدث – على قولهم – في العالم حادث، والحس يكذبه، وقد أجابه الفلاسفة بأن هذا لا يصح إذا كان التسلسل باطلاً، أما إذا كان صحيحاً فنحن نقول به (1340).

3ـ تخبط المتكلمون في الجواب عن شبهة الفلاسفة، وناقشوها مناقشات ضعيفة (1341)، يقول شيخ الإسلام – بعد أن عرضها – « قلت: المقصود هنا أن يعرف نهاية ما ذكره هؤلاء في جواب الدهرية عن المعضلة الزباء، والداهية الدهياء، ولا يخفى على العاقل الفاضل ما في هذه الأجوبة » (1342)، ثم ذكر أنه يمكن الرد على هؤلاء الفلاسفة من وجوه كثيرة، وأن كل طائفة من طوائف المسلمين تتمكن من قطعهم بجواب مركب من قولهم وقول طائفة أخرى من المسلمين، وذكر مثالاً للأجوبة التي يجاب بها هؤلاء الفلاسفة وينقض بها باطلهم (1343)، وبين في أثناء ذلك أن

(1339) انظر: شرح ذلك في درء التعارض (1/320-322).
(1340) انظر: المصدر السابق (1/322-323).
(1341) انظرها في درء التعارض (1/320-350).
(1342) انظر: درء التعارض (1/350).
(1343) انظر: المصدر السابق (1/351) وما بعدها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

« كل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفي بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه اليقين » (1344)، ويقصد شيخ الإسلام أجوبة المتكلمين الضعيفة.

4ـ بين شيخ الإسلام بشكل قاطع أن الرد على الفلاسفة إنما يتم على قول أهل السنة والجواعة الذين يثبتون لله الصفات ويثبتون له الأفعال، وأنه تبارك وتعالى متصف بالصفات الاختيارية التي نفاها الأشاعرة ومن قبلهم من المعتزلة وغيرهم، يقول شيخ الإسلام بعد ردوده ومناقشاته على الفلاسفة وإبطال حججهم: « وإذا تدبر العاقل الفاضل تبين له أن إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله، ولا تنقطع الدهرية من الفلاسفة وغيرهم قطعاً تاماً عقلاً لا حيلة لهم فيه، إلا على طريقة السلف أهل الإثبات للأسماء والأفعال والصفات، وأما من نفى الأفعال أونفى الصفات فإن الفلاسفة الدهرية تأخذ بخناقه، ويبقى حائراً شاكاً، مرتاباً مذبذباً بين أهل الملل المؤمنين بالله ورسوله وبين هؤلاء الملاحدة كما قال تعالى في المنافقين: (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ) (النساء:143) (1345).

5ـ ولما كان نقض أقوال الفلاسفة إنما يستقيم على مذهب أهل السنة والجماعة الذين يثبتون لله الصفات الاختيارية، أو ما يسمى بحلول الحوادث (1346)، لا على مذهب نفاتها، ذكر شيخ الإسلام أدلة السمع على أفعال الله وصفاته الاختيارية، ونقل

(1344) انظر: المصدر نفسه (357/1).

(1345) انظر: المصدر نفسه (375/1).

(1346) ذكر شيخ الإسلام في درء التعارض (239/2)، أن أهل السنة لا يطلقون عبارة:حلول الحوادث، ومعلوم أن المتكلمين يقصدون بها الصفات الاختيارية.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الخلاف في هذه المسألة (1347)، ثم نقل أقوال علماء الإسلام في إثباتها (1348). ثم ذكر ذلك مفصلة من الكتاب والسنة (1349). والعقل (1350).

وقد أعقب الأدلة السمعية بذكر أدلة النفاة للصفات الاختيارية، وناقشها (1351). كما ربطها بمسألة كلام الله (1352).

وبهذا يتبين الرد على الفلاسفة في قولهم: إن الترجيح بلا مرجح ممتنع، وإن هذه إنما ترد على نفاة صفات الأفعال الاختيارية لله تعالى، أما على مذهب أهل السنة المثبتين لها فلا ترد.

6. أما شبهة التسلسل، فقد بين بطلان قول الفلاسفة فيها على كل تقدير (1353)، لكنه فرق بين نوعين من التسلسل:

أحدهما: التسلسل في الفاعلين، فهذا ممتنع بلا ريب لأن المخلوقات لو فرض التسلسل فيها لابد أن تنتهي إلى الخالق الواحد.

والثاني: التسلسل في الآثار، فهذا يفرق فيه بين النوع والعين، فالعين التسلسل فيه ممتنع، أما النوع فلا مانع منه وهو قول أهل السنة والحديث الذين يقولون: إن الله لم يزل فاعلاً وإنه يتكلم إذا شاء.

(1347) انظر: درء التعارض (2/18-20).

(1348) انظر: درء التعارض (2/20-115).

(1349) انظر: المصدر السابق (2/115-147).

(1350) انظر: المصدر نفسه (2/220)، وما بعدها.

(1351) انظر: المصدر نفسه (2/156)، وما بعدها (2/342)، وما بعدها(3/4)، وما بعدها.

(1352) انظر: المصدر نفسه (2/244).

(1353) انظر: المصدر نفسه (1/339)، وما بعدها (2/282-288).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد ناقش شيخ الإسلام حجة الفلاسفة في مسألة التسلسل وبين ضعف المتكلمين في جوابها، وذكر حججهم – ممثلة في أقوال الرازي – وناقشها بالتفصيل (1354)، ثم عاد شيخ الإسلام يناقش مسألة حلول الحوادث كما سبق (1355).

وفي النهاية ذكر شيخ الإسلام الخلاصة، وكيف اضطرب المتكلمون في هذه المسائل مع أنهم جعلوها من الأصول التي تقدم على الشرع قال شيخ الإسلام: « وسبب ذلك أنهم يقولون أقوالاً تستلزم الجمع بين النقيضين تارة، ورفع النقيضين تارة، بل تستلزم كليهما، والأصل العظيم الذي هو من أعظم أصول العلم والدين لا يذكرون فيه إلا أقوالاً ضعيفة، والقوال الصواب الموافق للميزان والكتاب لا يعرفونه» (1356)، وذكر من الأمثلة على ذلك مما سبق:

أ . مسألة حدوث العالم، فإنهم لا يذكرون إلا قولين:

- قول من يقول بقدم الأفلاك، وهم الفلاسفة الدهرية.
- وقول من يقول: بل تراخي المفعول عن المؤثر التام، وأنه يمتنع أن يكون الله لم يزل متكلماً إذا شاء ويفعل إذا شاء.
- والقول الصواب الذي هو قول السلف والأئمة لا يعرفونه، وهو القول بأن الأثر يتعقب التأثير التام، فهو سبحانه إذا كوّن شيئاً كان، وهذا هو المعقول كما يكون الطلاق والانكسار عقب التطليق والكسر.

ب . وفي كونه موجباً بذاته فاعلاً بمشيئته وقدرته يذكرون قولين:

- قول الفلاسفة: هو موجب بذاته في الأزل، وأن علّته تامة في الأزل فيجب أن يستلزم معلوله، فتكون مخلوقاته أزلية معه. وهذا باطل.

(1354) انظر: درء التعارض (2/344-399، 3/3-389).

(1355) انظر: المصدر السابق (3/4)، وما بعدها.

(1356) انظر: المصدر نفسه (4/290).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

- وقول من يقول: إنه فاعل مختار، لكنه يفعل بوصف الجواز فيرجح أحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح، إما بمجرد كونه قادراً، أو لمجرد كونه قادراً عالماً، أو لمجرد إرادته القديمة، فيقولون بتراخي الأثر عن المؤثر، وهذا قول أهل الكلام وهو قول فاسد، وإن كان أقل فساداً من الذي قبله.

- أما القول الثالث وهو الصواب وإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فما شاء الله وجب بمشيئته وقدرته، وما لم يشأه امتنع لعدم مشيئته له فهو موجب بمشيئته وقدرته، لا بذات خالية عن الصفات. فهذا لا يذكرونه (1357).

فتبين أن هذه الأصول العقلية التي قدموها على السمع هي أصول فاسدة وأن كونهم أرادوا بها إثبات حدوث العالم والرد على الدهرية الفلاسفة، جاء على نقيض مقصدوهمن حيث لم يستطيعوا الرد عليهم، وطعن بعضهم في أدلة بعض، ولو سلكوا الطريق الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وقال به أئمة أهل السنة والحديث، لوافقوا مدلول السمع أولاً، ولنقضوا أقوال الفلاسفة الدهرية ثانياً ولما وقعوا في الارتباك والتناقض، وتسلط أعداء الإسلام عليهم.

حادي عشر: أن العقل موافق للنقل:

في الوجه السابق بين شيخ الإسلام فساد الأصول التي اعتمدوا عليها في تقديم العقل على الشرع، وهنا يبين أن هؤلاء يزعمون أن الأدلة الشرعية لا تفيد اليقين، وأن ما ناقضها من الأدلة العقلية تفيد اليقين، فيجب تقديم هذه على تلك. فيرد عليهم ببيان أن الأدلة العقلية موافقة للأدلة النقلية لا معارضة لها، وطبق ذلك على مثال مشهور يذكرون عنده قانونهم الفاسد وهو إثبات العلو والفوقية لله تعالى.

(1357) انظر: درء التعارض (290/4)، إلى نهاية الجزء.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

والفرق بينهما أنه في الوجه السابق رد على من يزعم أن صدق الرسول موقوف على إثبات دليل حدوث الأجسام، وهنا يرد على من يقول: إن العقل يعارض ظواهر النصوص فيجب تقديمه من غير أن يقول: إن صدق الرسول مبني على هذا.

ولأهمية هذه المسألة يحسن إيراد ما ذكره شيخ الإسلام في هذا الموضوع، حيث قسم هؤلاء إلى طائفتين:

الأولى: « من يقول: إن تصديق الرسول لا يمكن إلا بقضايا عقلية تناقض مفهوم ما أخبر به، وهذا يلزم من قال ذلك من الجهمية والمعتزلة أو أتباعهم من الأشعرية، ومن دخل معهم من الفقهاء من أصحاب الأئمة الأربعة والصوفية: [الذين يقولون (1358)]: إن تصديق الرسول لا يمكن إلا بأن يستدل على حدوث العالم بحدوث الأجسام وأنه يستدل على ذلك بحدوث ما قام بها من الأعراض مطلقاً أو الحركات، وأن ذلك مبني على امتناع حوادث لا أول لها، وذلك يستلزم نفي الأفعال القائمة بذات الله تعالى، المتعلقة بمشيئته واختياره، بل نفي صفاته، وأن يكون القرآن مخلوقاً، وأن الله لا يرى في الآخرة ولا يكون فوق العالم » (1359)، ثم ناقش شيخ الإسلام هذه الطائفة باختصار مبيناً أن قول هؤلاء معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام (1360).

الطائفة الثانية: « من قال: إن هذه المعقولات تعارض المفهوم الظاهر من الآيات والأحاديث، من غير أن يقول: إن العلم بصدق الرسول موقوف عليها، كما يقوله من يعتقد صحة هذا الطريق، طريقة الاستدلال على الصانع بحدوث الأعراض وتركيب الأجسام، وإن قال: إنه يمكن تصديق الرسول بدونها، كما يقوله الأشعري نفسه، وكثير

(1358) زيادة مني ليستقيم الكلام.

(1359) انظر: درء التعارض (7/73-74).

(1360) انظر: المصدر السابق (7/71-73).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

من أصحابه، والرازي وأمثاله، وكثير من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية.. فإن هؤلاء وجمهور المسلمين يقولون: إنه يمكن تصديق الرسول بدون طريقة حدوث الأعراض وتركيب الأجسام » (1361)، ثم بين شيخ الإسلام حال هاتين الطائفتين حيال دليل الأعراض فقال:

« لكن هؤلاء وغيرهم يعتقدون صحة تلك الطريق، وإن قالوا: إن تصديق الرسول لا يتوقف عليها:

ثم منهم من يقول: إنها لا تعارض النصوص، بل يمكن الجمع بينهما، وهذه طريقة الأشعري وأئمة أصحابه: يثبتون الصفات الخبرية التي جاء بها القرآن، مع اعتقادهم صحة طريق الاستدلال بحدوث الأعراض وتركيب الأجسام، وهذه طريقة أبي حاتم البستي، وأبي سليمان الخطابي، والتميميين، كأبي حسن التميمي وغيره من أهل بيته، وأبي علي بن أبي موسى، والقاضي أبي يعلى، وأبي بكر البيهقي وابن فورك وابن الزاغوني، وخلق كثير من طوائف المسلمين من الحنيفة والمالكية والشافعية والحنبلية.

ومن هؤلاء: من يدعي التعارض بينهما كالرازي وأمثاله، كما يقول ذلك من يوجب الاستدلال بطريقة حدوث الأعراض كالمعتزلة وأبي المعالي وأتباعه.

فهؤلاء مشتركون في أن هذه الطريقة المعقولة لهم مناقضة لما يفهم من الآيات والأحاديث، سواء قالوا: إن تصديق الرسول موقوف عليها كما يقوله من يقوله من المعتزلة وأتباع صاحب الإرشاد، أو لم يقولوا ذلك كما يقوله من يوافق الأشعري والرازي، وجمهور المسلمين على أن تصديق الرسول ليس موقوفاً عليها » (1362).

والخلاصة أن الأشاعرة طائفتان:

(1361) انظر: المصدر السابق (7/73-74).

(1362) انظر: درء التعارض (7/74-75).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

طائفة: ترى صحة دليل الأعراض، لكنها لا تعارض به النصوص، ولذلك أثبتوا الصفات الخبرية، والعلو.

وطائفة: ترى وجوب دليل الأعراض، أو صحته فقط، وسواء قال هؤلاء إن تصديق الرسول متوقف عليه أو غير متوقف فإنهم جميعاً يرون أنه يعارض النصوص ولذلك نفوا لأجله الصفات الخبرية والعلو.

أما الصفات الاختيارية لكل من قال بصحة دليل الأعراض –ولو لم يوجبه– التزم نفيها.

بعد هذه المقدمة نعود إلى المثال الذي ذكره شيخ الإسلام هنا وهو إثبات العلو، الذي نفاه متأخرو الأشاعرة لأدلة عقلية يذكرونها، وحين يرد عليهم بالنصوص الكثيرة الدالة على إثباته يذكرون هذا القانون كما فعل الرازي في الأربعين(1363).

وقد رد عليهم شيخ الإسلامن وناقش الموضوع طويلاً بحيث استغرق الجزء السادس بكامله، وثلث الجزء السابع تقريباً (1364)، وقد بين أن نفاة العلو ليس معهم من الأدلة النقلية إلا حديث واحد مكذوب، وما ورد في القرآن أن الله « أحد » واحتجاجهم بذلك فاسد (1365).

ثم ذكر ما أجاب به النفاة – وعلى رأسهم الرازي – على أدلة مثبتي العلو من العقل والفطرة، وناقشها بالتفصيل مبيناً أن العقل والفطرة يوافقان ما دلت عليه

(1363) انظر: الأربعين (ص: 115)، وانظر: لباب الأربعين كما نقله عنه شيخ الإسلام في درء التعارض (26/7).

(1364) إلى (ص: 140) منه.

(1365) انظر: درء التعارض (6/6).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

النصوص، وقد بين شيخ الإسلام أن هؤلاء اعتمدوا على ما ذكره ابن سينا في الإشارات، ثم نقل كلامه وناقشه التفصيل (1366).

ثم ناقش شيخ الإسلام ادعاء الرازي في الوجه الأول من ردوده على من يثبت العلو بأنه لو كان بديهياً لامتنع اتفاق الجمع العظيم على إنكاره وهم ما سوى الحنابلة والكرامية (1367).

كما ناقش بقية الأوجه التي ذكرها الرازي رداً على دليل المثبتة من العقل والفطرة (1368).

ثم ساق أدلة الرازي العقلية على نفي العلو وناقشها (1369).

وأخيراً ساق شيخ الإسلام قانون الرازي الفاسد الذي أتى به هنا في العلو ليرد به النصوص الشرعية المثبتة للعلو، وناقشه بالتفصيل (1370).

والخلاصة أن هؤلاء الذين ظنوا أن الدليل العقلي يعارض السمع مخطئون لأنه قد ثبت أن ما ذكروه معارضاً للسمع إنما هي أوهام توهموها، وأن العقل والفطرة يؤيدان ما دلت عليه النصوص فبطل قانونهم الذي ذكروه.

ثاني عشر: أن العقليات التي يقال:إنها أصل السمع، وأنها معارضة له، ليست مما يتوقف العلم بصحة السمع عليها.

(1366) انظر: المصدر السابق (6/18-112).

(1367) رد عليه من وجوه، الوجه الأول (6/113)، والثاني: وما بعده (6/267)، وقد نقل أقوال الطوائف قبل الحنابلة والكرامية وقولهم في إثبات العلو، انظر: (6/114)، وما بعدها. كما بين عجز النفاة العلو عن الرد على الحلولية ، انظر: (6/115)، وما بعدها.

(1368) انظر: درء التعارض (6/272-287).

(1369) انظر: درء التعارض (6/287-إلى-7/24).

(1370) انظر: المصدر السابق (7/25-140).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وهذا هو الوجه الثالث والأربعون الذي بدأ في أثناء الجزء السابع(1371) واستغرق أغلبه مع الأجزاء الثامن والتاسع والعاشر الذي هو آخر الكتاب.

يقول شيخ الإسلام في أول هذا الوجه: « يقال: العقليات التي يقال: إنها أصل للسمع وإنها معارضة له ليست مما يتوقف العلم بصحة السمع عليها، فامتنع أن تكون أصلاً له، بل هي أيضاً باطلة، وقد اعترف بذلك أئمة أهل النظر من أهل الكلام والفلسفة، فإن إجماع هذه الطرق هي طريقان أو ثلاثة:

- طريقة الأعراض، والاستدلال بها على حدوث الموصوف بها أو ببعضها كالحركة والسكون.
- وطريقة التركيب، والاستدلال بها على أن التصوف بها ممكن أو محدث، فهاتان الطريقتان هي جماع ما يذكر في هذا الباب.
- والثالثة: الاستدلال بالاختصاص على إمكان المختص أو حدوثه.

قد يقال إنها طريقة أخرى، وقد تدخل في الأولى..

« ثم الطريقة الأولى مبنية على امتناع وجود مالا يتناهى من الحوادث، والثانية: مبنية على أن ما اجتمعت فيه معانٍ لزم أن يكون ممكناً أو حادثاً، والثالثة: مبنية على أن المختص لابد له من مخصص منفصل عنه.

وهذه المقدمات الثلاث قد نازع فيها جمهور العقلاء، وكل من هذه الطرق تسلكه الجهمية والمعتزلة نفاة الصفات والأفعال، ويسلكه أيضاً نفاة الأفعال القائمة به دون الصفات » (1372)وهم الأشعرية.

وكما في الوجهين السابقين أطال شيخ الإسلام في تقرير هذا الوجه، ودعم أقواله بالاستشهاد بأقوال أهل الكلام والفلسفة التي تبين أن ما زعمه هؤلاء من أن العلم

(1371) (ص: 141).

(1372) انظر: درء التعارض (7/141-142).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بالصانع وإثبات حدوث العالم لا يمكن إلا بهذه الطرق العقلية التي ذكروها غير صحيح، ويعتبر هذا الوجه –على طوله – من أهم الأوجه التي أوردها في هذا الكتاب وأكثرها إفادة لمن خاض في علم الكلام أو حسن الظن به، أو قلد شيوخه فيه.

وإذا ثبت أن هذه العقليات ليست مما يتوقف صحة السمع عليها، وأن العلم بوجود الله ووحدانيته وحدوث ما سواه يمكن أن يعلم بطرق أخرى كثيرة – تبين فساد القانون العقلي الذي ردوا به نصوص الشرع.

ويمكن تلخيص ما ذكره شيخ الإسلام في تقرير هذا الوجه كما يلي:

أ . أن السلف أجمعوا على ذم علم الكلام، وعلم الكلام الذي ذموه ليس المصطلحات الحادثة – كما ظن بعض أهل الكلام – بل ذموا علم الكلام القائم على هذه الطرق المبتدعة كطريقة حدوث الأجسام وغيرها –وقد سبق شرح ذلك ضمن هذا الفصل – والذين نقلوا ذم السلف لعلم الكلام هم أئمة الأشاعرة، كالغزالي (1373) وأبي الحسن الأشعري الذي ذكر في رسائله إلى أهل الثغر أن الرسل لم يدعوا إلى هذا الدليل المبتدع، دليل الأعراض وحدوث الأجسام (1374).

وكذلك نقل ذلك الشهرستاني (1375) والرازي (1376) والخطابي (1377).

ولما كانت طريقة الأعراض من الطرق التي جعلها الأشاعرة أصلاً في الدلالة على صدق الرسول، وأن السلف ذموها قال شيخ الإسلام معلقاً: « وإذا كان كذلك تبين أن العلم بصدق الرسول –ε– ليس موقوفاً على شيء من المقدمات المتناقضة لإثبات

(1373) انظر: المصدر السابق (144/7)، وما بعدها.

(1374) انظر: درء التعارض (186/7) وما بعدها.

(1375) انظر: المصدر السابق (227/7).

(1376) انظر: المصدر نفسه (228/7).

(1377) انظر: المصدر نفسه (279/7)،وما بعدها، وقد نقل عنه نصوصاً طويلة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الصفات الخبريةن والرؤية، والعلو على العرش، ونحو ذلك مما دل عليه السمع وهو المطلوب(1378) »، ويقول بعد نقل كلام ابن عساكر والبيهقي ومناقشته: « قلت: وهذا اتفاق علماء الأشعرية مع غيرهم من الطوائف المعظمين للسلف على أن الكلام المذموم عند السلف: كلام من يترك الكتاب والسنة، ويعول في الأصول على عقله، فكيف بمن يعارض الكتاب والسنة بعقله؟ وهذا هو الذي قصدنا إبطاله » (1379)، وبهذا تتضح حقيقتان:

إحدهما: اتفاق السلف وإجماعهم على ذم هذا الكلام المبتدع المبني على الأصول العقلية المخالفة للشرع.

والثانية: أن علماء الكلام أنفسهم – وفيهم الأشاعرة – قد شهدوا على اتفاق السلف على ذم الكلام، وإذا كانت هذه الطرق المبتدعة من علم الكلام المذموم فكيف يقال: إنها أصل الشرع؟

ب . أن الفلاسفة بينوا فساد طرق هؤلاء المتكلمين، يقول شيخ الإسلام، « ومما يوضح ذلك أن هذه الطرق المبتدعة في الإسلام في إثبات الصانع التي أحدثتها المعتزلة والجهمية، وتبعهم عليها من وافقهم من الأشعرية وغيرهم من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم، قد طعن فيها جمهور العقلاء، فكما طعن فيها السلف والأئمة وأتباعهم، وذموا أهل الكلام بها، كذلك طعن فيها حذاق الفلاسفة وبينوا أن الطرق التي دل عليها القرآن العزيز أصح منها، وإن كان أولئك المعتزلة والأشعرية أقرب إلى الإسلام من هؤلاء الفلاسفة من وجه آخر » (1380)، وقد نقل ش شيخ الإسلام كلام

(1378) انظر: درء التعارض (242/7).

(1379) المصدر السابق (274/7-275).

(1380) انظر: درء التعارض (242/7).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أبي الوليد بن رشد وعلق عليه (1381)، وقال بعد إتمام النقول الطويلة عنه ونقده لطرق الأشاعرة العقلية: « قلت: فهذا الرجل مع أنه من أعيان الفلاسفة المعظمين المعتنين بطريقة الفلاسفة المشائين كأرسطو وأتباعه، يبين أن الأدلة العقلية الدالة على إثبات الصانع مستغنية عما أحدثه المعتزلة، ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم، من طريقة الأعراض ونحوها، وأن الطرق الشرعية التي جاء بها القرآن هي طرق برهانية تفيد العلمن للعامة والخاصة، والخاصة عنده يدخل فيهم الفلاسفة، والطرق التي لأولئك هي مع طولها وصعوبتها لا تفيد العلم لا للعامة ولا للخاصة، هذا مع أنه لم يقدر القرآن قدره، ولم يستوعب الطرق التي في القرآن، فإن القرآن قد اشتمل على بيان المطالب الإلهية بأنواع من الطرق وأكمل الطرق ..» ثم قال شيخ الإسلام: « ولنا مقصودان:

أحدهما: أن ما به يعلم ثبوت الصانع وصدق رسوله، لا يتوقف على هذه الطرق المعتزلية الجهمية، وهذه الطرق هي التي يقال: إنها عارضت الأدلة الشرعية، ويقال: إن القدح فيها قدح في أصل الشرع، فإذا تبين أنها ليست أصلاً للعلم بالشرع كما أنها ليست أصلاً لثبوته في نفسه بالاتفاق، بطل قول من يزعم أن القدح في هذه العقليات قدح في أصل الشرع، وهو المطلوب.

والمقصود الثاني: أن هذه العقليات المعارضات للشرع باطلة في نفسها، وإن لم نقل: إنها أصل للعلم به » (1382).

والخلاصة: أن هذه الطرق العقلية ذمها السلف، وعلماء الأشاعرة والفلاسفة فكيف يعارض بها السمع؟

(1381) انظر: المصدر السابق (7/345-352، 9/68-333).

(1382) انظر: المصدر نفسه (9/333-334).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

جـ . أن قول هؤلاء: إن معرفة الصانع ليس لها دليل إلا دليل حدوث الأجسام قول مردود لأن العلماء اختلفوا في معرفة الله، هل تحصل ضرورة أم لا، وقد ساق شيخ الإسلام الخلاف في ذلك (1383)، ونقل أقوال الأشاعرة، وإقرارهم أنها قد تقع ضرورة (1384)- ثم قال معلقاً: « فقد تبين أن جمهور النظار من جميع الطوائف يجوزون أن تحصل المعرفة بالصانع بطريق الضرورة، كما هو قول الكلابية والأشعرية، وهو مقتضى قول الكرامية والضرارية، والنجارية والجهمية وغيرهم، وهو قول طوائف أهل السنة من أهل الحديث والفقهاء وغيرهم» (1385). وقال بعد نقل إقرار الشهرستاني بأن معرفة الله تقع ضرورة: « قلت: فهذا كله كلام الشهرستاني، وهو من أئمة المتأخرين من النظار وأخبرهم بالمقالات، وأن الفطرة تشهد بضرورتها وبديهة فكرتها بالصانع الحكيم، إلى آخر ما ذكره، وأن ما تنتهي إليه مقدمات الاستدلال بإمكان الممكنات أو حدوثها من القضايا الضرورية، دون ما شهدت به الفطرة الإنسانية من احتياج الإنسان في ذاته إلى مدبر » (1386).

ولتكملة هذا الموضوع وأهميته في نقض هذا القانون الفاسد الذي زعموه ذكر شيخ الإسلام أن الخلاف وقع في وجوب النظر المؤدي إلى المعرفة، والذي زعم هؤلاء أنه النظر في دليل الأعراض (1387)، وأيضاً اختلف قوم في النظر هل هو فرض على

(1383) منهم من يقول: إنها لا تحصل إلا بالنظر، وهذا قول أهل الكلام من المعتزلة، والأشاعرة، ومنهم من قال: إن المعرفة يخترعها الله في القلوب من غير نظر ولا بحث وهذا قول الصوفية والشيعة، والجمهور من طوائف المسلمين قالوا: يمكن أن تقع ضرورة ويمكن أن تقع بالنظر، انظر: درء التعارض (352/7-354).

(1384) انظر: درء التعارض (352/7-395).

(1385) انظر: المصدر السابق (395/7).

(1386) انظر: المصدر نفسه (403/7).

(1387) انظر: المصدر نفسه (405/7).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأعيان أو على الكفاية (1388)، ثم هل المعرفة تحصل بالسمع أو بالعقل (1389).

وهذا كله يدل على أن كلام العلماء قائم على بيان تنوع الطرق المؤدية إلى المعارف، يقول شيخ الإسلام، معلقاً: « فطرق المعارف متنوعة في نفسها، والمعرفة بالله أعظم المعارف، وطرقها أوسع وأعظم من غيرها، فمن حصرها في طريق معين بغير دليل يوجب نفياً عاماً لما سوى تلك الطريق لم يقبل منه، فإن النافي عليه الدليل، كما أن المثبت عليه الدليل » (1390).

د . أن كثيراً ممن يوجب هذه الطريقة ويصححها – أي طريقة حدوث الأجسام – قد رجع عن ذلك، وتبين لهم ذم هذا الكلام، وذلك مثل الجويني والغزالي والرازي وغيرهم (1391)، وقد استشهد شيخ الإسلام بكلام الجويني (1392)، وبكلام الأشعري في اللمع حيث عول على دليل حدوث صفات الأجسام (1393)، وبين شيخ الإسلام أن دليله – وإن لم يكن هو دليل القرآن القائم على إثبات حدوث الأجسام نفسها وإيجادها من عدم – إلا أنها أحسن وأكمل من دليل الأعراض الذي يوجبه كثير من هؤلاء، ثم نقل كلام الباقلاني في شرح اللمع ورد عليه تحوير كلام الأشعري بأنه يقصد دليل الأعراض، وقد أطال شيخ الإسلام النقول عن الباقلاني وعلق عليها كثيراً

(1388) انظر: المصدر نفسه (440/7) وما بعدها.
(1389) انظر: المصدر نفسه (24/8) وما بعدها.
(1390) انظر: درء التعارض (46/8).
(1391) انظر: درء التعارض (47/8–348).
(1392) انظر: المصدر نفسه (47/8–51)
(1393) انظر: المصدر نفسه (70/8–73)، وانظر تعليقات شيخ الإسلام في (335/8، 100–336).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

(1394)، وأشار إلى ذلك مبيناً أن طريقة الأشعري خير من طريقة الباقلاني، وطريقة الباقلاني خير من طريقة المعتزلة (1395).

هـ . ركز على بيان دليل الفطرة، والأحاديث الواردة فيها، ثم نقل أقوال العلماء في المراد بها (1396)، ورجح أن المقصود بها فطرة الإسلام (1397)، وذكر أن الأدلة العقلية تدل على صدق ما أخبر به النبي -ε- من أن كل مولود يولد على الفطرة (1398)، ثم استشهد بقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذريات:56)، وذكر الخلاف في الآية حول المقصود بالعبادة، وهل وقعت منهم جميعاً أو من بعضهم (1399)، ثم بين أنه على جميع الأقوال فالآية دالة على « أن جميع الإنس والجن مقرون بالخالق معترفون به، مقرون بعبوديته طوعاً وكرها، وذلك يقتضي أن هذه المعرفة من لوازم نشأتهم، وأنه لم ينفك عنها أحد منهم، مع العلم أن

(1394) انظر كلام الباقلاني في درء التعارض (103/8،81-106)، وقد رد عليه شيخ الإسلام من وجهين: أحدهما: (106/8)، والثاني (310/8)، وذكر بينهما كلاماً طويلاً تضمن مناقشات بين الفلاسفة والمتكلمين حول ترجيح الممكن بلا مرجح، وبين تناقضهم جميعاً.

(1395) انظر: درء التعارض (303/8-304).

(1396) انظر: درء التعارض (359/8)، إلى نهاية الجزء، وقد اعتمد في نقل الأقوال فيها على ما ذكره ابن عبد البر في التمهيد، انظر: درء التعارض (366/8-444)، وقارن النصوص بما في التمهيد في الجزء المطبوع أخيراً (57/18-93)، مع ملاحظة أن النقول فيها تقديم وتأخير.

(1397) انظر: درء التعارض (371/8-410).

(1398) انظر: المصدر السابق (456/8) وما بعدها.

(1399) انظر: المصدر نفسه (468/8-479).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

النظر المعين الذي يوجبه الجهمية والمعتزلة لا يعرفه أكثرهم، فعلم بذلك ثبوت المعرفة والإقرار بدون هذا النظر» (1400).

وبعد أن ربط بين موضوع الفطرة وما يقوله كثير من أهل الكلام وغيرهم من أن المعرفة قد تحصل بغير العقل (1401)، قال شيخ الإسلام: « قد ذكرنا ماتيسر من طرق الناس في المعرفة، ليعرف أن الأمر في ذلك واسع وأن ما يحتاج الناس إلى معرفته، مثل الإيمان بالله ورسوله، فإن الله يوسع طرقها وييسرها، وإن كان الناس متفاضلين في ذلك تفاضلاً عظيماً، وليس الأمر كما يظنه كثير من أهل الكلام من أن الإيمان بالله ورسوله لا يحصل إلا بطريق يعينونها » (1402).

والطرق التي سلكها هؤلاء في إثبات حدوث العالم جمعت وصفين: « أن الجمهور ليس في طباعهم قبولها، ولا هي مع هذا برهانية، فليست تصلح لا للعلماء ولا للجمهور » (1403)، وقد سبقت الإشارة إلى نقد ابن رشد الفيلسوف لطرق المتكلمين (1404)، وطرق الفلاسفة والمتكلمين كلها باطلة، ومنشأ ضلالهم أنهم نفوا صفات الله وأفعاله القائمة بنفسه (1405).

و . ذكر مسألة صفات الله ضمن ما نقله عن ابن رشد، فذكر صفة العلم، وأطال حولها الكلام رداً على الفلاسفة نفاة علم الله بالجزئيات (1406)، كما ذكر صفة

(1400) درء التعارض (8/479-480)، وانظر أيضاً (8/482).
(1401) انظر: المصدر السابق (9/3-66).
(1402) المصدر نفسه (9/66).
(1403) المصدر نفسه (9/75).
(1404) انظر: درء التعارض (9/68-379).
(1405) انظر: المصدر السابق (9/252).
(1406) انظر: المصدر نفسه (9/379-434، 10/3-196).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

الإرادة (1407)، والكلام (1408)، والسمع والبصر (1409)، ثم ذكر مسألة التنزيه، وما يتعلق به من مسألة التجسيم (1410). ثم قال معلقاً: « وهذه الطرق التي يسلكها نفاة الجسم وأمثالهم أحسن أحوالها أن تكون عوجاً طويلة قد تهلك، وقد توصل؛ إذ لو كانت مستقيمة موصلة لم يعدل عنها السلف، فكيف إذا تيقن أنها مهلكة؟ ولا ريب أن الذين يعارضون الكتاب والسنة إنما يعارضونها بطرق هؤلاء، فهم يعرضون عن كتاب الله في أول سلوكهم ويعارضونه في منتهى سلوكهم وقد قال تعالى:)(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طه:123-124)، فقد بين أن حذاق الفلاسفة أيضاً يثبتون أن التصديق بما جاء به الشارح لا يتوقف على شيء من الطرق الكلامية المحدثة، ولا شيء من طرقهم الفلسفية» (1411).

فالصفات ثابتة لله تعالى، والأدلة العقلية توافق الأدلة النقلية في إثباتها، والفلاسفة أقروا بهذه الصفات على وجه الإجمال، فدل ذلك على أن من زعم أن شبهة التركيب أو التجسيم قاطعة في وجوب نفي صفات الله أو بعضها؛ فقوله من أعظم البهتان والباطل.

وبهذه الأدلة والمناقشات يتبين أن هذه العقليات التي ذكرها أصحاب هذا القانون ليست مما يتوقف صحة السمع عليها، بل هي باطلة، ومعرفة الله ومعرفة حدوث العالم تعلم بطرق عديدة منها الضرورة والفطرة التي تحصل عند العبد، وإذا كان كذلك

(1407) انظر: المصدر نفسه (10/197-199).
(1408) انظر: المصدر نفسه (10/199-224).
(1409) انظر: المصدر نفسه (224-225).
(1410) انظر: المصدر نفسه (10/225) إلى نهاية الكتاب.
(1411) درء التعارض (10/316-317).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

فما ادعاه هؤلاء من أن معرفة الله ومعرفة حدوث العالم لا يعلم إلا بهذا الطريق الذي ذكروه غير صحيح، فبطل قانونهم، والحمد لله رب العالمين.

* * *

هذا ملخص منهج شيخ الإسلام في بيان عدم تعارض العقل والنقل، والرد على الأشاعرة – وغيرهم– في قانونهم الفاسد الذي ردوا به كثيراً من النصوص وتأولوها تأويلات باطلة، ولاشك أن المسألة خطيرة وذات جذور عميقة – ضل بسببها كثير من الناس – ومن ثم أفرد لها شيخ الإسلام هذا الكتاب الفريد.

ثامناً: الرد على متأخري الأشاعرة بأقوال شيوخهم، وردود بعضه على بعض.

وأساس الرد التطور الذي حدث للمذهب الأشعري الذي سبق تفصيل القول فيه، وشيخ الإسلام كثيراً ما يشير إليه ويبين أنهم طبقات – حسب القرب والبعد عن أهل السنة ومذهبهم الصحيح – فابن كلام أقرب من الجويني وطبقته، والجويني أقرب من الرازي وطبقته (1412)، بل إن شيخ الإسلام يقرر من خلال تتبع دقيق أن أئمة الأشعرية الذين كانوا في العراق كأبي الحسن الأشعري والباهلي، وابن مجاهد، والباقلاني، وغيرهم، أقرب إلى السلف من أشعرية خراسان كأبي بكر بن فورك ونحوه(1413).

(1412) سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن جوانبهم الإيجابية، وانظر أيضاً منهاج السنة (77/2)، ط مكتبة الرياض الحديثة، وأيضاً (69/3)، والمسألة المصرية في القرآن، مجموع الفتاوي (202/12–203)، ونقض التأسيس المطبوع (348/2)، ودرء التعارض (91/8).

(1413) انظر: التأسيس المطبوع (344/2–345).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وانحراف متأخري الأشاعرة عن متقدميهم أمر مشتهر حتى إن أبا العباس أحمد بن ثابت الطرقي(1414) الحافظ صاحب كتاب اللوامع في الجمع بين الصحاح والجوامع، والمتوفى سنة 521هـ، قال في مسألة الاستواء من تأليفه: « ورأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي العرش وتعطيل الاستواء إلى أبي الحسن الأشعري، وما هذا بأول باطل ادعو، وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بالإبانة عن أصول الديانة أدلة من جملة ما ذكر على إثبات الاستواء، وقال في جملة ذلك: ومن دعاء أهل الإسلام جميعاً إذا رغبوا إلى الله في الأمر النازل بهم، يقولون جميعاً: يا ساكن العرش، ثم قال: ومن سلفهم جميعاً قولهم: لا والذي احتجب بسبع سموات » (1415)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – بعد نقله النص السابق: « وكذلك الشيخ نصر المقدسي له تأليف في الأصول نقل فيه فصولاً من كتاب الإمانة » (1416).

وهذا يدل على أن هذا المنهج – وهو الرد على متأخري الأشاعرة بأقوال متقدميهم وأئمتهم الذين ينتسبون إليهم – قد استخدمه العلماء قبل شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد استخدم شيخ الإسلام هذا المنهج في كتبه المختلفة وركز عليه كثيراً، لأنه رأى فيه فوائد عملية، ومن ذلك ما جرى في المناظرة حول الواسطية، وهي المناظرة الثانية التي حضرها صفي الدين الهندي، حيث إن شيخ الإسلام ذكر أنه قبل هذا المجلس اجتمع به بعض أكابر الشافعية من الأشعرية وعبروا له عن خوفهم من أن تظهر حجته على خصومه دون أن يكون من أئمة أصحابهم الأشعرية من يوافقها، يقول

(1414) "الطرقي" بفتح الطاء وسكون الراء، وطرق: قرية من أصبهان، وأبو العباس الطرقي كان عارفاً بالفقه والأصول، يحكى عنه أنه كان يقول إن الروح قديمة، وهذه من زلاته – رحمه الله – توفي سنة 521هـ، انظر: الأنساب (235/8)، – ط لبنان، وميزان الاعتدال (86/1)، لسان الميزان (143/1)، والوافي (282/6).

(1415) نقض التأسيس المخطوط (85/1).

(1416) المصدر السابق، نفس الصفحة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

شيخ الإسلام: « وكان مقصودي تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف، وأن ابين اتفاق السلف ومن تبعهم على ما ذكرت، وأن أعيان المذاهب الأربعة، والأشعري، وأكابر أصحابه، على ما ذكرته؛ فإنه قبل المجلس الثاني اجتمع بي من أكابر علماء الشافعية والمنتسبين إلى الأشعرية، والحنفية، وغيرهم ممن عظم خوفهم من هذا المجلس، وخافوا انتصار الخصوم فيه، وخافوا على نفوسهم أيضاً من تفرق الكلمة، فلو أظهرت الحجة التي ينتصر بها ما ذكرته و(1417) لم يكن من أئمة أصحابهم من يوافقها لصارت فرقة، ولصعب عليهم، أن يظهروا في المجالس العامة الخروج عن أقوال طوائفهم، بما في ذلك من تمكن أعدائهم من أغراضهم، فإذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك، وقامت عليه الحجة، وبان أن مذهب السلف: أمكنهم إظهار القول به، مع ما يعتقدونه في الباطن من أنه الحق.. وقلت لمن خاطبني من أكابر الشافعية: لأبين أن ما ذكرته من قول السلف وقول أئمة أصحاب الشافعي، وأذكر قول الأشعري، وأئمة أصحابه التي ترد على هؤلاء الخصوم، ولينتصر كل شافعي، وكل من قال بقول الأشعري الموافق لمذهب السلف، وأبين أن القول المحكى عنه في تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له في كلامه، وإنما هو قول طائفة من أصحابه، فللأشعرية قولان ليس للأشعري قولان » (1418).

والأشاعرة المتأخرون في أوقات محنهم يلجأو إلى أقوال أئمتهم، ينقلونها ويستشهدون بها ليبينوا سلامة معتقدهم وصحة مذهبهم، وهذا ما فعله القشيري في الشكاية المشهورة، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري.

(1417) في المطبوعة من مجموع الفتاوي [أو] وكذا في العقود الدرية (ص: 241)، وسياق الكلام يقتضي أنها بالواو فقط.

(1418) مناظرة حول الواسطية، مجموع الفتاوي (3/188-190)، والعقود الدرية (ص: 241-242).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ولاشك أن المنهج الذي سلكه شيخ الإسلام في الرد على أقوال المتأخرين: بأقوال شيوخهمن الذي يعتزون بالانتساب إليهم له قيمته الكبرى وأثره البالغ لأمرين:

أحدهما: أن هذه النقول أتى بها شيخ الإسلام موثقة، ومنقولة بحروفها من كتبهم المشهورة التي تناقلها المتأخرون واعتزوا بها، ونقلوا عنها ما يوافق أقوالهم من المسائل التي لم يختلف فيه قول متقدمي الأشاعرة عن قول متأخريهم، ولذلك لم يستطع أحد منهم الطعن فيما نقله شيخ الإسلام، ولم يقل: إن هذا منسوب إلى أئمتهم، أو إنه حكاية لمذهبهم – كما تحكي بعض كتب الفرق أقوال الطوائف، وقد يكون في الحكاية زيادة أو نقص، وتقديم أو تأخير يخل المعنى – ولاشك أن الأمانة والمنهج العلمي الذي وفق إليه شيخ الإسلام، جعل أعداءه ومعارضيه يرضحون له في ذلك مع حرصهم الشديد على النيل منه ومن أقواله وكتبه، ولتوضيح ذلك يمكن ذكر هذين المثالين:

المثال الأول: قال بعض متأخري الأشعرية: إن للأشعري في الصفات الخبرية قولين: قول بالتأويل، وقول بالإثبات، فلما جاء شيخ الإسلام – وهو المطلع على كتب الفرق – أوضح مراراً أنه ليس للأشعري فيها إلا قول واحد هو الإثبات، وأتى بالدلالة على ذلك من كتبه، أما الذين يزعمون أن له قولاً آخر فحتى الآن لم ينقل أحد منهم نصاً من كتب الأشعري يدل على ذلك.

والمثال الثاني: لما نقل شيخ الإسلام عن الباقلاني في كتابه التمهيد نصاً يثبت فيه الاستواء والعلو ويمنع من تأويله، قال الكوثري وبعض الباحثين – المائلين إلى المذهب الأشعري – وهم بصدد تحقيق التمهيد عن نسخة خطية ناقصة – قالوا: إن ابن تيمية وابن القيم – الذي نقل النص أيضاً في اجتماع الجيوش – قد كذبا أو وهما

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

على الباقلاني، ولما حقق التمهيد مرة أخرى – على يد نصراني – تبين صدق شيخي الإسلام، وخطأ الكوثري وأصحابه (1419).

والثاني: أن هذه النقول نص صريح في مخالفتها لأقوال متأخري الأشعرية، وليست مما يقبل التأويل أو اختلاف المفاهيم حولها، فمثلاً جين يؤول المتأخرون الاستواء بالاستيلاء ويمنعون من إثباته وإثبات الاستواء، ودلالته على العلو، تورد عليهم أقوال الأشعري وغيره التي نصول فيها على إثبات الاستواء، ودلالته على العلو، وقولهم: إن تأويله بالاستيلاء هو قول خصومهم المعتزلة، وليس للمتأخرين –المنتسبين إلى الأشعري – هنا إلا الاعتراف والفرار إلى التفويض وأن هذا هو حقيقة مذهب الأشعري، ولكن ماذا يصنعون بقوله: إن تأويل الاستواء بالاستيلاء هو قول المعتزلة؟ وبنصوصه الأخرى في إثبات علو الله على خلقه؟

ولأهمية هذا في إقناع الخصوم – وأتباعهم –ركز عليه شيخ الإسلام وأضاف إليه جانباً آخر وهو ردود بعض الأشاعرة على بعض سواء كانوا متقدمين أو متأخرين، لأن هذا أيضاً يفيد في بيان ضعف المذهب وضعف الأدلة التي اعتمدوا عليها، فهذان جانبان رئيسيان ركز عليهما شيخ الإسلام.

أ. فمن الأمثلة على الجانب الأول:

1. في مسألة العلو والاستواء التي أنكرها متأخرو الأشعرية، رد شيخ الإسلام على زعيمهم الرازي بأن نقل نصوصاً من كلام شيوخه من الأشاعرة يثبتون فيها العلو لله تعالى (1420)، وفي موضع آخر من نفس الكتاب رد على الرازي في هذا الموضوع

(1419) سبق بيان ذلك بالتفصيل في ترجمة الباقلاني عند الكلام على تطور المذهب الأشعري.

(1420) انظر: نقض التأسيس المخطوط (1/32-33) – نص كلام الرازي ، (ص: 33-63) الرد عليه من كلام شيوخه.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وفي موضوع الصفات الخبرية التي أوّلها الرازي وأصحابه، فنقل شيخ الإسلام كلام الأشعري في الإبانة والمقالات، وكلام الباقلاني (1421)، ثم قال: « فإذا كان قول ابن كلاب والأشعري وأئمة أصحابه، وهو الذي ذكروا أنه اتفق عليه سلف الأمة وأهل السنة أن الله فوق العرش وأن له وجهاً ويدين، وتقرير ما ورد في النصوص الدالة على أنه فوق العرش، وأن تأويل استوى بمعنى استولى هو تأويل المبطلين، ونحو ذلك، علم أن هذا الرازي ونحوه هم مخالفون لأئمتهم في ذلك، وأن الذي نصره ليس هو قول ابن كلاب والأشعري وأئمة أصحابه، وإنما هو صريح قول الجهمية والمعتزلة ونحوهم، وإن كان قد قاله بعض متأخري الأشعرية كأبي المعالي ونحوه » (1422)، ثم اتبع ذلك بنقل مذهب جمهرة كبيرة من أئمة السلف (1423)، تؤيد ما ذهب إليه الأشعري وأئمة أصحابه في هذا الباب.

2ـ وفي معرض رده على دليل حدوث الأجسام الذي أوجبه كثير من متأخري الأشعرية كالجويني يقول شيخ الإسلام عنه: « وبالجملة فإنه وإن كان أبو المعالي ونحوه يوجبون هذه الطريقة، فكثير من أئمة الأشعرية – أو أكثرهم – يخالفونه في ذلك ولا يوجبونها، بل إما أن يحرموها ، أو يكرهوها، أو يبيحوها، وغيرها، ويصرحون بأن معرفة الله تعالى لا تتوقف على هذه الطريقة ولا يجب سلوكها، ثم هم قسمان: قسم يسوقها، ويسوق غيرها، ويعدها طريقاً من الطرق، فعلى هذا إذا فسدت لم يضرهم، والقسم الثاني: يذمونها، ويعيبونها، ويعيبون سلكوها وينهون عنها، إما نهي تنزيه وإما نهي تحريم » (1424)،ثم نقل عن الخطابي في شعار الدين والغنية ما يدعم قوله

(1421) انظر: نقض التأسيس المطبوع (2/15-35).
(1422) انظر: المصدر السابق (2/35).
(1423) انظر: المصدر نفسه (2/35-44).
(1424) انظر: المصدر نفسه (2/249).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

(1425)، وأشار إلى رسائل الأشعري إلى أهل الثغر (1426)، وأنها توافق ما قاله الخطابي، وقد نقل كلام الأشعري فيها كاملاً في كتاب آخر (1427).

3ـ وعند ذكر الصفات الخبرية وغيرها مما يتأوله الجويني وأصحابه، قال شيخ الإسلام رداً عليه: « فدعواه أن دلالة القرآن والأخبار على ذلك ليست قطعية يخالفه في هذه الدعوى أئمة السلف وأهل الحديث والفقه والتصوف، وطوائف من أهل الكلام من أصحابه وغيرهم، فإن عندهم دلالة النصوص على ذلك قطعية، وأما الأخبار فأكثر أصحابه أنها إذا تلقيت بالقبول أفادت العلم، كما تقدم ذكرهم لذلك عن الأستاذ أبي إسحاق، وهذا الذي ذكره أبو بكر ابن فورك هو معنى ما ذكره الأشعري في كتبه عن أهل السنة والحديث، وذكر أن قوله، وإن الإيمان بموجب هذه الأخبار واجب » (1428)، والذي أشار إليه شيخ الإسلام بأنه تقدم ما نقله عن أبي القاسم النيسابوري الأنصاري (1429)– شارح الإرشاد للجويني – فإنه قال في كتابه هذا حين نقل منع الجويني إثبات الصفات بظواهر الآيات: « هذا ما قاله الإمام، وقد رأيت في كتب الأستاذ أبي إسحاق(1430) قال: ومما ثبت من الصفات بالشرع الاستواء على

(1425) انظر: المصدر نفسه (2/249–255).

(1426) انظر: المصدر نفسه (2/255).

(1427) انظر: درء التعارض (7/186–219)، وانظر: النبوات (ص:62).

(1428) نقض التأسيس المطبوع (2/86–87).

(1429) هو أبو القاسم سلمان بن ناصر بن عمران النيسابوري، الصوفي، الشافعي، تتلمذ على الجويني وخدم القشيري، وتتلمذ عليه الشهرستاني، اشتهر بالتصوف والتبحر في علم الكلام من أشهر كتبه شرح الإرشاد للجويني، توفي سنة 511هـ، وقيل 512هـ، انظر: تهذيب ابن عساكر (6/213)، وطبقات السبكي (7/96)، وطبقات الأسنوي (1/64)، والوافي (15/314)، وسير أعلام النبلاء (19–412).

(1430) الأسفراييني . تقدمت ترجمته (ص: 239).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

العرش، والمجيء يوم القيامة بقوله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:5)، وقوله: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً) (الفجر:22)، ومما ثبت بالأخبار الصحيحة النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة (1431)، وقوله: « أنا عند ظن عبدي بي، فليظن الفلاسفة، فإن كانت هذه الحجة صحيحة بطل احتجاجهم على المعتزلة، وإن كانت باطلة بطل جوابهم للفلاسفة. وهذا غالب على المتفلسفة والمتكلمين المخالفين للكتاب والسنة تجدهم دائماً يتناقضون، فيحتجون بالحجة التي يزعمون أنها برهان باهر، ثم في موضع آخر يقولون: إن بديهة العقل يعلم بها فساد هذه الحجة»(1432).

وهذا يشبه تناقض الأشاعرة في مسألة أصوات العباد، حيث إنهم حينما يردون على المعتزلة يقولون: إنها ليست فعلاً للعباد، فإذا جاءوا إلى مسألة القرآن قالوا: أصوات العباد فعل لهم وهذا تناقض(1433).

3- وفي موضوع النبوات وما يتعلق بها من المعجزات الدالة على صدق الأنبياء ذكر شيخ الإسلام جوانب كثيرة دالة على تناقضهم:

من ذلك أن بعضهم يقول: إن دلالة المعجزة على التصديق معلومة بالاضطرار، ثم يقولون: إن الله لا يفعل لحكمة، وليست أفعاله تعالى معللة. وهذا تناقض إذ كيف تدل المعجزة – التي هي من أفعال الله ومفعولاته – على صدق النبي، والله لا يفعل لحكمة أبداً؟ يقول شيخ الإسلام: «وأما الطريقة الثانية وهي أجود وهي التي اختارها

(1431) أحاديث النزول مشهورة، مروية في كافة كتب السنة، رويت عن جمهرة من الصحابة – رض الله عنهم – البخاري – كتاب التجهد ، باب الدعاء في الصلاة آخر الليل، رقمه (1145)، (فتح الباري 29/3)، الدعوات برقم (632)، وفي التوحيد برقم (7494)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين –باب الترغيب في الدعاء والذكر برقم (758)، وللدارقطني كتاب النزول، مطبوع.

(1432) انظر: درء التعارض (326/1).

(1433) انظر: الصفدية (154/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أبو المعالي وأمثاله، فهو أن دلالة المعجز على التصديق معلوم بالاضطرار، وهذه طريقة صحيحة لمن اعتقد أن الله يفعل لحكمة، وأما إذا قيل: إنه لا يفعل لحكمة انتفى العلم الاضطراري. والأمثلة التي يذكرونها كالملك الذي جعل آية لرسوله خارجاً عن عادته، إنما دلت للعلم بأن الملك يفعل شيئاً لشيء، فإذا نفوا هذا بطلت الدلالة» (1434) .

ومثل ذلك من علق صدق النبوة على القدرة، وأن الله قادر على أن يميز بين الصادق والكاذب، إنما صح ذلك مع إثبات الحكمة والتعليل، أما مع نفيها فهو متناقض(1435) .

ومن تناقضهم في هذا الباب قولهم عن المعجزات: إن الله لا يمكن أن يخلقها على يد كاذب، ثم يقولون: إن الله لا ينزه عن فعل أي ممكن، وأنه لا يقبح منه فعل، وحينئذ فيقال لهم قولكم متناقض لأنه إذا جاز أن يفعل الله القبيح جاز أن يخلق المعجزة على يد كذاب، يقول شيخ الإسلام معلقاً على قولهم إن الله لا يمكن أن يخلق المعجزة على يد كاذب: «لكن المطالب يقول: كيف يستقيم على أصلكم أن يكون ذلك دليل الصدق، وهو أمر حادث مقدور، وكل مقدور يصح عندكم أن يفعله الله، ولو كان فيه من الفساد ما كان، فإنه عندكم لا ينزه عن فعل ممكن، ولا يقبح منه فعل، فحينئذ إذا خلق على يد الكاذب مثل هذه الخوارق لم يكن ممتنعاً على أصلكم، وهي لا تدل على الصدق البتة على أصلكم ... فأنتم بين أمرين: إن قلتم لا يمكنه خلقها على يد الكاذب وكان ظهورها ممتنعاً فقد قلتم: إنه لا يقدر على إحداث حادث قد فعله

(1434) النبوات (ص: 361)، وانظر (ص: 56).

(1435) انظر: المصدر السابق (ص: 361-362).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

مثله، وهذا تصريح بعجزه ... وإن قلتم: يقدر، لكنه لا يفعل، فهذا حق وهو ينقض أصلكم» (1436) . ومعلوم أن من أكثر ما تخبط فيه الأشاعرة مسألة المعجزات.

4- ومن الأمثلة على تناقضهم قولهم: إن أول الواجبات هو المعرفة أو النظر ثم يقولون لا واجب إلا بالشرع خلافاً للمعتزلة، وهذا تناقض بين(1437) .

والأمثلة على تناقض الأشاعرة كثيرة، وماسبق كاف لإثبات ذلك، وهناك جوانب أخرى من تناقضهم ذكرها شيخ الإسلام(1438) .

5- ويذكر شيخ الإسلام – إضافة إلى ما سبق – تناقض بعض أعلامهم:

آ- ومن ذلك تناقض الشهرستاني والرازي والآمدي الذين أثبتوا جواهر معقولة غير متحيزة موافقة للفلاسفة الدهرية: وقالوا: إنه لا دليل على نفيها: يقول شيخ الإسلام مخاطباً هؤلاء حول العلو ونفيهم له لالتزامه على زعمهم التحيز:

«أنتم إذا ناظرتم الملاحدة المكذبين للرسل فادعوا إثبات جواهر غير متحيزة عجزتم عن دفعهم أو فرطتم فقلتم: لا نعلم دليلاً على نفيها أو قلتم بإثباتها. وإذا ناظرتم إخوانكم المسلمين الذين قالوا بمقتضى النصوص الإلهية والطريقة السلفية وفطرة الله التي فطر عباده عليها، والدلائل العقلية السليمة عن المعارض وقالوا: إن الخالق تعالى فوق خلقه، سعيتم في نفي لوازم هذا القول وموجباته وقلتم: لا معنى للجوهر إلا المتحيز بذاته، فإن كان هذا القول حقاً فادفعوا به الفلاسفة الملاحدة، وإن كان باطلاً فلا تعارضوا به المسلمين، أما كونه يكون حقاً إذا دفعتم ما يقوله إخوانكم المسلمين،

(1436) انظر: المصدر السابق (ص: 154-155).

(1437) انظر: درء التعارض (8/12-16).

(1438) انظر مثلاً: نقض التأسيس المخطوط (3/167)، ودرء التعارض (1/357، 2/390، 3/206-207، 254-256، 5/238، 343-345) ومجموع الفتاوى (5/209-289)، والتسعينية (ص: 168-169، 221) وشرح الأصفهانية (ص: 153،355) –ت العودة، وغيرها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ويكون باطلاً إذا عجزتم عن دفع الملاحدة في الدين فهذا طريق من بخس حظه من العقل والدين وحسن النظر والمناظرة عقلاً وشرعاً» (1439) . فهذا التناقض إنما هو لمن قال بالجواهر العقلية، أو قال إنه لا دليل على نفيها، وهؤلاء مع الغزالي لهم تناقضات أخرى في المنطق وما يتعلق به من مسألة تماثل الأجسام أشار شيخ الإسلام إلى جوانب منها(1440) .

ب- تناقض الرازي، وقد أشار شيخ الإسلام إلى أمثلة عديدة من تناقضه ومن ذلك:

1- تناقضه في مسألة حدوث الأجسام، فمرة يثبته، ومرة يذكر فساد حجج من يثبته(1441) .

2- وفي إثبات العلو قال في نفيه بالدليل العقلي: إنه يلزم منه النقص على الله تعالى، وفي نهاية العقول ذكر أن امتناع النقص على الله لم يعلم بالعقل(1442) .

3- وسورة الإخلاص [قُلْ هو الله أحد * الله الصمد] [الإخلاص: 1-2] قال فيها مرة إنها من المحكمات. وفي موضع آخر جعلها من المتشابهات(1443) .

4- والجوهر الفرد وما يتعلق به من كون الحركة لها وجود أو ليس لها وجود، مرة أثبت ذلك ومرة نفاه(1444) .

(1439) درء التعارض (163/4).

(1440) انظر: درء التعارض (173/4-182). وهو من المباحث المهمة في بيان تناقض هؤلاء.

(1441) انظر: درء التعارض (290/4).

(1442) انظر: نقض التأسيس المطبوع (292/2-297).

(1443) انظر: نقض التأسيس المخطوط (54/2-55).

(1444) انظر شرح الأصفهانية (ص: 306) ت العودة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

5- وهل القدرة تستلزم وجود المراد، مرة أثبت ذلك ومرة نفاه(1445) . وغير ذلك(1446) .

جـ- تناقض الآمدي، ومن ذلك:

1- قوله إن العلة قد تتقدم المعلول، وفي موضع آخر نفي ذلك(1447) .

2- قوله بأن الله ليس بجوهر لأنه يلزم منه أن يكون مثل الجواهر الأخرى فلا تبقى له مزية على غيرها، لأنهما يتساويان فيما يجب ويجوز ويمتنع، ولكنه في مسألة دليل حدوث الأجسام قال: «ولا يلزم من كون القديم مماثلاً للحوادث من وجه أن يكون مماثلاً للحادث من جهة كونه حادثاً، بل لا مانع من الاختلاف بينهما في صفة القدم والحدوث وإن تماثلا بأمر آخر» (1448) ، وهذا يناقض ما ذكر في مسألة الجواهر(1449) .

3- وفي موضوع «التركيب» تناقض قوله تناقضاً عظيماً، وذكر شيخ الإسلام نماذج له(1450).

4- وفي مسألة وجود الكلي المطلق هل يوجد مطلقاً أو لا يوجد إلا معيناً؟ مرة قال بهذا ومرة بهذا(1451) .

هذه نماذج لتناقض الأشاعرة في مذهبهم، وفي أقوال أئمتهم، ولا شك أن وجود التناقض وكثرته يدل على ضعف المذهب، وضعف الأدلة التي بني عليها.

(1445) انظر: المصدر السابق (ص: 351-352) ت العودة.

(1446) انظر مثلاً: نقض التأسيس المطبوع (111/2).

(1447) انظر: درء التعارض (61/3-62).

(1448) انظر: المصدر السابق (167/4-168).

(1449) انظر: المصدر نفسه (165/4-168).

(1450) انظر: المصدر نفسه (232-246).

(1451) انظر: المصدر نفسه (109/5-110، 118-119، 120-124).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

عاشراً: حيرة الأشاعرة وشكهم ورجوعهم:

لاشك أن هذا متولد عن الوجه السابق الذي هو التناقض، لأن وجود التناقض في المذهب وفي طرق الاستدلال له يؤدي إلى عدم الثقة فيه فإذا انضاف إلى ذلك تعظيم شيوخ المذهب وأنهم لا يمكن أن يقولوا إلا ما هو حق موافق للعقل؛ فإن الأمر يتطور إلى الشك والحيرة، والرجوع لمن هدى الله منهم.

وكل ذلك لأجل أنهم خاضوا في علم الكلام والفلسفة، وتركوا الاعتماد على الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ولذلك صار لهم سمات خاصة بهم منها:

«إنك تجدهم أعظم الناس شكاً واضطراباً، وأضعف الناس علماً ويقيناً...» (1452).

ومنها: «إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول وجزماً بالقول في موضع، وجزماً بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر وهذا دليل عدم اليقين» (1453).

ومنها: أن منتهى هؤلاء المعرضين عن الكتاب المعارضين له: «السفسطة في العقليات والقرمطة في السمعيات، يتأولون كلام الله وكلام رسوله بتأويلات يعلم بالاضطرار أن الله ورسوله لم يردها بكلامه، وينتهون في أدلتهم العقلية إلى ما يعلم فساده بالحس والضرورة العقلية، ثم إن فضلاءهم يتفطنون لما بهم من ذلك فيصيرون في الشك والحيرة والارتياب وهذا منتهى كل من عارض نصوص الكتاب» (1454).

فالشك والحيرة – خاصة في المسائل الكبار – من سمات أهل الكلام، وفي مقدمتهم أعلام الأشاعرة، وقد استخدم شيخ الإسلام في منهجه وردوده عليهم هذه

(1452) مجموع الفتاوى (27/4) – وقد شرح شيخ الإسلام ذلك وضرب له عدة أمثلة.

(1453) المصدر السابق (50/4).

(1454) درء التعارض (256/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود

www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الطريقة التي تبين أن كل من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله فهذا مآله ومنتهاه، كما أنها تدل على حقيقة هؤلاء الأعلام المشهورين الذين يقتدى بهم فئام وفئام من الناس.

أما رجوع كثير منهم عما كان عليه وتعويله على الكتاب والسنة ففيه دلالة قوية على بطلان ما كانوا عليه، وهو حجة قاطعة على أن تعويل السلف على النصوص الواردة عن الله وعن رسوله – ρ – لم يكن عن جهل بما عداها مما هو موجود في عهدهم من مذاهب اليونان وغيرها، وإنما كان نابعاً من اعتقاد جازم وإيمان عميق أن الهدى والرشاد والطمأنينة القلبية لن تكون إلا باتباع الوحي المنزل.

وشيخ الإسلام وهو يذكر ما في رجوع أهل الكلام من الخير لهم ولغيرهم إلا أنه يثير مشكلة كتبهم التي انتشرت وتناقلها الناس فيقول: «وأما اعتراف المتكلمة من الإسلاميين فكثير، وقد جمع العلماء فيه شيئاً، وذكروا رجوع أكبارهم عما كانوا يقولونه، وتوبتهم، إما عند الموت، وإما قبل الموت، وهذا من أسباب الرحمة إن شاء الله في هذه الأمة، فإن الله يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات، وهذا أصح القولين في قبول توبة الداعي، لكن بقاء كتبهم وآثارهم محنة عظيمة في الأمة، وفتنة عظيمة لمن نظر فيها، ولا حول ولا قوة إلا بالله» (1455) .

إن شيخ الإسلام وهو يقول هذا الكلام الرقيق، بحيث يجعل رجوع هؤلاء من أسباب الرحمة في هذه الأمة لأن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده، لا ينسى الجانب الآخر وهو أن هؤلاء تابوا ورجعوا ولكن كتبهم بقيت، يتناقلها الناس ويفتتون بها، وهذا يفسر ما قام به شيخ الإسلام من ردود طويلة على هؤلاء وعلى كتبهم، وإن كان قد أثر عنهم التوبة والرجوع.

(1455) الاستقامة (1/79-80).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وعلماء وفضلاء الأشعرية معترفون بما في مذهب الأشعري من إشكالات حتى إن العالم الفاضل المجاهد العز بن عبد السلام لما قيل له في مسألة القرآن: كيف يعقل شيء واحد هو أمر ونهي وخبر واستخبار؟ قال رحمه الله: «ما هذا بأول إشكال ورد على مذهب الأشعري» (1456) .

وقد سبق في تراجم أعلام الأشاعرة ذكر نماذج لرجوع بعضهم، وللحيرة والشك عند كثير منهم، ولا يخلو كتاب من كتب شيخ الإسلام العقدية من التعرض لهذه المسألة حتى إنه قال: «ولو جمعت ما بلغني في هذا الباب عن أعيان هؤلاء كفلان وفلان لكان شيئاً كثيراً، وما لم يبلغني من حيرتهم وشكهم أكثر وأكثر» (1457) .

وهذه المسألة واضحة ومعروفة، ولذلك نكتفي بذكر نماذج من أقواله ونقوله عنهم:

1- يقول شيخ الإسلام مبيناً اضطراب الأشاعرة وعلى رأسهم الأشعري: «وقد قيل: إن الأشعري – مع أنه من أقربهم إلى السنة والحديث وأعلمهم بذلك – صنف في آخر عمره كتاباً في تكافؤ الأدلة، يعني أدلة علم الكلام فإن ذلك هو صناعته التي يحسن الكلام فيها، وما زال أئمتهم يخبرون بعدم الأدلة والهدى في طريهم، كما ذكرناه عن أبي حامد وغيره حتى قال أبو حامد الغزالي: أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام»، وهذا أبو عبد الله الرازي من أعظم الناس في هذا الباب – باب الحيرة والشك والاضطراب – لكن هو مسرف في هذا الباب له تهمة في التشكيك دون التحقيق، بخلاف غيره فإنه يحقق شيئاً ويثبت على نوع من الحق.. » (1458) . والقول بتكافؤ

(1456) التسعينية (ص: 261).

(1457) درء التارض (166/1).

(1458) نقض المنطق (ص: 25-26)، وهو في مجموع الفتاوى (28/4)، وانظر منهاج السنة (68/3).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأدلة سمة عامة لغالب أئمة الأشاعرة خاصة في مثل المسائل الكبار كمسألة دليل حدوث الأجسام(1459).

2- وكثيراً ما يؤدي خوض هؤلاء في علم الكلام إلى الشك والوقف والحيرة، وهذه من الحالات الخطيرة، والأمراض المزمنة، لأن تؤدي بهؤلاء إلى أنواع من الشكوك التي قد يكون من أثارها زيغ القلوب – ولا حول ولا قوة إلا بالله – وشيخ الإسلام يبين أنه لما كثرت عند هؤلاء الأدلة العقلية وتناقضت وتناقض أصحابها أدى بمن اعتمد عليها إلى الحيرة والوقف، يقول – بعد إلى تناقض الأدلة العقلية عند هؤلاء: «ثم من جمع منهم بين هذه الحجج أداه الأمر إلى تكافؤ الأدلة، فيبقى في الحيرة والوقف أو إلى التناقض وهو أن يقول هنا قولاً، ويقول هنا قولاً يناقضه كما تجده من حال كثير من هؤلاء المتكلمين والمتفلسفة، بل تجد أحدهم يجمع بين النقيضين أو بين رفع النقيضين، والنقيضان اللذان هما الإثبات والنفي لا يجتمعان ولا يرتفعان، بل هذا يفيد صاحبه الشك والوقف فيتردد بين الاعتقادين المتناقضين الإثبات والنفي، كما يتردد بين الإرادتين المتناقضين وهذا هو حال حذاق هؤلاء كأبي المعالي وأبي حامد والشهرستاني والرازي والآمدي» (1460) .

3- والأشاعرة توقفوا حتى في أهم المسائل كمسألة الصفات، يقول شيخ الإسلام: «ومثل هذا النظر – وهو تعارض الأدلة التي يظن صاحبها أنها أدلة عقلية – يوجب الحيرة والشك والتوقف، ولهذا صرح طائفة من هؤلاء بالتوقف والحيرة في مسائل الصفات، وهذا شأن الرازي والآمدي وغيرهما في مسائل لهم، وهو منتهى نظر أهل النظر والكلام المذموم في الشرع، فإنه ينتهي بهم الأمر إلى الحيرة والشك كما قال ابن عقيل وغيره من العلماء: آخر المتكلمين الخارجين عن الشرع هو الشك، وآخر

(1459) انظر: التسعينية (ص: 201)، والدرء (164/1).
(1460) الصفدية (294/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

الصوفية الخارجين عن الشرع هو الشطح. وهو كما قالوا: فإن من تدبر كلام كثير منهم الثابت عنهم وجد منتهى أمرهم إلى الشك والتوقف، كما يوجد في كلام الرازي وغيره؛ فإنه واقف في مسألة الجوهر الفرد، ومسألة الصفات والأفعال وغير ذلك، كما هو أخبر به عن نفسه وكما يوجد في كتبه، وكذلك أبو حامد الغزالي واقف في كثير من المسائل، وكذلك أبو المعالي حصل له التوقف قبل أن يموت في الصفات الخبرية كالاستواء وفي قيام الأمور الاختيارية به» (1461) .

4- ومن أعظم الأشاعرة حيرة واضطراباً الرازي والآمدي، فالرازي كثيراً ما «يعترف بالحيرة في المواضع العظيمة: مسائل الصفات وحدوث العالم، ونحو ذلك» (1462) ، وقد صرح في آخر كتبه وهو المطالب العالية بتكافؤ الأدلة(1463) ، وهو كثيراً ما يصرح بالحيرة(1464) ، وقد انتقل هذا إلى كبار تلاميذه حتى إن أبرزهم – وهو الخسروشاهي – دخل عليه ابن بادة فقال له: يا فلان ما تعتقد؟ – قال ابن بادة – قلت: أعتقد ما يعتقده المسلمون. قال: وأنت جازم بذلك وصدرك منشرح له، قلت: نعم. قال فبكى بكاء عظيماً، أظنه قال: لكني والله ما أدري ما أعتقد، لكني والله ما أدري ما أعتقد، لكني والله ما أدري ما أعتقد» (1465) . وهكذا تكون حيرة الأستاذ والتلاميذ.

(1461) شرح الأصفهانية (ص: 71-82) – ت العودة، وكل نص من هذا الكتاب أحلت فيه على هذا التحقيق – الذي لا يزال مطبوعاً على الآلة الكاتبة – فهو من الزيادات التي ليست في المطبوعة.

(1462) درء التعارض (290/4).

(1463) انظر: التسعينية (ص: 201).

(1464) انظر مثلاً: درء التعارض (88/3، 12، 188/9-190)، التسعينية (224-225) وشرح الأصفهانية (ص: 162-164) – ت العودة وغيرها.

(1465) التسعينية (ص: 201-202).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أما الآمدي فكثيراً ما يصرح في المسائل العظام عند عرض الأدلة والمناقشات بمثل قوله: هذا إشكال مشكل، ولعل عند غيري حله(1466) ، وذكر شيخ الإسلام عن الثقة أنه حدثه عنه أنه قال: «أمعنت النظر في الكلام وما استفدت منه شيئاً إلا ما عليه العوام، أو كلاماً هذا معناه» (1467) .

5- ورجوع الأشاعرة وكلامه في ذلك كثير ومشهور، وعلى رأسهم الجويني (1468) ، والشهرستاني (1469) ، والرازي (1470) ، وغيرهم.

وقد وفق شيخ الإسلام في التركيز على هذه المسألة، لأنه وإن كانت كتب هؤلاء موجودة، ويعتمد عليها كثير من أتباعهم، إلا أن بيان هذه القضية وإيضاحها للناس يفيد الموافق والمخالف، أما الموافق فتزيده ثقة فيما عنده من الحق المعتمد على الكتاب والسنة، وأما المخالف فلابد أن تزرع في نفسه شيئاً من عدم الثقة فيما يقول هؤلاء في كتبهم الكثيرة التي أعلنوا رجوعهم عنها ورضاهم بطريقة القرآن.

حادي عشر: تسلط الفلاسفة والباطنية على المتكلمين:

النقد الذي وجهه شيخ الإسلام للمتكلمين – وفيهم الأشاعرة – من خلال هذا الموضوع – نقد فريد من نوعه، وهو يعتبر من أشد وأقسى ما وجه لهم من نقد. وتفرد شيخ الإسلام – فيما أعلم – بالتركيز على هذه المسألة إنما جاء نتيجة خبرته الواسعة

(1466) انظر مثلاً: درء التعارض (162/1، 164، 93/3، 95، 282، 119/4، 232 – 233) وغيرها.

(1467) انظر: درء التعارض (262/3).

(1468) انظر: درء التعارض (158/1، 173/4، 47/8)، والتسعينية (ص: 251-252)، والفتوى الحموية – مجموع الفتاوى (11/5).

(1469) انظر: مجموع الفتاوى (73/4).

(1470) انظر: درء التعارض (159/1-160)، والحموية – مجموع الفتاوى (10/5-11)، ومجموع الفتاوى (72/4).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

بأقوال أهل الكلام وبأقوال أهل الفلسفة والباطنية، الذين كانوا يمثلون خطراً سياسياً وعقدياً على المجتمعات الإسلامية، خاصة قبيل وأثناء حياة شيخ الإسلام.

والناظر في تاريخ الفلاسفة، وتاريخ الحركات الباطنية، كالإسماعيلية ودولة الفاطميين، والقرامطة، وغيرها، يرد عليه سؤال محير، خلاصته: أن هذه الحركات الفلسفية والباطنية إذا كانت تقوم على صريح الكفر والإلحاد وتعطيل الشرائع، فكيف وجدت لها موطأ قدم، بل وأتباعاً بين المسلمين؟ وكيف لا تمضي فترة على شهرة الفيلسوف إلا وقد صار له أتباع وتلاميذ؟ وكيف أرسلت الدولة الفاطمية الباطنية دعاتها في مختلف أقطار العالم الإسلامي ليدعوا إلى نحلتهم، ثم يجد كثير من هؤلاء من يستجيب لهم؟. صحيح أن هؤلاء كانوا يستخدمون أساليب ملتوية، ويتظاهرون بالتشيع والرفض، ويقصدون أنواعاً من المناطق لا تخلو من وجود من يتستر بالزندقة، ولكن لماذا لم يبعث اليهود أو النصارى – وأولئك أشد كفراً منهم – بمن يدعو إلى نحلهم ومللهم، ولا شك أنهم سيحاولون لو كانوا يجدون من يستجيب لهم؟.

إن جانباً كبيراً من مدلول هذه الأسئلة يفسره هذا التسلط من جانب هؤلاء الملاحدة على المتكلمين المنتسبين إلى الأسلام، حين تلاعبوا بنصوص الوحي من الكتاب والسنة وأعملوا فيها آراءهم وعقولهم تأويلاً وتحريفاً.

إن الفيلسوف أو القرمطي لن يجد المشقة في إقناع أتباعه بما عنده من سفسطة أو قرمطة، إذا أطلعهم على أقوال وتأويلات هؤلاء المتكلمين – وقد يكون فيهم من هو من فقهاء الأمة وأعلامها – لأنه سيجد عند هؤلاء مقالات عجيبة، مثل قول كثير منهم: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا حال فيه ولا بائن منه، أو قول بعضهم: إن الله في كل مكان، من غير حلول، وسيجد أيضاً من يؤول أكثر من ألف دليل من الكتاب والسنة دالة على إثبات علو الله تعالى وفوقيته على خلقه، وسيجد من يقول بإثبات رؤية الله في الدار الآخرة، ولكن من غير مقابلة ولا مواجهة، وسيجد من يقول:

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

إن كلام الله معنى واحد، لا فرق فيه بين ما هو أمر أو نهي أو خبر. وسيجد غيرها من الأقوال التي تصادم العقول والنصوص.

فهل بعد ذلك سيجد الفيلسوف أو القرمطي أو الصوفي الغالي مشقة في إقناع أتباعه بتأويل نصوص المعاد، أو أنها خطاب للجمهور لإصلاح أحوالهم في الدنيا، أو تأويل نصوص العبادات والأوامر والنواهي؟.

حقاً إن ما عمله هؤلاء المتكلمون – حين خالفوا منهج ومذهب السلف في تلقي النصوص – أن فتحوا الباب لكل ملحد وزنديق أن يتأول كلام الله كيف يشاء.

والكلام هنا إنما هو لتفسير ما حدث، وليس للمفاضلة بين هؤلاء؛ إذ لا شك ولا ريب أن هؤلاء المتكلمين أفضل من أولئك، وأقوالهم أقرب إلى العقل والنقل من أقوال الملاحدة الخارجين عن الإسلام.

ولما كان من منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على خصومه، بيان كيف وقع التسلط من هؤلاء الملاحدة، حرص على ذكر أسباب ذلك، مع ذكر أنواع من هذا التسلط.

فقد ذكر شيخ الإسلام عدة أسباب لتسلط هؤلاء على المتكلمين:

1- منها: «عدم علمهم بما بعث الله به الرسول – ρ – ، وعدم تحقيقهم لقواعد المعقول، فإن الأقوال المبتدعة لابد أن تكون مناقضة للعقل والشرع» (1471) .

2- ومنها: «ابتداعهم لدلائل ومسائل في أصول الدين تخالف الكتاب والسنة، ويخالفون بها المعقولات الصحيحة، التي ينسر فيها خصومهم أو غيرهم» (1472) .

3- ومنها: «مشاركتهم لهم في العقليات الفاسدة من المذاهب والأقيسة، ومشاركتهم لهم في تحريف الكلم عن مواضعه» (1473) .

(1471) شرح الأصفهانية (ص: 331) – ت العودة.

(1472) نقض التأسيس المطبوع (223/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد أشار شيخ الإسلام بإجمال في الرد على المنطقيين إلى عدد من هذه العقليات الفاسدة التي تسلط بسببها الفلاسفة على المتكلمين، فقال في مسألة رؤية الله: وإمكان رؤيته يعلم بالدلائل العقلية القاطعة، لكن ليس هو الدليل الذي سلكه طائفة من أهل الكلام كأبي الحسن وأمثاله؛ حيث ادعوا أن كل موجود يمكن رؤيته، بل قالوا: ويمكن أن تتعلق به الحواس الخمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، فإن هذا مما يعلم فساده بالضرورة عند جماهير العقلاء. وهذا من أغاليظ بعض المتكلمين، كغلطهم في قولهم: إن الأعراض يمتنع بقاؤها، وأن الأجسام متماثلة، وأنها مركبة من الجواهر المنفردة التي لا تقبل قسمة ... وكذلك غلط من غلط من المتكلمين وادعى أن الله لم يخلق شيئاً بسبب ولا لحكمة، ولا خص شيئاً من الأجسام بقوى وطبائع، وادعى أن كل ما يحدث فإن الفاعل المختار الذي يخص أحد المتماثلين بلا تخصيص أصلاً يحدثه، وأنكر ما في مخلوقات الله وما في شرعه من الحكم التي خلق وأمر لأجلها» – يقول شيخ الإسلام معلقاً – : «فإن غلط هؤلاء مما سلط أولئك الفلاسفة، وظنوا أن ما يقوله هؤلاء وأمثالهم هو دين المسلمين أو قول الرسول وأصحابه، ولهذا كانت مناظرة ابن سينا هي للمعتزلة، وابن رشد للكلابية. وكانوا إذا بينوا فساد بعض ما يقول مبتدعة أهل الكلام يظنون أنه لم يبق حق إلا ما يقولونه هم، وذلك بالعكس، وليس الأمر كذلك، بل ما يقوله مبتدعة أهل الكلام فيه خطأ مخالف للشرع والعقل، والخطأ فيما تقوله المتفلسفة في الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع أعظم من خطأ المتكلمين» (1474).

(1473) المصدر السابق – نفس الجزء والصفحة.

(1474) الرد على المنطقين (ص: 310-311).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

هذه أهم الأسباب التي يرى شيخ الإسلام أنها أدت إلى تسلط الفلاسفة على هؤلاء المتكلمين، وخلاصتها البعد عن دلائل الكتاب والسنة، والخوض في الدلائل العقلية الفاسدة.

وقد ألمح شيخ الإسلام لشيء من قصة تسلط الحركات الباطنية في العالم الإسلامي على أثر مقالات أهل الكلام، فقال عن دليل حدوث الأجسام الذي جاء به هؤلاء من المعتزلة والأشعرية: «فطريقتهم التي أثبتوا بها أنه خالق للخلق مرسل للرسل إذا حققت عليهم وجد لازمها أنه ليس بخالق ولا مرسل، فيبقى المسلم العاقل إذا تبين له حقيقة الأمر وكيف انقلب العقل والسمع على هؤلاء متعجباً، ولهذا تسلط عليهم بها أعداء الإسلام من الفلاسفة والملاحدة وغيرهم، لما بينوا أنه لا يثبت به خلق ولا إرسال، فادعى أولئك قدم العالم، وأثبتوا موجباً بذاته وقالوا: إن الرسالة فيض على النبي من جهة العقل الفعال لا أن هناك كلاماً تكلم الله تعالى به، قائماً به أو مخلوقاً في غيره.

وكان في الوقت الذي أظهرت الجهمية في مقالتهم الأولى – وامتحنوا أئمة الإسلام كأحمد بن حنبل وغيره – قد ظهر أصل كلمة هؤلاء الملاحدة الباطنية، وذلك في إمارة المأمون ثم المعتصم، وتجدد بعد ذلك من الحوادث العظمية التي كانت في الإسلام في أثناء المائة الرابعة ما يطول شرحه مما تزلزل به أقطار البلاد الإسلامية» (1475) ، ويقصد شيخ الإسلام ما قام به القرامطة، والباطنية من أحداث في العالم الإسلامي. وقد ظهرت تلك البدع المخالفة للشرع والعقل، وخفيت السنن الموافقة للعقل والسمع – دخلت الملاحدة من هذا الباب فأخذوا من أولئك المبتدعة ما وافقتهم عليه، وجعلوه أصلاً لما يريدونه من إلحادهم زندقتهم » ثم ذكر أمثله فقال: « فصاروا يقولون للمعتزلي: أنت وافقتنا على إن ما قام به العلم والقدرة يكون جسماً، مشبهاً

(1475) شرح الأصفهانية (ص: 329-330) – ت العودة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

بخلقه، وذلك ممتنع، فكذلك ما سمى عالماً قادراً لا يكون إلا جسماً مشبهاً للخلق، فيجب عليك أن تنفي الأسماء كما نفيت الصفات.

ويقولون للكلابي: أنت وافقتنا على أن ما قامت به الحوادث فهو حادث فإن ما قامت به الحوادث لم يخل منها، فيكون حادثاً لامتناع حوادث لا أول لها،وما قامت به العراض فهو جسم محدث، فيجب عليك أن تنفي الصفات وتنفي العلم والقدرة؛ لأن هذه الصفات أعراض فلا تقوم إلا بجسم ولأن ما قامت به الأعراض قامت به الحوادث، ولا يفرق بين هذا عقل ولا نقل، فقولك: إنه تقوم الأعراض دون الحوادث تناقض، فإذا قال: أنا لا أسمي ما يقوم به عرضاً لأن العرض لا يبقى زمانين، وصفاته باقية عندي، قالوا: قولك: إن العرض لا يبقى زمانين، مخالف لصريح العقل، بل هو مما يعلم فساده بضرورة العقل، وحينئذ فلا فرق بين بقاء صفاته وصفات غيره، فإما أن تسمى الجميع عرضاً، أو لا تسمى الجميع عرضاً، وإذا قال: إنما قلت: إنه لا يقبل الحوادث لأن ما قامت به الحوادث لا يخلو منها، قالوا له: وإذا كان عندك قد صار فاعلاً بعد أن لم يكن، ولم يلزم من ذلك أنه لا يخلو من الفعل فقل: إنه قام به الفعل بعد أن لم يكن، كما قال إخوانك من مثبتة الصفات: الكرامية وغيرهم، ولا يلزم من ذلك أن يكون الفعل لم يقم به ».

يقول شيخ الإسلام معلقاً على هذا « إلى غير ذلك من الحجج التي صار يحتج بها الملاحجة على أصناف أهل الكلام المحدث، حتى حدث في الإسلام من شر القرامطة الباطنية والفلاسفة الملاحدة ما يعرفه من عرف أيام الإسلام » (1476).

وأهم الجوانب التي تسلط بها هؤلاء الملاحدة على الأشاعرة والمتكلمين:

(1476) شرح الأصفهانية (ص: 330-331) – ت العودة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

1. دليل المتكلمين على حدوث العالم الذي هو دليل حدوث الأجسام، فإن الفلاسفة لما رأوا تناقضهم في ذلك قالوا: لما كان دليلكم متناقضاً صح قولنا بقدم العالم لأنكم لم تستطيعوا الاستدلال على إفساده.

2ـ خوض المتكلمين في التأويل لنصوص العلو والصفات، فقالت الملاحدة من الفلاسفة والباطنية ونحن أيضاً نتأول نصوص المعاد، أو نصوص الأحكام الشرعية.

وقبل الانتقال إلى بيان تعليق شيخ الإسلام على ذلك، نعرض رأي الأشاعرة في هذه المسألة، والملفت للنظر – حسب ما اطلعت عليه من كتب الأشاعرة – أن غالب الأشاعرة لم يذكروها أو لم يعروها اهتماماً، والذي عرض لها – على حد علمي – هو من خاض في الفلسفة منهم، وبالتحديد الغزالي والرازي.

أما الغزالي فقد ذكر ذلك في ثلاثة من كتبه، هي تهافت الفلاسفة، وفضائح الباطنية، وإحياء علوم الدين، وأما الرازي فقد ذكرها في اثنين من كتبه هما: نهاية العقول، والأربعين في أصول الدين، فماذا أجاب هؤلاء وكيف ناقشوا هذا الموضوع الخطير؟

يقول الغزالي عن نصوص المعاد وحشر الأجساد والجنة والنار – في أثناء رده على الفلاسفة الذين حصروا السعادة بسعادة النفوس والأرواح دون الأجساد (1477)– « فإن قيل: ما ورد في الشرع [أي من نصوص المعاد] أمثال ضربت على حد أفهام الخلق، كما أن الوارد من آيات التشبيه وأخباره أمثال على حد فهم

(1477) ذكر ابن سينا في النجاة (ص: 291) – ط الكردي أن المعاد قسمان: بدني، جاءت به الشريعة، ولا يمكن إثباته إلا بها. والحكماء لا يكادون يلتفتون إلى هذا، والثاني: عقلي وهو الذي يكون للنفوس، ثم شرح ذلك بما ينقض ويرد النوع الأول، وانظر: تعليق سليمان دنيا في حاشية تهافتت الفلاسفة (ص: 294–295).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الخلق، والصفات الإلهية مقدسة عما يتخيله عوام الناس؟ يقول الغزالي: « والجواب أن التسوية بينهما تحكم، بل هما يفترقان من وجهين:

أحدهما: أن الألفاظ الواردة في التشبيه تحتمل التأويل على عادة العرب في الاستعارة، وما ورد في وصف الجنة والنار، وتفصيل تلك الأحوال بلغ مبلغاً لا يحتمل التأويل، فلا يبقى إلا حمل الكلام على التلبيس بتخييل نقيض الحق لمصلحة الخلق، وذلك ما يتقدس عنه منصب النبوة، الثاني: أن أدلة العقول دلت على استحالة المكان والجهة والصورة ويد الجارحة وعين الجارحة، وإمكان الانتقال والاستقرار على الله سبحانه وتعالى. فوجب التأويل بأدلة العقول ، وما وعد به من أمور الأخرة ليس محالاً في قدرة الله تعالى فيجب إجراؤه على ظاهر الكلام، بل على فحواه الذي هو صريح فيه » (1478). وقال في فضائح الباطنية – ويلاحظ أنه في هذين الكتابين يتبنى مذهب الأشاعرة – « فإن قيل فهلا سلكتم هذا المسلك في التمثيلات الواردة في صفات الله تعالى من آية الاستواء وحديث النزول ولفظ القدم.. إلى غير ذلك من أخبار لعلها تزيد على ألف، وأنتم تعلمون أن السلف الصالحين ما كانوا يؤولون هذه الظواهر، بل كانوا يجرونها على الظاهر، ثم إنكم لم تكفروا منكر هذه الظواهر، بل اعتقدتم التأويل وصرحتم به – قلنا: كيف تستتب هذه الموازنة والقرآن مصرح بأنه [ليسيَ كَمثْلِهِ شَيْء] (الشورى: 11)، والأخبار الدالة عليه أكثر من أن تحصى، ونحن نعلم أنه لو صرح مصرح فيما بين الصحابة بأن الله تعالى لا يحويه مكان ولا يحده زمان ولا يماس جسماً ولا ينفصل عنه بمسافة مقدرة وغير مقدرة ولا يعرض له انتقال وجيئة وذهاب وحضور وأفول، وأنه يستحيل أن يكون من الآفلين والمنتقلين والمتمكنين إلى غير ذلك من نفي صفات التشبيه لرأوا ذلك عين التوحيد [والتنزيه

(1478) تهافت الفلاسفة (ص: 291–293)، – ت سليمان دنيا.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

(1479)] ولو أنكر الحور والقصور والأنهار والأشجار والزبانية والنار لعد ذلك من أنواع الكذب والإنكار، ولا مساواة بين الدرجتين » (1480). ثم أحال مع زيادة وشرح على ماسبق أن ذكره في نفس الكتاب (1481)- وهو مقارب جداً لما أورده في التهافت من ذكر الوجهين لكنه زاد على ما في التهافت بأن عقب بقوله: « ومساق هذا الكلام يتقاضى بث جملة من أسرار الدين إن شرعنا في استقصائها ورغبنا في كشف غطائها » (1482).

وخلاصة رد الغزالي أن نصوص الصفات محتملة، أما نصوص المعاد فهي كثيرة بحيث بلغت مبلغاً لا يحتمل التأويل، ثم إن أدلة العقول أوجبت تأويل نصوص الصفات أما نصوص المعاد فلا تؤول لأنها لا تخالف أدلة العقول، وهؤلاء الملاحدة قد يقولون: إن نصوص الصفات أكثر من نصوص المعاد، كما أنهم قد يعترضون باعتراضات عقلية علىنصوص المعاد، فكيف يكون جوابهم؟

والي يظهر أن الغزالي شعر بضعف المناقشة فأحال في الإحياء – لما تطرق إلى هذا الموضوع – إلى الكشف، فقال بعد كلام طويل حول تباين الطوائف في التأويل بحيث وصل الأمر بالفلاسفة أن يؤولوا كل ما ورد في الآخرة: « وجد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله، وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي، لا بالسماع، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه، وما

(1479) في المطبوعة – ت بدوي [والتنزيل] وهو تحريف أو خطأ مطبعي.
(1480) فضائح الباطنية (ص: 154-155).
(1481) انظر: المصدر السابق (ص: 53-155).
(1482) فضائح الباطنية (ص: 155).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

خالف أولوه، فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف » (1483).

وهكذا انتقل الغزالي من ضعف المناقشة إلى الإحالة على الكشف.

أما الرازي: فإنه قال في مسألة إثبات المعاد بعد أن استدل عليه بنصوص السمع، وإجماع الأنبياء: « فإن قيل: لا نسلم إجماع الأنبياء – صلوات الله عليهم – على ذلك، وأما الظواهر في القرآن والأخبار الدالة على إثبات المعاد البدني فإنه لا يجوز التعويل عليها في هذه المسألة من وجهين: أحدهما: أنكم قد دللتم في أول هذا الكتاب على أن التمسك بظواهر الآيات والأحاديث لا يفيد القطع.

وثانيهما: هو أن المتشابهات الواردة في القرآن الدالة على التشبيه ليست أولى ولا أضعف دلالة من الآيات الدالة على إثبات المعاد الجسماني، ثم إنكم تجوزون تاويل تلك الآيات، فلم لا تجوزون أيضاً تأويل الآيات الواردة هاهنا..» (1484)، ثم قال الرازي في الجواب: « قولكم قد دللتم على أن التمسك بظواهر الآيات والأخبار لا يفيد القطع قلنا: لم نتمسك في هذا الموضع بآية معينة ولا بحديث معين، وإنما تمسكنا بما علم ضرورة من دين الأنبياء عليهم السلام في إثبات المعاد البدني، وبهذا خرج الجواب عن قوله: إن في كتاب الله آيات كثيرة دالة على التشبيه والقدر لأنا لم نتمسك بالآيات حتى يلزمنا الجواب عن هذه المعارضة، بل الأمر المعلوم بالضرورة من دينهم، ولم يقل أحد: إنهم علم من دينهم – عليهم السلام – بالضرورة قولهم بالتشبيه والقدر، فظهر الفرق » (1485). فالرازي أحال على الضرورة فقط دون النصوص في المعاد.

(1483) إحياء علوم الدين (104/1).

(1484) نهاية العقول – مخطوط – (265 – أ).

(1485) المصدر السابق (266– ب).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ويذكر الرازي في باب التكفير – بعد أن رجح ماحده الغزالي للكفر وهو أنه « تكذي الرسول في شيء مما جاء به ونعني بالتكذيب نفس التكذيب بما علم من الدين ضرورة » (1486)، يذكر عدة اعتراضات منها: « أن صاحب التأويل إما أن يجعل من المكذبين، بل يجعل من المكذبين من يرد قوله عليه السلام من غير تأويل – وإما أن يجعل من المكذبين، فإن كان الأول لزمنا أن لا نكفر الفلاسفة في قولهم بقدم العالم، وإنكارهم علمه تعالى بالجزئيات(1487)،وإنكارهم الحشر والنشر، لأنهم يذكرون للنصوص الواردة في هذه المسألة تأويلات ليست بأبعد من تأويلاتكم النصوص الواردة في التشبيه، لأنهم يحملون النصوص الواردة في خلق الله تعالى العالم على تأثيره في العالم واحتياج العالم في وجوده إليه، ويحملون النصوص الواردة في علمه بالجزئيات ، على أنه قد يعلم كل الجزئيات ، على وجه كلي،- ويحملون النصوص الواردة في الحشر والنشر على أحوال النفس الناطقة في شقاوتها وسعادتها بعد المفارقة » (1488)، ثم قال في الجواب: « إنا نعلم بالضرورة إجماع الأمة على أن دينه عليه السلام هو القول بحدوث العالم، وإثبات العلم بالجزئيات وإثبات الحشر والنشر، وأن إنكار هذه الأشياء مخالف لدينه، ثم علمنا بالضرورة أنه عليه السلام كان يحكم أن كل ما خالف دينه فهو يكفر.. فالحاصل أنا لا نكفرهم لأجل مخالفتهم للظواهر، بل للإجماع على الوجه المذكور، ومثله غير حاص على الاختلاف

(1486) المصدر نفسه (288–أ).

(1487) في المخطوطة: الجهات ، والتصويب، من نقض التأسيس ، المطبوع ، (225/1).

(1488) نهاية العقول (288–أ).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الحاصل بين الأمة » (1489)، أي في موضوع الصفات، فالرازي أحال على الضرورة والإجماع، وهذا صحيح، لكنه عجز عن جوابهم بنصوص الوحي مع اعتراضهم عليه بتأويله لنصوص الصفات.

وفي الأربعين ذكر اعتراض هؤلاء الملاحدة بقوله: « ثم إن المتكلمين سلطوا التأويلات على تلك الظواهر وزعموا أن المبدأ منزه عن الأحوال الجسمانية فكذا المعاد المذكور في الكتب الإلهية فلم لا يسلطون التأويلات عليها، ولم ينكرون أن يكون ذلك المعاد مبرأ عن الأحوال الجسمانية ..»، ثم قال في الجواب: « إن التأويلات إنما يصار إليها لو كان الاحتمال قائماً، ولما علمنا بالنقل المتواتر المستفيض من دين محمد عليه السلام أنه إنما كان مثبتاً للمعاد الجسماني ومكفراً لكل من كان منكراً له لم يبقَ في هذا الباب مجال » (1490). فأحال على النقل المتواتر ومعلوم أن نصوص الصفات والعلو أيضاً معلومة بالنقل المتواتر، فما الفرق؟

وقد سبق ذكر أن الغزالي أحال على أدلة العقول وأنها تقتضي تأويل بعض آيات الصفات دون نصوص المعاد، وهذا هو جواب المعتزلة والمائلين إلى مذهبهم من الزيدية في درودهم على الباطنية، فقد قال يحيى بن حمزة العلوي (1491)- المعاصر لابن تيمية - : « فإن قالوا: هذا ينقلب عليكم، فإنكم تجوزون تأويلات

(1489) هذا النص ساقط من نسخة نهاية العقول التي بين يدي، مع أن الكلام في الصفحة المقابلة مستمر، لكن الموضوع مختلف - وقد أكملته من نقض التأسيس - المطبوع - (1/225-226).

(1490) الأربعين للرازي (ص: 293).

(1491) هو المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، العلوي، ولد في مدينة صنعاء سنة 669هـ، ودعا إلى نفسه بعد موت الإمام محمد بن المطهر سنة 729هـ، وله مؤلفات عديدة وهو من علماء الزيدية الكبار، توفي في ذمار باليمن سنة 745هـ، انظر: البدر الطالع (2/331)، والأعلام (8/143)، ومعجم المؤلفين (13/195).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الظواهر كما أولتم اليد والوجه ولفظ الاستواء وغيرها، قلنا: هيهات ما أبعد هذا القلب وأعمى قلب صاحبه عن الحق، فإن لنا معياراً صادقاً وفيصلاً فارقاً في التأويل، وهو نظر العقل، فإن دل العقل على بطلان ظاهر اللفظ وكان له معنى سائغ في اللغة بطريق التجوز حملناه عليه، فلما دل العقل على بطلان اليد والوجه وغيرها لأنها من سمات الحوادث حملنا ذلك على معانٍ سائغة في اللغة بطريق المجاز » (1492)، وهذا هو جواب الغزالي، أما كتب الباطنية نفسها فقد نصت على التأويل وأن تأويلاً ليس ألأولى من تأويل (1493).

هذه أجوبة المتكلمين – أشاعرة ومعتزلة – على هذا المأزق الذي أوقعهم فيه ملاحدة الفلاسفة والباطنية، والملاحظ أن الفلاسفة جعلوا النصوص الواردة في الصفات والمعاد نسقاً واحداً، وقالوا إن المقصود بها خطاب الجمهور، أما الخاصة – من أهل الحكمة – فيتأولونها كلها.

فابن سينا جعل الشرع والملل الآتية على لسان الأنبياء برام بها خطاب الجمهور كافة – وقد سبقت الإشارة إلى قانونه هذا (1494)، وقد بنى تطاوله على المتكلمين على مايلي:

1ـ أن قول المتكلمين بأن هناك نصوصاً تقبل التأويل وأنها من قبيل المجاز ويمثلون لذلك بنصوص الصفات مثل: اليد والوجه والإتيان والاستواء والضحك والغضب وغيرها. فكذلك يقال في نصوص المعاد، يقول ابن سينا: « والمواضع التي

(1492) مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار (ص: 90)، وانظر(ص: 171-176)- ط الثالثة.

(1493) انظر مثلاً: تاج العقائد للداعي الإسماعيلي اليمني علي بن محمد بن الوليد (ص: 113-117) حيث نص على أن تأويلهم ليس بأولى من تأويل المتكلمين.

(1494) انظر: ما سبق (ص: 629)، عند الكلام على الغزالي ومنهجه.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

يوردونها حجة في أن العرب تستعمل هذه المعاني بالاستعارة والمجاز على غير معانيها الظاهرة مواضع في مثلها تصلح أن تستعمل على هذا الوجه ولا يقع فيها تلبيس ولا تدليس » (1495). وهو يشير بقوله : « مواضع في مثلها » إلى نصوص المعاد والجنة والنار وما فيهما من النعيم والعذاب الحسي.

2ـ أن نصوص الصفات منها ما يقبل التأويل – على حد زعم ابن سينا – ولكن فيها ما لا يقبل التأويل بحال، ويضرب لذلك بمثل قوله تعالى: [هَلْ ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك] (الأنعام: 158)، ويقول عنها وما يجري مجراها: « ليس مماتذهب الأوهام فيه البتة إلى أن العبارة مستعارة أو مجازة، فإن كان أريد فيها ذلك إضماراً فقد رضي بوقوع الغلط والشبهة، والاعتقاد المعوج بالإيمان بظاهرها تصريحاً » (1496)، وبعد أن يذكر بعض النصوص التي هي في موضع المجاز والاستعارة على حد زعمه مثل نصوص اليد والجنب يقول عنها: « كما أن في هذه الأمثلة لا تقع شبهة في أنها استعارة مجازية كذلك في تلك لا تقع شبهة في أنها ليست استعارة ولا مراداً فيها شيء غير الظاهر» (1497)، والنتيجة التي يريد ابن سينا أن يخلص إليها هي أنه إذا كانت هناك نصوص صريحة ظاهرة ولا تقبل التأويل، ثم إنكم أيها المتكلمون تأولتموها، فهذا يدل على أن نصوص الشرع كافة غير مقصود بها ما يدل عليه ظاهرها، لذلك تصبح من باب خطاب الجمهور وهي غير محتج بها في هذه الأبواب ومن ثم فيجب ألا يعتمد في إثبات المعاد عليها، بل المرجع في ذلك إلى العقل وأدلته (1498).

(1495) الأضحوية لابن سنيا (ص: 99).
(1496) المصدر السابق (ص: 99–100).
(1497) المصدر نفسه (ص:100).
(1498) المصدر نفسه (ص:103).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

أما ابن رشد (1499)- أخطر الفلاسفة – فقد حاول أن يقارب الهوة التي تفصل بين دين الأنبياء ومذاهب الفلاسفة، وذلك بقوله إن للنصوص ظاهراً وباطناً ، وأن الشريعة قسمان: ظاهر مؤول، فالظاهر فرض الجمهور والمؤول فرض العلماء، وقد نص على ذلك في بعض كتبه (1500)، ولم يجل التأول خاصاً في بعض صفات

(1499) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المسمى بابن رشد الحفيد، تمييزاً له عن جده شيخ المالكية، ولد الحفيد سنة 520هـ،واتصل – عن طريق الفيلسوف ابن طفيل – بالأمير الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، الذي كان مائلاً إلى أقوال الفلاسفة – فكلفه بشرح وتقريب كتب أرسطو، ففعل ابن رشد وألف في ذلك كتباً عديدة من أشهرها شرح ما بعد الطبيعة لأرسطو – مطبوع – فلما تولى المنصور يعقوب قربه أولاً، ثم نكبه ثانياً فنفى وأحرقت كتبه، ثم رضى عنه لكنه توفي بعد ذلك =بقليل سنة 594هـ، وقيل سنة 595هـ، من مؤلفاته: تهافت التهافت، ومناهج الأدلة، وفصل المقال، وغيرها كثير، ويعتبر ابن رشد من أخطر الفلاسفة لأمور: أولهما: أنه كان قاضياً وفقيهاً، وهو صاحب بداية المجتهد وهذا يعطيه مكانة بين الناس، وثانيها: أنه حاول أن يقرب بين الفلسفة والدين، وأن يجعل من هؤلاء الملاحدة أناساً أخياراً وفضلاء، وثالثهما: التصاقه بالدولة الموحدية التي قامت على أنقاض الدولة المرابطية المسنية، وهذا أعطاه جرأة في أقواله وآرائه ولذلك لم يستطع علماء الإسلام أن يبينوا حقيقة حاله إلا بعد جهد، انظر في ترجمته ومحنته، عيون الأنباء (ص: 530)، والديباج المذهب (257/2)، وتاريخ قضاة الأندلس (ص: 111)، وسير أعلام النبلاء (307/21)، والوافي (114/3)، وانظر ابن رشد للعقاد (ص: 18–26)، وابن رشد فيلسوف قرطبة (ص: 9)، وما بعدها، وفي فلسفة ابن رشد الوجود والخلود – بيصار (ص: 39)، وما بعدها، وابن رشد الحفيد: حمادي العبيدي (ص: 13)، وما بعدها، وقصة الصراع بين الدين والفلسفة، توفيق الطويل (ص: 126–133)، ودراسات في الفلسفة الإسلامية، محمود قاسم (ص: 87–135) وغيرها.

(1500) انظر: فصل المقال (ص: 44–46)، – ت عمارة ، وتهافت التهافت (550/2–551)، – ت سليمان دنيا، والكشف عن مناهج الأدلة (ص: 40)، ضمن فلسفة ابن رشد.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الله كما فعل الأشاعرة، بل جعله عاماً في الصفات والمعاد والجنة والنار وغيرها، واشترط أن يقوم بهذا التأويل العلماء أو من يسميهم أهل البرهان وهم الحكماء الفلاسفة عنده، أما الجمهور والعامة فالتأويل عليهم حرام، والإفصاح لهم بحقائق التأويل الفلسفية لا يجوز(1501)، يقول: «وهاهنا أيضاً ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله، وحملهم إياه على ظاهره كفر، وتأويل غير أهل البرهان له وإخراجه عن ظاهره كفر في حقهم أو بدعة، ومن هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في السوداء إذا أخبرته أن الله في السماء: أعتقها فإنها مؤمنة» (1502)، إذ كانت ليست من أهل البرهان» (1503). ولذلك فخطأ الأشاعرة الذي وقعوا فيه – عند ابن رشد – هو أنهم صرحوا بهذا التأويل للجمهور، فلو أنهم حجبوه عنهم وصرحوا به لأنفسهم ولمن كان من أهل الحكمة والبرهان لكان موقفهم سليماً كما يرى الحفيد.

والملاحظ أن ابن رشد – وهو يتكلم عن الظاهر والباطن – قسم النصوص إلى ثلاثة أقسام:

1- قسم تأويله كفر، وهو ما كان في الأصول، ويمثل لذلك بمن يعتقد أن لا سعادة أخروية ولا شقاء، وأنه قصد بما ورد فيها إصلاح أحوال الناس في الدنيا، وأن ذلك حيلة، وأنه لا موجود إلا المحسوس(1504)، وابن رشد يريد بهذا القول أن يدافع عمن يقلده من الفلاسفة، وأنهم لم يقصدوا إنكار وجود سعادة أخروية، وإن فسروا هذه السعادة بأنها للنفوس والأرواح فقط.

(1501) انظر: تهافت التهافت (2/557-558).

(1502) سبق تخريجه (ص: 565). والحديث رواه مسلم.

(1503) فصل المقال (ص: 48).

(1504) فصل المقال (ص: 47).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

2- ما يجب تأويله من الظواهر لأهل البرهان فقط دون العامة، مثل الصفات والعلو – كما سبق بيانه – .

3- وهناك نوع ثالث – وهذا هو الموطن الذي تسلط فيه على المتكلمين – متردد بين هذين الصنفين عند أهل النظر والبرهان فقط، فبعضهم يلحقه بالأول وبعضهم يلحقه بالثاني، والمخطئ فيه منهم معذور، أما الجمهور فليس لهم تأويله، ويجعل ابن رشد أمر المعاد من هذا النوع فيقول: «فإن قيل: فإذا تبين أن الشرع على ثلاث مراتب، فمن أي هذه المراتب الثلاث هو عندكم ما جاء في صفات المعاد وأحواله، فنقول: إن هذه المسألة، الأمر فيما بين، إنها من الصنف المختلف فيه، وذلك أنا نرى قوماً ينسبون أنفسهم إلى البرهان يقولون: إن الواجب حملها على ظواهرها؛ إذ كان ليس هاهنا برهان يؤدي إلى استحالة الظاهر فيها، وهذه طريقة الأشعرية، وقوم آخرون أيضاً ممن يتعاطى البرهان يتأولونها، وهؤلاء يختلفون في تأويلها اختلافاً كثيراً، وفي هذا الصنف أبو حامد معدود، هو وكثير من المتصوفة، ومنهم من يجمع فيه التأويلين كما فعل ذلك أبو حامد في بعض كتبه» (1505)، ثم يقول ابن رشد: «ويشبه أن يكون المخطئ في هذه المسألة من العلماء معذوراً، والمصيب مشكوراً أو مأجوراً، وذلك إذا اعترف بالوجود، وتأول فيها نحواً من أنحاء التأويل أعني في صفة المعاد، لا في وجوده ...» (1506). وهكذا فابن رشد يجعل إثبات المعاد الجسماني وتفاصيل ما ورد عن الجنة وما فيها من أنواع النعيم، والنار وما فيها من ألوان

(1505) فصل المقال (ص: 49-50)، أما ما أشار إليه ابن رشد من مذهب الغزالي، فقد سبق في ترجمة الغزالي بيان ميوله الفلسفية والصوفية، فمثل ما يشير إليه ابن رشد ليس غريباً عليه، وانظر الاقتصاد (ص: 134-135) والأربعين (ص: 215-216)، والغزالي لا ينكر المعاد، بل ثبته – وقد سبق نقل رده على الباطنية فيه – ولكنه في بعض كتبه يفسر بعض أحواله تفسيرات فلسفية.

(1506) فصل المقال (ص: 49-51).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

العذاب، كل ذلك قابل للتأويل، لكن لأهل البرهان فقط دون الجمهور، مثل الصفات تماماً. وتفريق الأشعرية – على حد زعمه – مما لا دليل عليه1507.

وبعد هذا النقل المطول لأقوال الأشاعرة والفلسفة في هذا الموضوع المهم، نأتي إلى أقوال ومواقف شيخ الإسلام من ذلك، وقد سبق في بداية هذه الفقرة ذكل تعليله لأسباب هذا التطاول:

1- وأول ما يلاحظ أن شيخ الإسلام ركز على ذكر تطاول المعتزلة على الأشاعرة وكشفهم لتناقضهم. ومعلوم أن الأشاعرة يعتبرون مذهبهم مخالفاً لمذهب وأصول المعتزلة، ولذلك يردون عليهم كثيراً، ويبرزون – في كتبهم – القضايا التي هي موطن خلاف بينهم، ولما كانت مخالفة المعتزلة لمذهب أهل السنة مما لا يشك فيه أحد من الأشاعرة ذكر شيخ الإسلام أن هؤلاء تطاولوا عليهم وأظهروا تناقضهم. ففي معرض الرد على الأشاعرة بعد ذكره لوجه مطول في تناقضهم في الشرعيات والعقليات، يقول: «أن يقال هذه القواعد التي جعلتموها أصول دينكم وظننتم أنكم بها صرتم مؤمنين بالله وبرسوله وباليوم الآخر، وزعمتم أنكم تقدمتم بها على سلف الأمة وأئمتها وبها دمغتهم أهل الإلحاء من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم هي عند التحقيق تهدم أصول دينكم وتسلط عليكم عدوكم وتوجب تكذيب نبيكم والطعن في خير قرون هذه الأمة، وهذا أيضاً فيما فعلتموه في الشرعيات والعقليات» (1508)، ثم ذكر نماذج لذلك ومنها:

أ- أن الأشاعرة مع مخالفتهم للمعتزلة في مسألة الرؤية والقرآن – وهي من البدع القديمة التي أظهرها المعتزلة والجمهية – إلا أنهم وافقوهم على نفي العلو والقول بأن

(1507) انظر: فصل المقال (ص: 51-53)، حيث ينعني ابن رشد على أبي حامد ذكره للتأويلات في الكتب التي ألفت للجمهور، وانظر: المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد. محمد عمارة (ص 18-28).

(1508) التسعينية (ص: 261).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الله لا داخل العالم ولا خارجه والعجيب «أن هذه البدعة الشنعاء والمقالة التي هي شر من كثير من(1509) اليهود والنصارى، لم يكن يظهرها أحد من المعتزلة للعامة ولا يدعو عموم الناس إليها، وإنما كان السلف يستدلون على أنهم يبطنون ذلك بما يظهرونه من مقالاتهم» – يقول شيخ الإسلام مخاطباً الأشاعرة –: «فموافقتكم للمعتزلة على ما أسروه من التعطيل والإلحاد الذي هو أعظم مخالفة للشرع والعقل مما خالفتموه(1510) فيه في مسألة الرؤية والقرآن، فإن كل عاقل يعلم أن دلالة القرآن على علو الله على عرشه أعظم من دلالته على أن الله يرى ... فوافقتم الجهمية المعتملة وغيرهم على ما هو أبعد عن العقل والدين مما خالفتموهم فيه» (1511)، ثم يقول شيخ الإسلام – مخاطباً الأشاعرة – إن هذا أوجب فسادين عظيمين:

«أحدهما: تسلط المعتزلة ونحوهم عليكم، فإنكم لما وافقتموهم على هذا التعطيل، بقي بعد ذلك إثباتكم للرؤية ولكون القرآن غير مخلوق قولاً باطلاً في العقل عند جمهور العقلاء، وانفردتم عن جميع طوائف الأمة بما ابتدعتموه في مسألة الكلام والرؤية، وقويت المعتزلة بذلك عليكم وعلى أهل السنة، وإن كنتم قد رددتم على المعتزلة» (1512)، وذلك بما فعله الأشعري وغيره من إبراز تناقض المعتزلة.

والثاني: «أن الفضلاء إذا تدبروا حقيقة قولكم الذي أظهر فيه خلاف المعتزلة، وجدوكم قريبين منهم أو موافقين لهم في المعنى، كما في مسألة الرؤية فإنكم

(1509) كذا في المطبوعة من التسعينية، ولعل العبارة: من [أقوال] اليهود ..

(1510) لعل الصواب خالفتموهم.

(1511) التسعينية (ص: 262-263).

(1512) المصدر السابق (ص: 263).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

تتظاهرون بإثبات الرؤية والرد على المعتزلة ثم تفسرونها بما لا ينازع المعتزلة في إثباته...» (1513)، وكذا في مسألة القرآن وكلام الله(1514).

ب- وكذلك ما خالفوا فيه المعتزلة كمسألة الأسماء والأحكام حيث مالوا إلى مذهب المرجئة وقالوا مقابلة لمذهب المعتزلة: لا نعلم الفساق هل يدخل أحد منهم النار أو لا يدخلها، فوقفوا وشككوا في نفوذ الوعيد في أهل القبلة جملة، وهذا أشد ابتداعاً من مذهب المعتزلة، والسلف رحمهم الله لا يتنازعون في أنه لابد أن يدخل النار من يدخلها من أهل الكبائر ولكن لا يخلدون فيها، وهذا خلاف مذهبي المعتزلة والمرجئة(1515) .

جـ- وكذا ردودهم على المعتزلة في مسائل القدر(1516) .

ويقول شيخ الإسلام معقباً على ما سبق: «وأنتم قد خالفتم من نصوص الكتاب والسنة وسلف الأمة في مسائل الصفات والقرآن والرؤية ومسائل الأحكام والقدر وما تأولتموه، فالمعتزلة ونحوهم إذا خالفوا من ذلك ما تأولوه لم يكن لكم عليهم حجة، وإذا قدحتم في المعتزلة بما ابتدعوه من المقالات وخالفوه من السنن والآثار قدحوا فيكم بمثل ذلك، وإذا نسبتموهم إلى القدح في السلف والأئمة نسبوكم إلى مثل ذلك، فما تذمونهم به من مخالفة الكتاب والسنة والإجماع يذمونكم بنظيره، ولا محيص لكم عن ذلك إلا بترك ما ابتدعتموه وما وافقتموهم عليه من البدعة، وما ابتدعتموه أنتم، وحينئذ

(1513) المصدر السابق (ص: 364).

(1514) المصدر السابق (ص: 264-269).

(1515) التسعينية (ص: 269-270).

(1516) انظر: المصدر السابق (ص: 270-271).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

فيكون الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها سليماً من التناقض والتعارض» (1517).

وهناك نماذج أخرى عديدة يرمي فيها المعتزلة الأشاعرة بالتناقض في الأقوال(1518) ، وحينما يتسلط هؤلاء على الأشاعرة، ويتبين أن أقوال هؤلاء الذين ينسبون أنفسهم إلى مذهب السلف قريبة من أقوال هؤلاء المعتزلة – بل قد تكون أكثر تناقضاً منهم وأعظم بعداً عن مذهب السلف – حينما تبرز مثل هذه الحقائق، فإنها تكون من أعظم البيان والحجة على فساد ما خالف فيه الأشاعرة مذهب أهل السنة والجماعة، خاصة وأن المعتزلة اشتهروا بمخالفة مذهب السلف، بل إن بعض أئمة أهل السنة كفروهم.

2- وإذا كان ما سبق فيه بيان تطاول المعتزلة على الأشاعرة، فإن غلاة الصوفية والفلاسفة والقرامطة تسلطوا على الفريقين جميعاً، يقول شيخ الإسلام في معرض فضحه لعقائد غلاة الصوفية كابن عربي وابن سبعين، وبيانه لما كان بينهم وبين القرامطة الباطنية من اتصال(1519) ، يقول عن ابن سبعين: «وهو وابن عربي وأمثالهما في ترتيب دعوتهم من جنس ملاحدة الشيعة الباطنية» (1520) ، ثم يقول عن ملاحدة الصوفية والباطنية: «وقوى ضلالهم أمور: منها اعتقادهم أن ما جاءت به الرسل باطناً يناقض ظاهره، ومن أسباب ذلك ما حصل لهم من الحيرة والاضطراب في فهم ما جاءت به الرسل. ومنها: أنهم رأوا الطريق التي سلكها المتكلمون لا تفيد

(1517) انظر: المصدر نفسه (271-272).

(1518) انظر مثلاً: منهاج السنة (305/2) – المحققة –، والكيلانية، – مجموع الفتاوى (436/12)، وشرح الأصفهانية (ص: 69-72) – المطبوعة – والتسعينية (ص: 93-94)، ودرء التعارض (250/5-251).

(1519) انظر: الصفدية (265/1-272).

(1520) انظر: المصدر السابق (272/1).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

علماً، بل هي إما سفسطة وجدل بالباطل عند من عرفه، وإما جدل يفيد المغالبة عند من لم يعرف حقيقته، وذلك أن هؤلاء سلكوا في الكلام طريقة صاحب الإرشاد» (1521) ونحوه، وهي مأخوذة في الأصل عن المعتزلة نفاة الصفات، وعليها بنى هؤلاء وهؤلاء أصل دينهم، وجعلوا صحة دين الإسلام موقوفاً عليها» (1522) ، وهذا هو دليل حدوث الأجسام المشهور، يقول شيخ الإسلام بعد ذلك مبيناً كيف استطال هؤلاء على المتكلمين: « فجاء هؤلاء المتفلسفة لما رأوا هذه عمدة هؤلاء المتكلمين في إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع، وتفطنوا لموضع المنع فيها وهو قولهم: يمتنع دوام الحوادث قالوا: هذه الطريقة تستلزم كون الصانع كان معطلاً عن الكلام والفعل دائماً إلى أن أحدث كلاماً وفعلاً بلا سبب أصلاً، قالوا: وهذا مما يعلم بطلانه بصريح العقل قالوا: وليس معكم من نصوص الأنبياء ما يوافق هذا، وأما إخبار الله أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، فهذا يدل على أنه خلقها من مادة قبل ذلك كما أخبر أنه [استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين] [فصلت:11]، وكذلك في أول التوراة ما يوافق هذا.

قالوا: وهذا النص وإن كان يناقض قولنا بقدم العالم فليس فيه ما يدل على قولكم بتعطيل الصانع عن الصنع، وحينئذ فنحن نقول في هذا النص وأمثاله من نصوص المبدأ والمعاد ما نقوله نحن وأنتم في نصوص الصفات» (1523) ، والملاحظ أنه مع أن الموضوع هو دليل حدوث العالم الذي لا يرجع فيه هؤلاء ولا هؤلاء إلى أدلة النصوص، وإنما يرجعون إلى أدلة العقول، الملاحظ أنهم استطالوا عليهم في اتفاقهم

(1521) وهو أبو المعالي الجويني.

(1522) الصفدية (1/273/274).

(1523) انظر: الصفدية (1/275-276).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

معهم على تأويل نصوص الصفات، لذلك فمن حقهم أن يؤولوا أيضاً نصوص حدوث العالم وما في الآخرة وهو ما يعبر عنه بالمبدأ والمعاد.

وهؤلاء الذين استطالوا على المتكلمين قسام، يقول شيخ الإسلام: «ثم من هؤلاء من سلك طريق التأويل كما فعل ذلك من فعله من القرامطة كالنعمان قاضيهم، صاحب أساس التأويل، وكأبي يعقوب السجستاني صاحب الأقاليد الملكوتية، وكتاب الافتخار، وأمثالهما، وألقى هؤلاء جلباب الحياء(1524) وكابروا الناس وباهتوهم، حتى ادعوا أن الصلاة معرفة أسرارهم أو موالاة أئمتهم، والصوم كتمان أسرارهم، والحج زيارة شيوخهم، وهذا يبوحون به إذا انفردوا بإخوانهم».

«وأما الذين سكنوا بين المسلمين كالفارابي وابن سينا وأمثالهما فما أمكنهم أن يقولوا مثل هذا، وعلموا أنه مما يظهر بطلانه فقالوا: إن الرسل إنما خاطبت بما يخيل إليهم أموراً ينتفعون باعتقادها في الإيمان بالله واليوم الآخر، وإن كان ما يعتقدون من تلك الأمور باطلاً لا يطابق الحقيقة في نفسه، والخطاب الدال على ذلك كذب في الحقيقة عندهم، لكنه يسوغ الكذب الذي يصلح به الناس، ومن تحاشى منهم على إطلاق

(1524) من المؤسف حقاً أن هذه الكتب الإلحادية الباطنية التي ألقي فيها جلباب الحياء، وجاهر فيها أصحابها بكل إلحاد وزندقة قد بدأ تنتشر وتطبع على يد مؤسسات وأفراد تفرغو لخدمة هذه الطوائف.

وانظر أمثلة لتأويلات هؤلاء في بعض الكتب التي أشار إليها شيخ الإسلام، منها: أساس التأويل للقاضي النعمان، قاضي قضاة الدولة الفاطمية المتوفي سنة 363هـ، انظر: (ص: 38) وما بعدها، (وص: 50) وما بعدها، وانظر: كتاب الافتخار للداعي الإسماعيلي أبي يعقوب السجستاني المتوفي سنة 353هـ (ص: 24) وما بعدها، (وص: 74) وما بعدها، أما كتاب الهفت المروي عن جعفر الصادق والمنسوب إلى المفضل الجعفي – فقد غطى على هذه الكتب وبلغ الغاية في الكفر والزندقة والإلحاد مع التأويلات المضحكة التي لا يقبلها أي عقل، انظر: (ص: 32) وما بعدها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الكذب على ذلك فعنده أنه من باب تورية العقلاء الذين يورون لمصلحة أتباعهم» (1525) ، ومن هؤلاء من يجوز التأويل لأهل البرهان من الفلاسفة، أما الجمهور والعامة فلا يجوز عليهم التأويل، يقول شيخ الإسلام معقباً على ما سبق: «فكان ما سلكه أولئك المتكلمون في العقليات الفاسدة، والتأويلات الحائدة هي التي أخرجت هؤلاء إلى غاية الإلحاد ونهاية التكذيب للمرسلين وفساد العقل والدين» (1526) .

والملاحظ أن ابن سينا مع أنه تأثر بكلام المتكلمين وخاصة المعتزلة – وذلك في مسائل منها نفي الصفات والعلو – إلا أنه لما خلط هذه الأقوال بأقوال الفلاسفة صار يستطيل على هؤلاء المتكلمين «ويجعل القول الذي قاله هؤلاء هو قول المسلمين، وليس الأمر كذلك، وإنما هو قول مبتدعتهم، وهكذا عمل إخوانه القرامطة الباطنية صاروا يلزمون كل طائفة من طوائف المسلمين بالقدر الذي وافقوهم عليه مما هو مخالف للنصوص، ويلزمونهم بطرد ذلك القول حتى يخرجوهم عن الإسلام بالكلية» (1527) ، ونصوص شيخ الإسلام في هذا كثيرة (1528) – لأن خطأ هؤلاء المتكلمين في هذه المسألة التي هي من أهم المسائل، بل وكثيراً ما يجعلونها عماد التوحيد، وهي مسألة حدوث العالم – كان سبباً في تسلط هؤلاء الملاحدة عليهم.

3- وأخطر الموضوعات التي أشار فيها شيخ الإسلام إلى تطاول الفلاسفة والباطنية على المتكلمين موضوع الصفات والقدر وأنه إذا جاز لهم تأويلها أو بعضها، فلم لا يجوز تأويل نصوص المعاد، والعبادات، وقد ناقش شيخ الإسلام هذه المسألة

(1525) الصفدية (276/1).

(1526) المصدر السابق (277/1).

(1527) درء التعارض (239/8).

(1528) انظر: شرح الأصفهانية (ص: 138، 256-267) – ت العودة، (وص: 71) من المطبوعة، ومنهاج السنة (104/1-109، 213-215، 249-251) – المحققة – ودرء التعارض (372/1-373، 281/2-288، 98/8، 282-283).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

في اثنين من أهم كتبه التي أفردها في الرد على الأشاعرة وهما نقض التأسيس ودرء تعارض العقل والنقل؛ إضافة إلى الإشارات المتعددة في مختلف كتبه.

أما نقض التأسيس: فقد ذكر فيه أسباب تسلط هؤلاء الفلاسفة على المتكلمين ثم نقل كلام الرازي في نهاية العقول – الذي سبق نقله – ثم قال معلقاً على جواب بأنا نعلم المعاد ضرورة: «فلينظر العاقل في هذا الجواب حيث قال لهم هؤلاء المتكلمون: نحن نعلم الأخبار بمعاد الأبدان أن الرسل أخبرت به بالضرورة، فلم يجعلوا مستند العلم بذلك دلالة القرآن والحديث والإجماع عليه؛ لأنهم [أي الفلاسفة] عارضوهم بمثل ذلك وبأبلغ منه في أمر الصفات والقدر، فعدلوا إلى ما ذكروه من أنا نعلم بالاضطرار إخبارهم بالمعاد الجسماني. فإن هذا الذي قالوه صحيح وحجة صحيحة على إثبات المعاد البدني، لكن قصروا في عدم الاحتجاج على ذلك في القرآن وبالأخبار وإجماع السلف» (1529) ، ثم بين شيخ الإسلام أن السلف رحمهم الله تعالى لم يفرقوا بين الصفات والقدر بالضرورة، وقول بعضهم: إنه لم يقل أحد إن هذا معلوم بالضرورة في دينهم، ليس كذلك؛ بل أهل الحديث وغيرهم يعلمون ذلك من دينهم ضرورة، وكلا الطائفتين مخالف للفطرة العقلية ومخالف لما نعلم نحن بالضرورة من دين الرسول، ومخالف للأقيسة العقلية البرهانية، والنصوص الإلهية القرآنية والإيمانية» (1530) .

وقد نقل شيخ الإسلام كلام ابن رشد في فصل المقال (1531) ، وجعله معاد الأبدان مما يجوز تأويله، ثم رد على ابن رشد وبين ما في كلامه من ميل إلى مذاهب

(1529) نقض التأسيس – المطبوع – (1/223-224).

(1530) المصدر السابق – المطبوع – (1/224).

(1531) انظر: المصدر السابق – المطبوع – (1/226-237).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

الفلاسفة (1532) ، وشيخ الإسلام – كما هي عادته – يوثق أقواله بالنقل من كتب هؤلاء، بحيث لا تبقى شبهة لأحد أو مجال لدعوى التحريف أو تحميل الكلام ما لم يحتمله.

وقد أعاد شيخ الإسلام الموضوع مرة أخرى، وأشار إلى تناقض الرازي في أقواله وردوده على الفلاسفة في أمر المعاد، وبين شيخ الإسلام أنه يقال له في مسائل الصفات والقدر ما يقوله هو لأولئك في مسائل المعاد(1533) ، وفي موضوع المحكم والمتشابه والرد على الرازي الذي جعل المتشابه ما خلف الدليل العقلي، يقول شيخ الإسلام: «فجعل الإحكام هو عدم المعارض العقلي، لا صفة في الخطاب وكونه في نفسه قد أحكم وبين وفصل، مع أن المعارض العقلي لا يمكن الجزم بنفيه إذا جوز وقوعه في الجملة، ولهذا استقر أمره على أن جميع الأدلة السمعية القولية متشابهة لا يحتج بشيء منها في العمليات، فلم يبق على قوله لنا آيات محكمات وهن أم الكتاب، بحيث يرد المتشابه إليها، ولكن المردوم إليه هو العقلي فما وافقه أو لم يخالفه فهو المحكم، وما خالفه فهو المتشابه، وهذا من أعظم الإلحاد في أسماء الله تعالى وأياته، ولهذا استقر قوله في هذا الكتاب (1534) على رأي الملاحدة الذين يقولون: إنه أخبر العوام بما يعلم أنه باطل لكون عقولهم لا تقبل الحق فخاطبهم بالتجسيم مع علمه أنه باطل » ، قال شيخ الإسلام: «وهذا مما احتج به الملاحدة على هؤلاء في المعاد، وقالوا خاطبهم أيضاً بالمعاد كما خاطبهم بالتجسيم، وهؤلاء جعلوا الفرق أن المعاد علم بالاضطرار من دين الرسول» (1535) .

(1532) انظر: نقض التأسيس (260/1).

(1533) انظر نقض التأسيس – المخطوط – (196/3-199).

(1534) أي كتاب الرازي: أساس التقديس، ويسمى تأسيس التقديس.

(1535) نقض التأسيس: المخطوط – (274/2-275).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومنهج الأشاعرة – خاصة المتأخرين منهم – في تعاملهم مع النصوص الواردة من الكتاب والسنة في أبواب الصفات هو منهج من لا يرى لها حرمة، بل هي إما مردودة إن كانت أخبار آحاد، أو مؤولة إن كانت ثابتة بالتواتر، ولاشك أن هذا مدخل سهل ويسير لمن أراد أن يطعن في بقية النصوص، ويلزم هؤلاء فيها بما التزموه في نصوص الصفات والعلو التي جاءت نصاً صريحاً في مدلولاتها.

ولذلك لما رد شيخ الإسلام على هؤلاء في قانونهم الفاسد الذي قالوا فيه بتقديم العقل على النقل عند التعارض، جعل أحد الأوجه في الرد عليهم بيان استطالة الملاحدة على هؤلاء المتكلمين – وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، مع الإحالة في تفصيله إلى هنا (1536) –، يقول شيخ الإسلام: «الوجه العشرون أن تقول: ما سلكه هؤلاء نفاة الصفات من معارضة النصوص الإلهية بآرائهم هو بعينه الذي احتج به الملاحدة الدهرية عليهم في إنكار ما أخبر الله به عباده من أمور اليوم الآخر، حتى جعلوا ما أخبرت به الرسل عن الله وعن اليوم الآخر لا يستفاد منه علم، ثم نقلوا ذلك إلى ما أمروا به من الأعمال: كالصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، والحج. فجعلوها للعامة دون الخاصة، فآل الأمر بهم إلى الإلحاد في الأصول الثلاثة التي اتفقت عليها الملل كما قال تعالى: [إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون] [البقرة : 62]، فأفضى الأمر بمن سلك سبيل هؤلاء إلى الإلحاد في الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح وسرى ذلك في كثير من الخائضين في الحقائق من أهل النظر والتأله من أهل الكلام والتصوف، حتى آل الأمر بملاحدة المتصوفة كابن عربي صاحب فصوص الحكم وأمثاله إلى أن جعلوا الوجود واحداً وجعلوا وجود الخالق هو وجود

(1536) انظر: ما سبق في هذا الفصل في مبحث لا تعارض بين العقل والنقل، الفقرة السادسة.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

المخلوق وهذا تعطيل للخالق، وحقيقة قولهم فيه مضاهاة لقول الدهرية الطبيعية الذين لا يقرون بواجب أبدع الممكن، وهو قول فرعون، ولهذا كانوا معظمين لفرعون ... وآخر تحقيقهم استحلال المحرمات وترك الواجبات، كما كان يفعل أبرع محققيهم التلمساني وأمثاله (1537) – ثم ذكر أحوال الصوفية، والقرامطة الباطنية والإسماعيلية ومن كان ينتسب إليهم كابن سينا وغيره (1538) – ، ثم قال: «والمقصود هنا أن هؤلاء الملاحدة يحتجون على النفاة بما وافقوهم عليه من نفي الصفات، والإعراض عن دلالة الآيات، كما ذكر ذلك ابن سينا في «الرسالة الأضحوية» التي صنفها في المعاد لبعض الرؤساء الذين طلب تقربه إليه ليعطوه مطلوبه منهم من الجاه والمال» (1539) . ثم نقل شيخ الإسلام نصاً مطولاً من هذه الرسالة الأضحوية(1540) .

وهؤلاء المتكلمون بمنهجهم الباطل كانوا سبباً في استطالة عدد كبير من طوائف الملاحدة، ومن أبرزها:

- طائفة الفلاسفة.
- طائفة الباطنية من القرامطة والإسماعيلية وغيرهم.
- وغلاة الصوفية الذين وصل بهم الأمر إلى وحدة الوجود وتعطيل الشرائع،

وشيخ الإسلام وهو في موضع الرد على أولئك المتكلمين لا يجعل ذلك مبرراً للسكوت عن أقوال هؤلاء الملاحدة، بل يفضحهم ويرد عليهم، ويبين أن هؤلاء المتكلمين أفضل

(1537) انظر: درء التعارض (3/5-4).
(1538) انظر: المصدر السابق (4/5-10).
(1539) انظر: درء التعارض (10/5).
(1540) انظر: المصدر السابق (10/5-18).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net
This file was downloaded from QuranicThought.com

منهم بدرجات، ولذلك يقول بعدما نقل أقوال ابن سينا في الأضحوية التي استطال بها على المتكلمين.

«والكلام على هذا من فنين:

أحدهما: بيان لزوم ما ألزم لنفاة الصفات، الذين سموا نفيها توحيداً من الجهمية والمعتزلة ونحوهم.

والثاني: بيان بطلان كلامه، وكلامهم الذي وافقوهم عليه» (1541) .

ثم شرح شيخ الإسلام هذين الأمرين شرحاً وافياً، بين فيه كيف استطال ابن سينا على المتكلمين، كما رد على ابن سينا وأغلظ عليه بما يستحقه(1542) .

وفي موضوع يذكر نماذج من هذا التسلط فيقول:

«المتفلسفة الدهرية كالفارابي وابن سينا يزعمون أن العقل يحيل معاد الأبدان، فيجب تقديم العقليات على دلالة السمع، ويخاطبون من أقر بالمعاد من المعتزلة وموافقيهم في نفي ذلك بما تخاطب به المعتزلة المثبتة للصفات ويقولون لهم: قولنا في نصوص المعاد كقولكم في نصوص الصفات، وهكذا خاطبت القدرية من المعتزلة والشيعة وغيرهما متكملة الإثبات في مسألة القدر، وقالت: القول في النصوص المثبتة للقدر وأن الله خالق أفعال العباد، كالقول في نصوص الصفات » (1543) .

ويشرح المأزق الذي وقع فيه هؤلاء المتكلمون فيقول: «إن هؤلاء النفاة للصفات المثبتين للمعاد هم بين المؤمنين بالجميع كالسلف والأئمة، وبين الملاحدة المنكرين

(1541) انظر: المصدر نفسه (5/18-19).

(1542) انظر: المصدر السابق (5/19) إلى نهاية هذا الوجه (ص: 203)، وانظر: تعليقات شيخ الإسلام على أقوال ابن سينا في (5/63-73).

(1543) درء التعارض (5/250-251).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

للصفات والمعاد، فالملاحدة تقول لهم: قولنا في نفي كقولكم في نفي الصفات، فلا يستدل بالشرع على هذا ولا على هذا لمعارضة العقل له.

والمؤمنون بالله ورسوله يقولون لهم: قولنا لكم في الصفات كقولكم للملاحدة في المعاد، فإذا قلتم للملاحدة: إثبات المعاد معلوم بالاضطرار من دين الرسول قلنا لكم: وإثبات الصفات والعلو والأفعال معلوم بالاضطرار من دين الرسول» (1544) .

ولما ناقش شيخ الإسلام نفاة العلو ورد عليهم طويلاً، كان من ضمن منهجه في الرد عليهم بيان هذه الاستطالة من جانب الملاحدة، وأنه لا يستطيع نقض أقوالهم ما دام موقفهم من نصوص العلو المتواترة بهذه الطريقة، وقد ساق شيخ الإسلام حواراً بين هؤلاء بين فيه كيف ينتهي الأمر إلى عجز المتكلمين عن مناقشة الملاحدة إلا بنوع من التناقض، يقول شيخ الإسلام في مقدمة هذا الحوار: «أن يقال لمن أجاب بهذا عن النصوص [وذلك حين قال: إنها معارضة بأدلة العقول]: إذا احتججت على من ينفي ما تثبته بالنصوص، كإثبات القدر – إن كنت من المثبتين له – أو إثبات الجنة والنار وما فيهما من الأكل والشرب ونحو ذلك – إن كنت من المثبتين له– إذا قال لك منازعك: هذه الظواهر التي احتججت بها قد عارضتها دلائل عقلية وجب تقديمها عليها.فما كان جوابك لهؤلاء كان جواب أهل الإثبات لك.

فإن قلت: ما أثبته معلوم بالاضطرار من الدين.

قال لك: أهل الإثبات للعلو: وهذا معلوم لنا بالاضطرار من الدين.

فإن قلت: أنا لا أسلم هذا لكم.

قالوا لك: ومن نازعك من القرامطة أو الفلاسفة أو المعتزلة لا يسلم لك ما ادعيته من الضرورة » (1545) .

(1544) المصدر السابق (5/301-302).

(1545) درء التعارض (7/ 134-135).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

ويستمر في هذا الحوار العديب الذي قال فيه شيخ الإسلام: « واعلم أنهل يلس من أهل الأرض إلا من يمكن مخاطبته بهذه الطريق » (1546) .

وهذا الباب الذي أبدع شيخ الإسلام في أسلوب عرضه، واستخدامه في الرد على الأشاعرة وغيرهم يفسر – مع غيره من الأوجه – ذلك العداء الشديد والحقد المتراكم عليه في حياته وبعد مماته من جانب أعداد كبيرة من أهل الأهواء أو من أتباعهم المقلدين لهم.

لقد كان شيخ الإسلام – رحمه الله – علماً شامخاً وما استطاع معارضوه أن يجادلوا حجته بالحجة، وإنما لجأؤا إلى الأساليب الملتوية من التشهير وتحريف الكلام مما قد ينع العامة، ولكنه لا يثبت أمام الحجاج بالشرع والعقل.

والخلاصة أنه ليس لهؤلاء المتكلمين نفاة الصفات أو بعضها مخلص لا مخرج من هذه المضايق التي وقعوا فيها إلا بالعودة إلى منهج السلف وإثبات ما أثبته الله ورسوله ونفي ما نفاه الله ورسوله.

* * *

وبعد: فهذه خطوط عامة في منهج شيخ الإسلام في الرد على الأشاعرة فيما خالفوا فيه أهل السنة، ومنها يتبين:

1. أن شيخ الإسلام وهو يرد على هؤلاء لم ينسَ في أي موقف من المواقف الرد انيبين ما عندهم من أمور إيجابية وأقوال صائبة، وكيف يغفل هذا وهو يقول في معرض الرد على أحد ملاحدة الفلاسفة الإسماعيلية – وهو ابن سينا – : « وما ذكره

(1546) المصدر السابق (136/7)، وانظر: بقية الحوار مع ردود ومناقشات أخرى إلى (ص: 140)، من هذا الجزء، وانظر أيضاً: حول موضوع الاسطالة: الدرء (241/8-242)، ومنهاج السنة (112/2) – المحققة – والتسعينية (ص: 261) وغيرها.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

من امتناع التحريف على كلية الكتاب العبري حق ما قال» (1547)، ثم يذكر أدلة على ذلك.

2ـ أن شيخ الإسلام يرجع المسائل الفرعية إلى أصولها، ويقرر الرد ببيان هذه الأصول:

- فبين أن الكتاب والسنة فيهما الكفاية والهداية التامة.
- كما يقرر أن ما وقع فيه هؤلاء من علم الكلام المذموم الذي اتفق السلف على ذمة.
- ويقرر أيضاً أن السلف أعلم وأحكم، ولا يجوز معارضة ما أجمعوا عليه. وبين أثناء ذلك جهل هؤلاء المتكلمين بحقيقة مذهب السلف.
- كما يقرر أنه لا يمكن أن يقع تعارض بين العقل الصريح والنقل الصريح.

3ـ ثم إن شيخ الإسلام يستخدم في الرد عليهم أساليب غير مباشرة لكنها عميقة الأثر:

- فهو يرجع أقوال هؤلاء إلى أصولها الاعتزالية والفلسفية، وهم يصرحون في مخالفة هؤلاء والرد عليهم.
- ثم يرد على متأخيرهم بأقوال شيوخهم، ولقد كان هذا من أشد وأوجع ما لقي الأشاعرة، ولذلك امتحنوا شيخ الإسلام محنة عظيمة بسبب الفتوى الحموية لأنها مبنية على هذا الوجه.
- ولم يكتف ببيان مناقضتهم لشيوخهم بل أبرز تناقض أقوالهم أنفسهم، سواء في كتبهم المتعددة أو في الكتاب الموحد.

4. وأخيراً فإن شيخ الإسلام قد اهتم ببيان أمرين عظيمين بالنسبة لهؤلاء:

(1547) انظر: درء التعارض (78/5).

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com

أحدهما: ما وقعوا فيه من الحيرة والشك والاضطراب، وهي حيرة أشبهت كثيراً حيرة ملاحدة الفلاسفة، ثم رجوع كثير منهم إلى المذهب الحشق وتبرمه مما كان عليه من علم الكلام، والسؤال الحاسم هنا: إذا كان الأمر بهذه المثابة، فهل الأولى بهؤلاء الأتباع الذين يناقشهم شيخ الإسلام ويبين الأمر لهم، هل الأولى بهم أن يبدأوا من حيث بدأ شيوخهم فيدخلوا في علم الكلام ويتعلموه ويستخدموه، حتى إذا غاصوا فيه وبلغوا الغاية أو ما يقاربها، قالوا مثل شيوخهم ياليتنا لم نتعلم علم الكلام، وياليتنا نموت على عقيدة العجائز. أم الأولى بهم أن يأخذوا من ذلك درساً ويبدأوا منحيث انتهى بالاعتماد على الكتاب والسنة اعتماداً كاملاً ونبذ ما عدا هما مما هو مخالف ومناقض لهما؟

والثاني: أن هؤلاء المتكلمين بمنهجهم فتحوا الباب لتسلط الملاحدة من الفلاسفة، والباطنية، وغلاة الصوفية، عليهم وعلى المسلمين، وكم في هذا من الخطر على عقيدة المسلمين وشريعتهم؟.

جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود
www. almahmood.islamlight.net

This file was downloaded from QuranicThought.com